المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيـدة



الأمثال القرآنية
المضروبة لتوحيد العبادة وما يضاده من الشرك

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب
إبراهيم بن عبد الله الجربوع

إشراف
أ. د. أحمد بن عطية الغامدي

1430/1429هـ


Modifier avec WPS Office



المُق ـدّمَ ـة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بـالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

ﮋ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ [آل عمران:١٠٢].

ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ [النساء:١].

ﮋ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ [الأحزاب:٧٠- ٧١].

أ مّ ا بَ عْ دُ:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم إنه من المعلوم أن الله تبارك وتعالى خلق الخلق لعبادته وحده دون ما سواه ، وأرسل الرسل لتحقيق تلك الغاية، قال تعالى: ﮋ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮊ [النحل:٣٦]، وأنزل إليهم الكتب لئلا يتوجه المرء بطاعته وعبادته إلا لمولاه، حباً وخضوعاً وانقياداً، ((فأصل الدين وقاعدته يتضمن أن يكون الله هو المعبود الذي تحبه القلوب وتخشاه، ولا يكون لها إله سواه، والإله: ما تألهه القلوب بالمحبة والتعظيم والرجاء والخوف والإجلال والإعظام ونحو ذلك، و الله سبحانه أرسل الرسل بأنه لا إله إلا هو، فتخلو القلوب عن محبة ما سواه بمحبته، وعن رجاء ما سواه برجائه، وعن سؤال ما سواه بسؤاله، وعن العمل لما سواه بالعمل له، وعن الاستعانة بما سواه بالاستعانة به))(1) .

ومن الأساليب العظيمة التي تضمنها كتاب الله العزيز بياناً للتوحيد، وتحذيراً من الشرك: أسلوب ضرب الأمثال التي تخاطب العقول لتجليه الحسن وتشبيهه بأحسن التشبيهات، والتنفير من القبيح، وتشبيهه بأقبح التشبيهات، لتدرك القلوب الواعية ذلك البون الشاسع بين الأمرين، والفرق الواسع بين الحالين والضدين.

ولما كانت الأمثال وضربها من الأهمية بمكان في أوساط الأساليب البلاغية ، فهي من أقوى الأساليب في تقريب المعاني وإبرازها ، وسرعة تفهيم المخاطب وإيصال المعنى المراد له، فقد اعتنى بها كتاب الله أيما عناية، قال تعالى: ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ [العنكبوت:٤٣]، وقال تعالى: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (523/11).

Modifier avec WPS Office

د ﮪ ئائا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئى ﮋ[الروم:٥٨]، ((فالأمثال جزء من البيان الإلهي، تسهم في إبراز الحقائق الإيمانية من خلال أسلوبها المتميز الفعال في تشخيص الحقائق والإقناع ، والفصل عند الاشتباه والخلاف، وخاصة قضايا الإيمان التي وقع فيها الخلاف: كالأصول التي ينبني عليها الإ يمان بالله، وأسباب الهدى والضلال، وتوحيد الألوهية وما يضاده من الشرك ، والبعث بعد الموت، وحقيقة الأنبياء والأولياء، وأن ليس لهم ولا فيهم من خصائص الألوهية شيء، وحال الدنيا وسرعة زوالها، وسوء عاقبة الاغترار بها، ونحو ذلك من القضايا الهامة))[1] .

أسباب اختيار الموضوع:

وقد يسر الله بمنه وكرمه أن درست في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وواصلت الدراسة في مرحلة الماجستير بقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين، وبما أن من التحق بهذه المرحلة يلزمه أن يقدم بحثاً في جانب من جوانب العقيدة ، فقد وقع اختياري على هذا الموضوع: ((الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضاده من الشرك))، لما له من الأهمية البالغة، التي سأذكر شيئاً منها في الفقرة التالية .

أهمية الموضوع :

لهذا الموضوع أهمية كبرى ، وفائدة عظمى ، تتجلى في عدة أوجه أهمها :

1. يستقي هذا الموضوع أهميته من أهمية الكتاب العزيز ، حيث إنه يبين أسلوباً من أساليبه، ويوضح معاني بعض آياته .
2. كما تتجلى أهميته من جهة تعلقه بأشرف العلوم : توحيد الله عز وجل ، فهذا البحث يتعلق ببيان توحيد العبادة، من خلال أسلوب من أساليب بيانه استخدمها القـرآن الكريم.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله[2] – :((وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح ، وأبدأ فيه وأعاد ، **وضرب لذلك الأمثال** ، بحيث أن كل سورة في القرآن ففيها الدلالة على هذا التوحيد ، ويسمى هذا النوع: توحيد الإلهية لأنه مبني على إخلاص التأله وهو أشد المحبة لله وحده)) [3].

3. ومما يؤكد على أهمية هذا الموضوع أنه يعنى بأسلوب طالما اعتنى به العرب ، لما له من أثر في إيضاح المعاني، وتقريبها في ذهن السامع، مما يؤدي إلى سرعة الفهم، ووضوح الأمر، هذا الأسلوب هو أسلوب ضرب ا لأمثال.

---

(1) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (13/1).
(2) ستأتي ترجمته لاحقاً.
(3) تيسير العزيز الحميد (ص22).

Modifier avec WPS Office

قال الماوردي –رحمه الله[1] – :((وللأمثال من الكلام موقع في الأسماع، وتأثير في القلوب، لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها لأن المعاني بها لائحة، والشواهد بها واضحة، والنفوس بها وامقة، والقلوب بها واثقة، والعقول لها موافقة، فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز، وجعلها من دلائل رسله، وأوضح بها الحجة على خلقه،لأنها في العقول معقولة، وفي القلوب مقبولة))[2].

4. ومما يزيد الأمر أهمية: أن الله عز وجل قد امتدح من ع ـَقـ ـَل الأ مثال الواردة في كتابه الكريم، قال جل شأنه:ﮋﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ﮊ.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله[3] –:((وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحث على تدبرها وتعقلها ، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم ، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين)) [4].

5. أن قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية سبق وأن سـ ـُجـ ـّلت ـْ فيه عدة دراسات مختصة بالأمثال المتعلقة بأركان الإيمان الستة, وقد بدأ هذا المشروع المبارك فضيلة الدكتور/ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع –حفظه اللّه – فكان بحثه لمرحلة الدكتوراه في الأمثال القرآنية المتعلقة بالركن الأول من أركان الإيمان الستة ، وفي ختام البحث أوصى بالكتابة في خمسة موضوعات وهي :

أولا ـً: الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضاده من الشرك ، وهو الموضوع الذي تناولته هذه الدراسة.

ثانياً: الأمثال القرآنية المضروبة لكتب الله ويدخل فيها أمثال العلم .

ثالثاً: الأمثال المضروبة للرسل .

رابعاً: الأمثال المضروبة لليوم الآخر.

خامساً: الأمثال المضروبة للدنيا وسرعة زوالها.

وموضوع هذا البحث مرتبط بأهم هذه الأمثال، وواسطة عقدها، وذلك لأن الله تعالى ضربها لتعظيم شأن حقه تعالى والتحذير من الإخلال به.

وببحثه على منهج البحوث السابقة، نكون قد استكملنا دراسة هذه السلسلة المباركة.

الدراسات السابقة :

---

(1) ستأتي ترجمته لاحقاً.

(2) أدب الدنيا والدين (ص294).

(3) ستأتي ترجمته لاحقاً.

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ص631)، ت: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، عام 1420هـ.

Modifier avec WPS Office

لا توجد -حسب علمي- دراسات قديمة أو معاصرة عنيت بدراسة الأمثال المتعلقة بتوحيد العبادة، أو الأمثال المتعلقة بالشرك في القرآن الكريم.
والكتب القديمة المؤلفة في أمثال القرآن لا تركز كثيراً على إبراز أمثال التوحيد، وإن جرى الكلام عنها عرضاً.
وأوسع كتاب تناول الأمثال في القرآن هو (أمثال القرآن) للإمام ابن القيم – رحمه الله – وهو في الأصل جزء من كتابه (إعلام الموقعين) ، تكلم فيه عن الأمثال للتدليل على أن القرآن أرشد إلى القياس ، فهو لم يقصد دراسة الأ مثال استقلالا ً.
أما المؤلفات الحديثة في أمثال القرآن فقد تناولتها من جوانب متعددة ، فمنهم من سار على طريقة المفسرين في ذكر معاني المفردات، والمعنى الإ جمالي للمثل ككتاب (الأمثال في القرآن الكريم) للدكتور/منصور العبدلي.
ومنها كتب درست الأمثال دراسة تربوية مثل كتاب ((ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب وآثارها في تربية الجيل المسلم)) لمصطفى عيد الصياصنة.
ومنها مؤلفات تعنى بالنواحي الأدبية والبلاغية لأمثال القرآن مثل كتاب ((أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع)) للدكتور/ عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني.
ثم حصل التوجه لكتابة الأمثال العقدية المضروبة في الكتاب العزيز ، وأول دراسة في هذا الباب هي (الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله) للدكتور / عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع.
ومن المؤلفات في هذا الباب: رسالة علمية بعنوان: (الأمثال القرآنية القياسية المتعلقة بالكتب المنزلة والرسل عليهم الصلاة والسلام) للطالب/ عبد العزيز الظفيري ، وهو بحث متعلق بالركنين الثالث والرابع من أركان الإيمان.
ومنها: رسالة علمية بعنوان:(الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان باليوم الآخر)، للطالب / محمد رفيق فرُخ أحمد، وهو بحث متعلق بالركن الخامس من أركان الإيمان (الإيمان باليوم الآخر).
خطة البحث:
تم تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة .
المقدمة: وتشتمل على: سبب اختيار الموضوع، وأهميته، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والمنهج المتبع في الدراسة.
التمهيد : مقدمات في الأمثال وتوحيد العبادة والشرك .وفيه ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: مقدمات في الأمثال.
المبحث الثاني: تعريف توحيد العبادة، وبيان أهميته، والأدلة الدالة على ذلك.
المبحث الثالث: تعريف الشرك، وبيان خطره، والأدلة الدالة على التحذير

Modifier avec WPS Office

منه.

الباب الأول: الأمثال المضروبة لتوحيد العبادة. وفيه فصلان:

الفصل الأول: الأمثال المضروبة لبيان أهمية الإخلاص وبركته. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دراسة المثل في قوله تعالى: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ [البقرة:٢٦١]، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المثل.

المطلب الثاني: نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثل به.

المطلب الرابع: صورة الممثل له.

المبحث الثاني: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ [البقرة:٢٦٥]، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله.

المطلب الثاني: صورة الممثل به.

المطلب الثالث: صورة الممثل له.

المبحث الثالث: الفوائد العَقَدية المستفادة من المثلين.

الفصل الثاني: الأمثال المضروبة لثبات وطمأنينة من حقق التوحيد واستقام على الإيمان. وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : دراسة المثل في قوله تعالى : ﮋ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﮊ [البقرة:٢٥٦]. وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المثل.

المطلب الثاني: نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثل به.

المطلب الرابع: صورة الممثل له.

المطلب الخامس : الفوائد العَقَدية المستفادة من المثل .

المبحث الثاني: المثل في قوله تعالى : ﮋ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﮊ [إبراهيم:٢٤- ٢٥]. وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المثل.

المطلب الثاني: نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثل به.

المطلب الرابع: صورة الممثل له.

المطلب الخامس: الفوائد العقدية المستفادة من المثل.

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

المبحث الثاني: دراسة المثل في قوله تعالى: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ [إبراهيم:٢٦]. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المثل.

المطلب الثاني: نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثـ ـل به.

المطلب الرابع: صورة الممثـ ـل له.

المطلب الخامس : الفوائد العقدية المستفادة من المثل .

الفصل الثالث: ما ورد من الأمثال لبيان عجز من يدعى من دون الله واستواء الداعي والمدعو في ذلك، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: دراسة المثل في قوله تعالى: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ [الأعراف:١٩٤]. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المثل.

المطلب الثاني: نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثـ ـل به.

المطلب الرابع: صورة الممثـ ـل له.

المطلب الخامس: الفوائد العقدية المستفادة من المثل.

المبحث الثاني: دراسة المثل في قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮊ [الحج:٧٣]. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المثل.

المطلب الثاني: نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثـ ـل به.

المطلب الرابع: بيان الممثل له، والعبرة التي تضمنها المثل.

المطلب الخامس : الفوائد العقدية المستفادة من المثل .

المبحث الثالث : دراسة المثل في قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﮊ [الرعد:١٤]. وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المثل.

المطلب الثاني: نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثـ ـل به.

المطلب الرابع: صورة الممثـ ـل له.

المطلب الخامس : الفوائد العـ ـقـ ـدية المستفادة من المثل .

المبحث الرابع: دراسة المثلين الواردين في سورة النحل في قوله تعالى: ﮋ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﮊ

Modifier avec WPS Office


Modifier avec WPS Office

المطلب الثاني: نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله.
المطلب الثالث: صورة الممثل به.
المطلب الرابع: بيان الممثل له، والعبرة التي تضمنها المثل.
المطلب الخامس : الفوائد العقدية المستفادة من المثل .

المبحث الثالث : دراسة المثل في قوله تعالى: ﭐﮋ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ[الأنعام:٧١]. وفيه خمسة مطالب :
المطلب الأول: السياق الذي ورد فيه المثل.
المطلب الثاني: نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله.
المطلب الثالث: صورة الممثل به.
المطلب الرابع: صورة الممثل له.
المطلب الخامس : الفوائد العقدية المستفادة من المثل .

الخـاتمة. وفيها أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث، وأهم التوصيات.

Modifier avec WPS Office

الفهارس العامة .
- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الآثار .
- فهرس الأعلام .
- فهرس الألفاظ الغريبة .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس المحتويات .

المنهج المتبع في الدراسة :

تم –بتوفيق الله- اتباع الطريقة التي درج عليها من سبقوا إلى الكتابة في الأمثال العقدية، حيث ساروا على منهج وطريقة موحدة، تقوم على المنهج التفصيلي، وذلك بدراسة المثل، وبيان ألفاظه، وتحليل أجزائه، وبيان ما يقابلها في الممثل له، وتحديد المعنى المراد بالممثل له بمقايسته بالمعنى المستخلص من الممثل به، وحشد الدلائل والشواهد على ذلك حسب الخطوات الآتية :

1. دراسة السياق الذي ورد فيه المثل أو الآية وتحديد دلالته، والا ستفادة منها في تحديد المعاني المرادة والترجيح بينها، **والمراد به:** تحديد القضية العقدية التي ضرب المثل لبيانها، أو بيان جانب من جوانبها،والتي يتحدث عنها السياق، وليس المقصود تفسير الآيات، وإنما دلالة الآيات عليها.
2. بيان أهمية المثل، والغرض الذي ضرب من أجله، والمراد: تحديد المعنى المتعلق بالقضية التي ضرب لها المثل، وتختلف عن دلالة السياق في كون الغرض جزءاً من القضية التي يتحدث عنها السياق، أو ثمرة لها أو دليلا ً عليها ونحو ذلك.
3. تحديد صورة الممثل به،واعتبارها من الأدلة في تعيين الممثل له، وفي الترجيح بين الأقوال في ذلك.
4. تحديد أجزاء الممثل له، وما يقابلها في الممثل به.
5. اعتبار الدلائل اللغوية، وإيراد ما يحتاج إليه مما له أثر في إبراز المراد من المعاني والإعراب والأساليب البلاغية ونحوها.
6. إيراد شواهد المعاني المختارة من أقوال أهل العلم من المفسرين وغيرهم ، والتركيز على التفاسير التي تعتني بالتفسير بالمأثور، وأقوال السلف الصالح ، والمعاني المستفادة من أقوالهم، والاستفادة من التفاسير الأخرى بقدر ما تدعوا إليه الحاجة، ولا ألتزم بذكر جميع الأقوال الواردة في ألفاظ المثل، وإنما أكتفي بالمشهور منها، وبعض أقوال أهل العلم الدالة عليها، أو أحيل إلى المراجع التي أوردتها ، وبيان الراجح منها ، والإجابة عن الأقوال المشهورة المرجوحة .
7. استنباط أهم الفوائد العقدية التي دل عليها المثل، والكلام عليها بـ

Modifier avec WPS Office

القدر الذي أرى أنه يفي باستخلاص العبرة والحكمة منها، **والمراد به:** استنباط الفوائد العقدية التي دل عليها المثل بالإضافة إلى دلالته على الممثل له، وهي فوائد مستنبطة من معرفة الممثل له أو من سياقه.

هذا منهج دراسة الأمثال، أما عن المنهج العام المتبع في البحث فعلى النحو التالي:

1. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع كتابتها بالرسم العثماني.
2. تخريج الأحاديث النبوية من مظانها ، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالإحالة أليهما أو أحدهما ، وإن كان في غيرهما خرجته من باقي كتب السنة دون استقصاء ، مع ذكر حكم أهل العلم عليه صحة وضعفاً, واكتفيت بحكم العلامة الألباني رحمه الله ومن أراد معرفة حيثيات الحكم على الحديث فليرجع إلى كتب الشيخ التي عزوت إليها.
3. الترجمة للأعلام غير المشهورين، الوارد ذكرهم في صلب الرسالة .
4. شرح الألفاظ الغريبة .
5. التعريف بالأماكن والبلدان والفرق والطوائف الواردة في البحث.
6. الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.
7. تذييل البحث بفهارس فنية للتسهيل والتيسير.

شكر... وتقدير:

أحمد الله سبحانه وتعالى على نعمه العظيمة وآلائه الجزيلة، أن مَنّ علي با لإسلام، واتباع خير الأنام ، ويسر لي سبيلا ً ألتمس فيه العلم، وأعانني على إتمام هذا البحث، وأسأله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، موافقاً للحق، وأن يثبتني على الإسلام حتى ألقاه.

وأولى من أتقدم له بالشكر بعد شكر الله عز وجل والديّ الكريمين، على تعاهدهما لي بالتربية والرعاية، ولا أجد أبلغ من الدعاء لهما بأن يجزيهما الله عني خير ما جزى والداً عن ولده.

وأخص بالشكر كل من كان له فضل علي في إتمام هذا البحث، وعلى رأسهم فضيلة المشرف على البحث الأستاذ الدكتور: أحمد بن عطية الغامدي، على تفضله بالإشراف على هذه الرسالة، وتعاهد الطالب بالتوجيه والإرشاد، فله جزيل الشكر والتقدير، وأسأل الله أن يبارك في علمه وعمله، وأن يرفع درجاته في الدنيا والآخرة.

ولهذه الجامعة العريقة أتقدم بالشكر والعرفان، فقد احتضنتني منذ سني دراستي المبكرة، ورشفت من معينها العذب الزلال أعظم العلوم وأشرفها وأزكاها.

Modifier avec WPS Office

والشكر موصول لكل من ساعدني بإبداء نصيحة، أو إعارة كتاب، أو إرشاد إلى مرجع، وأسأل الله أن يبارك في الجميع، وأن يعظم لهم الأجر والمثوبة.

وفي الختام أسأل الله أن أكون قد وفقت للصواب، وحسبي أني بذلت جهدي حسب استطاعتي، ولم أتعمد الخطأ، فما كان من صواب فمن الله وحده وله المنة والفضل، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله العفو والمغفرة من الزلل.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

Modifier avec WPS Office

التمهيد
مقدمات في الأمثال وتوحيد العبادة والشرك

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقدمات في الأمثال.

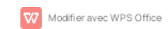
المبحث الثاني: تعريف توحيد العبادة، وبيان أهميته، والأدلة الدالة على ذلك.

المبحث الثالث: تعريف الشرك، وبيان خطره، والأدلة الدالة على التحذير منه.

المبحث الأول
مقدمات في الأمثال

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المعاني الرئيسة للفظ (مَثَل)، وفيه خمسة فروع:


Modifier avec WPS Office

الفرع الأول: المَثَل بمعنى القول السائر.
الفرع الثاني: المَثَل بمعنى الوصف.
الفرع الثالث: المَثَل بمعنى الشِبْه والنظير.
الفرع الرابع: المَثَل بمعنى المِثَال.
الفرع الخامس: المراد بضرب المَثَل.
المطلب الثاني: علاقة الأمثال القرآنية بالقياس.
المطلب الثالث: أهمية الأمثال القرآنية، وأغراضها، وفيه فرعان:
الفرع الأول: أهمية الأمثال القرآنية.
الفرع الثاني: أغراض الأمثال القرآنية.

Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
المعاني الرئيسة للفظ (مَثَل)

ذكر أهل اللغة عدة معانٍ لكلمة (مَثَل)، ترجع في مجملها إلى أربعة معانٍ رئيسة[1]، وسأذكر فيما يلي تلك المعاني، وبعض الشواهد عليها.

الفرع الأول: المَثَل بمعنى القول السائر.

تطلق كلمة (مَثَل) ويراد بها الأقوال السائرة، التي شبه مضربها بموردها[2]، قال الراغب الأصفهاني[3]:((والمثل عبارة عن قول في شيء، يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر، ويصوره، نحو قولهم: الصيف ضيعت اللبن، فإن هذا القول يشبه قولك أهملت وقت الإمكان أمرك))[4].

والمثل السائر يكون في أصله قولاً في شيء خاص، من غير إرادة المتكلم جعله مثلاً، ((ثم يتعداه إلى أشباهه، فيستعمل فيها شائعاً ذائعاً على وجه تشبيهها بالمورد الأول))[5]، وقد يشتمل المثل مع ذلك على أسلوب تشبيهي، مثل قولهم:((كمجير أم عامر))[6]، وقولهم:((كالحادي وليس له

---

(1) انظر: لسان العرب لابن منظور (611/11)، دار صادر, بيروت, الطبعة الأولى. ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (ص153-154)، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان، ط1، عام1404هـ، ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، وزهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسي (21/1-20) ت: محمد حجي و د. محمد الأخضر، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط1، عام1401هـ. وأمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع لعبد الرحمن الميداني (ص19-40)، دار القلم، دمشق، ط2، 1412هـ. والأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله للجربوع (42/1-86).

(2) انظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم (21/1).

(3) هو حسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني، أبو القاسم، المعروف بالراغب ، برع في علوم كثيرة خاصة التفسير واللغة، من تصانيفه: مفردات القرآن، وأفانين البلاغة، والمحاضرات. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (120/18) ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1. وبغية الوعاة (297/2), المكتبة العصرية, لبنان, صيدا, ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(4) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص462)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(5) زهر الأكم (21/1).

(6) يضرب لمن يصنع المعروف في غير أهله. انظر: مجمع الأمثال للميداني (144/2)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

Modifier avec WPS Office

بعير))[1].

وقد لا يشتمل على تشبيه، كقولهم:((الصيف ضَيَعْتِ اللبن))[2] [3]، ويكون من باب الاستعارة التمثيلية، ((فقول القائل أولا ً للمرأة التي طلقها:((الصيف ضيعت اللبن)) لا يريد تشبيها ً أصلا ً، وإنما أراد أنك ِ فرطت في اللبن، وتسببت في ضياعه عند زمن الصيف، إذ كنت تطلبين فراقي.

ثم إنك َ اليوم إذا رأيت َ أحداً فرط في حاجة زمن إمكانها، ثم جعل يطلبها ثم أدبرت، ساغ لك أن ت ُشبه هيئته بهيئة من ترك اللبن أو محله في وقت، ثم جعل يطلبه في وقت آخر، فتقول له لأجل هذه المشابهة:((الصيف ضيعت اللبن)) أي حالتك هذه حالة التي قيل لها:((الصيف ضيعت اللبن))، ولأ جل هذا المعنى وهذا التقدير، تنقل لفظ المثل كما قيل أولا ً من غير تغيير، حتى إنك في هذا المثل بعينه تكسر التاء في ضيعت ِ، وإن كنت تخاطب ذكرا ً، وهكذا سائر الأمثال، وهذا يسمى عند الأدباء استعارة تمثيلية))[4].

ومن أمثلة هذا النوع في القرآن الكريم، قوله تعالى:

1. ﮋﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ[التوبة:٩١].
2. ﮋﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﮊ[هود:٨١].
3. ﮋﯾ ﯿ ﰀ ﮊ[يوسف:٥١].
4. ﮋﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ[الحج:١٠].
5. ﮋﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ[فاطر:٤٣]، وغيرها كثير.

وهذا النوع من الأمثال لا يدخل تحت الأمثال القرآنية المشار إليها في مثل قوله تعالى: ﮋﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ[العنكبوت:٤٣]، وذلك أن الله تعالى لم يصرح بمثليتها، ولا هي جارية مجرى الأمثال التي صُرح بضربها، غير أن تمثل الناس بها معلن ببلاغة ألفاظ القرآن ونظمه، وبراعة بيانه اللفظي[5].

الفرع الثاني: المثل بمعنى الوصف.

قال الجوهري[6] في الصحاح:((ومَ ثَ لَ ُ الشيء أيضاً: صفته))[7]،

---

(1) يضرب لمن يتشبع بما لا يملك. انظر: مجمع الأمثال (142/2).
(2) يضرب لمن يريد شيئاً فوته على نفسه. انظر: مجمع الأمثال (68/2).
(3) انظر: زهر الأكم (22/1).
(4) نفس المصدر.
(5) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (64/14)، جمع: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، عام 1416هـ. والأمثال في القرآن الكريم للفياض (ص238)، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط1، عام 1414هـ. والقياس في القرآن الكريم والسنة النبوية للحسين (ص277)، مكتبة الرشد، ط1، عام 1426هـ.
(6) هو إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر اللغوي النحوي، إمام في علوم

Modifier avec WPS Office

وقال الراغب الأصفهاني وهو يبين معنى مَثَل ومِثل:((وقد يعبر بهما عن وصف الشيء))[2].

واستخدام لفظ المثل لهذا المعنى كثير في كتاب الله، لكن لم يوقف على ذكر له في كلام العرب مما حمل بعض العلماء على إنكاره[3]، إلا أن تفسيره بهذا المعنى من قبل كثير من علماء التفسير والغريب من المتقدمين، وذكر كتب المعاجم له يدل دلالة واضحة على ثبوته واستخدامه من قبل العرب.

ومن أمثلة وروده في القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ﴾ [محمد:15]، قال ابن جرير-رحمه الله-[4] : ((يقول تعالى ذكره: صفة الجنة التي وعد المتقون))[5]، وقال أبو منصور الأزهري[6]:((... ولما قال الله تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﴾ [محمد:١٢]،

العربية، توفي سنة 393هـ، من تصانيفه: الصحاح في اللغة، والمقدمة في النحو. انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزآبادي (ص66)، ت: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط1، عام 1407هـ. ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني (400/1)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط3، عام 1406هـ.

(1) (159/2).

(2) المفردات في غريب القرآن (ص462).

(3) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (71/15)، دار إحياء العربي، بيروت، لبنان، ط 1، عام 2001م.

(4) هو محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، الإمام العلامة شيخ المفسرين، ولد سنة 224هـ بطبرستان، برع في علوم كثيرة، وله مصنفات, من أشهرها: جامع البيان في تأويل القرآن، وتاريخ الأمم والملوك، توفي سنة 310هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (267/14)، والبداية والنهاية لابن كثير (145/11)، ت: عبد الله التركي، دار هجر.

(5) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري (49/26)، دار الفكر، بيروت، لبنان، عام 1405هـ.

(6) هو محمد بن أحمد بن الأزهر بن منصور الأزهري، إمام العربية في زمانه، ولد سنة 282هـ، كان فقيهاً صالحاً غلب عليه علم اللغة، من تصانيفه: تهذيب اللغة، والتقريب في التفسير، توفي سنة 370هـ. انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (144/1)، ت: د. الحافظ عبد العليم خان، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، عام 1407هـ. ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (112/5), دار الكتب العلمية, بيروت, 1411 هـ - 1991م، الطبعة الأولى.

Modifier avec WPS Office

وصف تلك الجنات فقال ﮋﭓ ﭔﮊ أي صفتها))[1].

وقوله تعالى: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ...ﮊ [الفتح:٢٩]، قال ابن جرير:((وقوله: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔﮊ، يقول: هذه الصفة التي وصفت لكم من صفة أتباع محمد الذين معه، صفتهم في التوراة.

وقوله: ﮋ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﮊ، يقول: وصفتهم في إنجيل عيسى صفة زرع أخرج شطأه وهو فِراخه...))[2].

وقال أبو منصور الأزهري:((وكذلك- أي مما ورد فيه لفظ المثل بمعنى الوصف- قوله تعالى: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔﮊ، أي ذلك صفة محمد في التوراة، ثم أعلم أن وصفهم في الإنجيل كزرع))[3].

الفرع الثالث: المثل بمعنى الشِبْه والنظير.

قال ابن فارس[4]:((الميم والثاء واللام أصلٌ صحيح يدل على مناظرَة الشّيء للشيء، وهذا مِثْل هذا أي نظيره، والمِثْل والمِثال في معنىً واحد، وربّما قالوا: مَثِيل كشبيه، تقول العرب: أمثَلَ السُلطان فلاناً: قَتَلَه قَوَداً، و المعنى: أنّه فعل به مِثلَ ما كان فَعَلَه، والمَثَل: المِثْل أيضاً، كشَبَه وشِبْه. والمثَلُ المضروبُ مأخوذٌ من هذا، لأنّه يُذكر مورّىً به عن مِثلِه في المعنى))[5].

وهذا المعنى هو الذي يقوم عليه باب التشبيه عند البلاغيين، وقالوا في معناه:((عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة لغرض يقصده المتكلم))[6].

وقد ورد ضرب المثل على هذا النحو كثيراً في كتاب الله، وغالب الأمثال التي ستبحث في هذه الدراسة من هذا النوع، ولذا فمن المناسب الإشارة بإيجاز إلى أركان التشبيه وأقسامه، وبعض مباحثه التي يُحتاج إليها في فهم تلك الأمثال.

أركان التشبيه:

((أركان التشبيه أربعة:

---

(1) تهذيب اللغة (70/15).

(2) تفسير الطبري (112/26).

(3) تهذيب اللغة (71/15).

(4) هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي، أبو الحسين، إمام العربية في وقته، برع في علوم اللغة خاصة، من تصانيفه: مقاييس اللغة، وله تفسير للقرآن، توفي سنة 395هـ. انظر: البداية والنهاية (335/11)، ومعجم الأدباء (534/1).

(5) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (296/5)، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط3، عام 1420هـ.

(6) جواهر البلاغة للهاشمي (ص225)، تعليق وتدقيق: سليمان الصالح، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، عام 1426هـ.

Modifier avec WPS Office

1. المشبّه: وهو الأمر الذي يراد إلحاقه بغيره.
2. المشبّه به: وهو الأمر الذي يلحق بالمشبه.
3. وجه الشبه: وهو الأمر الذي اشترك فيه الطرفان...
4. أداة التشبيه: وهي اللفظ الذي يدل على التشبيه،ويربط المشبه ب المشبه به...))[1].

أقسام التشبيه[2]:

ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه، وباعتبار الأداة، وباعتبار وجه الشبه.

تقسيم التشبيه باعتبار طرفيه يكون من جهتين:

1- تقسيمه إلى حسي وعقلي، وينقسم إلى:
1. تشبيه محسوس بمحسوس.
2. تشبيه معقول بمعقول.
3. تشبيه محسوس بمعقول.
4. تشبيه معقول بمحسوس.

2- تقسيمه إلى مفرد ومركب، وينقسم إلى:
1. تشبيه مفرد بمفرد.
2. تشبيه مركب بمركب.
3. تشبيه مفرد بمركب.
4. تشبيه مركب بمفرد.

وينقسم باعتبار الأداة إلى:
1. تشبيه مرسل: وهو ما ذكرت فيه الأداة.
2. تشبيه مؤكد: وهو ما حذفت منه أداته.

وينقسم باعتبار وجه الشبه إلى:
1. مفصل: وهو ما ذكر فيه وجه الشبه، أو ملزومه.
2. مجمل: وهو ما لا يذكر فيه وجه الشبه، ولا ما يستلزمه.

الاستعارة[3]:

تعريفها: هي نقل اللفظ من معناه الذي عرف به إلى معنى آخر لم يعرف به، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي.

مثالها: رأيت أسداً يخطب، ورأيت بحراً يتكلم، ونحو ذلك.

والاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه ووضع اللفظ المستعار مكانه، ففي المثال الأول، كأنك قلت: رأيت رجلا ً شجاعاً كالأسد يخطب.

---

(1) المصدر السابق (225-226).

(2) انظر: البلاغة فنونها وأفنانها لفضل عباس (ص48-57)، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط9، عام 1424هـ. وجواهر البلاغة (ص227-240).

(3) انظر: البلاغة فنونها وأفنانها (ص163-177)، وجواهر البلاغة (ص276-281).

Modifier avec WPS Office

أركان الاستعارة:

للاستعارة ثلاثة أركان:

1. المستعار، وهو في المثال السابق: أسد.
2. المستعار له، وهو في المثال السابق: رجل.
3. المستعار منه، وهو في المثال السابق: الشجاعة.

أقسامها:

من أهم التقسيمات في الاستعارة تقسيمها إلى:

1. استعارة تصريحية: وهي ما حذف فيها المشبه وذكر المشبه به.
2. استعارة مكنية: وهي ما حذف فيها المشبه به وذكر المشبه.

والتشبيه له أقسام كثيرة يطول استقصاؤها، تؤخذ من مظانها.

الفرع الرابع: المَثَل بمعنى المِثَال.

والمِثَال: نَصْبُ شيء ما بحيث يُتخذ قدوة لغيره أوعبرة، قال الزبيدي[1]:((والمِثال بالكسْر: المِقْدار وهو من الشِّبْهِ والمِثل، ما جُعلَ مِثالاً، أي: مِقداراً لغَيرِه يُحذى عليه))[2]، وقال الراغب الأصفهاني:((والمِثَال: بمعنى مقابلة الشيء بشيء هو نَظِيره، أو وَضع شيء ما ليُحتذى به فيما يفعل))[3].

وهذا المعنى مأخوذ من المُثُول والانْتِصَاب، فكأن هذا المِثَال ماثلٌ شاخصٌ أمامك تحذو حذوه، أو تتخذه عِبرة تعتبر من فعله، جاء في لسان العرب:((ومَثَلَ الشيء يَمْثُلُ مُثُولاً ومَثُلَ: قام منتصباً، ومَثُل بين يديه مُثُولاً، أي انتصب قائماً، ومنه قيل لمنارة المسرجة: مَاثِلَة))[4].

فلفظ (مَثَل) بهذا المعنى يطلق ((على ما كان جامعاً لحقائق وصفات وأحوال معينة متجانسة، باعتباره أصبح أنموذجاً دالاً عليها، فيقال: كذا م

---

(1) هو محمد مرتضى بن محمد الحسيني، أبو الفيض الزبيدي، نسبة إلى مدينة زَبيد باليمن، ولد سنة 1145هـ، رحل إلى الحجاز ومصر وغيرها، برع في علوم كثيرة لا سيما علوم العربية، من تصانيفه: تاج العروس في شرح القاموس، وأسانيد الكتب الستة، وغيرها، توفي سنة 1205هـ. انظر: أبجد العلوم (الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم) لصديق خان (12/3)، ت: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1978هـ. والأعلام لخير الدين الزركلي (70/7)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

(2) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (382/30)، ت: جماعة من المحققين، دار الهداية.

(3) المفردات في غريب القرآن (ص463).

(4) (614/11).

Modifier avec WPS Office

ﭣ ﭤ ﭥ لكذا بهذا الاعتبار، ومن هذا النوع: ذكر القصص التي يراد منها إيصال حكمة أو تجربة أو حيلة لينتفع منها السامع أو القارئ في أمر أو موقف أو حال يكون فيها))[1].

وقد استخدمت العرب لفظة (ﻣ ﺜ ﻞ) لهذا المعنى, فمن ذلك قول الشاعر:

ر ﻣ ﺘ ﻨ ﻲ ﺑ ﻦ ﻮ ع ﺞ ﻞ ﺑ ﺪ ﺍ ﺀ ﺃ ﺑﻴ ﻪـﻢ

وأي ﺍمرئ ﻓي الن ﺎس أ ﺣ ﻤـﻖ ﻣ ﻦ ﻋ ﺠـﻞ

أ ﻟﻴْﺲ ﺃ ﺑ ﻮﻩ ﻢ ﻋ ﺎر ﻋ ﻴ ﻦ ﺟ ﻮ ﺍﺩ ﻩ[2]

ﻓ ﺼ ﺎر ﺕ ﺑ ﻪ ﺍلأ ﻣ ﺜ ﺎل ﺗ ﻀ ﺮ ﺏ ﻓي الج ﻪ ﻞ[3]

ومن استخدام القرآن لهذا النوع: قوله تعالى: ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮊ [الزخرف:٥٦]، قال ابن جرير-رحمه الله-:((وقوله:ﮋ ﮱ ﯓ ﯔ ﮊيقول: وعبرة وعظة يتعظ بهم من بعدهم من الأمم، فينتهوا عن الكفر بالله))[4]، وقال شيخ الإسلام-رحمه الله-[5]:((وقال في فرعون:ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮊ أي: مثلا ً يعتبر به ويقاس عليه غيره، فمن عمل بمثل عمله جوزي بجزائه، ليتعظ الناس به فلا يُعمل بمثل عمله))[6].

ومن ذلك: قوله تعالى: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ [النور:٣٤]، قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((وقال تعالى ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮊ، وهو ما ذكره من أحوال الأمم الماضية، التي يعتبر بها ويقاس

(1) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (74/1).
(2) أي: فقأ عين جوادة فصار أعور. انظر: مجمع الأمثال (217/1).
(3) نفس المصدر.
(4) تفسير الطبري (85/25).
(5) هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، أبو العباس تقي الدين الحراني، ولد سنة 661هـ في حران، ورحل مع أبيه إلى دمشق، وسمع من جماعة كثيرة من العلماء، وفتح الله عليه فبرع في جميع العلوم، كان حافظاً قوي الفهم والإدراك، حارب بقلمه وسيفه، وصنف مصنفات كثيرة جداً، منها: منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة القدرية، ودرء تعارض العقل والنقل ، مات سنة 728هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (168/1)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ط2، عام 1392هـ والمقصد الأرشد في أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح (132/1)، ت: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، عام 1410هـ.
(6) مجموع الفتاوى (15/13).

Modifier avec WPS Office

عليها أحوال الأمم المستقبلة، كما قال: ﮋ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸﮊ [يوسف:١١١]، فمن كان من أهل الإيمان قيس بهم، وعلم أن الله يسعده في الدنيا والآخرة، ومن كان من أهل الكفر قيس بهم، وعلم أن الله يشقيه في الدنيا والآخرة))[1].

والقصص التي ذكرها الله سبحانه في كتابه ((كلها أمثال ضربت للناس، ليتأملوها ويستخلصوا منها العبر، قال ابن تيمية – رحمه الله –:((ونظير ذلك: ذكر القصص، فإنها كلها أمثال هي أصول قياس واعتبار))[2]))[3].

وخلاصة ما تقدم: أن لفظ (مَثَل) من المشترك اللفظي[4] الذي يدل على أكثر من معنى، فقد يطلق ويراد به الأمثال السائرة، وأحياناً يقصد به وصف الشيء، وتارة يرد بمعنى المِثْل وهو النظير، ومرة بمعنى المثال وهو الأ نموذج .

الفرع الخامس: المراد بضرب المَثَل.

كثيراً ما يرد لفظ (الضرب) للدلالة على إرادة التمثيل في القرآن الكريم، ولذلك شواهد كثيرة، منها: قوله تعالى: ﮋ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮊ [البقرة:٢٦]، وقوله تعالى:ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢﮊ [الروم:٥٨].

والضرب في اللغة يراد به معاني كثيرة، قال الراغب الأصفهاني:((الضرب: إيقاع شيء على شيء، ولتصور اختلاف الضرب خولف بين تفاسيرها:

كضرب الشيء باليد والعصا والسيف ونحوها... وضرب الأرض بالمطر، وضرب الدراهم... والضرب في الأرض: الذهاب فيها، هو ضربها بالأرجل... وضَرَبَ الفَحْلُ الناقة تشبيهاً بالضرب بالمطرقة، كقولك: طرقها، تشبيهاً بالطرق بالمطرقة، وضرب الخيمة بضرب أوتادها بالمطرقة ... وضرب اللبن بعضه على بعض بالخلط، وضرب المثل هو من ضرب الدراهم، وهو ذكر شيء أثره يظهر في غيره))[5].

أما ضرب المثل فإنه لما كانت معاني الأمثال مختلفة، ومعنى الضرب مختلفاً أيضاً في لغة العرب، تلمّس العلماء ألصق المعاني شبهاً بضرب الأمثال، وهذه المعاني هي:

الأول: ((نصب المثال وإظهاره للمخاطبين لتستدل عليه خواطرهم كما تستدل على الشيء المنصوب نواظرهم، وهو مأخوذ من ضرب الخيمة، أي:

---

(1) نفس المصدر (16-15/13).
(2) نفس المصدر (57/14).
(3) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (77-76/1).
(4) المشترك اللفظي هو: أن يتحد اللفظ ويختلف المعنى. انظر: روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة (53/1)، ت: عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط2، عام 1399هـ.
(5) المفردات في غريب القرآن (ص294-295).

Modifier avec WPS Office

نصبها.

وهذا المعنى هو الألصق بالأمثال الأنموذجية، والشواهد والحجج المنصوبة للاعتبار والاستدلال بها))[1].

الثاني: ضرب المثل أي: تقديره، ومنه: ضرب الجزية، أي: تقديرها، قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((والقياس هو ضرب المثل، وأصله والله أعلم: تقديره ، فضرب المثل للشيء تقديره له، كما أن القياس أصله: تقدير الشيء بالشيء، ومنه ضرب الدرهم و هو تقديره، و ضرب الجزية و الخراج و هو تقديرهما، و الضريبة المقدرة، و الضرب في الأرض لأنه يقدر أثر الماشي بقدره...))[2].

وهذا المعنى مناسب للأمثال القياسية، سواءٌ كانت تشبيهية أو أنموذجية، ((حيث يكون أصل ضرب المثل: هو تقدير المعنى أو الحكمة والحجة والعبرة والقدوة بألفاظ المثل))[3].

الثالث: الضرب بمعنى التلقيح، ومنه: ضِراب الفحل الناقة، قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: ((وضرب المثل لما كان جمعاً بين عِلمين، يطلب منهما ع لِ ْم ٌ ثالث، كان بمنزلة ضراب الفحل الذي يتولد عنه الولد، ولهذا يقسمون الضرب إلى ناتج وعقيم، كما ينقسم ضرب الفحل للأنثى إلى ناتج وعقيم))[4].

((وهذا النوع مأخوذ من ضرب الفحل الناقة، وهو ألصق بالأمثال القياسية ، التشبيهية والأنموذجية.

فالأمثال القياسية -من جهة- تلقح الأفكار وتنبهها على القياس والتفكر والاعتبار.

ومن جهة أخرى يتم فيها التلقيح بين الفرع والأصل ليحصل النتيجة الموجبة، وهي التي تسمى الناتج، حيث يُعْطَى حكم الأصل للفرع، أو تكون نتيجة الاعتبار سالبة وهي العقيم التي لا يلحق بها الفرع بالأصل في الحكم لوجود مانع))[5].

الرابع: الضرب بمعنى الصيغة، ((يقال: هذا م ِن ْ ضَرْب فلان، أي صيغته؛ لأنّه إذا صاغ شيئاً فقد ضربه، والضّريب: المِثْل، كأنّهما ضُرِبَا ضَرْباً واحداً، وصِيغا صياغةً واحدة))[6]، وهذا أشبه بضرب الأمثال التشبيهية، لأن الضارب للمثل كأنه صاغ المشبه والمشبه به في قالب واحد، هو المعنى الجامع بينهما.

---

(1) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (1/88-89).
(2) مجموع الفتاوى (14/55).
(3) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (1/89).
(4) مجموع الفتاوى (14/55).
(5) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (1/90).
(6) معجم مقاييس اللغة (3/398).

Modifier avec WPS Office

الخامس: الضرب بمعنى إيقاع الألم على المراد عقوبته[1]، وهذا يناسب التمثل بالأقوال السائرة، حيث أنها توقع على ما يشاكلها من المواقف والحالا ت.

(1) نفس المصدر.

Modifier avec WPS Office

المطلب الثاني
علاقة الأمثال القرآنية بالقياس

القياس في اللغة: تقدير شيء بشيء، جاء في لسان العرب:((قاسَ الشيء يَقيسُه قَيْساً و قياساً و اقتاسه و قَيَّسه، إذا قدّره على مِثاله))[1].

أما في الاصطلاح فيختلف تعريفه باختلاف أنواعه، وقد بين العلماء أن القياس ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قياس التمثيل.

وقد عرفه شيخ الإسلام-رحمه الله- بقوله:((تقدير الشيء المعين بنظيره المعين))[2].

وهذا النوع من القياس هو الذي يقوم عليه التشبيه، وذلك أن التشبيه كما عرفه أهل البلاغة: ((عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة لغرض يقصده المتكلم))[3]، وهو القياس في اصطلاح الأصوليين، فالقياس عندهم:((تعدية حكم المنصوص عليه إلى غيره بجامع مشترك))[4].

وهذا النوع من القياس هو الذي جرت عليه الأمثال التشبيهية، كقوله تعالى: ﮋ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ... ﮊ [البقرة:٢٦١].

النوع الثاني:قياس الشمول.

وقد عرفه شيخ الإسلام-رحمه الله- بقوله:((قياس الشمول: هو انتقال الذهن من المعين إلى المعنى العام المشترك الكلي المتناول له ولغيره، والحكم عليه بما يلزم المشترك الكلي))[5].

وهذا هو القياس المنطقي، قال الطوفي-رحمه الله-[6]:((ويرسمه المنطقيون-أي القياس- بأنه عبارة عن أقوال إذا سُلِمت لزم عنها لذاتها قول آخر، نحو: كل حيوان جسم، وكل جسم مؤلف، يلزم عنه أن كل حيوان

---

(1) (187/6).
(2) مجموع الفتاوى (119/9).
(3) جواهر البلاغة (ص225).
(4) شرح مختصر الروضة للطوفي (218/3)، ت: عبد الله التركي، دار هجر.
(5) مجموع الفتاوى (119/9).
(6) هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم، نجم الدين الطُوفي الحنبلي، أصله من قرية طُوف ببغداد، مشارك في الفنون، وكان قوي الحافظة شديد الذكاء، من تصانيفه: شرح مختصر الروضة، وشرح الأربعين النووية، توفي سنة 716هـ. انظر: ذيل طبقات الحنابلة (366/2)، والدرر الكامنة (249/2).

Modifier avec WPS Office

مؤلف))[1].

فلابد في هذا القياس من تحقق دخول الفرع ضمن أفراد العام، ومن ثم نعود على الفرع بإضافة الحكم الذي ينطبق على ذلك العام عليه، لكونه فرداً من أفراده، ومن أمثلة هذا النوع قولنا: النبيذ مسكر، وكل مسكر حرام، فالنبيذ حرام.

وهذا النوع من القياس هو الذي جرت عليه الأمثال الأنموذجية، مع مراعاة الإيجاز في حذف المقدمة الجلية.

وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام-رحمه الله- بقوله:((فلهذا كانت الأمثال المضروبة في القرآن تحذف منها القضية الجلية لأن في ذكرها تطويلا ً وعياً ، وكذلك ذكر النتيجة المقصودة بعد ذكر المقدمتين يعد تطويلا ً))[2].

ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﮊ [الحج:٧٣]، والقياس في هذا المثل كما يلي: الذباب مخلوق، وكل مخلوق لا يمكن لمُحْدَثٍ إيجاده، فالذباب لا يمكن لمُحْدَثٍ إيجاده.

النوع الثالث: قياس الأولى.

وهو مركب من أحد هذين القياسين[3]، ولكن ثبوت الحكم في المقيس له لا لكونه مماثلا ً للمقيس عليه، ولا لدخوله تحت أصل كلي تستوي أفراده، وإنما يثبت لمن كان الوصف فيه زائداً على المقيس عليه بطريق الأولى.

مثال قياس الأولى التمثيلي: قياس ضرب الوالدين على التأفيف في الحرمة، لأن الضرب أولى بالحكم من قول:(أف) لهما[4].

ومثال قياس الأولى الشمولي: إذا كان السيد لا يرضى بمشاركة عبده له فيما يملك، فالأمير أشد أنفة من ذلك لكمال سيادته بالنسبة لعامة الناس.

ومن أمثلة هذا النوع: قوله تعالى: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ [يس:٧٨- ٧٩][5].

ومن خلال ما تقدم ندرك أن أمثال القرآن على ثلاثة أنواع:

الأول: الأمثال الجارية على قياس التمثيل، وهي الأمثال التشبيهية.

الثاني: الأمثال الجارية على قياس الشمول، وهي الأمثال الأنموذجية.

---

(1) شرح مختصر الروضة (225/3).

(2) مجموع الفتاوى (61/14).

(3) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (29/1)، ت: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الرياض، عام 1391هـ.

(4) انظر: شرح الكوكب المنير لابن النجار (105/4)، ت: د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط2، عام 1418هـ.

(5) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (130/1) ت: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، لبنان، عام 1973هـ.

Modifier avec WPS Office

الثالث: الأمثال الجارية على قياس الأولى، وهذه الأمثال قد تكون أمثالا ً تشبيهية، وقد تكون أمثالا ً أنموذجية.

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
أهمية الأمثال القرآنية، وأغراضها

وفيه فرعان:

الفرع الأول: أهمية الأمثال القرآنية.

أشاد الله سبحانه بالأمثال التي اشتمل عليها كتابه العزيز، قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﮊ [الفرقان:٣٣].

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: ((فأخبر أن المشركين لا يأتون بقياس -وأقيستهم من الباطل- إلا أتى الله بما هو الحق بكلام وقياس أحسن تفسيرا ً، بحيث يكون بيانه ودلالته للمطلوب أبين وأوضح وأجلى وأقرب إلى الأ مور البديهية الجليلة))[1].

وقال تعالى: ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ [العنكبوت:٤٣]، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-[2]:((وهذا مدحٌ للأمثال التي يضربها، وحثٌ على تدبرها وتعقلها، ومدحٌ لمن تعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين))[3].

وأوجه أهمية أمثال القرآن كثيرة جداً، فمنها:

1. أن الله تعالى نسب ضرب هذه الأمثال لنفسه، فقال: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮊ [البقرة:٢٦]، وضَمَنها أشرف كتبه، مما يدل على تفخيم شأنها، وسمو منزلتها، وعظيم موقعها بين أساليب القرآن المتنوعة.
2. أن الله أقام بها الحجج على عباده، قال تعالى: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [إبراهيم:٤٥] قال الشوكاني-رحمه الله-[4]:((ﮋ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ في

---

(1) بيان تلبيس الجمهية في تأسيس بدعهم الكلامية (148/1)، ت: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، المطابع الحكومية، مكة المكرمة، ط1، عام 1392هـ.

(2) هو عبد الرحمن بن ناصر السعدي التميمي، ولد سنة 1307هـ، في مدينة عنيزة بالقصيم، أخذ عن جماعة من أكابر علماء عصره، له مصنفات عديدة منها: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، والقواعد الحسان في تفسير القرآن، توفي عام 1376هـ. انظر: الأعلام للزركلي (340/3)، ومعجم المؤلفين (396/13).

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ص631)، ت: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، عام 1420هـ.

(4) هو محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني، النحوي المفسر الفقيه، ولد سنة 1173هـ، وأخذ العلم عن كبار علماء اليمن من صنعاء وغيرها، نبغ في علوم كثيرة، توفي سنة 1250هـ، من مصنفاته: نيل الأوطار شرح منتقى ا لأخبار، وفتح القدير في التفسير، وغيرها. انظر: البدر الطالع بمحاسن ما

Modifier avec WPS Office

كتب الله وعلى ألسن رسله، إيضاحاً لكم وتقريراً، وتكميلاً للحجة عليكم))[1].

3. أن الأمثال جزء من الميزان، وهو العدل الذي أنزله الله لعباده، ليسووا به بين المثماثلات، ويفرقوا بين المختلفات[2]، قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: ((وضرب الأمثال مما يظهر به الحال، وهو القياس العقلي الذي يهدي به الله من يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ﴾ [الزمر: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ﴾ [العنكبوت:٤٣]، وهذا من الميزان الذي أنزله الله، كما قال تعالى: ﴿ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ﴾ [الشورى:١٧]، وقال: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ﴾ [الحديد:٢٥]))[3].

4. أنها من وسائل إيضاح الدين والدعوة إليه، فهي تقرب المعقول وتجعله في صورة المحسوس[4].

قال الحكيم الترمذي-رحمه الله-[5]: ((فالأمثال نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار، لتهدي النفوس بما أدركت عياناً، فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها، ليعقلوا بها فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة))[6].

5. أنها تشحذ الذهن للتفكر والتذكر، قال تعالى: ﴿ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ﴾ [الحشر:٢١]، وقال تعالى: ﴿ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ﴾ [الزمر:٢٧].

بعد القرن السابع للشوكاني (214/2)، دار المعرفة، بيروت، لبنان. والأعلام للزركلي (298/6)، ومعجم المؤلفين (53/11).

(1) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني (116/3)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

(2) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (147/1).

(3) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة القدرية لابن تيمية (347/2)، ت: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط1، عام 1406هـ.

(4) انظر: القياس في القرآن الكريم والسنة النبوية (ص289).

(5) هو محمد بن علي بن بشر، أبو عبد الله المؤذن، المعروف بالحكيم الترمذي، له مصنفات كبار في أصول الدين ومعاني الحديث، إلا أن له شطحات صوفية أخذت عليه، من تصانيفه: نوادر الأصول في أحاديث الرسول، والرياضة، وغرس الموحدين، توفي سنة 320هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (645/2)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1. ولسان الميزان (308/5).

(6) الأمثال من الكتاب والسنة للحكيم الترمذي (ص13)، ت: السيد الجميلي، دار ابن زيدون-دار أسامة، بيروت، لبنان.

Modifier avec WPS Office

الفرع الثاني: أغراض الأمثال القرآنية.

((الأمثال القرآنية ضُربت لأغراض سامية، وكل تلك الأغراض تدور حول غرضٍ أساس، هو البيان والإيضاح لمراد الله عز وجل، والبلاغ لحقيقة دينه، وحقيقة ما يضاده، وكل ما يحتاج إليه البشر للتعرف على حق الله عز وجل، وما يترتب على القيام به من كرامة الله في الدنيا والآخرة، والتعرف على ضده، وما يترتب على ما سلكه من سخط الله...

وقد جمع الأغراض التي تضرب لأجلها الأمثال الإمام بدر الدين الزركشي[1] بقوله:((وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة، التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس ، وتأتى أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر،قال تعالى:ﮋﯿ ﯦ ﯧﮊ [إبراهيم:٤٥]، فامتن علينا بذلك لما تضمنت هذه الفوائد))[2]))[3].

ويمكن إجمال أهم تلك الأغراض فيما يلي[4]:

1. إيضاح المعنى وتقريبه للمخاطب، كقوله تعالى: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﮊ[ق:١٠-١١].
2. الترغيب والتحسين، كقوله تعالى: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮊ [البقرة:٢٦١].
3. التقبيح والتنفير، كقوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﮊ [الحج:٣١].
4. الزجر والتحذير، كقوله تعالى: ﮋ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ

(1) هو محمد بن بهادر بن عبد الله، بدر الدين أبو عبد الله الزركشي، ولد سنة 745هـ، عُني بالفقه والأصول والحديث، توفي سنة 794هـ، من مصنفاته: البرهان في علوم القرآن، وشرح علوم الحديث. انظر: طبقات الشافعية (168/3)، والدرر الكامنة (134/5).

(2) البرهان في علوم القرآن للزركشي (486/1)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(3) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (154/1-155).

(4) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (816/4-815)، مكتبة نزار مصطفى الباز, مكة المكرمة, ط1 عام 1416هـ. والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (344/2-343)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، عام 1416هـ. وأمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع (ص61-112)، والأمثال القرآنية المضروبة لا لإيمان بالله (154/1-176)، والقياس في القرآن الكريم والسنة النبوية (ص294-199).

Modifier avec WPS Office

ﯕ ﺋﻮ ﯙﻮ ﺋﯘ ﯙﯘ ﺋﯚﺋﯚ ﺋﯙ ﯙﯙ ﺋﯛ ﯙﯛ ﺋﯜ ﺋﯝ ﯙﯝ ﺋﯞ ﯙﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﺋﺞ
ﺋﺢ ﺋﻢ ﺋﻰﺋﻲ ﺑﺞ ﺑﺢ ﺑﺦ ﺑﻢ ﺑﻰ ﺑﻲﮊ [البقرة:٢٦٤].

5. التحقير، كقوله تعالى: ﮋﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊﮋﮌ ﮍ
ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮊ [العنكبوت:٤١].

6. التفخيم والتعظيم، كقوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ
ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬﮊ [المائدة:٣٢].

7. الذم، كقوله تعالى: ﮋ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ
ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ [الجمعة:٥].

8. التشويق، ﮋ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﮊ [الواقعة:٢٢- ٢٣].

Modifier avec WPS Office

المبحث الثاني
تعريف توحيد العبادة، وبيان أهميته، والأدلة الدالة على ذلك

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التوحيد،وفيه ثلاثة فروع:
الفرع الأول: تعريف التوحيد في اللغة.
الفرع الثاني: تعريف التوحيد في الشرع.
الفرع الثالث: أنواع التوحيد.

المطلب الثاني: تعريف العبادة، وفيه ثلاثة فروع:
الفرع الأول: تعريف العبادة في اللغة
الفرع الثاني: تعريف العبادة في الشرع.
الفرع الثالث: شروط صحة العبادة.

المطلب الثالث: تعريف توحيد العبادة وأهميته، وفيه فرعان:
الفرع الأول: تعريف توحيد العبادة.
الفرع الثاني: أهمية توحيد العبادة.

المطلب الرابع: أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد العبادة

المطلب الأول
تعريف التوحيد

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: تعريف التوحيد في اللغة.

التوحيد مصدر وحّد َ يِ ُو َح ِد ُ ت َو ْح ِيداً، ومفرده: واحد، ويجمع على وُحْدان وأُحدان، ومعناه: الانفراد، قال ابن فارس:((الواو و الحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد))[1].

(1) معجم مقاييس اللغة (90/6).

Modifier avec WPS Office

ويطلق لفظ (واحد) على معان منها[1]:

1. الإنفراد ، تقول: رأيت فلاناً وحده، أي: منفرداً ليس معه أحد.
2. أول أعداد الحساب ، تقول : واحد وأثنان وثلاثة.
3. التقدم في بأس أو علم، تقول: فلان نسيج وحده، وواحد زمانه.

والتوحيد تفعيل للنسبة لا للجعل.

قال السفاريني-رحمه الله-[2]:((التوحيد تفعيل للنسبة كالتصديق والتكذيب لا للجعل، فمعنى وحدت الله: نسبت إليه الوحدانية، لا جعلته واحداً، فإن وحدانية الله ذاتية له ليست بجعل جاعل))[3].

الفرع الثاني: تعريف التوحيد في الشرع.

تبين من خلال المدلول اللغوي لكلمة (وحّد) أنها تدل على الوحدة والا نفراد، وعليها تدور مادتها.

وقد تعددت أقوال أهل العلم في تعريف التوحيد، فمنهم من اقتصر على تعريفه ببعض أفراده؛ قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((فالتوحيد ضد الشرك، فإذا قام بالعبد التوحيد الذي هو حق الله، فعبده لا يشرك به شيئاً كان موحداً))[4]، وقال:((فإن التوحيد الواجب: أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، ولا نجعل له نداً في إلهيته لا شريكاً ولا شفيعاً))[5].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله-[6]:((التوحيد هو إفراد الله ب

---

(1) انظر: القاموس المحيط للفيروزأبادي (ص414)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. ومختار الصحاح للرازي (ص296)، ت: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، عام 1415هـ.

(2) هو محمد بن أحمد بن سالم أبو العون، شمس الدين السفاريني، من علماء الحديث والأصول والأدب، ولد في سَفّارين -وهي من قرى نابلس- سنة 1114هـ، ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها، وعاد إلى نابلس فدرّس وأفتى، توفي سنة 1188هـ، من تصانيفه: لوامع الأنوار البهية، وغذاء الأ لباب شرح منظومة الآداب. انظر: الأعلام (14/6)، ومعجم المؤلفين (262/8).

(3) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للسفاريني(1/56-57)، المكتب الإسلامي،بيروت.

(4) مجموع الفتاوى (52/1).

(5) نفس المصدر (50/11).

(6) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي شيخ الإسلام ومجدد ما اندرس من الملة، ولد سنة 1115هـ, ونشأ في بيت علم وفضل, فوالده الشيخ عبد الوهاب من قضاة نجد وعلمائها المعروفين, وكذلك جده سليمان، دعا الناس إلى توحيد الله ونبذ الشرك والجهالات، وقيض الله له ا

Modifier avec WPS Office

العبادة سبحانه وتعالى))[1]، وقال:((وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة))[2].

وإنما خصوا التوحيد بتوحيد الألوهية، لأنه هو الذي بعث به الرسل، وهو الذي حصل الإخلال به والخلاف بين الرسل وأقوامهم[3].

ومن العلماء من عرف التوحيد بما يشمل أنواعه كلها:

قال السفاريني-رحمه الله-: ((إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتا ً وأفعالا ً))[4].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله-رحمه الله-[5]:((وسمي دين الإسلام توحيداً؛ لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، واحد في إلهيته وعبادته لا ند له))[6].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله- :((اعلم أن التوحيد المطلق: العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة))[7].

الفرع الثالث: أنواع التوحيد.

التوحيد الذي بينه تعالى في كتابه، وبينه رسوله في سنته نوعان:

1. توحيد المعرفة والإثبات، وهو نوعان: توحيد الربوبية،وتوحيد الأ

لإمام محمد بن سعود فآزره وناصره حتى عم التوحيد أرجاء الجزيرة العربية، ولم يكن يدعو الناس إلا إلى مذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم جميعاً، توفي عام1206 هـ، من مصنفاته: كتاب التوحيد، وكشف الشبهات. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم لآل الشيخ (ص15)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط1، عام 1392هـ.

(1) كشف الشبهات مع شرحها لابن عثيمين (ص20).

(2) الأصول الثلاثة مع شرحها لابن عثيمين (ص33)..

(3) شرح كشف الشبهات لابن عثيمين (ص20).

(4) لوامع الأنوار البهية (57/2).

(5) هو سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ولد عام 1200هـ، كان آية في الحفظ والذكاء، له معرفة تامة بالحديث ورجاله وصحيحه وضعيفه، من تصانيفه: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، قتل على يد إبراهيم باشا سنة 1233هـ . انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان النجدي (337/1), دار الحبيب, الرياض, الطبعة الأولى, عام 1420هـ. والأعلام للزركلي (129/3).

(6) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله (ص 17)، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، عام 1999م.

(7) القول السديد في مقاصد التوحيد للسعدي (ص39).

Modifier avec WPS Office

أسماء والصفات.

2. توحيد القصد والطلب، وهو توحيد العبادة.

قال الشيخ حافظ الحكمي-رحمه الله-[1]:((التوحيد نوعان، الأول: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، المتضمن إثبات صفات الكمال لله عز و جل، وتنزيهه فيها عن التشبيه و التمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص، وهو توحيد الربوبية و الأسماء والصفات، والثاني: التوحيد الطلبي القصدي الإرادي، وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وتجريد محبته، والإخلاص له، وخوفه ورجاؤه و التوكل عليه والرضا به ربا ً وإلها ً و وليا ً، وأن لا يجعل له عِدلا ً في شيء من الأشياء، وهو توحيد الإلهية))[2].

فتوحيد الربوبية هو:((إفراد الله عز وجل بالخلق، والملك، والتدبير))[3].

وتوحيد الأسماء والصفات هو:((إفراد الله عز وجل بما له من الأسماء و الصفات))[4].

أما توحيد الإلهية فسيأتي تعريفه إن شاء الله.

---

(1) هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، عالم أديب من علماء جيزان بالمملكة العربية السعودية، ولد عام 1342هـ، تتلمذ على يد العلامة عبد الله القرعاوي –رحمه الله-، ونبغ في العلم، تولى إدارة المعهد العلمي في مدينة سامطة، توفي عام 1377هـ. من مصنفاته: معارج القبول شرح سلم الوصول, انظر: الأعلام للزركلي (159/2).

(2) معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول للحكمي (98/1). ت: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية.

(3) القول المفيد (5/1).

(4) القول المفيد (12/1).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثاني
تعريف العبادة

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: تعريف العبادة في اللغة

العبادة مصدر عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً وعبودة، والجمع: ع بُ ّاد وعابدون،ولا يقال للعبد المملوك: عَبَدَ, بل يقال: هو عَبْدٌ, والجمع: عبيد وأعبد.

قال الخليل[1]:((وعَب ْد ٌ بَيّنَ العُب ُودَة وأقر بالعبودية، ولم أسمعهم يشتقون منه فعلا ً، ولو اشتق لقيل عَبُدَ، أي صار عبداً، ولكن أميت منه الفعل... وأما عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً فلا يقال إلا لمن عبد الله، وتعَب ّدَ تع بّ ُ ّداً أي: تفرد بالعبادة, وأما عَبْدٌ خدم مولاه فلا يقال: عَبَدَه، ولا يعب ُد مولاه))[2].

وأصل العبادة: الطاعة مع شدة الخضوع والتذلل، ومنه قولهم: طريق معبد إذا كان مذللا ً بكثرة الوطء عليه[3].

وتطلق العبادة ويراد بها: الخضوع والانقياد لله عز وجل، وتطلق ويراد بها: الشعائر الدينية[4].

وقد ورد في القرآن الكريم استعمال العبادة بمدلولها اللغوي وهو الخضوع والتذلل، ومنه قوله تعالى: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ [المؤمنون:٤٥-٤٧]، قال ابن جرير- رحمه الله-:((يعنون أنهم لهم مطيعون متذللون، يأتمرون لأمرهم ويدينون لهم بالطاعة، والعرب تسمي كل من دان لملك عابداً له))[5].

وقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﮊ [الشعراء:٢٢]، قال ابن جرير-رحمه

---

(1) هو الخليل بن أحمد بن عمرو، أبو عبد الرحمن الفراهيدي الأزدي، شيخ النحاة وإمام العربية، ولد سنة 100هـ بالبصرة، وهو الذي اخترع علم العروض ولم يسبق إليه، وهو شيخ سيبويه إمام النحو، توفي سنة 170هـ بالبصرة، من تصانيفه: كتاب العين، ومعاني الحروف. انظر: البداية والنهاية (161/10)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (244/2)، دار الثقافة، لبنان.

(2) كتاب العين للخليل بن أحمد (48/2)، ت: د.مهدي مخزوم، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

(3) مختار الصحاح (ص172).

(4) انظر: المعجم الوسيط (579/2)، تأليف: إبراهيم مصطفى, أحمد الزيات, حامد عبد القادر, محمد النجار، دار الدعوة.

(5) تفسير الطبري (25/18).

Modifier avec WPS Office

الله-:((أن اتخذتهم عبيداً لك))[1].

الفرع الثاني: تعريف العبادة في الشرع.

عرف العلماء-رحمهم الله- العبادة باعتبارين:

الأول: باعتبار تعلقها بالعابد، فهي:((اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته وكمال الذل لله ونهايته))[2].

وعرفها ابن كثير-رحمه الله-[3]:بأنها ((عبارة عما يجمع كمال المحبة و الخضوع والخوف))[4].

وقال ابن القيم[5]-رحمه الله-:

ليس العبادة غير توحيد المحبة مع خضوع القلب والأركان
والحب نفس وفاقه فيما يحب وبغض ما لا يرتضي بجنان
ووفاقه نفس اتباعك أمره والقصد وجه الله ذي الإحسان[6]

الثاني: باعتبار أفراد العبادة فهي:((اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة))[7]، وقيل:((ما أمر به شرعاً من غير

---

(1) المصدر نفسه (68/19).
(2) مجموع الفتاوى (19/10).
(3) هو إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، عماد الدين، ولد سنة 701هـ، وكان فقيهاً متقناً، ومحدثاً محققاً، ومفسراً نقاداً، صاهر الحافظ المزي، ولازم شيخ الإسلام ابن تيمية وانتفع به، من تصانيفه: تفسير القرآن العظيم، و البداية والنهاية، توفي عام 771هـ. انظر: الدرر الكامنة (445/1)، وذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (58/1)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (26/1)، دار الفكر، بيروت، عام 1401هـ.
(5) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين الزرعي الدمشقي، الشهير بابن قيم الجوزية، عالم رباني، فقيه مفسر، ولد سنة 691هـ، أخذ عن ابن تيمية وغيره، وبرع في جميع العلوم، وتبحر في معرفة مذاهب السلف، توفي عام 751هـ، من تصانيفه: إعلام الموقعين، وزاد المعاد، وغيرها. انظر: الدرر الكامنة (137/5)، والبداية والنهاية (202/14).
(6) نونية ابن القيم مع شرحها لابن عيسى (264/2)، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.
(7) مجموع الفتاوى (149/10).

Modifier avec WPS Office

اطِّرَادٍ ع ُرفي، ولا اقتضاء ٍ عقلي))(1).

الفرع الثالث: شروط صحة العبادة.

ورد الأمر بالعبادة في القرآن الكريم والسنة المطهرة في نصوص كثيرة، فمن ذلك: قوله تعالى: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ [البقرة:٢١]، وقوله تعالى: ﮋ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ [الحجر:٩٩]، وغير ذلك من الآيات، وهذه العبادة لابد من أن تتوفر فيها شروط الصحة، حتى تكون صحيحة موافقة لمراد الله عز وجل ، وحتى يثاب عليها العبد في الدنيا والآخرة، وهي شروط ثلاثة:

1. الإيمان بالله.
2. الإخلاص وهو قصد وجه الله بالعمل.
3. المتابعة للنبي .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-(2):((اعلم أولا ً أن القرآن العظيم دل على أن العمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة أمور:

الأول: موافقته لما جاء به النبي لأن الله يقول: ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ [الحشر:٧].

الثاني: أن يكون خالصاً لله تعالى، لأن الله جل وعلا يقول: ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮊ [البينة:٥]، ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ [الزمر:١٤- ١٥].

الثالث: أن يكون مبنياً على أساس العقيدة الصحيحة، لأن الله يقول: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮊ [النحل:٩٧] فقيّد ذلك بالإيمان، ومفهوم مخالفته: أنه لو كان غير مؤمن لما قبل منه ذلك العمل الصالح))(3).

وهذه الشروط جمعها الله تعالى في عدد من الآيات، منها: قوله تعالى: ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ [الإسراء:١٩]، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله -:((ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن ﮋ مَنْ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﮊ أي عمل لها عملها الذي تنال به، وهو امتثال أمر الله واجتناب نهيه بإخلاص على الوجه المشروع، ﮋ ﭧ ﭨ ﮊ أي موحد لله جل وعلا غير مشرك به ولا كافر به، فإن الله

---

(1) كشاف القناع للبهوتي (85/1)، دار الفكر، بيروت، عام 1402هـ.

(2) هو محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ولد في عام 1325هـ، في شنقيط، إحدى مدن موريتانيا، وتعلم بها ثم رحل إلى الحجاز، تبحر في علوم كثيرة سيما التفسير واللغة والأصول، درّس في الحرم النبوي الشريف والجامعة الإسلامية. من تصانيفه: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ومذكرة في أصول الفقه. انظر: الأعلام للزركلي (45/6)، وعلماء ومفكرون عرفتهم (171/1).

(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (440/2)، مطبعة المدني، ط1، عام 1386هـ.

Modifier avec WPS Office

يشكر سعيه بأن يثيبه الثواب الجزيل عن عمله القليل)) [1].

وقال جل من قائل: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ [النساء:١٢٤- ١٢٥].

قال ابن كثير-رحمه الله- مبيناً دلالة هاتين الآيتين على هذه الشروط:((لما ذكر الجزاء على السيئات، وأنه لا بد أن يأخذ مستحقها من العبد إما في الدنيا -وهو الأجود له- وإما في الآخرة والعياذ بالله من ذلك، ونسأله العافية في الدنيا والآخرة والصفح والعفو والمسامحة، شرع في بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة من عباده ذكرانهم وإناثهم **بشرط الإيمان**...

ثم قال تعالى ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮊ أي أخلص العمل لربه عز وجل، فعمل إيماناً واحتساباً، ﮋ ﮙ ﮚ ﮊ أي اتبع في عمله ما شرعه الله له، وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق))[2].

أما الشرط الأول وهو الإيمان فقد ورد اشتراطه في عدد من الآيات، منها: قوله تعالى: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮊ [النحل:٩٧].

فقوله:ﮋ ﮒ ﮓ ﮊ جملة اسمية حالية، أي حال كونه متلبساً بالإيمان، فهي تفيد وجوب دوام هذا الشرط، ومقارنته للعمل الصالح[3].

وفائدة هذا الشرط وثمرته:((أن غير المؤمنين إذا أطاع الله بإخلاص لا ينفعه ذلك، لفقد شرط القبول الذي هو الإيمان بالله جل وعلا))[4]،وهذا الحكم خاص بالآخرة، وإلا فقد ينتفع الكافر من عمله الصالح في الدنيا، كما قال تعالى: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮊ [هود:١٥- ١٦]، وروى أنس عن النبي أنه قال:((إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجْزَى بها))[5].

فإن قيل: هل يتصور من الكافر إخلاص؟

فالجواب: أن هذا مقتضى ما حكاه الله عنهم بقوله:ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ

---

(1) أضواء البيان (81/3).
(2) تفسير ابن كثير (560/1).
(3) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود (139/5)، دار إحياء التراث العربي, بيروت، لبنان.
(4) أضواء البيان (82/3).
(5) رواه مسلم، كتاب صفة الجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، حديث رقم (2808).

Modifier avec WPS Office

ڤ ڤ ڦ ڦ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ژ [العنكبوت:٦٥]، وقوله: ژ ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گژ [لقمان:٣٢]، قال ابن كثير-رحمه الله-:((ژگ گ گ گ گژ أي: لا يدعون معه صنماً ولا وثناً، بل يفردونه بالدعاء والابتهال))[1].

أما الشرطان الثاني والثالث فقد قرنهما الله تعالى في قوله: ژئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تمتى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح ژ [الكهف:١١٠]، وقوله تعالى:ژ ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخژ [البقرة:١١٢]، ونحو ذلك من الآيات.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله- مبيناً دلالة هاتين الآيتين على هذين الشرطين: ((والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد، ولها أصلان:

أحدهما: ألا يُعبد إلا الله.

والثاني: أن يُعبد بما أمر وشرع، لا بغير ذلك من البدع، قال تعالى:ژ تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح ژ [الكهف:١١٠]، وقال تعالى: ژ ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ ژ،وقال تعالى:ژک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گگ ں ں ڻ ڻ ڻ ژ.

فالعمل الصالح هو الإحسان، وهو فعل الحسنات، والحسنات هي ما أحبه الله ورسوله، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، فما كان من البدع في الدين التي ليست مشروعة فان الله لا يحبها ولا رسوله، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح، كما أن من يعمل ما لا يجوز كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح.

وأما قوله:ژ حم خج خح خم سج سحژ، وقوله: ژ ییئج ژ فهو إخلاص الدين لله وحده.

وكان عمر بن الخطاب يقول:((اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً))[2].

وقال الفضيل بن عياض[3] في قوله: ژڤ ڦ ڄ ڄژ [هود:٧]، قال: أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه، قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل،

(1) تفسير ابن كثير (413/2).
(2) أخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (261/4).
(3) هو الفضيل بن عياض بن مسعود اليربوعي التميمي، أبو علي الزاهد، أحد الصلحاء والزهاد، كان ثقة نبيلاً فاضلاً عابداً ورعاً كثير الحديث، توفي سنة 187هـ. انظر: تهذيب الكمال للمزي (281/23)، ت: د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، عام 1400هـ. وسير أعلام النبلاء (421/8).

Modifier avec WPS Office

حتى يكون خالصا ً صوابا ً، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة))[1]

والإخلاص المقصود في هذا الشرط: هو ابتغاء وجه الله في العبادة المعينة، وينافيه يسير الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا وهو الشرك الأصغر، أما الشرك الأكبر فهو محبط لجميع الأعمال ومخرج من الإسلام، وعليه فهو ينافي الشرط الأول.

أما متابعة النبي فقد تكرر الأمر بها في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ، فمن الآيات: قوله تعالى:ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﮊ [آل عمران:٣١] ﮋ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﮊ [الأحزاب:٢١] .

وقال عليه الصلاة والسلام:((...فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فتمسكوا بها وعضوا عليها بـ النواجذ...))[2].

وهذا الشرط يوجب على المسلم التأسي بالنبي في أقواله وأفعاله وتقريراته، وعليه فلا يجوز الابتداع في الدين، وهو أن يحدث عملا ً وعبادة لم ترد عن النبي ويتعبد لله بها، قال: ((من عمل عملا ً ليس عليه أمرنا فهو رد))، وفي رواية:((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))[3].

---

(1) مجموع الفتاوى (10/173-174).

(2) أخرجه ابن حبان (1/178) حديث (5)، وأبو داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، حديث (4607)، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بـ السنة واجتناب البدع، حديث (2676)، وابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث (42و43)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

(3) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث (2549)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض ا لأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث (1718).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
تعريف توحيد العبادة وأهميته

وفيـــه فرعان:

الفرع الأول: تعريف توحيد العبادة.

يسمى هذا النوع من التوحيد: توحيد الألوهية وتوحيد العبادة، فباعتبار إضافته إلى الله تعالى يسمى: توحيد الألوهية، وباعتبار إضافته إلى الخلق يسمى: توحيد العبادة[1].

وقد تنوعت عبارات العلماء في تعريفه:

قال العلامة الصنعاني-رحمه الله-[2]:((رأس العبادة وأساسها: التوحيد لله، التوحيد الذي تفيده كلمته التي إليها دعت جميع الرسل، وهي قول:(لا إله إلا الله) والمراد اعتقاد معناها والعمل بمقتضاها لا مجرد قولها باللسان.

ومعناها: إفراد الله بالعبادة والإلهية والنفي والبراءة من كل معبود دونه))[3].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله-رحمه الله-:((إخلاص التأله لله تعالى من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والدعاء لله وحده، وينبني على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له، لا يجعل فيها شيئا ً لغيره، لا لملك مقر ّب، ولا لنبي مرسل، فضلا ً عن غيرهما))[4].

وقال الشيخ السعدي-رحمه الله-:((العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية و العبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها، وإخلاص الدين لله وحده))[5].

وهذه التعاريف جميعاً تدل على أن هذا التوحيد يقتضي أن لا يصرف شيء من العبادة إلا لله، كما دل عليه قوله تعالى: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﮊ [الأنعام:١٦٢- ١٦٣].

---

(1) انظر: القول المفيد (9/1).
(2) هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي الصنعاني، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما، ولد سنة 1099هـ، وأخذ العلم على كثير من علماء صنعاء وغيرها، وكان داعية لمذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم، توفي سنة 1182هـ، من مصنفاته: سبل السلام شرح بلوغ المرام، وتطهير الاعتقاد من أدران الشرك والإلحاد. انظر: البدر الطالع (133/2)، ومعجم المؤلفين (132/3).
(3) تطهير الاعتقاد عن أدران الشرك والإلحاد للصنعاني (ص9)، المكتب الإسلا مي، بيروت.
(4) تيسير العزيز الحميد (ص28).
(5) القول السديد (ص42-43).

Modifier avec WPS Office

الفرع الثاني: أهمية توحيد العبادة.

لما كان هذا التوحيد هو أساس دعوة الرسل، فجميع الرسل أرسلت إلى أقوامها تدعوا إلى هذا التوحيد، قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﮊ [الأنبياء:٢٥]، مما يدل على عظم هذا التوحيد، ومنزلته عند الله، وهناك أمور كثيرة تدل على تلك الأهمية لهذا التوحيد، فمنها[1]:

1. أن القرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، قال ابن القيم-رحمه الله-:((إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه))[2].
2. أن الله سبحانه خلق الخلق لأجل توحيده، قال تعالى: ﮋ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﮊ [الذاريات:٥٦].
3. أن التوحيد أول ما يدخل به العبد في الإسلام، كما في حديث معاذ أن النبي قال له: ((فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله تعالى))[3].
4. أنه سبب للأمن التام والاهتداء التام في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﮊ [الأنعام:٨٢].
5. أنه يمنع الخلود في النار، كما في الحديث:((يخرج من النار من قال: لا إله إ لا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان))[4].
6. أنه سبب لمحو الذنوب وتكفير السيئات، كما في الحديث القدسي:((قال الله تعالى: ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً، لقيته بمثلها مغفرة))[5].
7. أن شفاعة النبي لا تكون إلا لأهل التوحيد، كما في الحديث:((أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال: لا إله إلا الله خالصا ً من قلبه أو نفسه))[6].
8. ((ومن أعظم فضائله: أنه يحرر العبد من رق المخلوقين، والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف

---

(1) انظر: القول السديد (ص44)، والإيمان بالله للأشقر (ص65-89).
(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم (489/3), ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي, بيروت, ط2، عام 1393هـ.
(3) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، حديث (7372)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث (19).
(4) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، حديث (44)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منـزلة، حديث (193).
(5) أخرجه مسلم، كتب الذكر والدعاء، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، حديث (2687).
(6) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، حديث (99).

Modifier avec WPS Office

العالي))[1].

وفضائل التوحيد أكثر من أن تحصى، وأجلُّ من أن تُستقصى، وفيما ذُكر كفاية للمُستبصر.

(1) القول السديد (ص60).

Modifier avec WPS Office

المطلب الرابع
أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد العبادة

تنوعت الأساليب القرآنية في الدعوة إلى توحيد العبادة، وهذا التنوع يدل دلالة كبرى على ما لهذا التوحيد من المنزلة العظيمة عند الله جل جلاله، ويدل أيضاً على أنه أشرف العلوم وإلا لما صُرّف القول فيه على هذه الوجوه الكثيرة ، ولعلي أشير هنا إلى بعض من تلك الأساليب[1]:

الأول: الأمر بعبادة الله وحدة، كقوله تعالى: ﭽ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ [البقرة:٢١].

الثاني: النهي عن الشرك في عبادته، كقوله تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ [النحل:٥١].

الثالث: الاستفهام التقريري والإنكاري.

فمن الإنكاري قوله تعالى: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ [النمل:٦٠]، قال البغوي-رحمه الله-[2]:((استفهام على طريق الإنكار، أي: هل معه معبود سواه أعانه على صنعه؟ بل ليس معه إله))[3].

ومن أمثلة الاستفهام التقريري: قوله تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ [يونس:٣١- ٣٢].

الرابع: ذكر البراهين العقلية الدالة على وحدانيته.

وهي كثيرة جداً، فمنها قوله تعالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ [النمل:٥٩- ٦٤].

---

(1) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (38-42)، ومنهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام للرحيلي (408/1-492)، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1، عام 1424هـ.

(2) هو الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد البغوي، المعروف بابن الفراء، من أئمة الشافعية، كان ديناً عالماً عاملاً على طريقة السلف، من أهل الزهد والورع، برع في علوم كثيرة منها التفسير والفقه والحديث، توفي عام 516هـ.من تصانيفه: تفسير القرآن، والتهذيب في الفقه، والجمع بين الصحيحين. انظر: البداية والنهاية (193/12)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (75/7)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ.

(3) معالم التنـزيل للبغوي (425/3)، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1406هـ.

Modifier avec WPS Office

الخامس: ضرب الأمثال، كقوله تعالى: ﴿بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جحجم حج حم خج خح ﴾[البقرة:٢٥٦].

السادس: القصص، وجميع قصص الأنبياء مع أقوامهم داخلة ضمن هذا النوع، قال تعالى: ﴿ڳ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ﴾ [الروم:٤٧].

السابع: الجدل، كقوله تعالى: ﴿پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ﴾ [المؤمنون:٩١]، وقوله: ﴿ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ﴾[فاطر:٤٠]

المبحث الثالث
تعريف الشرك، وبيان خطره، والأدلة الدالة على التحذير منه

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الشرك، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: تعريف الشرك في اللغة.

الفرع الثاني: تعريف الشرك في الشرع.

الفرع الثالث: أنواع الشرك.

المطلب الثاني: خطر الشرك ومفاسده.

المطلب الثالث: أساليب القرآن في التحذير من الشرك.

Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
تعريف الشرك

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: تعريف الشرك في اللغة.

الشرك: مصدر أشْرَكَ يُشْرِكُ شِرْكاً، والجمع: أشْرَاكٌ وشُرَكاء، ويراد به معان منها[1]:

1. المخالطة والمشاركة، قال ابن منظور[2]:((الشّرْكَةُ والشّرِكة سواء، مخالطة الشريكين))[3].
2. الحصة والنصيب، كما في الحديث:((من أعتق شِرْكاً له في عبد))[4]، أي: حصة ونصيباً.
3. التسوية، ومنه: طريق مشترك، أي: يستوي فيه الناس.

وهذه المعاني متقاربة، فمن اشترك مع غيره في شيء، فقد صار له نصيب منه، واستوى معه في التصرف والاستحقاق.

والمشركون جعلوا غير الله مشاركاً له، فسوُّوا بينه وبين غيره فيما هو من خصائصه، قال الأزهري:((والشِ رْك: أن تجعل لله شريكا ً في ربوبيته تعالى الله عن الشركاء والأنداد، وإنما دخلت الباء في قوله:ﮋ ﭬ ﭭ ﭮﮊ [لقمان:١٣]، لأن معناه لا تعدل به غيره فتجعله شريكا ً له، وكذلك قوله: ﮋ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪﮊ [آل عمران:١٥١]، لأن معناه: عدلوا به، ومن عدل بالله شيئاً من خلقه فهو مشرك؛ لأن الله واحد لا شريك له ولا ندّ ولا نديد))[5].

الفرع الثاني: تعريف الشرك في الشرع.

عُرِّفَ الشرك بتعاريف كثيرة، بعضها اقتصر على تعريفه ببعض أفراده، فمن ذلك: قول الإمام محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله-:((وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه))[6].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله-رحمه الله-:((الشرك تشبيه للمخلوق بـ

---

(1) انظر: لسان العرب (448/10).
(2) هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الأفريقي المصري، جمال الدين، الشهير بابن منظور، ولد سنة 630هـ، برع في علوم العربية، توفي سنة 711هـ، من تصانيفه: لسان العرب، ومختصر تاريخ دمشق. انظر: الدرر الكامنة (15/6).
(3) لسان العرب (448/10).
(4) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب العتق، باب إذا أعتق عبداً بين اثنين أو أمة بين اثنين، حديث (2522)، ومسلم، كتاب العتق، حديث (1501).
(5) تهذيب اللغة (10/12-13).
(6) الأصول الثلاثة مع شرحها للشيخ ابن عثيمين (ص35).



الخالق تعالى وتقدس في خصائص الإلهية))[1].

وقال الشيخ حافظ الحكمي-رحمه الله-:((هو اتخاذ العبد من دون الله نداً يسويه برب العالمين، يحبه كحب الله، ويخشاه كخشية الله، ويلتجئ إليه، ويدعوه، ويخافه، ويرجوه، ويرغب إليه، ويتوكل عليه، أو يطيعه في معصية الله، أو يتبعه على غير مرضاة الله، وغير ذلك))[2].

وهناك تعريفات للشرك تشمل جميع أنواعه، منها: أنه ((تسوية غير الله ب الله فيما هو من خصائص الله))[3]، وقيل:((أن يُعبد المخلوق كما يُعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية))[4].

الفرع الثالث: أنواع الشرك.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((الشرك شركان؛ شرك بتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله، وشرك في عبادته ومعاملته))[5].

وعلى ضوء هذا النص، يمكن تقسيم الشرك إلى ثلاثة أقسام[6]:

القسم الأول: الشرك في الربوبية، وهو: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الربوبية، أو نسبة شيء منها إلى غيره.

ومن صوره: شرك النصارى؛ حيث نسبوا لعيسى خصائص الرب تعالى، وكشرك فرعون في نسبته الربوبية لنفسه، وكشرك غلاة المتصوفة الذين يدعون لأوليائهم القدرة على التصرف في الكون، وأشباه ذلك.

القسم الثاني: الشرك في الأسماء والصفات، وهو:((تسوية غير الله بالله في شيء منها))[7].

ومن صوره: شرك النصارى في زعمهم مشاركة المسيح وروح القدس في صفات الرب جل جلاله، وكشرك أهل الحلول والاتحاد حيث زعموا أن الرب يتحد مع خلقه أو يحل في بعض خلقه، ومن ثم تتجلى في المخلوق صفات الخالق، وكشرك المشركين في تسمية آلهتهم بأسماء الله تعالى، وكشرك المشبهة في جعل صفات الخالق كصفات المخلوق، وغير ذلك.

القسم الثالث: الشرك في الألوهية، وهو:((تسوية غير الله بالله في شيء

---

(1) تيسير العزيز الحميد (ص91).
(2) أعلام السنة المنشورة (ص50)
(3) حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم (ص 15).
(4) تفسير السعدي (ص279).
(5) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم (ص309-310)، دار الكتب العلمية، بيروت.
(6) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص34-35)، والشرك في القديم والحديث لأبي بكر محمد زكريا (1/138-180)، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1421هـ.
(7) نفس المصدر.

Modifier avec WPS Office

من خصائص الألوهية))[1]، ((وهو نوعان:

أحدهما: أن يجعل لله نداً، يدعوه كما يدعو الله، ويسأله الشفاعة كما يسأل الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، ويخشاه كما يخشى الله، وبالجملة فهو أن يجعل لله نداً يعبده كما يعبد الله، وهذا هو الشرك الأ كبر ...

الثاني: الشرك الأصغر، كيسير الرياء، والتصنع للمخلوق، وعدم الإخلاص لله تعالى في العبادة، بل يعمل لحظ نفسه تارة، ولطلب الدنيا تارة، ولطلب المنزلة والجاه عند الخلق تارة، فله من عمله نصيب، ولغيره منه نصيب، ويتبع هذا النوع الشرك بالله في الألفاظ، كالحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشئت، وما لي إلا الله وأنت، وأنا في حسب الله وحسبك، ونحوه))[2].

---

(1) المصدر السابق.

(2) تيسير العزيز الحميد (ص35).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثاني
خطر الشرك ومفاسده

جميع الأنبياء بعثوا لتحذير أقوامهم من الشرك، فالشرك من أعظم الذنوب ، وله آثار وخيمة على صاحبه في الدنيا والآخرة، فمن مفاسد الشرك:

1. أنه تنقص للرب جل في علاه وإيذاء له، فعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله : ((ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم))[1].
2. أنه من أعظم الكذب، قال تعالى: ﴿ ئۇ ئۆ ئي ئې ئې ئىئى ئى ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم ﴾ [الكهف:١٥].
3. أنه من أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿ ڄ ڃ ڃ چ چ ﴾ [لقمان:١٣].
4. أن الله تعالى لا يغفر لمن أشرك به، قال تعالى: ﴿ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ۇ ۆ ﴾ [النساء:٤٨].
5. أنه سبب للخلود في النار، قال تعالى: ﴿ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ﴾ [المائدة:٧٢].
6. أنه محبط للأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿ ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ﴾ [الزمر:٦٥].
7. أن الشرك سبب لخوف المشرك وعدم طمأنينته، قال تعالى: ﴿ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ﴾ [آل عمران:١٥١]، وقال تعالى: ﴿ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ﴾ [آل عمران:١٧٥].
8. أنه سبب لحلول العذاب العام والنكال في الدنيا والآخرة.

(1) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ﴾ [الذاريات:٥٨] حديث (7378).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
أساليب القرآن في التحذير من الشرك

تنوعت الأساليب القرآنية المحذرة من الشرك، فمن تلك الأساليب(1):

أولاً: الأمر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت، كقوله تعالى: ﴿ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﴾ [النحل:٣٦].

ثانياً: تسفيه المشركين في عبادتهم تلك الآلهة، كقوله تعالى: ﴿ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﴾ [الأنبياء:٦٦- ٦٧].

ثالثاً: الاستفهام التقريري والإنكاري.

فمن الإنكاري: قوله تعالى: ﴿ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﴾ [الأعراف:١٩١- ١٩٣].

ومن أمثلة الاستفهام التقريري: قوله تعالى: ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﴾ [الرعد:١٦].

رابعاً: ذكر البراهين العقلية الدالة على وحدانيته.

وهي كثيرة جداً، فمنها قوله تعالى: ﴿ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﴾ [النحل:١٩-٢١]، وقوله تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﴾ [يونس:٣٤- ٣٥].

خامساً: ضرب الأمثال، كقوله تعالى: ﴿ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

سادساً: القصص، وجميع قصص الأنبياء مع أقوامهم داخلة ضمن هذا النوع.

سابعاً: الجدل، كقوله تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﴾ [المؤمنون:٩١]، وقوله: ﴿ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﴾ [فاطر:٤٠].

---

(1) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص38-42)، ومنهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام (ص408-492).

Modifier avec WPS Office

الباب الأول
الأمثال المضروبة لتوحيد العبادة

وفيه فصلان:
الفصل الأول: الأمثال المضروبة لبيان أهمية الإخلاص وبركته.
الفصل الثاني: الأمثال المضروبة لثبات وطمأنينة من حقق التوحيد واستقام على الإيمان.

Modifier avec WPS Office

:

في هذا الباب خُصص لدراسة الأمثال المضروبة لتوحيد العبادة، وهذه الأ مثال في مجملها تبين أهمية هذا التوحيد وبركته على أهله، وهو مشتمل على فصلين:

الفصل الأول خُصص لدراسة الأمثال المضروبة لأهمية الإخلاص وبركته، وهما مثلان، في الأول شبُهت النفقة الخالصة بالسنبلة في تضاعفها إلى سبعمائة ضعف، وفي الثاني شبُهت النفقة الخالصة كذلك بجنة بربوة تسقى بماء السحاب، مما يؤدي إلى خروج ثمرها على أتم الوجوه، والله لا يضيع أجر المحسنين.

أما الفصل الثاني فقد خُصص لدراسة الأمثال المضروبة لثبات الموحد وطمأنينته وسلامته من الضلال والانحراف عن الحق، وقد اشتمل على أربعة أمثال، شبه الموحِّد في الأول منهما بمن استمسك بالعروة الوثقى، إشارة إلى تولي الله تعالى له وحفظه.

وفي الثاني شبُه بالشجرة الطيبة، ذات الأصل الراسخ والفرع العالي والأكل الدائم، إشارة إلى ثبات الموحد ورسوخ إيمانه.

وفي الثالث شبُه بمن يمشي معتدل القامة مستقيماً على الصراط لا يحيد عنه ولايميد، وفي ذلك إشارة إلى سلامة فطرته، واستقامته على الحق.

وفي المثل الرابع بين فضل الموحد على المشرك بمثال يعهده المخاطبون من حالهم مع عبيدهم، فالموحد حاله شبية بحال مملوك له سيد واحد فقط، وهو منقطع لخدمته والقيام بمصالحه، وهو لين الجانب حسن التعامل، بينما المشرك كمن له أسياد كثر، ضاع جهده في خدمتهم، وهم سيؤو الخلق، شكسو الطباع، فجهده ضائع بينهم، ولن يتمكن من إرضائهم مهما فعل.

Modifier avec WPS Office

الفصل الأول

الأمثال المضروبة لبيان أهمية الإخلاص وبركته

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دراسة المثَل في قوله تعالى: ژ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ژ [البقرة:٢٦١].

المبحث الثاني: دراسة المثَل في قوله تعالى: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ژ [البقرة:٢٦٥].

المبحث الثالث: الفوائد العَقَدية المستفادة من المَثَلين.

Modifier avec WPS Office

المبحث الأول

دراسة المـ ـَثـ ـَل في قوله تعالى: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ
ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮊ [البقرة:٢٦١].

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المـ ـَثـ ـَل.

المطلب الثاني: نوع المـ ـَثـ ـَل والغرض الذي ضـ ـُرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثـ ـّل به.

المطلب الرابع: صورة الممثـ ـّل له.

Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
دلالة السياق الذي ورد فيه المـ ـثـ ـل

ورد هذا المثل في سياق عظيم اشتمل على عدد من الآيات الحاثة على الإ نفاق في سبيل الله، والمحذرة من صرف شيء منه لغير الله، هذا السياق تنوعت فيه أساليب الخطاب، حيث جـ ـمع قصصاً وأمثالا ً واحتجاجات واعتراضات، كلها تؤيد وتؤكد المعنى الذي ضُرب من أجله المَثَل.

ابتدأ هذا السياق من قوله تعالى: ﮋ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ [البقرة:٢٥٤].

قال ابن عاشور –رحمه الله-[1] عند حديثه عن آية المثل:((عود إلى التحريض على الإنفاق في سبيل الله، فهذا المثل راجع إلى قوله تعالى ﮋ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ، وهو استئناف بياني لأن قوله: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﮊ الآية يثير في نفوس السامعين الاستشراف لما يلقاه المنفق في سبيل الله يومئذ، بعد أن أعقب بدلائل ومواعظ وعبر، وقد تهيّأت نفوس السامعين إلى التمحّض لهذا المقصود، فأطيل الكلام فيه إطالة تناسب أهميته))[2].

وفي هذه الآية حـ ـث ّ سبحانه على الإنفاق في سبيله - وهي القضية التي يدور حولها السياق- قبل مجيء يوم القيامة، حيث لا قدرة للإنسان على العمل الصالح، ولا خليلا ً يستعين به على تكميل ما نقص، وتعويض ما فات، ولا شفيعاً يتمكن من الشفاعة في إسقاط ما في ذمته.

والمنفي من الشفاعة ما أشبه شفاعة الدنيا من انتداب الشافع على المشفوع من غير إذن منه، وقد يكون من غير رضا[3]، أما الشفاعة يوم القيامة فهي شفاعة العبد بعد إذن الله ورضاه وهي المثبتة في الآية بعدها[4].

ثم أعقب هذه الآية بأعظم آية في القرآن هي آية الكرسي، وكونها أعظم آية في القرآن لأنها اشتملت ((على توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأ

---

(1) هو محمد بن الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين، وشيخ جامع الزيتون وفروعه بتونس، وعضو المجمعين اللغويين بدمشق والقاهرة، ولد بتونس سنة 1296هـ، وتوفي سنة 1393هـ، من مصنفاته: التحرير و التنوير من التفسير، ومقاصد الشريعة الإسلامية. انظر: الأعلام للزركلي (173/6).

(2) التحرير والتنوير من التفسير لابن عاشور (41/2)، دار سحنون للنشر و التوزيع، تونس، 1997م. وانظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (316/1)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1404هـ.

(3) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (340/1)، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ.

(4) التحرير والتنوير (16/2).

Modifier avec WPS Office

أسماء والصفات، وعلى إحاطة ملكه، وإحاطة علمه وسعة سلطانه وجلاله ومجده وعظمته وكبريائه وعلوه على جميع مخلوقاته، فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله وصفاته، متضمنة لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى))[1]، فإدراك المنفق لهذه المعاني العظيمة يسهم إسهاماً عظيماً في التحضيض على الإنفاق، والمبادرة إليه من غير تردد.

ثم انتقل السياق لبيان أهم سبب لنيل ولاية الله، والفوز برضوانه، وهو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، وهو معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، فمن تمسك بها فقد استمسك بالعروة الوثقى، كناية عن تولي المولى له وتأييده وتثبيته، ثم فسرت تلك الولاية بأنها إخراج من نور الكفر والشك والحيرة إلى نور الإيمان والحق واليقين، قال تعالى: ﴿ي ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ﴾ [البقرة:٢٥٦- ٢٥٧].

بعد ذلك أخذ السياق في بيان تفرده سبحانه في الربوبية، فذكر محاجة إبراهيم للنمرود[2]، وما تضمنته من إثبات قدرته سبحانه على إحياء الموتى وتسيير الشمس كيف شاء.

ثم ذكر سبحانه قصة الذي مر على القرية الخاوية على عروشها، واستبعاده لإحياء تلك الأرض بعد موتها، ﴿ھ ھ ے ے ۓ ۓ﴾ [البقرة:٢٥٩]، فإذا هي قد أصبحت بلداً عامراً بالناس، فقال حين رؤيتها: ﴿ي ئج ئح ئم ئى ئي بج﴾، لما شاهده من عظيم قدرة الله.

ثم ذكر سبحانه طلب خليله أن يريه كيف يحيي الموتى، وإجابته إلى ما سأل.

فإذا قرأ العبد هذه القصص وأمثالها من الشواهد على قدرة الله، ازدادت معرفته بربه واستشعاره تفرده بالربوبية، وعظيم قدرته على تدبير خلقه، وازدادت في قلبه إرادة الخير والإقبال على العمل الصالح.

بعد ذلك رجع السياق للحديث عن القضية الأساسية التي ضُرب لها المثل، وهي الإنفاق والتصدق وأحكامه، وفصّل القول فيها تفصيلاً بديعاً من جهة حال المنفق وما ينبغي أن يراعيه في النفقة حتى تُقبل منه، ومن جهة الفوائد والمكاسب التي يتحصل عليها ببركة نفقته إذا ابتغى بها وجه الله ، وجاءت على وفق مراده عز وجل.

وفي أثناء الحديث عن الإنفاق ضرب سبحانه أربعة أمثال عظيمة، مثلان منها في بيان أهمية الإخلاص وبركته، مع التطرق إلى بعض الأمور التي

---

(1) تفسير السعدي (ص110).

(2) هو النمرود بن كنعان، ملك بابل، ذكروا أن ملكه استمر أربعمائة سنة زمن إبراهيم ، وكان أحد من ملكوا الدنيا. انظر: البداية والنهاية (148/1).

Modifier avec WPS Office

ينبغي مراعاتها حال النفقة، وهذان المثلان هما في قوله تعالى:ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﮊ، وقوله تعالى:ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﮊ [البقرة:٢٦٥]، واللذان ستجري دراستهما -بعون الله- في هذا الفصل.

والمثلان الآخران ضـ ُربا لبيان شؤم الشرك والمن والأذى في النفقة، وسوء عواقبها، وأنها محبطة للعمل مخيبة للأمل، وهما المثلان في قوله تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﮊ [البقرة:٢٦٤]، وقوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮊ [البقرة:٢٦٦].

ثم تحدث السياق عن بعض الوصايا والتوجيهات للمنفق، ومنها: الإنفاق من الطيب وتجنب الخبيث، وبيان أن الشيطان لعداوته للإنسان يغريه بترك النفقة أو الإنفاق من الخبيث، حيث يوقع في نفسه أن ذلك يؤدي إلى الفقر والحاجة، أما الله سبحانه فوعده المغفرة والجنة، والخلف بإذنه سبحانه، وأن من آتاه الله الحكمة يـ ُقـ َدـ ِم وعد الرحمن على وعد الشيطان، وينتفع بآيات القرآن.

ومنها: بيان أن من أنفق ابتغاء مرضاة الله، فإن صدقته مقبولة سواء كانت سراً أو علانية، والإسرار بها خير وأعظم أجراً.

ومنها: الحث على إيصال النفقة للمستحق من المسلمين، وأن لا توجه النفقة للأغراض الشخصية، فيبر بها المنفق من أحب ويترك من كره، أو يعطي الصالح ويحرم العاصي، بل ينفق ابتغاء وجه الله، وأجره حاصل على أي وجه كانت نفقته، ما دام قد امتثل فيها ما أمره الله[1].

ومنها: بيان أن من كان أشد فقرا ً فهو أولى بها من غيره، ونبه السياق على نوع من الفقراء وهم المتعففون الذين لا يسألون الناس إلحافاً.

ومنها: الحث على كثرة الإنفاق، ليلا ً ونهاراً، سراً وجهاراً، وأن من أكثر النفقة فأجره على الله، ولا خوف عليه فيما يستقبل من أمره، ولا يحزن على ما فات عليه في سابق أمره، وأن الله يتولاه ببركة طاعته، واستجابته لأمره من الإنفاق وغيره من الأعمال الصالحة..

خلاصة دراسة السياق:

أولا ً: أن القضية التي تدور حولها الآيات الواردة في السياق هي الحث على الإنفاق في سبيل الله، ففي آية البدء قال تعالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ

(1) انظر: تفسير ابن كثير (325/1)

Modifier avec WPS Office

ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﴿، وختم السياق بقوله: ﴿ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﴾ [البقرة:٢٧٤]، وما بين آية البدء و الختام من الآيات، كل آية منها تطرق جانباً من جوانب هذه القضية الهامة.

ثانياً: ورد في السياق التعريف بالله تعالى الذي يتعامل معه المنفق، لكي يتقرب إليه بنفقته، راجياً الخلف والجزاء الحسن في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: ورد في السياق التنبيه على أهم شرط لصحة الإنفاق وغيره من الطاعات، وهو الإسلام وانعقاد القلب على معنى الشهادتين، بالاستسلام لله وحده والكفر بالطاغوت.

رابعاً: أُبرز في السياق أثر الإخلاص في مضاعفة أجر النفقة.

خامساً: حذر السياق من الأمور المبطلة للنفقة.

سادساً: ذُكر في السياق كثيرٌ من أحكام النفقة وآدابها.

Modifier avec WPS Office

المطلب الثاني
نوع المثل والغرض الذي ضُرب من أجله

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، القائمة على تشبيه شيء بشيء لوجود عنصر أو عناصر تشابه بينهما.

وهو من الأمثال المركبة، قال عبد الرحمن الميداني-رحمه الله-: ((والتمثيل المركب ينقسم إلى قسمين: (أ) إما أن يكون على شكل عناصر متلاقية تقابل أمثالها في الممثل له، كتمثيل الإنفاق في سبيل الله بإخلاص، بالزرع الذي تزرع فيه الحبوب في أرض طيبة مباركة، فتنبت الحبة منها سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة، فالإنفاق يشبه عملية الزرع، وتنمية الله له يشبه النبت الجيد، ومضاعفة الأجر تشبه تكاثر السنابل من الحبة الواحدة، وتكاثر الحب في كل سنبلة...))[1].

وهو من جهة أخرى تشبيه معقول بمحسوس، قال الطاهر ابن عاشور-رحمه الله-: ((فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس، والمشبه به هيئة معلومة))[2]، وذلك أن الله تعالى شبه أجر المنفق وما يناله من الثواب، وهو شيء معنوي معقول، بمثال ملموس محسوس، وهو زرع حبة واحدة في الأرض يتفرع عنها سبع سنابل...إلخ، وذلك أمر محسوس مشاهد للعيان، قال ابن القيم-رحمه الله-:((ومثّل سبحانه بهذا المثل إحضارا لصورة التضعيف في الأذهان بهذه الحبة التي غيبت في الأرض فأنبتت سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة، حتى كأن القلب ينظر إلى هذا التضعيف ببصيرته، كما تنظر العين إلى هذه السنابل التي من الحبة الواحدة، فينضاف الشاهد العياني إلى الشاهد الإيماني القرآني، فيقوى إيمان المنفق وتسخو نفسه بالإنفاق))[3].

الغرض الذي من أجله ضُرب المثل:

هذا المثل مضروب لبيان بركة الإخلاص وأثره في قبول النفقة ونمائها، قال ابن كثير-رحمه الله-: ((هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف))[4].

وهذا المثل مبين لمقدار المضاعفة التي يلقاها المنفق في سبيل الله.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((وهذه الآية كأنها كالتفسير والبيان لمقدار الأضعاف التي يضاعفها للمقرض))[5].

(1) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع (ص45).
(2) التحرير والتنوير (41/2).
(3) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم (ص539)، ت: عمر محمد أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط2، 1414هـ.
(4) تفسير ابن كثير (317/1).
(5) طريق الهجرتين (ص539).

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
صورة الممثّل به

ورد ذكر الممثّل به في الآية في قوله تعالى: ﴿ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ﴾، وهذا التشبيه مركب من أربعة أجزاء:

1. الحبة، وهي البذرة الطيبة.
2. الزارع لتلك الحبة.
3. الأرض الصالحة للزراعة.
4. تشعب الحبة إلى سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة.

أما الجزء الأول فقد دل عليه قوله: ﴿ﮉ ﮊ﴾، ولفظ الحبة اسم جنس يشمل كل ما يبذر في الأرض[1]، إلا أن الآية خصته بالحبة التي تسنبل سنابل، وهي أنواع كثيرة منها الحنطة والشعير والذرة وغير ذلك.

ولم يرد في الآية ما يدل على الجزء الثاني وهو الزارع، ولكنه أشير إليه عند ذكر الممثّل له بقوله: ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ﴾ ، قال ابن القيم-رحمه الله-:((فهاهنا أربعة أمور: منفق ونفقة، وباذر وبذر، فذكر سبحانه من كل شق أهم قسميه، فذكر من شق الممثل: المنفق، إذ المقصود ذكر حاله وشأنه، وسكت عن ذكر النفقة لدلالة اللفظ عليها، وذكر من شق الممثّل به: البذر، إذ هو المحل الذي حصلت فيه المضاعفة، وترك ذكر الباذر؛ لأن القرض لا يتعلق بذكره، فتأمل هذه البلاغة والفصاحة والإيجاز المتضمن لغاية البيان، وهذا كثير في أمثال القرآن بل عامتها ترد على هذا النمط))[2].

وكذلك الحال بالنسبة للجزء الثالث من أجزاء الممثّل به وهي الأرض الصالحة للزراعة، فقد دل عليها قوله تعالى: ﴿ﮁ ﮂ ﮃ﴾ ، واعتبار هذا الجزء في المَثَل مهم جداً، فبدونه لا يحصل تشعب السنابل، وحَمْلُهَا ذلك العدد من الحبوب، وقد أشار تعالى إلى هذا المعنى بقوله: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ﴾[الأعراف:٥٨]، قال ابن جرير-رحمه الله-:((والبلدُ الطيبة تربته، العذبةٌ مشاربه، يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث وأرسل عليه الحيا بإذنه، طيبًا ثمرُه في حينه ووقته، والذي خَبُث فردؤت تربته، وملحت مشاربه، لا يخرج نباته إلا نكدًا))[3].

أما الجزء الرابع من أجزاء الممثل به فقد دل عليه قوله: ﴿ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ﴾، وقد استشكل بعض أهل العلم وجود سنبلة تحمل مائة حبة، وقالوا: إن ذلك ليس له وجود في الواقع، وفسروا المثل بأنه على سبيل الافتراض.

قال البغوي –رحمه الله-: ((فإن قيل: فما رأينا سنبلة فيها مائة حبة فكيف ضُرب المثل به؟ قيل: ذلك متصور غير مستحيل، وما لا يكون مستحيلاً

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (304/3)، دار الشعب، القاهرة.
(2) طريق الهجرتين (ص540).
(3) تفسير الطبري (211/8).

Modifier avec WPS Office

جاز ضرب المثل به وإن لم يوجد معناه))[1].

وذهب آخرون إلى أن من الحبوب ما تنبت ذلك العدد كالدخن والذرة مثلا ً، وأجيب: بأن الدخن والذرة يجيء من الحبة الواحدة منهما ضعفي هذا العدد وأكثر[2].

لذلك فالظاهر أن المثل ورد على هذه الصورة لتقريب الممثّل له فحسب، وذلك لا ينافي صحة التمثيل، لأن وجود الحبة التي تنبت سنابل بغض النظر عن عددها أمر مشاهد، وإنما قيدته الآية بالعدد لمطابقة الممثّل به الممثّل له.

وبناء على ذلك نستطيع أن نستخلص فائدة في باب الأمثال هي: أن صورة الممثّل به في الواقع قد لا تفي بصورة الممثّل له، فيضيف الله سبحانه وتعالى في ألفاظ المثل ما يكمل تلك الصورة، وذلك كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى: ﴿ ﴾ [إبراهيم:٢٥]، على تفسير الحين بأنه كل وقت من ليل أو نهار.

(1) تفسير البغوي (249/1).
(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن (304/3).

Modifier avec WPS Office

المطلب الرابع
صورة الممثل له

ورد ذكر الممثل له في قوله تعالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ، وهو مركب من أربعة أجزاء، تقابل أجزاء الممثل به التي سبق ذكرها، وهذه الأجزاء هي:

1. النفقة، وهي تقابل البذرة الطيبة.
2. المنفق، وهو يقابل: زارع الحبة.
3. محل النفقة، وهي تقابل: الأرض الصالحة للزراعة.
4. مضاعفة أجر النفقة، وهي تقابل: تشعب الحبة إلى سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة.

فالمنفق للنفقة كالزارع للحبة، إن وضعها في أرض طيبة، فإنها تثمر الثمر المرجو منها -بإذن الله-، قال ابن القيم-رحمه الله-:((وتحت هذا المثل من الفقه: أنه سبحانه شبه الإنفاق بالبذر، فالمنفق ماله الطيب لله لا لغيره باذر ماله في أرض زكية))[1] .

ومحل النفقة هو المعبر عنه بقوله:ﭽﮀ ﮁ ﭼ، فلا بد أن تكون النفقة على وفق مراد الله، وذلك بأن تكون خالصة لوجهه، موافقة للوجوه التي أمر بالإنفاق فيها، وبذلك يتقبلها سبحانه وينميها، كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله :((من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه[2] حتى تكون مثل الجبل))[3].

ويدل لهذا المعنى أيضاً: قوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ[التوبة:١٠٤].

أخرج عبد الرزاق[4] في تفسيره عن أبي هريرة في قوله:ﭽﯕ ﯖﭼقال: ((إن الله هو يقبل الصدقة إذا كانت من طيب، ويأخذها بيمينه، وإن الرجل ليتصدق بمثل اللقمة فيربيها الله كما يربي أحدكم فصيله أو مهره، فتربوا في كف

---

(1) إعلام الموقعين (184/1).
(2) الفلو: الجحش والمُهْرُ إذا فطم. انظر: لسان العرب (161/15).
(3) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب، حديث (1410)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث (1014).
(4) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع، أبو بكر الصنعاني، أحد الأعلام، رحل إلى الشام والتقى بكبار المحدثين وأخذ عنهم، أخذ عنه أحمد بن حنبل ويحي بن معين، وقد وثقه غير واحد، وحديثة مخرج في الصحاح، من مؤلفاته: المصنف، والتفسير، توفي سنة 211هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (364/1)، وتهذيب الكمال (18/ 52).

Modifier avec WPS Office

ف الله، أو قال: في يده، حتى تكون مثل أحد))[1].

وعن ابن مسعود قال: ((ما تصدق رجل بصدقة إلا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل، قال: وهو يضعها في يد السائل، ثم قرأ: ﭽﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱﭼ))[2].

وقد اختلف المفسرون –رحمهم الله- في المراد بالنفقة التي تُضاعف هذه المضاعفة[3]، فمنهم من جعلها في الجهاد خاصة[4]، ومنهم من جعلها عامة في وجوه البر المختلفة.

قال أبو حيان-رحمه الله-[5]:((وظاهر الإنفاق في سبيل الله يقتضي الفرض والنفل، ويقتضي الإنفاق على نفسه في الجهاد وغيره، والإنفاق على غيره ليتقوى به على طاعة من جهاد أو غيره))[6].

ومن الأمور التي دل عليها المَثَل: أن النفقة تضاعف إلى سبعمائة ضعف، حيث شبه سبحانه النفقة بـ ﭽﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓﭼ، وقد ورد في الكتاب والسنة بيان مضاعفة أجر النفقة تارة من غير تحديد، كما في قوله تعالى: ﭽﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦﭼ[البقرة:٢٤٥]، وقوله: ﭽﺗ ﺘ ﺙ ﺚ ﺛ ﺜ ﺝ ﺞ ﺟ ﺠ ﺡ ﺢ ﺣ ﺤ ﭼ [الحديد:١١]، وتارة بتحديدها بسبعمائة كما دل على ذلك المثل، وحديث أبي مسعود [7]: أن رجلا ً تصدق

(1) تفسير عبد الرزاق الصنعاني (287/2)، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1410هـ. وكذا أخرجه الحاكم في المستدرك (363/2).

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (287/2)، والطبري في تفسيره (19/11).

(3) انظر: زاد المسير (316/1).

(4) انظر: تفسير الطبري (61/3).

(5) هو محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الجياني، شيخ النحاة في زمانه، ولد بغرناطة سنة 654هـ، وتعلم بها القراءات والنحو، ثم قدم مصر واستوطنها، اتفق أهل زمانه على إمامته، من تصانيفه: تفسير البحر المحيط، وتجريد أحكام سيبويه توفي سنة 745هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى 276/9)، وذيل تذكرة الحفاظ (ص23).

(6) انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان (315/2)، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.

(7) هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عطية الخزرجي الأنصاري البدري، كان يسكن بدراً فنسب إليها، واختلف في شهوده غزوة بدر، والذي جزم به البخاري وغيره أنه شهدها، وقال ابن عبد البر:((ولا يصح شهوده بدراً)) توفي سنة 41 أو 42هـ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (1074/3), ت: علي بن محمد البجاوي، دار الجيل, بيروت, ط1،

Modifier avec WPS Office

بناقة مخطومة، فقال النبي : ((لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة))[1].

وقد ختم سبحانه المثل بقوله: ﮋ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮊ، فهل هي تأكيد لما قبلها، أو أن أجر النفقة قد يضاعف أكثر من ذلك؟

اختلف العلماء في ذلك[2]، فذهب بعضهم إلى أنها لا تدل على الزيادة على السبعمائة، وإنما سيقت للتأكيد، فيكون المعنى: والله يضاعف لمن يشاء من المنفقين إذا توفرت فيهم شروط المضاعفة، لا لكل منفق، ومنهم من ذهب إلى أن المراد الزيادة على السبعمائة إلى ما شاء الله.

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((وقوله تعالى: ﮋ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮊ قيل المعنى: و الله يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق، بل يختص برحمته من يشاء، وذلك لتفاوت أحوال الإنفاق في نفسه، ولصفات المنفق وأحواله في شدة الحاجة وعظيم النفع وحسن الموقع، وقيل: والله يضاعف لمن يشاء فوق ذلك، فلا يقتصر به على السبعمائة، بل يجاوز في المضاعفة هذا المقدار إلى أضعاف كثيرة))[3]، وقد حاول الحافظ ابن حجر -رحمه الله-[4] الجمع بين القولين بقوله:((واختلف في قوله تعالى: ﮋ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮊ هل المراد المضاعفة إلى سبعمائة فقط، أو زيادة على ذلك، فالأول هو المحقق من سياق الآية، و الثاني محتمل، ويؤيد الجواز سعة الفضل))[5].

1412هـ ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (524/4)، ت: علي بن محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ.

(1) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها، حديث (1892).

(2) انظر: المحرر الوجيز (356/1)، وفتح القدير (284/1).

(3) طريق الهجرتين (ص540).

(4) هو أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، أبو الفضل، ولد سنة 773هـ، وطلب العلم صغيراً حتى نبغ وفاق أقرانه، وأقبل على الحديث حتى بلغ فيه أعلى المراتب، ولي قضاء مصر عدة مرات، ومات بها سنة 852هـ. من مصنفاته: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، وتغليق التعليق، وتهذيب التهذيب، وتقريب التهذيب، وغيرها. انظر: ذيل تذكرة الحفاظ (326/1)، والبدر الطالع (87/1).

(5) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (326/11)، ت: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

Modifier avec WPS Office

المبحث الثاني

دراسة المثل في قوله تعالى:ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﮊ [البقرة:٢٦٥].

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله.

المطلب الثاني: صورة الممثل به.

المطلب الثالث: صورة الممثل له.

Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
نوع المثل والغرض الذي ضُرب من أجله

هذا المَثَل من الأمثال التشبيهية، القائمة على تشبيه شيء بشيء لوجود عنصر أو عناصر تشابه بينهما.

وهو من الأمثال المركبة، حيث أن الممثّل به مركب من جنة بربوة، نزل عليها المطر، فآتت أكلها ضعفين، ويقابله الممثّل له، الذي هو عبارة عن نفقة طيبة صَاحَبَها حُسْنُ نية وصدق بذل، فتضاعفت الحسنة فيها أضعافاً كثيرة، قال الطاهر ابن عاشور -رحمه الله-: ((ووجه الشبه هو الهيأة الحاصلة من مجموع أشياء تكامل بها تضعيف المنفعة، فالهيأة المشبّهة هي النفقة التي حفّ بها طلب رضى الله والتصديقُ بوعده، فضوعفت أضعافاً كثيرة أو دونها في الكثرة، والهيئة المشبّهة بها هي هيئة الجنّة الطيّبة المكان التي جاءها التهتان[1] فزكا ثمرُها وتزايد فأكملت الثمرة، أو أصابها طلّ فكانت دون ذلك))[2].

وهذا المثل شبه فيه معقول بمحسوس، وذلك أن الله تعالى شبه مضاعفة أجر المنفق وما يناله من الثواب، وهو شيء معنوي معقول، بمثال ملموس محسوس، وهو وجود جنة بربوة عالية نزل عليها المطر فتضاعفت ثمرتها ضعفين.

الغرض الذي من أجله ضرب المَثَل:

هذا المَثَل مضروب لبيان بركة الإخلاص، وأن المنفق متحصل على أجر النفقة لا محالة، فالمَثَل السابق ضُرب لبيان مقدار المضاعفة، وهذا المثل ضرب لبيان تحقق حصولها، وأن الله لا يضيع أجر المحسنين.

قال ابن الجوزي-رحمه الله-[3]:((معنى هذا المثل: أن صاحب هذه الجنة لا يخيب، فإنها إن أصابها الطل حسُنت، وإن أصابها الوابل أضعفت، فكذلك نفقة المؤمن المخلص))[4].

---

(1) التهتان: ((مطر ساعة ثم يفتر ثم يعود)). لسان العرب (431/13).

(2) التحرير والتنوير (62/2)

(3) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، العالم المتفنن المتبحر في العلوم، ولد سنة 510هـ، وضرب في كل علم وفن بسهم، اشتهر بالوعظ، وأسلم على يده خلق كثير، توفي سنة 597هـ، من تصانيفه: زاد المسير في التفسير، والمدهش، وصيد الخاطر. انظر: العبر في خبر من غبر للذهبي (297/4)، ت: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1984م. ووفيات الأعيان (140/3).

(4) زاد المسير (320/1).

Modifier avec WPS Office

وقال الآلوسي-رحمه الله-[1]: ((وحاصل هذا التشبيه أن نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال، وإن كانت تتفاوت بحسب تفاوت ما يقارنها من الإخلاص والتعب وحب المال والإيصال إلى الأحوج التقي وغير ذلك))[2].

(1) هو محمود بن عبد الله الحسيني شهاب الدين الآلوسي، أبو الثناء، مفسر محدث أديب، ولد ببغداد سنة 1217هـ، وتلقى فيها العلم، وتقلد فيها الإ فتاء مدة، من مصنفاته: روح المعاني في التفسير، وحاشية على شرح القطر، توفي ببغداد سنة 1270هـ. انظر: الأعلام للزركلي (177/7).
(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي (36/3)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

Modifier avec WPS Office

المطلب الثاني
صورة الممثّل به

دل على الممثّل به من الآية قوله تعالى: ﮋﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﮊ، وهو مركب من أربعة أجزاء:

1. الجنة المليئة بالأشجار.
2. الزارع لتلك الجنة.
3. ما امتازت به تلك الجنة من كونها على ربوة، وتسقى بالمطر.
4. إيتائها الأكل كاملا ً وقد يضاعف.

فالجزء الأول: الجنة، وهي البستان المغطى بالأشجار، سميت بذلك لأنها تجُنُ من بداخلها، أي: تستره[1].

وأما الجزء الثاني وهو الزارع لتلك الجنة فلم ترد الإشارة إليه في الممثل به، كما هو الحال بالنسبة للمثل السابق، وإنما دل عليه قوله في الممثل له: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﮊ.

وهذا المثل ينطبق عليه كلام ابن القيم-رحمه الله- في المثل السابق حيث قال: ((فهاهنا أربعة أمور: منفق ونفقة، وباذر وبذر، فذكر سبحانه من كل شق أهم قسميه، فذكر من شق الممثل: المنفق، إذ المقصود ذكر حاله وشأنه، وسكت عن ذكر النفقة لدلالة اللفظ عليها، وذكر من شق الممثل به: البذر، إذ هو المحل الذي حصلت فيه المضاعفة، وترك ذكر الباذر؛ لأن القرض لا يتعلق بذكره))[2].

وقد أشار سبحانه إلى تميز تلك الجنة بكونها على ربوة، وهي المكان المرتفع[3]، وبكون المطر دائم الانهمار عليها، سواءٌ كان وابلا ً، وهو المطر الشديد[4]، أو كان طلاًّ، وهو ((المطر الصغار القطر، الدائم))[5].

وقد أشار ابن القيم –رحمه الله- إلى الحكمة من وصفها بهذين الوصفين فقال:((والجنة بربوة، وهو المكان المرتفع فإنها أكمل من الجنة التي بالوهاد و الحضيض، لأنها إذا ارتفعت كانت بدرجة الأهوية والرياح، وكانت ضاحية للشمس وقت طلوعها واستوائها وغروبها، فكانت أنضج ثمرا ً وأطيبه وأحسنه وأكثره، فإن الثمار تزداد طيبا ً وزكاء ً بالرياح والشمس، بخلاف الثمار التي تنشأ في الظ ِلال، وإذا كانت الجنة بمكان مرتفع لم يخش عليها إ لا من قلة الماء والشراب، فقال تعالى: ﮋﭧ ﭨ ﮊ وهو المطر الشديد العظيم القطر،

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة (421/1)، ولسان العرب (92/13).
(2) طريق الهجرتين (ص540).
(3) انظر: معجم مقاييس اللغة (483/2).
(4) انظر: نفس المصدر (82/6).
(5) لسان العرب (405/11).

Modifier avec WPS Office

فأدت ثمرتها وأعطت بركتها، فأخرجت ضعفي ما يثمر غيرها، أو ضعفي ما كانت تثمر، بسبب ذلك الوابل، فهذا حال السابقين المقربين، ﮋﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﮊ فهو دون الوابل، فهو يكفيها لكرم منبتها وطيب مغرسها، فتكتفي في إخراج بركتها بالطل ، وهذا حال الأبرار المقتصدين في النفقة))[1].

ومِثْلُ هذه الجنة لا يخشى عليها من عدم الإثمار، وذلك لكون دواعي خروج الثمر الطيب متوفرة فيها، إلا إذا أصابتها آفة ذهبت بها وبثمرها، وقد بين الله أنها سلمت من تلك الآفات، وأنها آتت أكلها، واختلف أهل التفسير-رحمهم الله- في قوله: ﮋ ﮱ ﯓ ﮊ، هل ذلك إذا أصابها الوابل فقط، أو أن أكلها يأتي مضاعفاً في كلتا الحالتين، فمنهم من ذهب إلى أن هذه الجنة سواء أصابها مطر قليل أو كثير فهي باقية بحالها، لا يتغير نماؤها لطيب مغرسها، وكرم منبتها، فالقليل يعمل عمل الكثير[2]، وذهب آخرون إلى أن ذلك يختلف باختلاف الغيث النازل عليها، فإذا كان وابلا ً تضاعف الثمر، وإذا كان قليلا ً طلًا لم يتضاعف[3].

وقد أشار ابن القيم –رحمه الله- إلى أن ذلك التنويع له أثر في الممثّل له، فهو يختلف باختلاف مراتب أهل الإيمان، فالمطر الكثير يشبه نفقة الذي ينفق آناء الليل وأطراف النهار وهم السابقون بالخيرات، والطلُ يشبه نفقة المقتصدين في النفقة[4]، وهو تفصيل بديع، رُوعي فيه مناسبة كل جزء من الممثّل به وما يقابله من الممثّل، ذلك أن الأصل في كل جزء من أجزاء التشبيه أنه يفيد معنىً زائداً، وإلا لم يكن لذكره فائدة.

وهذه المضاعفة للأ ُكل الذي تخرجه تلك الجنة، إما أن يكون المراد به: زيادة ثمرها عن مثيلاتها من الجنان، أو زيادة ثمرها عما كانت تنتج لولا ذلك المطر الذي نزل عليها[5].

((واختلف في الضعفين فقيل: ضعفا الشيء: مثلاه زائدا ً عليه، وضعفه مثله، وقيل: ضعفه: مثلاه، وضعفاه ثلاثة أمثاله، وثلاثة أضعافه أربعة أمثاله، كلما زاد ضعفا ً زاد مثلا ً))[6]، قال أبو حيان-رحمه الله-: ((ويحتمل عندي أن يكون قوله: ﮋﯓﮊ مما لا [يراد][7] به شفع الواحد، بل يكون من التشبيه الذي يقصد به التكثير، وكأنه قيل: ﮋﮱ ﯓﮊ ضعفاً بعد ضعف، أي أضعافاً كثيرة، وهذا أبلغ في

(1) طريق الهجرتين (ص546-547).
(2) انظر: تفسير الطبري (72/3).
(3) انظر: تفسير الماوردي (198/1).
(4) انظر: طريق الهجرتين (ص547).
(5) انظر: نفس المصدر (ص540).
(6) نفس المصدر (ص547).
(7) في المطبوع:((يزاد))، ولعل المثبت هو الصواب.

Modifier avec WPS Office

التشبيه للنفقة بالجنة، لأن الحسنة لا يكون لها ثواب حسنتين، بل جاء: تضاعف أضعافاً كثيرة،وعشر أمثالها، وسبع مائة وأ َز ْيَ َد))[1].

(1) تفسير البحر المحيط (325/2).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
صورة الممثّل له

ورد ذكر الممثّل له في قوله تعالى: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﮊ، وهو مركب من أربعة أجزاء، تقابل أجزاء الممثل به التي سبق ذكرها، وهذه الأجزاء هي:

1. النفقة الطيبة، وهي تقابل الجنة المليئة بالأشجار.
2. المنفق، وهو يقابل زارع تلك الجنة.
3. ما صاحب تلك النفقة من الإخلاص وتثبيت النفس، وهو يقابل ارتفاع الجنة، ودوام نزول المطر عليها.
4. حصول أجر النفقة كاملاً وقد يضاعف أضعافاً كثيرة، وهو يقابل خروج ثمر الجنة على أتم الوجوه.

فالنفقة ابتغاء مرضاة الله موصوفة بأنها طيبة، حيث شبهها سبحانه بـ الجنة، والجنة لا تكون إلا طيبة الأشجار حسنة الثمار.

وقد اختلف أهل التفسير في معنى قوله تعالى: ﮋﭟ ﭠ ﭡﮊ.

قال ابن الجوزي-رحمه الله-: ((وفي معنى التثبيت قولان . أحدهما: أنه الإنفاق على يقين وتصديق... والثاني : أنه التثبيت لارتياد محل الإنفاق ، فهم ينظرون أين يضعونها))[1].

وقد صوب ابن جرير-رحمه الله- القول الأول، ووصف القول الثاني بأنه ((بعيد المعنى مما يدل عليه ظاهر التلاوة، وذلك أنهم تأولوا قوله: ﮋﭟ ﭠ ﭡﮊ ، بمعنى:(وتثبُّتاً)، فزعموا أنّ ذلك إنما قيل كذلك، لأن القوم كانوا يتثبتون أين يضعون أموالهم، ولو كان التأويل كذلك، لكان:(وتثبتًا من أنفسهم)))[2].

وقد أشار ابن القيم إلى الحكمة من ذكر هاتين الصفتين في المنفق، فقال-رحمه الله-:((هذا مثل الذي مصدر نفقته عن الإخلاص والصدق، فإن ابتغاء مرضاته سبحانه هو الإخلاص، والتثبيت من النفس هو الصدق في البذل، فإن المنفق يعترضه عند إنفاقه آفتان، إن نجا منهما كان مثله ما ذكره في هذه الآية، إحداهما: طلبه بنفقته محمدة أو ثناء أو غرضا من أغراضه الدنيوية، وهذا حال أكثر المنفقين، والآفة الثانية: ضعف نفسه وتقاعسها وترددها هل يفعل أم لا، فالآفة الأولى تزول بابتغاء مرضاة الله، والآفة الثانية تزول بالتثبيت، فإن تثبيت النفس: تشجيعها وتقويتها والإقدام بها على البذل، وهذا هو صدقها، وطلب مرضاة الله: إرادة وجهه وحده وهذا إخلاصها))[3].

واختلفوا في مضاعفة النفقة، هل تتفاوت بتفاوت نفقة المنفقين، أو أنهم على درجة واحدة؟ والذي عليه جمهور المفسرين أن المضاعفة تختلف باختلا

(1) زاد المسير (318/1-319).
(2) تفسير الطبري (70/3).
(3) طريق الهجرتين (ص546)

Modifier avec WPS Office

اف قلة النفقة وكثرتها، كما قال الماوردي -رحمه الله-[1]: ((أراد بضرب هذا المثل: أن كثير البـ ـِر مثل زرع المطر كثير النفع، وقليل البـ ـِر مثل زرع الطل قليل النفع، فلا يدع قليل البر إذا لم يفعل كثيره، كما لا يدع زرع الطل إذا لم يقدر على زرع المطر)) [2].

وقال ابن القيم -رحمه الله- ((مع أن في ذكر نوعي الوابل والطل إشارة إلى نوعي الإنفاق الكثير والقليل، فمن الناس من يكون إنفاقه وابلا ً، ومنهم من يكون إنفاقه طلا ً، والله لا يضيع مثقال ذرة))[3].

وقال الطاهر ابن عاشور -رحمه الله-:((وقوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ أي: فإن لم يصبها مطر غزير، كفاها مطر قليل، فآتت أكلها دون الضعفين، والمعنى: أن الإ نفاق لابتغاء مرضاة الله له ثواب عظيم، وهو مع ذلك متفاوت على تفاوت مقدار الإخلاص في الابتغاء والتثبيت، كما تتفاوت أحوال الجنات الزكية في مقدار زكائها، لكنها لا تخيب صاحبها))[4]

وفي هذا التنويع في ذكر المطر إشارة إلى حال نوعين من المؤمنين وهم المقربون السابقون، والأبرار المقتصدون، فالأولون ينفقون بالليل والنهار سراً وعلا نية، فهؤلاء نفقتهم تضاعف كما تضاعف ثمرة الجنة التي أصابها الوابل الكثير، وأما المقتصدون فلقلة نفقتهم بالنسبة للسابقين تضاعف كما تضاعف ثمرة الجنة التي أصابه المطر القليل وهو الطل، وبكل حال فالأجر حاصل لا محالة، وإنما التفاوت في كثرة المضاعفة وقلتها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ً.

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((وهم درجات عند الله، فأصحاب الوابل أعلاهم درجة، وهم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا ً وعلانية، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وأصحاب الطل مقتصدوهم، فمثل حال القسمين وأعمالهم بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة بالوابل والطل، وكما أن كل واحد من المطرين يوجب زكاء ثمر الجنة ونحوه بالأضعاف، فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن صدرت عن ابتغاء مرضاة الله والتثبيت من نفوسهم فهي زاكية عند الله نامية مضاعفة))[5].

ويظهر-والله أعلم- أن هذا التفاوت في التضعيف، هو المشار إليه بقوله

---

(1) هو علي بن محمد بن حبيب، أبو محمد الماوردي البصري الشافعي، من وجوه فقهاء الشافعية، كان إماماً في الفقه والأصول والتفسير، توفي سنة 450هـ، من مصنفاته: الأحكام السلطانية، وأدب الدنيا والدين. انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (230/1)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (286/3)، ت: عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1406هـ.

(2) تفسير الماوردي (198/1).

(3) إعلام الموقعين (184/1).

(4) التحرير والتنوير (53/2).

(5) طريق الهجرتين (ص547).

Modifier avec WPS Office

تعالى في المثل السابق: ﮋﮑ ﮒ ﮓﮊ، فالسابقون بالخيرات، الذين ينفقون آناء الليل وأطراف النهار، تضاعف أجور نفقاتهم إلى أضعاف كثيرة، فوق التضعيف إلى السبعمائة الوارد في المثل.

Modifier avec WPS Office

المبحث الثالث

الفوائد العَقدية المستفادة من المثلين

وفيه أربع فوائد:

الفائدة الأولى: دلالة المثلين على اشتراط الإخلاص لقبول النفقة ومضاعفتها.

الفائدة الثانية: دلالة المثلين على توقف قبول الأعمال على وجود شروط القبول.

الفائدة الثالثة: دلالة المثلين على تفاوت أجر النفقة بحسب ما يقو م في القلب من الإيمان والإخلاص وتثبيت النفس عند النفقة.

الفائدة الرابعة: دلالة المثلين على مراتب أهل الإيمان.

Modifier avec WPS Office

الفائدة الأولى
دلالة المثلين على اشتراط الإخلاص لقبول النفقة ومضاعفتها

النفقة لا تكون مقبولة ومضاعفة إلا إذا كانت في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وكذلك سائر العبادات.

قال شيخ الإسلام –رحمه الله-:((ولا بد في جميع الواجبات والمستحبات أن تكون خالصة لله رب العالمين، كما قال تعالى: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮊ [البينة:٤- ٥]، وقال تعالى:ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮊ [الزمر:١- ٣].

فكل ما يفعله المسلم من القُرب الواجبة والمستحبة، كالإيمان بالله ورسوله والعبادات البدنية والمالية ومحبة الله ورسوله، والإحسان إلى عباد الله بالنفع و المال، هو مأمور بأن يفعله خالصاً لله رب العالمين))[1].

والأدلة الدالة على وجوب الإخلاص كثيرة ومتنوعة الألفاظ؛ فتارة يرد التعبير عن ذلك بلفظ (الإرادة)، كقوله تعالى: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮊ [آل عمران:١٥٢]، وقوله: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ [الإسراء:١٩]، ومن السنة قوله ﷺ:((فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله))[2]، وتارة يعبر عنها بلفظ (الابتغاء) كقوله:ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﮊ [النساء:١١٤]، وقوله ﷺ: ((إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أثبت عليها، حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك))[3]، وغير ذلك من الألفاظ.

وقد تنوعت عبارات العلماء في تعريف الإخلاص.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((وقد تنوعت عبارتهم في الإخلاص و الصدق، و القصد واحد، فقيل: هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة. وقيل : تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين...))[4]، وجماع ذلك أن يُخِّلصَ العبد قلبه من إرادة سوى الله سبحانه في كل أعماله.

---

(1) مجموع الفتاوى (190/1).
(2) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، حديث (425)، ومسلم، كتاب المساجد، باب التخلف عن الجماعة لعذر، حديث (33).
(3) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة، حديث (541)، ومسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، حديث (1628).
(4) مدارج السالكين (91/2).

Modifier avec WPS Office

وقال -رحمه الله-: ((قال صاحب المنازل[1]:((الإخلاص تصفية العمل من كل شوب)) أي: لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس، إما طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم أو خدمتهم ومحبتهم وقضائهم حوائجه، أو طلب محبتهم له، أو غير ذلك من العلل والشوائب التي عقد متفرقاتها: هو إرادة ما سوى الله بعمله كائنا ً ما كان))[2].

وقد بين تعالى أن النفقة الخالصة التي سلمت من ضد ذلك هي التي يترتب عليها الأجر والثواب، قال تعالى: ﮋ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮊ [البقرة:٢٦٢].

قال الثعالبي–رحمه الله-[3]:((لمّا تقدم في الآية التي قبلها ذِكرُ فضل الإنفاق في سبيل الله على العموم ، بين أن ذلك إنما هو لمن لم يتبع إنفاقه منا ً ولا أذى، وذلك أن المنفق في سبيل الله إنما يريد وجه الله تعالى ورجاء ثوابه، وأما من أراد من المنفق عليه جزاء بوجه من الوجوه ، فهذا لم يرد وجه الله تعالى ، وهذا هو الذي متى أخلفه ظنه، مَنّ بالإ ِنفاق وآذى، إذ لم يكن إنفاقه مخلصاً لوجه الله، فالمن والأذى مبطلان للصدقة، وهما كاشفان لمقاصد المنفقين))[4].

(1) هو عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد الأنصاري الهروي، أبو إسماعيل شيخ الإسلام، ولد سنة 396هـ، كان إماماً حافظاً على معرفة تامة بالعربية والحديث والتاريخ والأنساب، أخذ عليه عبارات في التصوف تعلق بها الاتحادية، توفي سنة 484هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (503/18).

(2) مدارج السالكين (92/2).

(3) هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، أبو زيد الثعالبي المالكي، المفسر البارع، كان إماماً علامة مصنفاً، اختصر تفسير ابن عطية، توفي سنة 876 هـ. انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (152/4)، مكتبة الحياة، بيروت. وطبقات المفسرين للأدنه وي (ص342)، ت: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1997م.

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (516/1)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثانية

دلالة المثلين على توقف قبول الأعمال على وجود شروط القبول

العمل الصالح لا يكون مقبولا ً عند الله، ومترتب عليه الأجر والثواب إلا بشرطين:

1. الإخلاص، وهو ابتغاء وجه الله في العمل.
2. المتابعة للنبي .

وقد جمع الله سبحانه هذين الشرطين في قوله:ﮋﺘﻲ ﺜﺞ ﺜﻢ ﺜﻰ ﺜﻲ ﺟﺞ ﺟﻢ ﺣﺞ ﺣﻢ ﺧﺞ ﺧﺢ ﺧﻢ ﺳﺞ ﺳﺢ ﮊ[الكهف:١١٠]، قال شيخ الإسلام- رحمه الله-:((والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد، ولها أصلان:

أحدهما: ألا يـ ُعبد إلا الله.

والثاني: أن يـ ُعبد بما أمر وشرع لا بغير ذلك من البدع))[1].

وقد دل هذان المثلان على أن النفقة إذا كانت خالصة لوجه الله، ووضعها المنفق حيث أراد الله فإنها تكون مقبولة مضاعفة، وهذان الشرطان تضمنهما قوله تعالى: ﮋﮗ ﮘ ﮙﮊ، وسبيل الله: طاعته[2]، أي ينفقون أموالهم على سبيل التقرب إلى الله تعالى، ولا يكون العمل قربة وطاعة إلا إذا كان خالصاً لله، موافقاً للسنة.

---

(1) مجموع الفتاوى (172/10).

(2) انظر: نزهة الأعين النواظر (163).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثالثة

دلالة المثلين على تفاوت أجر النفقة بحسب ما يقو م في القلب من الإيمان وا لإخلاص
وتثبيت النفس عند النفقة

للتقوى أثر في صلاح الأعمال ومضاعفتها، والتقوى هي تعظيم أمر الله ونهيه، فمن عَظَم ما شرع الله فهو من المتقين، قال تعالى: ﮋ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ[الحج:٣٢]، وبين سبحانه أن التقوى هي المقصود الأعظم من العبادات فقال سبحانه: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﮊ[الحج:٣٧].

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((فالمقصود تقوى القلوب لله، وهو عبادتها له وحده دون ما سواه بغاية العبودية له، والعبودية فيها غاية المحبة وغاية الذل والإخلاص، وهذه ملة إبراهيم الخليل، وهذا كله مما يبين أن عبادة القلوب هي الأصل، كما قال النبي :((إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب))[1]))[2].

وقال ابن القيم-رحمه الله-:((العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه وهمته ولا ببدنه، والتقوى في الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح))[3].

وقد أشار سبحانه في هذين المثلين إلى أن تفاوت العباد في الأجور إنما سببه ما قام في قلوبهم من إخلاصه واستشعار جلاله وعظمته.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((والله يضاعف لمن يشاء فوق ذلك، بحسب حال المنفق وإيمانه وإخلاصه وإحسانه ونفع نفقته وقدرها ووقوعها موقعها، فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص والتثبيت عند النفقة، وهو إخراج المال بقلب ثابت قد انشرح صدره بإخراجه، وسمحت به نفسه، وخرج من قلبه قبل خروجه من يده، فهو ثابت القلب عند إخراجه، غير جزع ولا هلع ولا مُتْبِعه نفسه ترجف يده وفؤاده، ويتفاوت بحسب نفع الإنفاق ومصارفه بمواقعه، وبحسب طيب المنفَق وزكاته))[4].

---

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث (52)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث (1599).

(2) مجموع الفتاوى (485/17).

(3) الفوائد لابن القيم (ص141)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1393هـ.

(4) إعلام الموقعين (184/1).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الرابعة
دلالة المثلين على مراتب أهل الإيمان

يتفاوت أهل الإيمان في درجاتهم، وذلك لتفاوتهم في الأخذ بشعب الإيمان علماً وعملا ً، وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮊ [فاطر:٣٢].

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((وقسمهم إلى ظالم لنفسه ومقتصد وسابق ... وهذا التقسيم لأمة محمد ، فالظالم لنفسه: أصحاب الذنوب المصرون عليها... والمقتصد: المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم، و السابق للخيرات: هو المؤدي للفرائض والنوافل))(1).

والناس مع النفقة يتفاوتون بناءً على تفاوتهم في الإيمان، فالسابق بـ الخيرات ينفق آناء الليل وأطراف النهار، سراً وعلانية، والمقتصد يؤدي ما أوجب الله عليه من النفقة ولا يزيد، والظالم لنفسه قد يخالط نفقته شئٌ من حظوظ النفس والرياء، وقد يَمُنُ بنفقته ويؤذي.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((وهم درجات عند الله، فأصحاب الوابل أعلاهم درجة، وهم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا ً وعلانية، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وأصحاب الطل مقتصدوهم، فمثل حال القسمين وأعمالهم بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة بالوابل والطل))(2).

---

(1) مجموع الفتاوى (183/11).
(2) طريق الهجرتين (ص547).

Modifier avec WPS Office

الفصل الثاني

الأمثال ا لمضروبة لثبات وطمأنينة من حقق التوحيد واستقام على الإيمان

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : دراسة المـ ـَثـ ـَل في قوله تعالى : ﮋ ﯿ ئج ئح ئمئى ئي بج بح بخ بمبى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جحجم حج حم خج خح ﮊ [البقرة:٢٥٦].

المبحث الثاني: دراسة المـ ـَثـ ـَل في قوله تعالى : ﮋ ئۆ ئۈ ئۇ ئۆ ئي ئې ئې ئى ئى ئى ئد ى ى ې ې ئج ئح ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پپ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ﮊ [إبراهيم: ٢٤- ٢٥].

المبحث الثالث : دراسة المـ ـَثـ ـَل في قوله تعالى : ﮋ ۀ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ﮊ [الملك:٢٢].

المبحث الرابع: دراسة المـ ـَثـ ـَل في قوله تعالى: ﮋ ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ى ى ې ې ئج ﮊ [الزمر:٢٩].

Modifier avec WPS Office

المبحث الأول

دراسة المثل في قوله تعالى: ﮋ ﯾ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﮊ [البقرة:٢٥٦]

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المثل.

المطلب الثاني: نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثل به.

المطلب الرابع: صورة الممثل له.

المطلب الخامس : الفوائد العقدية المستفادة من المثل .

Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
دلالة السياق الذي ورد فيه المـ ـثـ ـل

قال تعالى:ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨﯩ ﯪ ﯫ ﯬ
ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂﰃ ﰄ ﰅ ﰆﰇ ﰈ
ﰉﰊ ﰋ ﰌ ﰍﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟﰠ
ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﮊ
[البقرة:٢٥٥- ٢٥٦].

دلالة السياق:

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى الدلائل الجلية على تفرده بالصفات العلية، بين أن ذلك كافٍ في الإقبال على دين الإسلام والدخول فيه، فلا يحتاج الناس إلى إكراه عليه.

قال الطاهر ابن عاشور-رحمه الله-:((وتعقيب آية الكرسي بهاتين الآيتين بمناسبة أنّ ما اشتملت عليه الآية السابقة من دلائل الوحدانية وعظمة الخالق وتنزيهه عن شوائب ما كفرت به الأمم؛ من شأنه أن يسوق ذوي العقول إلى قبول هذا الدين الواضح العقيدة، المستقيم الشريعة، باختيارهم دون جبر ولا إكراه، ومن شأنه أن يجعل دوامهم على الشرك بمحل السؤال: أيُتْرَكون عليه أم يُكْرَهُون على الإسلام ، فكانت الجملة استئنافاً بيانياً))[1].

فإذا كان الرشد قد استبان أمره فلا حاجة إلى إلزام الناس وإكراههم على الدخول فيه، فمن أراد نجاة نفسه انقاد إلى ذلك الرشد واهتدى إليه، ثم أكد ما بَيْنَ الرشد والغي من المنزلة بضرب هذا المَثَل الذي صوّر المستمسك بالإيمان بمن استمسك بعروة وثقى محكمة الشد مأمونة الانقطاع، فلا يخشى على نفسه الهلاك.

---

(1) التحرير والتنوير (25/2).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثاني
نوع المـ ـثـ ـل والغرض الذي ضـ ـُرب من أجله

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، حيث شُبّه استمساك المؤمن بولاية الله، بمن استمسك بعروة وثقى، بجامع العصمة والنجاة في كلٍ.

قال ابن جرير-رحمه الله-: ((والعروة في هذا المكان مثل ٌ للإيمان الذي اعتصم به المؤمن، فشبهه في تعلقه به وتمسكه به بالمتمسك بعروة الشيء الذي له عروة يتمسك بها، إذ كان كل ذي عروة فإنما يتعلق من أراده بعروته))[1].

وقال الشوكاني -رحمه الله-:((وقد اختلف المفسرون في تفسير العروة الوثقى بعد اتفاقهم على أن ذلك من باب التشبيه والتمثيل لما هو معلوم بـ الدليل بما هو مدرك بالحاسة))[2].

وفي هذا التشبيه حُذِف المُشَبّه وهو الدخول في ولاية الله على سبيل الا ستعارة التصريحية، واستعير لفظ العروة الوثقى مكانه.

وهذا المثل من الأمثال التي شبه فيها معقول بمحسوس.

قال في الكشاف:((وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس، حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه، فيحكم اعتقاده و التيقن به))[3].

الغرض الذي من أجله ضرب المثل:

هذا المثل ضرب لغرض عظيم ألا وهو بيان ثمرة الإيمان القائم على الكفر بـ الطاغوت وإفراد الله بالعبادة، حيث بين سبحانه أن أهل الإيمان هم أهل الثبات التام والطمأنينة الكاملة، خلافاً لمن ماجت به ظلمات الكفر والظلال، وتردى في غياهب الانحراف حتى سقط في وادٍ سحيق.

قال ابن جرير-رحمه الله-:((ومعنى الكلام: فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن ب الله، فقد اعتصم من طاعة الله بما لا يخشى مع اعتصامه خذلانه إياه، وإسلا مه عند حاجته إليه في أهوال الآخرة، كالمتمسك بالوثيق من عرى الأشياء التي لا يخشى انكسار عراها))[4].

وهذا المثل المضروب للمؤمن على النقيض من المثل المضروب للمشرك في قوله تعالى:ﮋ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﮊ[الحج:٣١].

---

(1) تفسير الطبري (20/3).

(2) فتح القدير (276/1).

(3) الكشاف عن حقائق التن-زيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (331/1)، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(4) تفسير الطبري (20/3).

Modifier avec WPS Office

قال ابن عطية-رحمه الله-[1]:((ثم ضرب تعالى مثلا ً للمشرك بالله أظهره في غاية السقوط... بخلاف ما ضرب للمؤمن في قوله: ﮋبي تج تح تخ تم تى تي ثج ثمﮊ))[2].

(1) هو غالب بن عبد الرحيم بن غالب بن تمام المحاربي الغرناطي، أبو بكر، الشهير بابن عطية، قدوة المفسرين في زمانه، كان فقيهاً عارفاً بالأحكام و التفسير والحديث، بصيراً بلسان العرب، ولد سنة 481هـ، وتوفي سنة 541هـ، من تصانيفه: المحرر الوجيز في التفسير. انظر: بغية الوعاة (73/2) ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (523/2)، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ.

(2) المحرر الوجيز (120/4).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
صورة الممثـ ـّل به

ورد ذكر الممثّل به في الآية في قوله تعالى: ﮋ ﺗﻰ ﺗﻲ ﺗﺞ ﺛﻢ ﺛﻰ ﺛﻲ ﺟﺤﮊ.

والعروة هي:((ما يجعل كالحلقة في طرف شيء ليقبض على الشيء منه))[1] جاء في لسان العرب:((وعُرْوَةُ الدّلْو والكوز ونحوه: مَقْبِضُهُ))[2].

وهذا العروة وصفت بأنها وثقى، والوثقى تأنيث الأوثق[3].

قال ابن فارس-رحمه الله-: ((الواو والثاء والقاف كلمةٌ تدلُّ على عَقْدٍ وإحكام))[4]، فهذا العروة شديدة القوة والإحكام، وأكد سبحانه هذا المعنى بقوله: ﮋﺛﻰ ﺛﻲ ﺟﺤﮊ، أي: لا انقطاع.

قال ابن فارس-رحمه الله-: ((الفاء والصاد والميم أصلٌ صحيح يدلُّ على انصداعِ شيءٍ من غير بَيْنُونة، من ذلك القَصْم، وهو أن ينصَدِع الشّيءُ من غير أن يَبين، وكلُّ منحنٍ من خَشَبَةٍ وغيرها فهو مفصوم))[5]، فلا يتطرق إلى هذه العروة شيء من الانصداع فضلا ً عن الانكسار والانفصال.

وما يجب مراعاته في حال المستمسك بالعروة الوثقى: أنه لجأ إليها خوفاً من سقوط وهلاك، إذا لو كان في مأمن لم يكن لاستمساكه بتلك العروة فائدة، وهذا يؤيده ما ضربه الله من حال المشرك، حيث شبهه بمن خر من السماء، ولو كان مستمسكاً بالعروة الوثقى لسلم من ذلك.

---

(1) التحرير والتنوير (29/2).
(2) (45/15).
(3) المفردات في غريب القرآن (ص512).
(4) معجم مقاييس اللغة (85/6).
(5) نفس المصدر (506/4).

Modifier avec WPS Office

المطلب الرابع
صورة الممثل له

ورد ذكر الممثل له في الآية في قوله تعالى: ﮋﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅﮊ، فمن كفر بالطاغوت وآمن بـالله فحاله كحال من تمسك بالعروة الوثقى.

وقد اختلف أهل التفسير في بيان ما يقابل العروة الوثقى في المشبه، قال ابن عطية-رحمه الله-: ((وهذه الآية تشبيه، واختلفت عبارة المفسرين في الشيء المشبه بالعروة، فقال مجاهد: العروة: الإيمان، وقال السـ ـدِّي [1]: الإسلام، وقال سعيد بن جبير[2] والضحّاك[3] : العروة: لا إله إلا الله))[4].

والذي يظهر –والله أعلم- أن العروة هي (لا إله إلا الله)، لأن من أراد إمساك وحَمْل مَا لهُ عروة، فإنه يمسكه ويحمله من عروته، وكذلك (لا إله إلا الله) من استمسك بها فقد استمسك من الإيمان بأقوى سبب، ومن تركها ترك ا لإسلام، ويؤيد ذلك: ما وصف الله به المستمسك بالعروة الوثقى بأنه الذي كفر بالطاغوت وآمن بـالله، فهذان ركنا هذه الكلمة، فـ (لا إله) نفي لما يعبد من دون الله، وهو معنى الكفر بالطاغوت، و(إلا الله) إثبات لاستحقاق الرب جل جـلاله وحده للعبادة، وهو معنى الإيمان بـالله.

ومما يؤكد أن المراد بالعروة الوثقى (لا إله إلا الله): ما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن سلام [5] قال:((رأيت كأني في روضة، ووسط

---

(1) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُدِّي، أبو محمد القرشي الكوفي، مولى زينب بنت قيس بن مخرمة، كان يقعد في سُدة الباب فسمي السُدّي، روى عن أنس ، وروى عن جماعة من التابعين، كعطاء بن أبي رباح، وعكرمة وغيرهما، وثقه أحمد بن حنبل وغيره، توفي سنة 129 هـ. انظر: تهذيب الكمال (132/3)، والوافي بالوفيات للصفدي (85/9) ، ت: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ.

(2) هو سعيد بن جبير بن هشام الوالبي الأسدي الكوفي، أبو محمد، من خيار التابعين، روى عن جماعة من الصحابة، وقرأ القرآن على ابن عباس رضي الله عنهما، كان زاهداً ورعاً، روى له الجماعة، قتله الحجاج عام 95هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (321/4)، وتهذيب الكمال (358/10).

(3) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، تابعي جليل، روى عن أنس وابن عمر وأبي هريرة وغيرهم، وقيل: لم يصح له سماع من الصحابة، كان إماماً في التفسير، وثقه أحمد وغيره، توفي سنة 106هـ. انظر: البداية و النهاية (223/9)، والطبقات الكبرى لابن سعد (300/6)، دار صادر، بيروت.

(4) المحرر الوجيز (344/1).

(5) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ثم الأنصاري، أبو يوسف،

Modifier avec WPS Office

الروضة عمود، وفي أعلى العمود عروة، فقيل لي: ارقه، قلت: لا أستطيع، فأتاني وصيف[1] فرفع ثيابي فرقيت، فاستمسكت بالعروة، فانتبهت وأنا مستمسك بها، فقصصتها على النبي فقال: ((تلك الروضة: روضة الإسلام، وذلك العمود: عمود الإسلام، وتلك العروة: عروته الوثقى، لا تزال مستمسكا ً بالإسلام حتى تموت))[2].

وفي رواية[3]: ((وأما العمود فهو عمود الإسلام، وأما العروة فهي عروة الإ سلام، ولن تزال متمسكا ً بها حتى تموت)).

ففرق بين الإسلام وبين عروته الوثقى، حيث فسر العمود بالإسلام، وفسر العروة بعروته الوثقى، ولا شك أن عروة الإسلام الوثقى هي (لا إله إلا الله) لأن من تمسك بها فهو على الإسلام، ومن تركها خرج من الإسلام بالكلية، واستعير لفظ: العروة الوثقى لكلمة الإخلاص، لأن من قالها معتقداً ما دلت عليه من المعنى فقد استحق ولاية الله، فكأنه استمسك بأمر وثيق لا يتطرق إليه انفصام وانقطاع.

وهذه العروة الوثقى لها ركنان أشار إليهما سبحانه بقوله: ﴿بي تج تح تخ تمتى تي ثج ثم ثى ثي جحﰈ، هما:

الأول: الكفر بالطاغوت، والطاغوت هو ما تجاوز حده وقدره في كل شيء[4]، ومنه قوله تعالى: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾[الحاقة:١١].

والمراد به في خطاب الشرع: ((كل ذي طغيان على الله فعُبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، إنسانا ً كان ذلك المعبود أو شيطانا ً أو وثنا ً أو صنما ً أو كائنا ً ما كان من شيء))[5].

وعرفه ابن القيم بقوله: ((ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع))[6].

أسلم حين قدم النبي المدينة، وكان من أحبار اليهود، شهد له النبي بـ الجنة، توفي في خلافة معاوية بالمدينة سنة 43هـ. انظر: الاستيعاب (921/3)، الإصابة (118/4).

(1) ((الوصيف: الخادم الصغير، غلاماً كان أو جارية)) فتح الباري (131/7).

(2) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب التعلق بالعروة والحلقة، حديث (7014)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن سلام ، حديث (1484).

(3) عند مسلم في الموضع السابق.

(4) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص304).

(5) تفسير الطبري (19/3).

(6) إعلام الموقعين (50/1).

Modifier avec WPS Office

إلا أنه لابد من استثناء من عُبد ولم يرض بعبادته[1]، ولذلك فيمكن أن يعرف الطاغوت بأنه: ((كل مخلوق تجاوز حده، فادعى شيئاً مما تفرد الله به، أو نسب إليه ورضي، أو كان في حكم الراضي))[2]

هذا ما ذكره العلماء عن تعريف الطاغوت، أما الكفر بالطاغوت فهو: ((خلع ا لأنداد والآلهة التي تـ ـُدعى من دون الله من القلب، وترك الشرك بها رأساً وبغضه وعداوته))[3].

ومن خلال ما تقدم نعلم أن الطاغوت لابد من خلعه من القلب حتى يتمكن منه الإيمان، ولذلك قدم الله سبحانه الكفر بالطاغوت على الإيمان ب الله، وذلك لتأكيد قاعدة: التخلية مقدمة على التحلية[4]، فيبدأ بالتخلص من شوائب الشرك وعبادة الطاغوت، ومن ثم يدخل في الإسلام.

قال محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-:((ومفهوم الشرط أن من لم يكفر بـ الطاغوت لم يستمسك بالعروة الوثقى، وهو كذلك، ومن لم يستمسك بالعروة الوثقى فهو بمعزل عن الإيمان، لأن الإيمان بـالله هو العروة الوثقى، والإيمان بـ الطاغوت يستحيل اجتماعه مع الإيمان بـالله، لأن الكفر بالطاغوت شرط في ا لإيمان بـالله أو ركن منه، كما هو صريح قوله: ﭽبي تج تحﭼ))[5].

الثاني: الإيمان بـالله، والمراد به: أصل الإيمان الذي من أتى به كان مؤمناً مستمسكاً بالعروة الوثقى، قال تعالى:ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶﭼ[الممتحنة:٤].

قال ابن جرير-رحمه الله-:((ﭽﯴ ﯵ ﯶﭼ يقول: حتى تصدّقوا بـالله وحده ، فتوحدوه وتفردوه بالعبادة))[6].

ولا يصح الإيمان إلا باجتماع هذين الركنين.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((فلا ينجون من عذاب الله إلا من أخلص لله دينه وعبادته، ودعاه مخلصا ً له الدين، ومن لم يشرك به ولم يعبده فهو معطل عن عبادته وعبادة غيره كفرعون وأمثاله، فهو أسوأ حالا ً من المشرك، فلابد من عبادة الله وحده، وهذا واجب على كل أحد فلا يسقط عن احد البتة، وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله دينا ً غيره))[7].

(1) تيسير العزيز الحميد (ص37).
(2) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة (ص35).
(3) تيسير العزيز الحميد (ص98).
(4) تفسير أبي السعود (250/1).
(5) أضواء البيان (245/1).
(6) تفسير الطبري (62/28)
(7) مجموع الفتاوى (476/14-477).

Modifier avec WPS Office

المطلب الخامس

الفوائد العَقَدية المستفادة من المَثَل

وفيه خمس فوائد:

الفائدة الأولى: دلالة المَثَل على معنى شهادة الإخلاص.

الفائدة الثانية: دلالة المَثَل على أن العلم بمعنى كلمة الإخلاص، شرط للدخول في الإسلام.

الفائدة الثالثة: دلالة المَثَل على أن الكفر بالطاغوت والإيمان بالله سبب لاستجلاب ولاية الله.

الفائدة الرابعة: دلالة المَثَل على أن التطهير مقدم على التزكية.

Modifier avec WPS Office

الفائدة الأولى
دلالة المَثَل على معنى شهادة الإخلاص

من خلال هذه الآية الكريمة المشتملة على هذا المثل العظيم ندرك معنى كلمة التوحيد التي لابد من النطق بها للدخول في الإسلام، والتي من جاء بها فقد استمسك بالعروة الوثقى، ففي هذه الآية لم يأتِ التنصيص على لفظ الشهادة وإنما جيء بمعناها، حتى لا يتوهم متوهم أن الثبات في الدنيا والآ خرة والنجاة إنما يحصل بمجرد النطق بها فقط، من غير فهم لما دلت عليه من المعنى.

ولبيان معنى الشهادة لا بد أن ندرك أنها مشتملة على أسلوبين من أساليب اللغة، هما النفي والإثبات، أسلوب النفي في قولنا: (لا إله)، وأسلوب الإثبات في قولنا: (إلا الله).

قال ابن القيم-رحمه الله-:((طريقة القرآن في مثل هذا أن يقرن النفي بالإ ثبات، فينفي عبادة ما سوى الله، ويثبت عبادته، وهذا هو حقيقة التوحيد، و النفي المحض ليس بتوحيد، وكذلك الإثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إ لا متضمنا ً للنفي والإثبات، وهذا حقيقة لا إله إلا الله))(1).

فالنفي يراد به نفي الأحقية لا نفي الوجود، إذ من المعلوم أنه توجد آلهة كثيرة تعبد في الأرض، والنفي يتجه إلى نفي استحقاق شيء منها للعبادة.

قال ابن جرير -رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ [طه:١٤] :((ﮋ ﭙ ﭚ ﮊيقول تعالى ذكره: إنني أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، ﮋ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﮊ فلا تَعبد غيري، فإنه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواي، ﮋﭠﮊيقول: فأخلص العبادة لي دون كل ما عبد من دوني))(2).

وهذه المعبودات الباطلة هي التي سماها الله سبحانه في هذه الآية طاغوتاً وأمر بالكفر بها، فمن كفر بها فقد استلزم كفره بها نفي كونها آلهة وأنها تستحق العبادة، وبذلك نعلم دلاله الآية على جزء من تفسير كلمة الإخلاص.

أما الإثبات فيدل على أحقية المعبود عز وجل وحده بالعبادة، كما قال تعالى: ﮋ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮊ [النحل:٣٦] ، وقال تعالى:ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ [الأنبياء:٢٥].

ومن خلال ما تقدم من الحديث عن معنى هذه الكلمة، يتبين غلط من فسرها بما يدل عليه توحيد الربوبية كما ذهب إلى ذلك الأشاعرة(3)، قال

---

(1) بدائع الفوائد (141/1).
(2) تفسير الطبري (147/16).
(3) هم أتباع أبي الحسن الأشعري, وهم يثبتون من صفات الرب تعالى ما دل العقل على إثباتها وهي سبع صفات, وهي السمع والبصر والعلم والقدرة وا

Modifier avec WPS Office

البيهقي -رحمه الله-[1] في تفسير اسمه تعالى الله:((الله، معناه: من لـ َه ُ الإ لهية: وهي القدرة على اختراع الأعيان، وهذه صفة يستحقها لذاته))[2]، وهذا تفسير منه للألوهية بما تدل عليه الربوبية.

وتجدهم يغفلون في تفسير كلمة (لا إله إلا الله) عن الإشارة إلى تفرده با لإلهية، حيث يقولون في تفسيرها:((الباري سبحانه واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له ، وواحد في أفعاله لا شريك له))[3].

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-:((وكثير من أهل الكلام يقول التوحيد له ثلاث معان ٍ وهو: واحد في ذاته لا قسيم له أو لا جزء له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وهذا المعنى الذي تتناوله هذه العبارة فيها ما يوافق ما جاء به الرسول وفيها ما يخالف ما جاء به الرسول، وليس الحق الذي فيها هو الغاية التي جاء بها الرسول، بل التوحيد الذي أ ُمر به أ َمر ٌ يتضمن الحق الذي في هذا الكلام وزيادة أخرى، فهذا من الكلام الذي لبس فيه الحق بالباطل وكتم الحق، وذلك أن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات، ونزهه عن كل ما ينزه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء، لم يكن موحدا ً بل ولا مؤمنا ً حتى يشهد أن لا إله إلا الله، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له))[4].

لإرادة والحياة والكلام. انظر الملل والنحل للشهرستاني. (94/1) دار المعرفة, بيروت, 1404هـ ، تحقيق : محمد سيد كيلاني.

(1) هو أحمد بن الحسين بن علي النيسابوري، أبو بكر البيهقي الشافعي، قال عنه ابن السبكي: ((فقيه جليل، حافظ كبير، أصولي نحرير، زاهد ورع))، توفي سنة 458هـ، من مصنفاته: معرفة السنن والآثار، ودلائل النبوة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (8/4)، وشذرات الذهب (304/3).

(2) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث للبيهقي (ص54)، ت: أحمد عاصم الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1، 1401هـ.

(3) نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني (ص90)، ت: الفرد جيوم.

(4) درء التعارض (225/1-226).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثانية
دلالة المثل على أن العلم بمعنى كلمة الإخلاص شرط للدخول في الإسلا م

وردت النصوص في الكتاب والسنة تارة بالأمر بالتلفظ بلا إله إلا الله، وأنه كاف في الدخول في الإسلام، وتارة بذكر معنى هذه الكلمة وعدم الاكتفاء بـ النطق فقط، فمن الأول: قوله : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله))[1]، وقوله : ((من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله))[2]، وغيرها من الأحاديث.

ومن النوع الثاني: قوله تعالى: ﮋ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮊ [الرعد: ٣٥]، وقوله: ﮋ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮊ [النحل:٣٦]، وقوله: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﮊ [الزمر:١٧]، وقول النبي: ((من وحّد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله))[3]، وقوله :((أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا ً من قلبه أو نفسه))[4].

وهذا التنوع في النصوص يدل على أمرين:

الأمر الأول: أن من قال: لا إله إلا الله يقبل منه هذا القول ويدخل في الإ سلام الحكمي الذي يستلزم عصمة الدم والمال، ولكن قد لا يكون مؤمناً في الباطن، كالمنافقين؛ فإن النبي كان يقبل منهم الظاهر من حالهم ويكل سرائرهم إلى الله، ويدل لذلك فعل أسامة حين حمل على الرجل من المشركين بعد ما قال: لا إله إلا الله، فقال رسول الله :((أقال: لا إله إلا الله وقتلته؟))، قال: قلت يا رسول الله: إنما قالها خوفا ً من السلاح قال:((أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟)). فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ[5].

---

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، حديث (1399)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، حديث (20).
(2) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، حديث (23).
(3) هو رواية من حديث مسلم السابق.
(4) تقدم تخريجه (ص55).
(5) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة، حديث (4269)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب

Modifier avec WPS Office

وحديث المقداد بن الأسود [1] أنه قال: يا رسول الله أرأيت إن لقيت رجلا ً من الكفار، فقاتلني فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله، أفأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال رسول الله : ((لا تقتله)) قال: فقلت: يا رسول الله إنه قد قطع يدي ثم قال ذلك بعد أن قطعها، أفأقتله؟ قال رسول الله : ((لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال))[2].

وقد بين السلف -رحمهم الله- هذا المعنى وأكدوه.

قال البغوي -رحمه الله-:((ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙﮊ [الحجرات:١٤]، فأخبر أن حقيقة الإيمان: التصديق بالقلب وأن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالأبدان لا يكون إيمانا ً دون التصديق بالقلب والإخلاص))[3].

وقال ابن رجب -رحمه الله-[4]:((وقوله: ((وحسابهم على الله عز وجل)) يعني أن الشهادتين مع إقام الصلاة وإيتاء الزكاة تعصم دم صاحبها وماله في الدنيا، إلا أن يأتي ما يبيح دمه، وأما في الآخرة فحسابه على الله عز وجل، فإن كان صادقا ً أدخله الله بذلك الجنة، وإن كان كاذبا ً فإنه من جملة المنافقين في الدرك الأسفل من النار))[5].

وقال ابن كثير -رحمه الله- بعد إيراده قول النبي :((أمرت أن أقاتل الناس...)) الحديث: ((ومعنى هذا أن من قالها جرت عليه أحكام الإسلام ظاهرا ً

تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، حديث (96).

(1) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك القضاعي، وقيل: الكندي، نسب إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف الزهري، لأنه تبناه وحالفه في الجاهلية، شهد بدراً والمشاهد كلها مع النبي ، توفي في خلافة عثمان سنة 33هـ. انظر: الاستيعاب (1481/4)، والإصابة (202/6).

(2) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب المغازي، حديث (419)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، حديث (95).

(3) تفسير البغوي (218/4).

(4) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن، زين الدين أبو الفرج الحنبلي المعروف بابن رجب، ولد سنة 736هـ، كان أبوه وجده من أهل العلم في بغداد، طلب العلم في بغداد ودمشق ومصر وغيرها، توفي سنة 795هـ، من مصنفاته: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، وجامع العلوم والحكم، وتفسير سورة الإخلاص. انظر: البدر الطالع (328/1)، والدرر الكامنة (108/3).

(5) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لابن رجب (ص88)، ت: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1417هـ.

Modifier avec WPS Office

، فإن كان يعتقدها وجد ثواب ذلك في الدار الآخرة، وإن لم يعتقدها لم ينفعه جريان الحكم عليه في الدنيا، وكونه كان خليط أهل الإيمان))[1].

الأمر الثاني: أن الدخول الحقيقي في الإسلام لا يتم إلا بفهم معنى الشهادتين، القائم على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، أما مجرد النطق فلا يُدخل الشخص في الإسلام، ولا يكون منجياً له من العذاب في الآخرة.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله-:((قبول الإسلام الظاهر يجرى على صاحبه أحكام الإسلام الظاهرة، مثل عصمة الدم والمال والمناكحة والموارثة ونحو ذلك، وهذا يكفي فيه مجرد الإقرار الظاهر وإن لم يعلم ما في باطن الإنسان، كما قال : ((فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله))[2]، وقال:((إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أن أشق بطونهم))[3]، ولهذا يقاتل الكافر حتى يسلم أو يعطى الجزية، فيكون مكرها ً على أحد الأ مرين، ومن قال: لا تؤخذ الجزية من وثني قال إنه يقاتل حتى يسلم.

وأما الإيمان الباطن الذي ينجي من عذاب الله في الآخرة فلا يكفي فيه مجرد الإقرار الظاهر، بل قد يكون الرجل مع إسلامه الظاهر منافقا ً، وقد كان على عهد رسول الله منافقون وقد ذكرهم الله تعالى في القرآن في غير موضع، وميز سبحانه بين المؤمنين والمنافقين في غير موضع))[4]

من خلال ما تقدم ندرك أن فهم معنى لا إله إلا الله شرط للدخول في الإسلام، وبدونه لا يكون المرء مسلماً وإن جرت عليه أحكام الإسلام الظاهرة، وأن النصوص الواردة في هذا الباب لا تعارض بينها، بل كل قسم منها يدل على ما لا يدل عليه القسم الآخر، وبمجموعها نستطيع التوصل إلى الفهم الصحيح لهذه المسألة، والله أعلم.

---

(1) تفسير ابن كثير (50/1)
(2) تقدم تخريجه قريباً (ص119).
(3) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع، حديث (4351)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث (1064).
(4) درء التعارض (434/7-435).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثالثة
دلالة المثل على أن الكفر بالطاغوت والإيمان بالله سبب لاستجلاب ولا ية الله

الولاية مأخوذة من: القرب والنصرة والمحبة[1]، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭼ [البقرة: ٢٥٧] .

قال ابن جرير-رحمه الله-:((نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه))[2]، وقال سبحانه: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﯗ ﭼ [الجاثية:١٩].

وولاية الله إنما تستجلب بالإيمان به وتقواه، كما قال جل في علاه:ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ [يونس:٦٢- ٦٣]، وقال سبحانه: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ [آل عمران:٦٨]، وفي الآية التي تلت آية المثل بين سبحانه أنه ولي الذين آمنوا إشارة إلى ما سبق من أنهم الذين جاءوا بالتوحيد صحيحاً خالصاً من الشرك.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-:((هذه الآية مرتبة على الآية التي قبلها، فالسابقة هي الأساس وهذه هي الثمرة))[3].

فمن كفر بالطاغوت وآمن بالله فقد استحق أن يكون ولياً لله، ومقتضى هذه الولاية إخراجٌ من ظلمات الكفر والشك والحيرة، إلى نور الإيمان واليقين، كما قال تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ [المائدة:١٥- ١٦]، فالظلمات تعم جميع ما يحول بين القلب وبين تعلقه بربه وأداء ما أمره به، وذلك أن الكفر والنفاق والمعاصي تُظلم القلب وتبعده عن أداء حقوق ربه وما أوجبه عليه، وإذا فرغ القلب من تعظيم الله ومحبته استحوذت عليه الشياطين، فأظلم وعمي عن الحق، فإذا قامت بالقلب محبة الله والإخلاص له ونبذ جميع من دونه أشرق بنور الإيمان، وامتلأ باليقين، وهذا يحول بينه وبين الشياطين أن تتسلل إليه.

وهذه الولاية تقتضي قرب الرب تعالى من عبده، وإمداده بعونه وتوفيقه، وتأمينه من الخوف والحزن، كما قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ [يونس:٦٢].

قال أبو السعود -رحمه الله-[4]: ((لا خوف عليهم من العذاب الذي أُنذروه

---

(1) انظر: لسان العرب (407/15)، ومعجم مقاييس اللغة (141/6) وتهذيب اللغة (322/15).
(2) تفسير الطبري (21/3).
(3) تفسير السعدي (ص111).
(4) هو محمد بن محمد أبو السعود العمادي، شيخ المفسرين في وقته، برع في علوم كثيرة، ولد سنة 896هـ، من تصانيفه: إرشاد العقل السليم إلى

Modifier avec WPS Office

دنيويا ً كان أو أخرويا ً، ولا هم يحزنون بفوات ما بُشّروا به من الثواب العاجل والآجل))[1].

ومن مظاهرها: نصره والدفاع عنه، كما قال تعالى: ﮋ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃﮊ [الحج:٣٨] وقال جل وعلا: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝﮊ [غافر:٥١]، وفي الحديث:((يقول الله عز وجل: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب))[2].

وقد وعد الله المؤمنين بالثبات عند الموت، وفي القبر حال سؤال الملكين، قال تعالى: ﮋ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ [إبراهيم:٢٧].

روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب أن رسول قال: ((المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فذلك قوله: ﮋ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﮊ))[3].

فهذه بعض الكرامات التي يكرم الله بها أهل ولايته وطاعته، والله الموفق.

مزايا الكتاب الكريم، توفي سنة 982هـ. انظر: شذرات الذهب (398/8).

(1) تفسير أبي السعود (135/3).

(2) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث (6502).

(3) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة إبراهيم، حديث (4699)، ومسلم، كتاب الجنة ونعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، حديث (2871).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الخامسة
دلالة المثل على أن التطهير مُقدّم على التزكية

كل إنسان لابد أن يحمل بين جنباته شيئاً من الاعتقادات سواءً كانت صحيحة أو باطلة، فإذا كان مشركاً فإن قلبه سيكون مليئاً بالاعتقادات الباطلة المنافية للحق، فإذا أراد الدخول في الإسلام فلا بد أن يُطهّر قلبه من تلك الاعتقادات حتى يفرغ قلبه للحق، ولا يكون فيه ما يعارضه.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده، وهذا كما أنه في الذوات والأعيان فكذلك في الاعتقادات والإرادات، فإذا كان القلب ممتلئاً بالباطل اعتقاداً ومحبة لم يبق فيه لاعتقاد الحق ومحبته موضع))[1].

وقد أكد الله سبحانه هذا المعنى في عدد من الآيات، منها: قوله تعالى: ﮋ بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جحجم حج حم خج خح ﮊ [البقرة: ٢٥٦]، وقوله: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮊ [الزمر:١٧] ((فقدم سبحانه الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله تنبيهاً إلى وجوب تخلية القلب من الضد، فلا يصح إيمان بالله وإيمان بشيء من الطواغيت، كما لا يكفي براءة من الطاغوت بدون إيمان بالله، فلا بد من تطهير تصحبه تزكية))[2].

وهذا لا يتعارض مع ما ورد في بعض النصوص من تقديم الأمر بالعبادة على الكفر بالطاغوت، كما في قوله تعالى: ﮋ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﮊ [النحل: ٣٦]، وذلك لأن عبادة الله وحده لا شريك له هي أساس دعوة الرسل، والكفر بالطاغوت شرط لها، فعند بيان دعوة الرسل تقدم الغاية على شرطها لأن ذلك هو الأنسب في مقام التبليغ والبيان، أما عند إرادة الدخول في الإسلام فلا بد من الكفر بالطاغوت أولاً قبل الإيمان، لأنه لا يصح الإيمان بدون الكفر بالطاغوت والبراءة منه[3].

وعندما دعا يوسف صاحبيه في السجن بدأ بالتطهير ثم أتبعه بالتزكية، فقال سبحانه حكاية عنه: ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﮊ [يوسف:٣٧] فبين لهم أنه اجتنب ما عليه المشركون، وأنه اتبع ملة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب[4]، وحين أراد أن يبين لهم ملة هؤلاء الأنبياء، بدأ بالتطهير أيضاً، فقال: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﮊ [يوسف: ٣٨] وبعد أن بين

(1) الفوائد (ص43).
(2) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة (ص285)، وانظر: تفسير أبي السعود (250/1).
(3) انظر: أثر الإيمان (ص33-34).
(4) انظر: تفسير أبي السعود (277/4).

Modifier avec WPS Office

سبب امتنان الله عليه بالعلم ببعض المغيبات، وأن ذلك بسبب اجتناب الشرك، ولزوم التوحيد، بدأ بدعوتهما إليه بالتحذير مما هم عليه من عبادة الآلهة الباطلة التي لا تملك من حقيقة التسمية شيئاً، فبدأ بالتطهير أولا ً، ثم ثنّى بـا التزكية فأخبرهم أن الحكم والتصرف في هذا الكون إنما هو لله وحده، وأن من يملك ذلك قد أمر الخلق بعبادته فقال: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮘ ﮊ [يوسف:٤٠].

وهذه القاعدة تنطبق على جميع شعب الإيمان، وذلك أنها تنقسم إلى قسمين، قسم من قبيل التطهير، وقسم من قبيل التزكية، فالتي من قبيل التطهير: اجتناب نواقض الإسلام، واجتناب الكبائر، واجتناب سائر المحرمات، واجتناب المكروهات.

والتي من قبيل التزكية: الأمر بأركان الإيمان الستة، وأركان الإسلام الخمسة، وسائر الفرائض والواجبات، وبقية المستحبات.

فأصل الإيمان قائم على التطهر من الشرك والتزكية بالتوحيد، وكماله قائم على تجنب المعاصي والتطهر منها، وتزكية النفس بالأعمال الصالحة.

Modifier avec WPS Office

المبحث الثاني

دراسة المثل في قوله تعالى: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﮊ [إبراهيم:٢٤-٢٥].

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المَثَل.

المطلب الثاني: نوع المَثَل والغرض الذي ضُرِب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثَّل به.

المطلب الرابع: صورة الممثَّل له.

المطلب الخامس: الفوائد العَقَدية المستفادة من المَثَل.

Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
دلالة السياق الذي ورد فيه المثل

ورد هذا المثل العظيم في سورة إبراهيم ، والمتأمل في القضايا التي ذُكرت في السورة يلحظ التركيز على قضية هامة، ألا وهي ما يتعرض له المؤمنون أفراداً وجماعات من الفتن العظيمة بسبب تسلط شياطين الإنس و الجن عليهم، بقصد صدهم عن سبيل الله، بالتعذيب تارة، وبالوسوسة أخرى، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في بداية السورة، قال تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ [إبراهيم: ٢- ٣].

ثم أخذ السياق في بيان النوع الأول من الفتن التي يصد بها عن سبيل الله، وهي فتنة الطغاة والمجرمين،الذين تعرضوا للمؤمنين بأنواع العذاب، وذلك يتمثل في قصة موسى وقومه، وما جرى لهم من فرعون وقومه، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ [إبراهيم:٦].

ثم ذكر سبحانه طائفة من رسله ودعوتهم لأقوامهم، وما جرى بينهم من المحاورة والجدال، قال تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ [إبراهيم: ٩]، وما لاقاه أولئك الرسل من أقوامهم من الإيذاء والتهديد بالطرد من ديارهم، والإبعاد عن أوطانهم، وما قابل به الرسل ذلك من الصبر والتوكل على الله، حيث قالوا: ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ [إبراهيم:١٢-١٣] .

وبعد أن تحدث السياق عن النوع الأول من الفتن، وهي فتنة الكفار للمؤمنين بالإيذاء الحسي، ومحاولة صرفهم عن دينهم بالقوة والقهر، انتقل السياق للحديث عن نوع آخر من الفتن، وهي فتنة الإغواء بالشهوات و الشبهات، من شياطين الإنس والجن، فالشياطين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، قال تعالى: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼ [الأنعام: ١١٢]، وبدأ سبحانه بذكر تسلط شياطين الإنس على الضعفاء و المتبوعين، حتى أضلوهم عن الإيمان بالله ورسله، قال تعالى:ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ [إبراهيم:٢١] .

ثم ذكر فتنة إبليس اللعين وجنده من شياطين الجن، الذين دعوا الناس إلى الضلال والبعد عن الحق، ثم ذكر سبحانه أنهم اجتمعوا جميعاً في نار جهنم، وأن إبليس أخزاه الله، خطب فيهم معلناً تبرؤه منهم، وإلقاء الملامة عليهم، قال تعالى: ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ [إبراهيم:٢٢].

Modifier avec WPS Office

وفي أثناء هذا السياق الذي ورد فيه بيان الفتن التي تقع على عباد الله المؤمنين نجد إشارات إلى المخرج منها، فمن ذلك: قوله تعالى: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ فالصبار: كثير الصبر على البلاء، والشكور: كثير الشكر على النعماء[1]، فالفتن تكون بالسراء تارة وبالضراء أخرى، كما قال تعالى: ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁﰂ ﮊ [الأنبياء:٣٥].

وأكد سبحانه هذا المعنى بقوله: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﮊ [إبراهيم: ٧] وقوله: ﮋ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮊ [إبراهيم: ١١- ١٢]، فالشكر سبب للزيادة، والصبر والتوكل على الله سبب للنجاة.

ومن الأمور التي تحصل بها السلامة والنجاة من الفتن: مراقبة الله و الخوف منه ومن عقابه، قال تعالى: ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮊ [إبراهيم:١٤].

ثم ضرب سبحانه هذا المثل لبيان أعظم سبب للنجاة والتثبيت لعباده المؤمنين، وبدونه لا ينتفع بتلك الأسباب ولا تؤتي ثمارها النافعة، هذا السبب هو تأسيس الإيمان على الكلمة الطيبة، كلمة التوحيد، التي بينها سبحانه في ما أوحاه إلى رسله عليهم السلام، والاستمساك بالأصول العظيمة التي دلت عليها، قال تعالى: ﮋ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﮊ [إبراهيم: 24-25].

وقد أدرك الأنبياء عليهم السلام وأولياء الله المؤمنين عظم هذا الأمر، وأن التوحيد القائم على البراءة من عبادة الأصنام والأوثان هو السبب في استحقاق ولاية الله وحصولها للمؤمن، فهذا إبراهيم يتضرع إلى ربه أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام، قال تعالى: ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮊ [إبراهيم: ٣٥- ٣٦].

وخلاصة النظر في السياق: أن المثل جاء ليسهم في بيان جانب عظيم يتعلق بالقضية التي ركز عليها السياق، وهي ما يتعرض له المؤمن من الفتن وا لأذى من شياطين الإنس والجن، حيث بين سبحانه أعظم سبب للنجاة من هذه الفتن، ألا وهو التمسك بالإيمان القائم على كلمة الإخلاص الراسخة في القلوب، والتي بها تستجلب ولاية الله وعونه وتوفيقه، وبدونها لا يوفق العبد ولا يثبت، وإنما يخذل أمام الفتن، لفقده شرط الولاية وهو الإيمان.

(1) انظر: تفسير ابن كثير (524/2).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثاني
نوع المـَثـَل والغرض الذي ضـُرب من أجله

هذا المَثَل من الأمثال التشبيهية، شبه فيه المؤمن الذي كمّلَ إيمانه بالالتزام بشعب الإيمان، بالشجرة الطيبة ذات الأصول الثابتة والفروع الباسقة و الثمار اليانعة، قال أبو حيان -رحمه الله-: ((ولما شـُبـِّهت الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، كانت الكلمة أصلها ثابت في قلوب أهل الإيمان، وما يصدر عنها من الأفعال الزكية والأعمال الصالحة هو فرعها يصعد إلى السماء، إلى الله تعالى، ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﮊ[فاطر: ١٠]، وما يترتب على ذلك العمل وهو ثواب الله هو جناها))[1].

وهذا المَثَل من الأمثال المركبة، فالتشبيه حاصل من الهيئة المركبة من شجرة طيبة، لها أصل ثابت وفرع شامخ، وطلع وثمر، يقابلها هيئة المؤمن صاحب الإيمان الراسخ في القلب، والعمل الظاهر المستمر، والبركة والخير، فكل جزءٍ من هذه الأجزاء الثلاث في الممثّل به، يقابل جزءًا منها في الممثل له، ووجه الشبه: هو ثبات الأصل وعلو الفرع، وما ينتج من الثمرة في كلٍ.

وفي هذا المثل تشبيه معقول بمحسوس، حيث شبه الإيمان القائم بالمؤمن، وهو أمر معنوي، غير مشاهد بالحس، بالشجرة الطيبة وهي أمر محسوس ظاهر للعيان.

الغرض الذي من أجله ضُرب المَثَل:

القضية التي ورد المـَثـَل لتقريرها هي أجل القضايا وأعظمها، ألا وهي بيان أهم سبب تستجلب به ولاية الله لعبده وتثبيته إياه حال الفتن والشرور التي تستهدف دينه وعقيدته، هذا السبب هو تحقيق الإيمان القائم على العلم المستقى من الوحي، والمعبر عنه في أول المَثَل بقوله ﮋ ﯕ ﯖ ﮊ ، وفي ضمن ذلك بيان لحقيقة الإيمان وأنه قائم على التوحيد الخالص، المشبه بأصل الشجرة الطيبة الثابت في الأرض، والعمل الصالح المشبه بفرع الشجرة المعانق عنان السماء.

وقد أكد سبحانه الغرض الذي ضرب هذا المَثَل لأجله بعد ذكر المَثَل حيث قال تعالى: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﮊ[إبراهيم: ٢٧] .

قال الآلوسي -رحمه الله-:((ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ الذي ثبت عندهم وتمكن في قلوبهم، وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفتها العجيبة... وكذا قوله سبحانه:ﮋ ﭰ ﭱ ﭲ ﮊ أي يثبتهم بالبقاء على ذلك مدة حياتهم، فلا يزالون إذا قيض لهم من يفتنهم ويحاول زللهم عنه كما جرى لأصحاب الأخدود...))[2]، ومثل قصة أصحاب الأخدود، قصة الأنبياء الذين جرى ذكرهم في السورة.

---

(1) تفسير البحر المحيط (411/5).
(2) روح المعاني (217/13).

Modifier avec WPS Office

وقد ورد المثل أيضاً لتقرير بركة الإيمان وخيره على المؤمن في نفسه وعلى غيره، كما قال تعالى عن الشجرة الطيبة: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﮊ وكذلك المؤمن يرفع له عمل صالح إلى السماء بسبب بركة إخلاصه وتوحيده كل وقت، وينتفع من خيره وإحسانه المؤمنين، كما في الحديث:((خير الناس أنفعهم للناس))[1].

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، (58/6) حديث (5787)، وحسنه ا لألباني في صحيح الجامع (3289).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
صورة الممثّل به

ورد ذكر الممثّل به في الآية في قوله تعالى تشبيهاً للكلمة الطيبة بأنها:
ﮋﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﮊ [إبراهيم:٢٤-٢٥]، ففي هذا الجزء من الآية شبه سبحانه الكلمة الطيبة بأنها كشجرة طيبة، ووصف هذه الشجرة بأوصاف عدة، ولكن قبل الحديث عن هذه الأوصاف لابد من معرفة ما المقصود بهذه الشجرة.

المفسرون -رحمهم الله- اختلفوا في تعيين المراد بهذه الشجرة على أقوال عدة:

القول الأول: أنها النخلة، وبه قال جمهور المفسرين[1]، وحجتهم في ذلك: حديث ابن عمر قال، قال رسول الله((: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي؟)) فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله، قال:((هي النخلة))[2].

القول الثاني: أنها شجرة من الجنة، وبه قال ابن عباس[3].

القول الثالث: أنها كل شجرة مثمرة طيبة الثمار، وبه قال الزمخشري[4] ومال إليه ابن عطية[5].

القول الرابع: أنها شجرة جوز الهند، وبه قال علي وابن عباس رضي الله عنهما[6].

القول الخامس: أنها الأترجة، لأن النبي شبه المؤمن القارئ للقرآن بها[7].

---

(1) انظر: تفسير البحر المحيط (410/5).
(2) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب قول المحدث: حدثنا وأخبرنا وأنبأنا، حديث(61)، ومسلم، كتاب صفة الجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة، حديث (2811).
(3) انظر: تفسير الطبري (206-205/13)
(4) هو محمد بن عمر بن محمد، أبو القاسم جار الله الزمخشري، النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر، ولد سنة 467هـ، برع في علوم شتى، وكان داعية إلى الاعتزال، من تصانيفه: الكشاف في التفسير، والفائق في غريب الحديث، مات سنة 538هـ. انظر: لسان الميزان (4/6) والعبر في خبر من غبر (106/4).
(5) انظر: الكشاف (519/2)، والمحرر الوجيز (335/3).
(6) انظر: فتح الباري (378/8) وعمدة القاري (5/19) والدر المنثور (25/5).
(7) انظر: تفسير البحر المحيط (411-410/5).

Modifier avec WPS Office

والراجح من هذه الأقوال: ما ذهب إليه جماهير المفسرين من أنها النخلة لصحة الحديث الوراد فيها وصراحته، قال ابن جرير -رحمه الله- بعد أن ذكر القول الأول والثاني:((وأولى القولين بالصواب: قول من قال هي النخلة لصحة الخبر عن رسول الله))[1].

ويجاب عن بقية الأقوال بما يلي:

1. أن الله ضرب لهم مثلا ً بشجرة يعرفونها، فتفسيرها بأنها شجرة من شجر الجنة، أو أنها شجرة جوز الهند يتعارض مع هذا الأمر.

2. أن بقية الشجر التي فسرت بها لا تنطبق عليها الأوصاف الواردة في ا لآية، وهي قوله: ﮋ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﮊ

وقد وصف الله سبحانه هذه الشجرة بأربعة أوصاف:

الأول: أنها طيبة، والطيِّب في اللغة: ضد الخبيث، وهو في كل شيء بحسبه، فيقال: أرض طيبة إذا كانت صالحة للزراعة، وبلدة طيبة إذا كانت آمنة كثيرة الخير[2].

وهذا الوصف يشمل طيب الثمرة، وطيب المنفعة، فالنخلة كثيرة المنافع، عظيمة الفوائد، لا تنقطع فوائدها عن صاحبها في أغلب أوقات السنة.

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-:((وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعاً، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النوى في علف الدواب، والليف في الحبال، وغير ذلك مما لا يخفى))[3].

وقد ذكر الآلوسي-رحمه الله معنىً جميلا ً عند قوله تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﮊ [البقرة:٢٦٦]، قال:((وحيث جاء في القرآن ذكر هذين الأمرين-النخيل والأعناب- فإنما ينص على النخل دون ثمرتها، وعلى ثمرة الكرم دون شجرتها، ولعل ذلك لأن النخلة كلها منافع... وأعظم منافع الكرم: ثمرته دون سائره))[4].

الثاني: أن أصلها ثابت، لا تهزه الرياح، ولا تجرفه المياه، لشدة تمدد عروقها في الأرض، فالنخلة من أثبت الأشجار وأشدها تماسكاً أمام العواصف والرياح، وأمام السيول الجارفة.

الثالث: أن فرعها في السماء، وهذا الوصف يدل على كمال حال تلك الشجرة من وجهين: الأول: أن ارتفاع الأغصان وقوتها في التصاعد يدل على ثبات الأصل ورسوخ العروق، والثاني: أنها متى كانت مرتفعة كانت بعيدة عن

---

(1) تفسير الطبري (206/13).
(2) انظر: لسان العرب (564/1).
(3) فتح الباري (145/1).
(4) روح المعاني (37/3).

Modifier avec WPS Office

النجاسات والأوساخ، مما يؤدي إلى طيب الثمرة وحسنها[1].

الرابع: أن أكلها دائم في كل وقت، فالنخلة كثيرة المنافع والفوائد على مدار العام.

وقد اختلف العلماء -رحمهم الله- في معنى الحين في قوله تعالى:ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﮊ فذهب بعضهم إلى أن المعنى تؤتي أكلها كل وقت وَقَّته الله لها، وقال آخرون: كل سنة، وقيل: كل شهرين، وقيل: كل شهر، وقيل غير ذلك[2]، إ لا أن الآية تدل على أن ثمرها لا ينقطع، وهذا الذي حدا ببعض المفسرين إلى أن تفسيرها بأنها شجرة من شجر الجنة، لأن أشجار الجنة لا ينقطع ثمرها، وأما من فسرها بأنها النخلة فقد استشكل كون نخيل الدنيا يؤتي أكله كل حين.

والذي يظهر -والعلم عند الله-: أن التحديد بوقت محدد ليس مراداً في الآ ية، وإنما المقصود بيان بركة هذه الشجرة وأنها لا تنقطع فهي دائمة الثمر.

قال ابن جرير-رحمه الله-: ((وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عنى بالحين في هذا الموضع غدوة وعشية وكل ساعة، لأن الله تعالى ذكره ضرب ما تؤتى هذه الشجرة كل حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامه ِ مثلا ً، ولا شك أن المؤمن يرفع له إلى الله في كل يوم صالح من العمل و القول، لا في كل سنة، أو في كل ستة أشهر، أو في كل شهرين، فإذا كان ذلك كذلك فلا شك أن الم ـَثـ َل لا يكون خلافاً ً للممثـ ّل به في المعنى))[3].

وقال ابن كثير -رحمه الله-:((والظاهر من السياق: أن المؤمن م ـَثـ َلـ ُه كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء أو ليل أو نهار، كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين))[4].

ومن خلال التأمل في أمثال القرآن ندرك قاعدة عظيمة -سبقت الإشارة إليها-[5] وهي: أن صورة الممثل به المعروفة في واقعه إذا كانت لا تفي بحال الممثل له، فإنه يزاد في ألفاظ المثل ما يكمل تلك الصورة، فقوله تعالى: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﮊ لو كان المراد به كل وَقْتٍ وُقِّتَ لها لم يكن لقوله: ﮋ ﭒ ﭓﮊ فائدة، لأ ن ذلك أمر معلوم من حال الشجر جميعاً، فَلمّا احتيج إلى إيجاد مطابقة بين حال النخلة وحال المؤمن أضيفت هذه الإضافة لتكتمل صورة المطابقة بين

---

(1) انظر: التفسير الكبير للرازي (92/19)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.
(2) انظر: تفسير البحر المحيط (411/5).
(3) تفسير الطبري (210/13).
(4) تفسير ابن كثير (351/2).
(5) (ص65).

Modifier avec WPS Office

الحالين، فالتشبيه بنخيل الدنيا مع تخيل أنها تؤتي أكلها كل وقت أمر ممكن.

Modifier avec WPS Office

المطلب الرابع
صورة الممثّل له

لم يرد في الآية ما يدل على الممثّل له إلا قوله تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﮊ ، أما بقية تفاصيل الممثّل له فتفهم مما يقابل أجزاء الممثّل به، وقد تقدم أن الممثّل به مكون من شجرة طيبة لها أصل ثابت وفرع عالٍ، وثمر دائم، وكذلك الحال بالنسبة للممثّل له، فهو مركب من (كلمة) هي أساس الممثل له، وصفت بأنها طيبة، ومعتبر فيها ما يقابل أجزاء الممثّل به هذه.

المراد بالكلمة التي ضُرب لها المَثَل:

قبل الكلام على أجزاء الممثّل له، لا بد من تحديد المراد بالكلمة التي وصفت بأنها طيبة، وجعلت أساس المَثَل، وقد تنوعت عبارات المفسرين، في تحديد المراد بهذه الكلمة، وأهمها ما يأتي[1]:

1. أنها لا إله إلا الله، وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما .
2. أنها الإيمان، وبه قال مجاهد[2] والربيع بن أنس[3]-رحمهما الله-.
3. أنه المؤمن نفسه، وبه قال عطية العوفي.

وهذه العبارات لا تنافي بينها، فكلمة الإخلاص عليها مدار أصل الإيمان، إذ لا ينعقد إلا بالنطق بها مع اعتقاد ما دلت عليه من الأصول العظيمة، وبتكميل تلك الأصول علماً وعملاً يكمل الإيمان، وهذا مراد من قال: إنها الإيمان.

قال ابن القيم -رحمه الله-:((فشبه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع ، وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين، الذين يقولون الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله، فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة))[4].

---

(1) انظر: تفسير الطبري (13/203-204).

(2) هو مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج القرشي المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب، قال عنه الذهبي: شيخ القراء والمفسرين، ولد سنة 21هـ، أخذ التفسير آية آية عن ابن عباس رضي الله عنهما، وتفسيره مطبوع، توفي سنة 103هـ. انظر: تهذيب الكمال (27/228)، وسير أعلام النبلاء (4/449).

(3) هو الربيع بن أنس البكري أو الحنفي، بصري نزل خراسان، من خيار التابعين، قال عنه أبو حاتم: صدوق، وقال الحافظ ابن حجر: صدوق له أوهام، ورمي بالتشيع، توفي سنة 139هـ. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني (ص205)، ت: أبو الأشبال، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1416هـ. وسير أعلام النبلاء (6/169).

(4) إعلام الموقعين (1/171-172).

Modifier avec WPS Office

وأما من قال: المراد بها المؤمن، فلأن الإيمان لا يقوم إلا به، فشجرة الإ يمان إنما تنبت وتتفرع في قلب المؤمن وسائر جوارحه، فالإيمان إما أن يكون حقائق علمية مقررة في الكتاب والسنة، فلا يمكن وصفه بأن له أصل ثابت، وفرع عال، وثمر طيب، وإما أن يقوم بالمؤمن، فيصح أن يقال: إن له أصلا ً ثابتاً في قلبه، وأعمالا ً صالحة تقوم بجوارحه... ونحو ذلك، وهذا القول يشمل المعاني المتقدمة، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((فالكلمة الطيبة في قلوب المؤمنين، وهي العقيدة الإيمانية التوحيدية كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء))[1].

والكلمة الطيبة ليس المراد بها مجرد كلمة تقال باللسان، وإنما هي:((قضية جازمة، وعقيدة جامعة))[2]، فهذه الكلمة بأصولها وما تستلزمه شاملة للإيمان كله، والإيمان كما فسره النبي بضع وسبعون شعبة، أعظمها أركان الإيمان الستة المذكورة في حديث جبريل، ثم الفرائض والواجبات، ثم سائر المستحبات، فهذه الشعب كلها من لوازم الكلمة الطيبة.

إذاً: فالكلمة الطيبة لا ينحصر مدلولها على مجرد كلمة تقال، بل تعم أكثر من ذلك، فهي شاملة للإيمان كله، قولا ً واعتقاداً وعملا ً.

وهذا لا يتعارض مع التعبير عنها بأنها (كلمة) فإن العرب تسمي الكلام المجموع في نظم أو نثر كلمة، ولو كان كثيراً، قال ابن جرير-رحمه الله- عند قوله تعالى: ژ ه ه ه ژ [الأنعام:١١٥] : ((يقول تعالى ذكره: وکَ مَ ُلا َت كلمة ربك، يعني القرآن، سماه كلمة كما تقول العرب للقصيدة من الشعر يقولها الشاعر: هذه كلمة فلان))[3].

والقول بأن هذا المثل ينطبق على المؤمن هو الذي ورد به النص، وقاله طائفة من السلف، فعن ابن عمر قال: قال رسول الله :((مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء لا يسقط ورقها ولا يتحات))، فقال القوم: هي شجرة كذا، هي شجرة كذا، فأردت أن أقول هي النخلة وأنا غلام شاب فاستحييت، فقال: ((هي النخلة))[4]، قال ابن كثير-رحمه الله-: ((قال الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وغير واحد: إن ذلك عبارة عن عمل المؤمن وقوله الطيب وعمله الصالح، وإن المؤمن كشجرة من النخل، لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت وصباح ومساء))[5].

---

(1) مجموع الفتاوى (158/13).
(2) نفس المصدر.
(3) تفسير الطبري (9/8)
(4) تقدم تخريجه، وهذه رواية البخاري، كتاب الأدب، باب ما لا يستحيا من الحق للتفقه في الدين، حديث (6122).
(5) تفسير ابن كثير (531/2).

Modifier avec WPS Office

أهمية العلم لتحقيق الكلمة الطيبة:

وهذا المَثَل المضروب لهذه الكلمة الطيبة، لا يتحقق إلا للمؤمن الذي شهد بها شهادة موافقة لشهادة الله بها، قال تعالى: ﮋ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ[آل عمران:١٨]، فالله سبحانه قد شهد لنفسه بأنه المتفرد بالألوهية، المستحق للعبادة وحده.

قال ابن كثير-رحمه الله-:((شهد تعالى، وكفى به شهيدا ً، وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم وأصدق القائلين، ﮋ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮﮊ أي: المنفرد بالإلهية لجميع الخلائق))[1].

وقد بين الله هذه الشهادة وفصلها في الوحي المنزّل على رسوله ، قال تعالى ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ [النساء:١٦٦] .

قال ابن القيم-رحمه الله-:((**فإذا كان العلم صحيحا ً مطابقا ً لمعلومه الذي أنزل الله كتابه به، والاعتقاد مطابقا ً لما أخبر به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله**، والإخلاص قائم في القلب، والأعمال موافقة للأمر، والهدي و الدل والسمت مشابه لهذه الأصول، مناسب لها، علم أن شجرة الإيمان في القلب، أصلها ثابت وفرعها في السماء))[2].

فكل ما يتصل ببيان هذه الكلمة، من أصولها وحقها، ولوازمها وصفات أهلها وبراهينها، وبيان ما يضادها من الشرك وسائر ملل الطاغوت وبراهين بطلانه، وأشباه ذلك، قد ورد البيان المفصل له في الكتاب والسنة.

قال ابن القيم -رحمه الله-:((إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد... ولذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهد له به ملائكته وأنبياؤه ورسله، قال: ﮋ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮊ[آل عمران: ١٨- ١٩]... فتضمنت هذه الآية أ َجَ لّ َ شهادة، وأ َعظمها وأعدلها وأصدقها، من أ َجَ لّ ِ شاهد بأجل مشهود به))[3].

والممثل له في هذه الآية موصوف بأربعة أوصاف:

---

(1) تفسير ابن كثير (354/1).
(2) إعلام الموقعين (174/1).
(3) مدارج السالكين (449/3-450).

Modifier avec WPS Office

الوصف الأول: أنها طيبة.

وصفت الكلمة التي قامت بالمؤمن بأنها طيبة، قال تعالى: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ، وكلمة الإيمان طيبة باعتبار معانيها وما دلت عليه من الأ صول العظيمة.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((والكلمة أصل العقيدة، فإن الاعتقاد هو الكلمة التي يعتقدها المرء، وأطيب الكلام والعقائد كلمة التوحيد، واعتقاد أن لا إله إلا الله))[1].

وقد ذكر الحافظ ابن رجب -رحمه الله- شيئاً من فضائل هذه الكلمة، فقال:((وكلمة التوحيد لها فضائل...فهي كلمة التقوى... وهي كلمة الإخلاص، وشهادة الحق، ودعوة الحق، وبراءة من الشرك ونجاة هذا الأمر، ولأجلها خ لق الخلق، كما قال تعالى: ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ [الذاريات:٥٦]، ولأجلها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، كما قال تعالى:ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ [الأنبياء:٢٥]، وقال تعالى:ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ [النحل:٢] ... ولهذا قال ابن عيينة[2]:((ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله، وإن لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا)) ولأجلها أعدت دار الثواب ودار العقاب، ولأجلها أمرت الرسل بالجهاد، فمن قالها عصم ماله ودمه، ومن أباها فماله ودمه هدر، وهي مفتاح الجنة، ومفتاح دعوة الرسل، وبها كلم الله موسى كفاحا))[3].

كما أنها طيبة باعتبار من قامت به، فبها يدخل في الإسلام، ويشع نور الإ يمان في قلبه، فيعتقد الاعتقادات المباركة، ويعمل الأعمال الصالحة، وينطق با لأقوال الحسنة، قال تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [الزمر:٧٣] .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-:((ﭽ ﮛ ﭼ أي طابت قلوبكم بمعرفة الله ومحبته وخشيته، وألسنتكم بذكره، وجوارحكم بطاعته، ﭽ ﮜ ﭼ بسبب طيبكم ادخلوها خالدين، لأنها الدار الطيبة ولا يليق بها إلا الطيبون))[4]، وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ [يونس: ٩]،

---

(1) مجموع الفتاوى (74/4).

(2) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي، أبو محمد الكوفي ثم المكي، من أكابر علماء الإسلام عامة وأهل الحديث خاصة، ولد سنة 107هـ، كان ثقة حافظاً واسع العلم كبير القدر، مات سنة 198هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (262/1)، وتهذيب الكمال (177/11).

(3) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب (ص52-53)، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4، 1397هـ.

(4) تفسير السعدي (ص731).

Modifier avec WPS Office

وقال تعالى:ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﮊ[الحج: ٢٤].

وإذا قامت هذه الكلمة بالمؤمن فإنه ينال بها رضوان الله، والجزاء الحسن في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يدافع الله عنه، وينصره ويثبته ويحميه من الفتن، وفي الآخرة يدخله الجنة وينجيه من عذاب النار، قال تعالى: ﮋ �va ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ[البينة:٧-٨] .

ومن بركة هذه الكلمة: ما ينتج عنها من الخير العظيم، والنفع العميم، إذا اتخذها الناس دستوراً، ومنهج حياة، قال تعالى: ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮊ[الأنعام: ١١٥]، وقال تعالى: ﮋ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﮊ[الإسراء:٩]، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-:((وهذه الآية الكريمة، أجمل الله جلّ وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا عليه جميع القرآن العظيم، لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا و الآخرة))[1].

وقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﮊ[الأعراف:٩٦].

الوصف الثاني: أصل الإيمان القائم في قلب المؤمن.

فأصل الإيمان القائم في قلب المؤمن، يقابل أصل الشجرة الثابت في الأرض، المعبر عنه بقوله تعالى: ﮋ ﯼ ﯽ ﮊ.

والأصل هو: ما يُبنى عليه غيره، فالإيمان له أصل تنبني عليه بقية شعب الإيمان، لا يقوم الإيمان إلا به، وهو قائم في القلب.

قال شيخ الإسلام:((فالكلمة الطيبة في قلوب المؤمنين، وهى العقيدة الإيمانية التوحيدية، كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، فأصل أصول الإيمان ثابت في قلب المؤمن كثبات أصل الشجرة الطيبة، وفرعها في السماء ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﮊ[فاطر: ١٠] ، والله سبحانه مثّل الكلمة الطيبة، أي كلمة التوحيد بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، فبين بذلك أن الكلمة الطيبة لها أصل ثابت في قلب المؤمن، ولها فرع عال، وهى ثابتة في قلب ثابت، كما قال: ﮋ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ[إبراهيم: ٢٧] فالمؤمن عنده يقين وطمأنينة، والإيمان في قلبه ثابت مستقر، وهو في نفسه ثابت على الإيمان مستقر لا يتحول عنه))[2].

وقد فسر الأصل بهذا جماعة من السلف، قال ابن عباس رضي الله عنهما:((ﮋ ﯼ ﯽ ﮊيقول: لا إله إلا الله، ثابت في قلب المؤمن))[3].

---

(1) أضواء البيان (17/3).
(2) مجموع الفتاوى (158/13).
(3) تفسير الطبري (203/13).

Modifier avec WPS Office

وقال الربيع بن أنس-رحمه الله-:((فالإيمان: الشجرة الطيبة، وأصله الثابت الذي لا يزول: الإخلاص لله))[1].

الوصف الثالث: الأعمال الصالحة، وهي شعب الإيمان.

فالإيمان له فروع، تقابل فروع الشجرة المعبر عنها بقوله تعالى:ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﮊ [إبراهيم:٢٤].

وقد تنوعت عبارات المفسرين في بيان ما يقابل فرع الشجرة في الممثل له، فمنهم من قال[2]:

1. إنها الأعمال الصالحة، الصاعدة إلى السماء، وهو مروي عن ابن عباس.
2. إنها خشية الله، وهو مروي عن الربيع بن أنس.

والناظر في أقوال المفسرين يجد أنهم يرجعون تفسير ﮋﮔ ﮕﮊ و ﮋﭫﮊ إلى الأعمال الصالحة الصاعدة إلى السماء.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقاً لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب، التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت))[3].

مع العلم أن فرعها جزء لا ينفك عنها، وأكلها الذي هو ثمرها الطيب ينتج عنها، ولا ينتفع به إلا بانفصالها عنها، فينبغي أن يفرق بينهما في الدلالة بما يناسب حال المؤمن.

والمتأمل في حال المؤمن يجد أنه يقوم بأعمال صالحة يكون بها كامل الإ يمان، وهذه الأعمال يستحق بها الثواب وهو غير الأعمال، وإنما هو من آثارها الذي يستحقه بسببها.

كما أن المؤمن يصدر عنه أفعال متعدية، يتعدى نفعها وبركتها إلى العباد، كالأخلاق الحميدة، والخصال الحسنة، من بذلٍ للمعروف، وإعانةٍ على الخير، وما إلى ذلك، فهذه أفعال تصدر منه، ويتعدى نفعها إلى غيره من الناس.

والأولى أن يفسر كل جزء من أجزاء الممثل به بما يقابله من حال المؤمن، فيفسر فرع الشجرة بالأعمال الصالحة القائمة بالمؤمن، والتي هي من جنس ا لإحسان في عبادة الله، ولا يتعدى نفعها للناس، فإذا قامت هذه الأعمال على أصل ثابت في القلب هو الإخلاص، وأداها على وفق مراد الله، فإن هذا علامة على قبولها، فإذا قبلت استحق عليها العبد الثواب العظيم من الله سبحانه.

ويفسر ثمرها ببركة المؤمن وخيره، الذي يتعدى نفعه لعباد الله.

فالأعمال الصالحة هي فروع الإيمان، وهي من آثار رسوخ الكلمة الطيبة

---

(1) نفس المصدر (204/13).

(2) انظر: نفس المصدر.

(3) إعلام الموقعين (172/1).

Modifier avec WPS Office

في القلب، فإذا رسخت في قلب المؤمن ظهر أثر ذلك على جوارح العبد، فقال الخير وعمل الخير.

وسيأتي في الفوائد -إن شاء الله- بيان علاقة العمل بالإيمان.

الوصف الرابع: بركة المؤمن.

المؤمن له بركة تقابل بركة الشجرة الطيبة المعبر عنه بقوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﮊ [إبراهيم:٢٥].

وقد أشار النبي إلى هذا المعنى حين شبه المؤمن بالنخلة، فقد ورد في بعض روايات الحديث أن النبي قال:((إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم))[1].

وسيأتي في الفوائد -إن شاء الله- الإشارة إلى شيء من بركات المؤمن.

(1) تقدم تخريجه، وهذه رواية البخاري، كتاب الأطعمة، باب أكل الجمار، حديث (5444).

Modifier avec WPS Office

المطلب الخامس
الفوائد العَقدية المستفادة من المَثَل

وفيه ست فوائد:
الفائدة الأولى: دلالة المَثَل على أن للإيمان أصلا ً ثابتاً في القلب، وبيان حقيقة ذلك الأصل.
الفائدة الثانية: دلالة المَثَل على أن الأعمال الصالحة جزء من الإ يمان.
الفائدة الثالثة: دلالة المَثَل على أن للإيمان شُعَباً.
الفائدة الرابعة: دلالة المَثَل على بركة المؤمن.
الفائدة الخامسة: دلالة المَثَل على أن التوحيد أعظم سبب لتثبيت المؤمن على الحق.
الفائدة السادسة: أوجه مشابهة المؤمن للنخلة.

Modifier avec WPS Office

الفائدة الأولى

دلالة المَثَل على أن للإيمان أصلاً ثابتاً في القلب، وبيان حقيقة ذلك الأصل

الإيمان له أصل وكمال، فأصله: التصديق القلبي بما دلت عليه أركان الإيمان الستة المبينة في حديث جبريل ، حين سأل النبي عن الإيمان فأجابه النبي بقوله:((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))[1].

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((فأصل الإيمان في القلب، وهو قول القلب وعمله، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد))[2].

ومما يدل على أن الإيمان له أصل في قلب المؤمن: قوله تعالى: ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭾ[النحل:١٠٦].

قال ابن جرير-رحمه الله-: ((فتأويل الكلام إذن:ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈﭼ على الكفر ، فنطق بكلمة الكفر بلسانه، وقلبه مطمئنّ بالإيمان، موقن بحقيقته ، صحيح عليه عزمه))[3].

وقال تعالى: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ[المجادلة:٢٢] قال البغوي-رحمه الله-: ((أثبت التصديق في قلوبهم، فهي موقنة مخلصة))[4].

وقال تعالى: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ[الشعراء:٨٩] .

قال ابن جرير-رحمه الله-: ((والذي عني به من سلامة القلب في هذا الموضع: هو سلامة القلب من الشك في توحيد الله، والبعث بعد الممات))[5]. فالأصل الثابت في القلب هو السالم من الشك والريب، قال تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﭼ[الحجرات:١٥].

فإذا صلح أصل الإيمان في القلب، وقام على أساس صحيح، فإن بقية شعب الإيمان تصلح بصلاحه، كما في الحديث عن النبي أنه قال:((ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهي القلب))[6].

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: ((والعبادة أصلها عبادة القلب المستتبع

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث (8)، وأخرجه البخاري بنحوه، كتاب الإيمان،باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان...، حديث (50).
(2) مجموع الفتاوى (644/7).
(3) تفسير الطبري (182/14).
(4) تفسير البغوي (313/4).
(5) تفسير الطبري (87/19).
(6) تقدم تخريجه (ص100).

Modifier avec WPS Office

للجوارح، فإن القلب هو الملك والأعضاء جنوده، وهو المضغة الذي إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد))[1].

(1) مجموع الفتاوى (6/2).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثانية
دلالة المَثَل على أن الأعمال الصالحة جزء من الإيمان

العلاقة بين العمل والإيمان عند أهل السنة والجماعة علاقة وثيقة، فالعمل عندهم ركن من أركان الإيمان لا يقوم الإيمان إلا به.

قال شيخ الإسلام: ((والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف، وهو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأنه يجوز الاستثناء فيه))[1].

وقد أشارت إلى ذلك النصوص من الكتاب والسنة؛ قال تعالى: ژ ٹ ڈ ڎ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ژ [الأنفال: ٢ – ٤]، وقال سبحانه: ژ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ژ [الحجرات:١٥]، وفي الحديث: ((الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان))[2].

وقد دل المَثَل على هذه القضية، وذلك أن مقتضى المقابلة بين النخلة و المؤمن، أن يكون للإيمان أصل في القلب، وفرع على الجوارح، كالنخلة.

فالإيمان لا يقوم إلا باعتقاد وعمل، لا يجزئ أحدهما عن الآخر.

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((الإيمان له ظاهر وباطن، وظاهره: قول اللسان وعمل الجوارح، وباطنه: تصديق القلب وانقياده ومحبته، فلا ينفع ظاهر لا باطن له، وإن حُقن به الدماءُ، وعُصم به المالُ والذرية. ولا يجزئ باطن لا ظاهر له؛ إلا إذا تعذر بعجز أو إكراه وخوف وهلاك، فتخلف العمل ظاهراً مع عدم المانع دليلٌ على فساد الباطن وخلوه من الإيمان))[3].

وهذا المعنى الذي دل عليه المثل بين وجه الدلالة منه شيخ الإسلام -رحمه الله- في إشارة لطيفة إلى الترابط بينهما، حيث قال: ((وإذا قام بالقلب التصديق به والمحبة له لزم ضرورة أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة، والأعمال الظاهرة، فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلب ولازمه ودليله ومعلوله، كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضاً تأثير فيما في القلب، فكل منهما يؤثر في الآخر، لكن القلب هو الأصل والبدن فرع له، والفرع يستمد من أصله، والأصل يثبت ويقوى بفرعه، كما في الشجرة التي يضرب بها المثل لكلمة الإيمان، قال تعالى:

---

(1) المصدر السابق (505/7).
(2) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، حديث (9)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان...، حديث (35).
(3) الفوائد (ص283).

ﮋﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﮊ [إبراهيم: ٢٤-٢٥]، وهي كلمة التوحيد، والشجرة كلما قوي أصلها وعرق وروي، قويت فروعها، وفروعها أيضا ً إذا اغتذت بالمطر والريح أثر ذلك في أصلها))[1].

فالله سبحانه مثل المؤمن بشجرة ذات فرع باسق ممتد إلى السماء، ذو ثمر دائم يخرج كل حين، ولم يمثل المؤمن بشجرة لا فرع لها ولا ثمر، مع إمكان التشبيه بذلك، وهذا له أبلغ الدلالة على أن المؤمن لابد له من عمل صالح يظهر على جوارحه، حتى يتواطأ ما يعتقده مع ما يعمله، وقد خلق الله الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ومقتضى هذه العبادة أن يؤدوا ما فرض عليهم من العبادات الظاهرة كالصلاة والصوم والحج والجهاد بحسب التكليف والاستطاعة.

قال شيخ الإسلام:((وقد تبين أن الدين لابد فيه من قول وعمل، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمنا ً بالله ورسوله بقلبه أو بقلبه ولسانه، ولم يؤد واجبا ً ظاهرا ً ولا صلاة ً ولا زكاة ً ولا صياما ً ولا غير ذلك من الواجبات، لا لأجل أن الله أوجبها مثل أن يؤدي الأمانة أو يصدق الحديث أو يعدل في قسمه وحكمه من غير إيمان بالله ورسوله، لم يخرج بذلك من الكفر فإن المشركين وأهل الكتاب يرون وجوب هذه الأمور، فلا يكون الرجل مؤمنا ً بالله ورسوله مع عدم شيء من الواجبات التي يختص بإيجابها محمد))[2].

(1) مجموع الفتاوى (7/541-542).
(2) المصدر السابق (7/621).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثالثة
دلالة المثل على أن للإيمان شُعَباً

إذا أطلق الإيمان فإنه يشمل جميع ما أمر الله به من الطاعات، فلا يختص بالباطن دون الظاهر، ولا العكس، وهذا ما دل عليه حديث الشعب، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة عن النبي أنه قال: ((الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة ا لأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان))[1]، وقد اختلفت الروايات في تحديد عدد الشعب، كما اختلف العلماء -رحمهم الله- في بيان المراد منها.

أما روايات الحديث فقد ورد عدد الشعب فيها على عدة ألفاظ، فمنها:

1. رواية الشك، وهي عند مسلم حيث وردت بلفظ: ((بضع وسبعون أو بضع وستون)).
2. أنها بضع وسبعون شعبة، وهي عند مسلم.
3. أنها بضع وستون، وهي عند البخاري.
4. أنها أربعة وستون باباً، وهي من رواية الترمذي[2].

وغير ذلك من الروايات، وقد اختلف العلماء -رحمهم الله- في الترجيح بين هذه الروايات، فرجح ابن الصلاح[3] الأقل, وهي رواية البخاري لأنها المتيقن وما عداه مشكوك فيه، ورجح الحليمي[4] والقاضي عياض[5] رواية الأكثر لأنها

(1) تقدم تخريجه قريباً (ص150).

(2) كتاب الإيمان، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، حديث (2614).

(3) هو عثمان بن صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان، تقي الدين، أبو عمرو الشهرزوري، المعروف بابن الصلاح، الشافعي، ولد سنة 577هـ، وبرع في علوم الحديث والفقه وغيرهما، وكان من أعلام الدين، متبحراً في الأصول والفروع، يضرب به المثل في الزهد والورع، توفي سنة 643هـ، من تصانيفه: علوم الحديث، والأمالي. انظر: وفيات الأعيان (243/3)، و الوافي بالوفيات (26/20).

(4) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، أبو عبد الله القاضي الحليمي البخاري، قال عنه الحاكم: أوحد الشافعيين بما وراء النهر.اهـ، ولد سنة 338هـ، وانتقل إلى بخاري صغيراً وكتب الحديث حتى صار رئيس أصحاب الحديث، من تلاميذه الحاكم صاحب المستدرك، توفي سنة 403هـ، من مصنفاته: المنهاج في شعب الإيمان. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (333/4)، وتذكرة الحفاظ (1030/3).

(5) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو، أبو الفضل اليحصبي المغربي، ولد سنة 476هـ، أصله من الأندلس ثم تحول جده إلى فاس، طلب العلم

Modifier avec WPS Office

زيادة ثقة فتقبل، أما رواية الترمذي فهي معلولة وعلى فرض صحتها لا تعارض رواية البخاري، ويمكن توجيه رواية الشك بأن الشعب قد يضم بعض أفرادها إلى بعض إذا كانت من جنس واحد فتصبح بضعاً وستين، وقد يفصل في ذلك فيجعل كل فرد من ذلك الجنس شعبة مستقلة فيكون بضعاً وسبعين، وهذا ما ذكره الحافظ ابن حجر بعد أن عَدّ الشعب[1].

ثم إن السلف -رحمهم الله- اختلفوا في العدد هل هو مراد أو غير مراد،.

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-:((فإن قيل: فأهل الحديث والسنة عندهم أن كل طاعة فهي داخلة في الإيمان، سواء كانت من أعمال الجوارح أو القلوب أومن الأقوال، وسواء في ذلك الفرائض و النوافل، هذا قول الجمهور الأعظم منهم، وحينئذ؛ فهذا لا ينحصر في بضع وسبعين، بل يزيد على ذلك زيادة كثيرة، بل غير منحصرة، قيل : يمكن أن يجاب عن هذا بأجوبة:

أحدها: أن يقال: إن عدد خصال الإيمان عند قول النبي كان منحصراً في هذا العدد، ثم حدثت الزيادة فيه بعد ذلك، حتى كملت خصال الإيمان في آخر حياة النبي ، وفي هذا نظر.

والثاني : أن تكون خصال الإيمان كلها تنحصر في بضع وسبعين نوعاً، وإن كانت أفراد كل نوع تعدد تعدداً كثيراً، وربما لا تنحصر، وهذا أشبه وإن كان الوقوف على ذلك يتعسر أو يتعذر.

والثالث: أن ذكر السبعين على وجه التكثير للعدد، لا على وجه الحصر... وهذا ذكره بعض أهل الحديث من المتقدمين، وفيه نظر.

والرابع: أن هذه البضع وسبعين هي أشرف خصال الإيمان وأعلاها، وهو الذي تدعو إليه الحاجة منها، قاله ابن حامد[2] من أصحابنا))[3].

وتفقه على جماعة من علماء عصره حتى صار من أهل العلم الكبار والتفنن والذكاء، من مصنفاته: شرح صحيح مسلم، وترتيب المدارك، توفي سنة 544هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (1304/4)، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي (ص168)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(1) انظر: فتح الباري لابن حجر (52/1-53).

(2) هو الحسن بن حامد بن علي بن مروان، أبو عبد الله البغدادي، إمام الحنابلة في زمانه ومدرسهم ومفتيهم، كان بارعاً في الفقه وأصوله، من تصانيفه: الجامع في الفقه، وشرح مختصر الخرقي، وغيرها، توفي سنة 403هـ. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (171/2)، ت: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت. وشذرات الذهب (166/3).

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن رجب الحنبلي، (34/1-35)، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى، 1417هـ.

Modifier avec WPS Office

وقد حاول بعض العلماء -رحمهم الله- عد تلك الشعب.

قال ابن حجر -رحمه الله-: ((قال القاضي عياض:((تكلف جماعة حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد، وفي الحكم بكون ذلك هو المراد صعوبة، ولا يقدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل في الإيمان))اهـ، ولم يتفق من عد الشعب على نمط واحد، وأقربها إلى الصواب طريقة ابن حبان، لكن لم نقف على بيانها من كلامه))[1].

وممن جمع الشعب: الحليمي في كتابه (المنهاج)، والبيهقي في (شعب الإ يمان).

وقد جمعها ابن حبان -رحمه الله-[2] في كتابه (وصف الإيمان وشعبه) واجتهد في ذلك ولكنه كتاب مفقود.

وقد لخص الحافظ ابن حجر ما أورده العلماء من كلامه في ذلك حيث قا ل: ((ولم يتفق من عد الشعب على نمط واحد، وأقربها إلى الصواب طريقة ا بن حبان، لكن لم نقف على بيانها من كلامه، وقد لخصت مما أوردوه ما أذكره...))[3].

ولم يرد في النصوص عد لتلك الشعب، وذلك حتى يجتهد المؤمن في عد تلك الشعب، وهذا من مقاصد الشارع، ومثل شعب الإيمان: الأسماء الحسنى، فقد بين النبي أن من أحصاها دخل الجنة، ولم يرد في النص حصر لها ولا إحصاء.

(1) فتح الباري (52/1).

(2) هو محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم البستي التميمي، قال عنه الحاكم:((كان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ، ومن عقلاء الرجال))، من مصنفاته: المسند الصحيح، والثقات، توفي سنة 354هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (131/3)، وشذرات الذهب (16/3).

(3) فتح الباري (52/1).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الرابعة
دلالة المَثَل على بركة المؤمن

البركة: ((ثبوت الخير الإلهي في الشيء))[1]، قال ابن القيم-رحمه الله-:((البركة كلها له تعالى ومنه، فهو المبارك ومن ألقى عليه بركته فهو المبارك، ولهذا كان كتابه مباركا ً، وبيته مباركا ً، والأزمنة والأمكنة التي شرفها واختصها عن غيرها مباركة، فـ َـﺎ َيلـ َة ُ القدر مباركة، وما حول الأقصى مبارك، وأرض الشام وصفها بالبركة في أربعة مواضع من كتابه أو خمسة))[2].

ومن صفات عباد الله المؤمنين: أنهم مباركون في أقوالهم وأعمالهم، وقد وصف الله أنبيائه بالبركة فقال سبحانه عن خليله إبراهيم : ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ [الصافات:١١٣]، وقال على لسان عيسى :ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮊ [مريم:٣١].

قال ابن القيم-رحمه الله-:((فالمبارك كثير الخير في نفسه، الذي يحصله لغيره تعليما ً وإقدارا ً ونصحا ً وإرادة ً واجتهاداً ً، ولهذا يكون العبد مباركا ً لأن الله بارك فيه وجعله كذلك))[3].

والمؤمن تتمثل بركته في النفع الذي يحصل بسببه أينما حل، بل إن بركته تتعدى إلى الكفار.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((وقد يدفع العذاب عن الكفار والفجار لئلا يصيب من بينهم من المؤمنين، ممن لا يستحق العذاب، ومنه قوله تعالى: ﮋﭺ ﭻ ﭼ ﭽﮊ إلى قوله:ﮋﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ [الفتح:٢٥]، فلولا الضعفاء المؤمنون الذين كانوا بمكة بين ظهراني الكفار عذب الله الكفار... فبركات أولياء الله الصالحين باعتبار نفعهم للخلق بدعائهم إلى طاعة الله، وبدعائهم للخلق، وبما ينزل الله من الرحمة ويدفع من العذاب بسببهم حق موجود))[4].

وهناك جوانب كثيرة تتجلى فيها بركة أهل الإيمان، منها[5]:

1. دعوة الناس إلى الله سبحانه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
2. الإحسان إلى الآخرين بما يستطيعون.
3. ما يحصل من الخير ببركة دعائهم.
4. حصول الخير والبركة في حياة الناس، والنصر على الأعداء ببركة

---

(1) المفردات في غريب القرآن (ص44).
(2) بدائع الفوائد (412/2).
(3) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام, لابن القيم (ص 168)، ت: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، ط2، 1407هـ.
(4) مجموع الفتاوى (113/11-114).
(5) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه للجديع (ص91-99)، مكتبة الرشد، الرياض، ط6، 1428هـ.

Modifier avec WPS Office

طاعتهم وصلاحهم، قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞﮊ [الأعراف:٩٦].

5. ما يندفع من الشرور والمصائب والعذاب ببركة صلاحهم وتقواهم، قال تعالى: ﮋ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﮊ [هود:١١٧].

ومنافع المؤمن قد تستمر حتى بعد موته، يقول النبي ﷺ: ((إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))[1].

(1) أخرجه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث (1631).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الخامسة

دلالة المَثَل على أن التوحيد أعظم سبب لتثبيت المؤمن على الحق

الثبات على الدين من أعظم المطالب بعد الإيمان بالله، وذلك أن شياطين الإنس والجن تسعى في صرف المؤمن عن دينه بكل ما تستطيع، كما قال تعالى: ﮋ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮊ [البقرة:١٠٩]، وقال سبحانه:ﮋ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ[النساء: ٨٩]، ولكن الله سبحانه قد تكفل بالثبات على الدين والاستقامة عليه لكل من حقق التوحيد، فيثبته سبحانه بالقول الثابت الذي في قلبه.

قال ابن القيم -رحمه الله-:((وتحت قوله: ﮋ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﮊ كنز عظيم، من وفق لمظنته، وأحسن استخراجه واقتناءه، وأنفق منه فقد غنم، ومن حـ ُر ِمه فقد حـ ُر ِم، وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله طرفة عين، فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما ، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه، عبده ورسوله :ﮋ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﮊ[الإسراء: ٧٤]، وقال تعالى لأكرم خلقه:ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ [الأنفال: ١٢]...

فالخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت، ومادة التثبيت وأصله ومنشؤه من القول الثابت، وفعل ما أ ُمر به العبد، فبهما يثبت الله عبده، فكل ما كان أثبت قولا ً وأحسن فعلا ً كان أعظم تثبيتا ً، قال تعالى:ﮋ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﮊ[النساء: ٦٦]، فأثبت الناس قلبا ً أثبتهم قولا ً، والقول الثابت هو القول الحق والصدق، وهو ضد القول الباطل الكذب، فالقول نوعان: ثابت له حقيقة وباطل لا حقيقة له، وأثبت القول: كلمة التوحيد ولوازمها، فهي أعظم ما يثبت الله بها عبده في الدنيا والآخرة... فما منح العبد منحة أفضل من منحة القول الثابت، ويجد أهل القول الثابت ثمرته أحوج ما يكونون إليه في قبورهم ويوم معادهم))[1].

وقد بين الله ما يكون به التثبيت وهو القول الثابت، وأعظمه التوحيد، فمن حقق التوحيد في قلبه حصل له من الثبات بقدر ذلك، ومن فرط حصل له من الحيرة والضلال بحسب ما أخل به من واجبات التوحيد، وإذا وقع في الشرك الأكبر تخلى الله عنه بالكلية عياذاً بالله.

وقد ربط الله سبحانه بين ثبات المؤمن وحيرة المشرك، في قوله جل شأنه: ﮋ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ[الأنعام:٧١]، فأهل التوحيد على طريق الخير سائرون، لا يحيدون عنه ولا يميلون، بخلاف من أشرك به سبحانه فإن الشياطين تتلاعب به وتحرفه عن طريق الحق يمنة ويسرة، فلا

---

(1) إعلام الموقعين (1/176-177).

Modifier avec WPS Office

يجد إلى الخير طريقاً ولا إلى النجاة سبيلا ً.

والتثبيت على القول الثابت لا يقتصر على الدنيا فقط، بل يثبتهم الله سبحانه في القبر عند سؤال الملكين وامتحانهم، فمن كان من أهل التوحيد ثبت الله قلبه فنطق بالحق فسلم، ومن كان من أهل النفاق والكذب فإن قلبه يزيغ عن الحق ويضطرب، ويقول:((هاه، هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته))[1]، فالتثبيت في ذلك الموقف وسداد القول لا يتوقف على حذق ا لإنسان ومدى معرفته بإجابة ما سُئِلَ عنه، بل يجيب بقدر ما وقر في قلبه من الحق، وما انقاد له من الصدق، يقول النبي كما في حديث البراء بن عازب ((المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا ً رسول الله، فذلك قوله: ﮋ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴﭵﮊ))[2].

(1) تقدم تخريجه (ص122).
(2) تقدم تخريجه (ص122).

Modifier avec WPS Office

الفائدة السادسة
أوجه مشابهة المؤمن للنخلة

العلاقة بين النخلة والإنسان علاقة حميمة، لا تقتصر على مجرد الانتفاع فقط، بل تمتد إلى التشابه الخَلقي أيضاً، وقد أشار إلى ذلك القرطبي-رحمه الله-[1] بقوله:((أنها برأسها تبقى وبقلبها تحيا، وثمرها بامتزاج الذكر والأنثى، وقد قيل: إنها لما كانت أشبه الأشجار بالإنسان شبهت به، وذلك أن كل شجرة إذا قطع رأسها تشعبت الغصون من جوانبها، والنخلة إذا قطع رأسها يبست وذهبت أصلا ً، ولأنها تشبه الإنسان وسائر الحيوان في الالتقاح، لأنها لا تحمل حتى تلقح))[2].

وهذا التقارب بين النخلة والإنسان من جهة العموم، ليس هو الذي لأجله شبه الله المؤمن بها؛ لأنها أشياء مشتركة بين بني آدم، مؤمنهم وكافرهم، ولكن هناك صفات في النخلة تُشابه صفات المؤمن، وقد ذكر الله سبحانه أبرزها في الآية، وهي التي يقوم عليها التشبيه.

ولما كانت النخلة شبيهة الإنسان، فلا غرابة أن يكون فيها صفات تشبه المؤمن أيضاً، وقد اجتهد الإمام ابن القيم -رحمه الله- في تلمس تلك الأوجه في كتابه (مفتاح دار السعادة)، حيث قال -رحمه الله-: ((ثم تأمل هذه النخلة التي هي إحدى آيات الله، تجد فيها من الآيات والعجائب ما يبهرك، فإنه لما قُدِّرَ أن يكون فيه إناث تحتاج إلى اللقاح جعلت فيها ذكور تلقحها بمنزلة الحيوان وإناثه، ولذلك اشتد شبهها من بين سائر الأشجار بالإنسان خصوصا ً بالمؤمن، كما مثله النبي ،وذلك من وجوه كثيرة...))[3]، وعد منها عشرة أوجه، وقد أضاف الدكتور عبد الرزاق البدر -حفظه الله- إلى ما ذكره الإمام ابن القيم عدة أوجه، فبلغ مجموع ما ذكر ثمانية عشر وجهاً[4]، وهي كما يلي:

الأول: أن النخلة لا بد لها من عروق وساق وفروع وورق وثمر، وكذلك شجرة الإيمان لا بد لها من أصل وفرع، فأصلها: الإيمان بالأصول الستة

---

(1) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي القرطبي، المفسر الفقيه، إمام متفنن متبحر في العلم، توفي سنة 671هـ، من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن، والأسنى في أسماء الله الحسنى. انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان للذهبي (74/50)، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ. و الديباج المذهب (ص317).

(2) الجامع لأحكام القرآن (360/9).

(3) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم (230/1)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(4) انظر: تأملات في مماثلة المؤمن للنخلة (24-50) مع تصرف يسير.

Modifier avec WPS Office

المعروفة، وفرعها: الأعمال الصالحة، والطاعات المتنوعة، والقربات العديدة، وثمراتها: كل خير يحصله المؤمن، وكل سعادة يجنيها في الدنيا والآخرة .

الثاني: أن النخلة لا تبقى حية إلا بمادة تسقيها و تنميها فهي لا تحيا إلا إذا سقيت بالماء، فإذا حبس عنها الماء ذبلت، وإذا قطع عنها تماما ً ماتت، فلا حياة لها بدونه، وهكذا الشأن في المؤمن لا يحيا الحياة الحقيقية ولا تستقيم له حياته إلا بسقي من نوع خاص، وهو سقى قلبه بالوحي، كلام الله وكلام رسوله.

الثالث: أن النخلة شديدة الثبوت، كما قال الله تعالى: ﮋ ﯨ ﯩ ﮊ وهكذا الشأن في الإيمان إذا رسخ في القلب، فإنه يصير في أشد مما يكون من الثبات لا يزعزعه شيء، بل يكون ثابتا ً كثبوت الجبال الرواسي.

الرابع: أن النخلة لا تنبت في كل أرض، بل لا تنبت إلا في أرض معينة طيبة التربة، فهي في بعض الأماكن لا تنبت مطلقا ً، وفي بعضها تنبت ولكن لا تثمر، وفي بعضها تثمر ولكن يكون الثمر ضعيفا ً، فليس كل أرض تناسب النخلة، وهكذا الشأن في الإيمان فهو لا يثبت في كل قلب، وإنما يثبت في قلب من كتب الله له الهداية وشرح صدره للإيمان.

الخامس: أن النخلة قد يخالطها دغل ونبت غريب ليس من جنسها قد يؤذي النخلة، ويضعف نموها، ويزاحمها في سقيها، ولهذا تحتاج النخلة في هذه الحالة إلى رعاية خاصة وتعاهد من صاحبها، بحيث يزال عنها الدغل و النوابت المؤذية، فإن فعل ذلك ﮐ ﮑ ﮒ غرسه، وإن أهمله أوشك أن يغلب على الغرس فيكون له الحكم ويضعف الأصل، وهكذا الأمر بالنسبة للمؤمن، لا شك أنه يصادفه في الحياة أمور كثيرة قد توهن إيمانه وتضعف يقينه، وتزاحم أصل الإيمان الذي في قلبه، ولهذا يحتاج المؤمن أن يحاسب نفسه في كل حين، ويجاهدها في ذلك، ويجتهد في إزالة كل وارد سيء على القلب، ويبعد عن نفسه كل أمر يؤثر على الإيمان.

السادس: أن النخلة كما أخبر الله ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﮊ والأ ﮐ ﮒ الثمر، فهي تؤتي ثمرها كل حين، ليلا ً ونهارا ً، صيفا وشتاء، إما تمرا ً أو بسرا ً أو رطبا ً، وكذلك المؤمن فبركته حيثما كان، وفي جميع الأزمان.

السابع: أن النخلة فيها بركة في كل جزء من أجزائها، فليس فيها جزء لا يستفاد منه، وهكذا الشأن بالنسبة للمؤمن.

الثامن: أن النخلة كما وصفها النبي ﷺ قال :((لا يسقط ورقها))[1]، وبين المسلم والنخلة في هذا وجه شبه يتضح بما رواه الحارث بن أبي أسامة[2] في

---

(1) جزء من حديث تقدم تخريجه (ص118).

(2) هو الحارث بن محمد بن أبي أسامة، أبو محمد التميمي، صاحب المسند، كان حافظاً عارفاً بالحديث، عالي الإسناد، ولد سنة 186هـ، وتوفي سنة 282هـ. انظر: لسان الميزان (157/2)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي

Modifier avec WPS Office

هذا الحديث من وجه عن ابن عمر ولفظه: قال: كنا عند رسول الله ذات يوم فقال:((إن مثل المؤمن كمثل شجرة لا تسقط لها أنملة، أتدرون ما هي؟)) قالوا: لا، قال:((هي النخلة، لا تسقط لها أنملة، ولا تسقط لمؤمن دعوة))[1].

التاسع: أن النخلة وصفت في الآية أنها طيبة، وهذا أع ـم من طيب المنظر والصورة والشكل، ومن طيب الريح وطيب الثمر وطيب المنفعة، والمؤمن أجل ُ صفاته: الطيب في شؤونه كلها وأحواله جميعه ـا، في ظاهره وباطنه وسره وعلنه... فالطيب أجل صفات المؤمنين وأجمل نعوتهم وأحسن حليتهم في أحوالهم كلها، في أقوالهم وأعمالهم وفي حركاتهم وسكناتهم وشؤونهم جميعها ً.

العاشر: أن النخلة وصفت بأنها: ((ما أخذت منها من شيء نفعك))[2]، كما في حديث ابن عمر، وهكذا الشأن بالنسبة للمؤمن مع إخوانه وجلسائه ورفقائه، لا يُرى فيه إلا الأخلاق الكريمة، والآداب الرفيعة، والمعاملة الحسنة، والنصح لجلسائه، وبذل الخير لهم، ولا يصل إليه منهم ما يضر، بل لا يصل إليهم منه إلا ما ينفع، كالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، والخلق الجميل، و العون والمساعدة ونحو ذلك، فهو كالنخلة ما أخذت منها من شيء نفعك.

الحادي عشر: أن النخل فيه تفاوت عظيم في شكله ونوعه وثمره، فليست النخيل على مستوى واحدٍ في الحسن والجودة، وهكذا الشأن بين المؤمنين، فليسوا في الإيمان على درجة واحدة.

الثاني عشر: أن النخلة أصبر الشجر على الرياح والجهد، فكذلك المؤمن صبور على البلاء، لا تزعزعه الرياح، وقد اجتمع فيه أنواع الصبر الثلاثة: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معاصيه، والصبر على أقداره المؤلمة.

الثالث عشر: أن النخلة كلما ازداد عمرها كان ذلك أزيد في خيرها، وكذلك المؤمن إذا طال عمره ازداد خيره وحسن عمله.

الرابع عشر: أن قلب النخلة -وهو الجُمّار-[3] من أطيب القلوب وأحلاها، وكذلك

قلب المؤمن من أطيب القلوب وأحسنها، لا يبطن إلا الخير ولا يبطن سوى الاستقامة والصلاح والسلامة.

(8/ 218)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(1) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، (965/2) برقم (1056)، وأورده ابن حجر في المطالب العالية (826/13).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (157/2)، برقم (13514)، وصححه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة (2285).

(3) ((الجُمّارُ: شحم النخل الذي في قمة رأسه، تقطع قمته ثم تكشط من جمّارة في جوفها بيضاء كأنها قطعة سنام ضخمة)) تهذيب اللغة (53/11).

Modifier avec WPS Office

الخامس عشر: أن النخلة لا يتعطل نفعها بالكلية أبداً، بل إن تعطلت منها منفعة ففيها منافع أخرى، وهكذا المؤمن لا يخلو عن شيء من خصال الخير قط، بل إن أجدب منه جانب من الخير أخصب منه جانب آخر، فلا يزال خيره مأمولا ً وشره مأموناً.

السادس عشر: أن النخلة سهل تناول ثمرتها ومتيسر، فهي إما قصيرة فلا يحتاج المتناول أن يرقاها، وإما باسقة فصعودها سهل بالنسبة إلى صعود الشجر الطوال غيرها، فتراها كأنها هيأت منها المراقي والدرج إلى أعلاها، وكذلك المؤمن خيره سهل قريب لمن رام تناوله، لا بالغر ولا باللئيم.

السابع عشر: أنها ثمرتها حلوة لذيذة الطعم، وكذلك الإيمان له حلاوة لا يذوقها إلا صحيح الإيمان، يقول ((ثلاثٌ من كن فيه وجد حلاوة الإيمان...))[1].

الثامن عشر: من طريف ما يذكر من تطابق النخلة في كل أجزائها مع المؤمن: ما ذكره ابن القيم -رحمه الله- حيث قال: ((وقد طابق بعض الناس هذه المنافع وصفات المسلم، وجعل لكل منفعة منها صفة في المسلم تقابلها، فلما جاء إلى الشوك الذي في النخلة جعل بإزائه من المسلم صفة الحدة على أعداء الله وأهل الفجور، فيكون عليهم في الشدة والغلظة بمنزلة الشوك، وللمؤمنين والمتقين بمنزلة الرطب حلاوة ولينا ً، ﮋ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﮊ [الفتح:٢٩]))[2].

فهذه مجموعة من الوجوه التي تشبه النخلة فيها المؤمن، ومع التأمل قد يُتوصل إلى أكثر من ذلك، ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ [يوسف: ٧٦].

---

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث (16)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حديث (174).
(2) مفتاح دار السعادة (232/1).

Modifier avec WPS Office

المبحث الثالث

دراسة المَثَل في قوله تعالى:

ﮋ ۓ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ﮊ [الملك: ٢٢]

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المَثَل.

المطلب الثاني: نوع المَثَل والغرض الذي ضُرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثّل به.

المطلب الرابع: صورة الممثّل له.

المطلب الخامس: الفوائد العقَدية المستفادة من المَثَل.

Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
دلالة السياق الذي ورد فيه المثل

هذا المثل ورد في سورة الملك، ومن خلال التأمل في السورة ندرك أنها عرضت فريقين من الناس:

الأول: الذين كفروا بربهم، وقد توعدهم الله بالعذاب الأليم، وذلك لأنهم لم ينتفعوا بما جاءتهم به الرسل من البينات، ولم يشاهدوا بعقولهم مظاهر القدرة والعظمة التي ذكر الله شيء منها في ثنايا هذه السورة العظيمة، قال تعالى: ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﮊ [الملك: 6- ١١]، فالكفار في هذه الآيات أقروا على أنفسهم بالإعراض عن سماع الآيات التي جاءت بها الرسل سماع قبول واستجابة، ولم يتفكروا في هذه الشواهد العظيمة الدالة على تفرده تعالى بالخلق والتدبير التي تستلزم إفراده وحده بالعبادة.

قال ابن كثير -رحمه الله-:((أي لو كانت لنا عقول ننتفع بها، أو نسمع ما أنزله الله من الحق، لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم))[1].

الثاني: الذين انتفعوا بالبينات والشواهد على إفراد الله بالعبادة، فآمنوا بالرسل وبما جاءوا به من الحق، وقد وعدهم الله بالمغفرة والأجر العظيم، قال تعالى: ﮋ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭑ ﭒ ﮊ[الملك: ١٢].

وقد ذكر الله بعد ذلك أنواعاً من التهديدات لمن كفر به وأعرض عن الحق الذي دعت إليه رسله، وحذرهم من الأمن من مكره، فقال سبحانه: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮊ [الملك: ١٦- ١٧].

ثم بين سبحانه بعد ذلك بعض دلائل قدرته وحاجة العباد إليه وحده، مع التعريض بآلهة المشركين، وأنها لا تقدر على شيء من ذلك، فقال سبحانه: ﮋ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﮊ [الملك: ٢٠- ٢١]، فهذه الآلهة الباطلة لا تستطيع نصركم إن نزل بكم البلاء، ولا تملك رزقكم إن منع الله الرزق عنكم، فكيف تصرفون لها العبادة مع عجزها التام عن شيء من ذلك، إن عبادتكم لها مع علمكم بأنها لا تقدر على شيء من ذلك من الغرور الذي غركم به الشيطان، ونظير هذا المعنى قوله تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ

---

(1) تفسير ابن كثير (398/4).

ﯯﯰﯱ ﯲ ﯳﯴﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﮊ [يونس:٣١] وقوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﮊ [النحل: ٧٣] .

ثم ضرب الله مثلا ً بين فيه حال الفريقين من جهة انتفاعهم بما أعطاهم الله من العقول وبما أرسل إليهم من الرسل، وأن منهم من استجاب لداعي الفطرة وشاهد العقل، وما دعا إليه المرسلون، فهو كمن يمشي سوياً على صراط مستقيم، ومنهم من خالف ذلك فحاله كحال من يمشي مكباً على وجهه، قد خالف الخلقة السليمة والطريقة المستقيمة التي خلق الله الناس عليها.

وخلاصة دراسة السياق: أن الله سبحانه وتعالى بين حال الناس بالنسبة لـ لاستجابة لدلائل العقل وشواهد القدرة المنظورة في الكون، وما غرس في النفوس من الإقرار بالتوحيد والنفور من الشرك، وأن الناس انقسموا بإزائها إلى قسمين، وجاء المثل ليسهم في بيان جانب من جوانب القضية، وشيئاً من حقيقة كلا الفريقين في مَثَلٍ صَوّر حالهما بصورة تدرك العقول من خلالها مناسبة كل حال لما ضربت له، مرغبة في طريق المهتدين، ومنفرة من طريق المكذبين الضالين.

Modifier avec WPS Office

المطلب الثاني
نوع المـ ـثَـ ـلَ والغرض الذي ضـ ـرُب من أجله

هذا المَثَل من قبيل الأمثال التشبيهية، حيث شبه سبحانه المشرك بمن يسير مكباً على وجهه تاركاً الطريق المستقيم، وشبه المؤمن بمن يمشي سوياً على طريق مستقيم.

وفي كلٍ من الجزأين ذُكر الممثّل به، وترك الممثّل اكتفاءً بظهوره وجلائه بالنسبة للمخاطب.

قال الشيخ عبد الرحمن الميداني-رحمه الله-:((ولم يأت في النص ما يدل على أنه مَثَلٌ، بل نُزّل الممثّل به منزلة الممثّل له تماماً، فكأنه هو))[1]، وهذا من أساليب القرآن الكريم في التمثيل.

قال ابن تيمية-رحمه الله-: ((وبعض المواضع يذكر الله سبحانه الأصل المعتبر به، ليستفاد حكم الفرع منه ، من غير تصريح بذكر الفرع، كقوله: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ إلى قوله: ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ [البقرة:٢٦٦]))[2].

وهذا المثل من الأمثال المركبة، قال الميداني:((إذا حَلَّلنَا المَثَل أمكننا أن نجعله من قبيل التمثيل المركب، وإذا تتبعنا العناصر أمكننا أن نعتبره من قبيل العناصر المتلاقية التي تقابل أمثالها في الممثّل له))[3].

وفي هذا المَثَل شبه معقول بمحسوس، حيث شُبِّه حال الكافر وحال المؤمن، والكفر والإيمان معنويان، بحال من يمشي مكباً على وجهه، ومن يمشي سوياً معتدل القامة، وهما أمران محسوسان.

الغرض الذي من أجله ضُرب المَثَل:

ضرب هذا المَثَل لبيان عظمة إخلاص العبادة لله، والترغيب في التوحيد ببيان أنه هو الموافق للفطرة، والتنفير من الشرك وبيان مناقضته لها، ومع ما في هذا المثل من التنفير من الشرك، فقد تجلت فيه أهمية التوحيد وحاجة البشر إليه لتستقيم فطرهم، وتصلح أحوالهم، ففي الآيات التي سبقت المَثَل بين الله سبحانه عظم حاجة العباد وفقرهم إليه، وأن رزقهم ونصرهم بيده وحده دون ما سواه، فناسب المقام أن يعقبه بذكر هذا التشبيه للتأكيد على أنه وحده المستحق للعبادة.

كما أن في ضرب هذا المثل دعوة إلى التوحيد بذكر ما تميز به الموحد من الاستقامة على الحق ومراد الله، والسير على الصراط المستقيم، والتنفير من ضده وهو الشرك وبيان انتكاسة صاحبه وبعده عن الفطرة السوية والجادة

---

(1) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع (ص334).
(2) مجموع الفتاوى (57/14).
(3) أمثال القرآن (ص333).

Modifier avec WPS Office

المستقيمة.

وهذا الصيغة الاستفهامية التي صيغ المثل على هيئتها تشتمل على تنبيه العقول إلى الشيء المستفهم عنه، فليس الغرض من هذه الصياغة طلب الجواب عن الاستفهام، بل المراد التنبه إلى أن ذلك الأمر يحتاج إلى نظر وتأمل ومقارنة بين الحالين، ومن ثمّ اختيار ما هو الأهدى سبيلا ً والأقوم منهجاً وطريقاً.

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
صورة الممثّل به

ورد ذكر الممثّل به في قوله تعالى: ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ [الملك: ٢٢]، فالممثل به في هذه الآية مركب من حالتين متقابلتين، وكل حالة مشتملة على أمرين هما: السالك للطريق وصفته، والطريق الذي يمشي عليه وهيئته.

الحال الأولى: حال من يمشي مكباً على وجهه، وهذه الصورة صورة افتراضيه، لشخص يمشي وهو منكب على وجهه غير معتدل القامة[1]، قال الشيخ عبد الرحمن الميداني -رحمه الله-: ((الصورة التمثيلية في المثلين، منتزعة من الواقع، مع بعض فقرات قد تكون منتزعة من الخيال، إذ قد لا نجد سائراً في متاهة مكباً على وجهه))[2].

وهذا الانكباب على الوجه لا شك في أنه مشي مختل، يخالف المشية السوية للإنسان، بل هو إلى البهائم أقرب، فهي التي تمشي ووجوها منكسة إلى الأرض، ثم إن مِنْ طبيعة المكب على وجهه أنه لا يبصر ما أمامه، لذلك لا يمشي في طريقه سوياً مستقيماً على جادة واحدة، فلا بد من مراعاة شيئين في هذه الحالة:

1. أن هذا الشخص منكب على وجهه كالبهائم، وهذا يدل على اختلال في الخلقة.
2. أنه مع ذلك يمشي على طريق غير مستقيم، وهذا اقتضاه التقابل بين هذه الحال والحال الأخرى المقابلة لها، فإذا كان الآخر يمشي على صراط مستقيم، فإن ذلك يعني أن هذا لا يمشي على الصراط المستقيم وإنما يمشي على طريق معوج مائل.

قال ابن عاشور -رحمه الله-:((وقد حصل في الآية إيجاز حذف إذ استغني عن وصف الطريق بالالتواء في التمثيل الأول لدلالة مقابلته بالاستقامة في التمثيل الثاني))[3].

الحال الثانية: حال من يمشي سوياً معتدل القامة، فهو بذلك قد وافق الطبيعة التي خلق عليها الإنسان، وهذه الاستقامة تمكنه من السير على الجادة الصحيحة، والطريق المستقيم، وذلك لتمكنه من النظر تلقاء وجهه، فالشخص في هذه الحالة موصوف بصفتين:

1. أنه يمشي معتدل القامة، وهذا دل عليه قوله: ﮋ ﯟ ﮊ ودل عليه أيضاً مقتضى التقابل بين الحالين، فإذا كان الأول منكباً على وجهه، فهذا ليس

(1) انظر: تفسير القرطبي (219/18)، وتفسير ابن كثير (400/4).
(2) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع (ص333).
(3) التحرير والتنوير (46/12).

Modifier avec WPS Office

كذلك بل هو منتصب القوام مرفوع الرأس.

2. أنه سائرٌ على الطريق المستقيم، سالم من التخبط والحيرة.

وقد سلك المفسرون مناحي شتى في توجيه المراد بالمثل، وذلك حتى يصلوا إلى صورة حقيقية واقعية يفسرون بها المثل، فمنهم من ذهب إلى أن ا لاكباب على الوجه معناه السقوط عليه، وأن سبب ذلك السقوط هو وعورة الطريق وصعوبة السير عليه، ومنهم من ذهب إلى أن السائر على الدرب أعمى لا يبصر ما يعرض له أثناء سيره فكلما مشى قليلا ً سقط على وجهه، وغير ذلك[1].

ولكن متى أمكن أن نحمل الكلام على ظاهره من غير أن نزيد في الصورة التشبيهية، كان ذلك أولى من أن نزيد فيها ما لم يُنص عليه، أو تدل عليه قرينة، وما ذكرناه من الصورة التشبيهية ممكن ومتصور، ويشهد له ظاهر اللفظ، فينبغي المصير إليه.

(1) انظر: التفسير الكبير (64/30).

Modifier avec WPS Office

المطلب الرابع
صورة الممثّل له

تقدم أن الآية الكريمة لم يرد فيها التنصيص على الممثّل له، ولكن دل على ذلك سياق الكلام، وتقدم أيضاً أن الممثّل به مركب من جزأين متقابلين، وكذلك الحال في الممثّل له، فهو يدل على صنفين من الناس، بَيّن المَثَل حالهما، وحال الطريق التي يسيرون عليها، والدين الذي ينتهجون، فالمشرك والموحد يُشْبِهَان السالِكيْن، والشرك والتوحيد يشبهان المسلكين[1]:

أما الصنف الأول: فهو المشرك الذي صرف العبادة لغير الله سبحانه وتعالى، وهو بذلك قد خالف الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والميثاق الذي أخذه على بني آدم، يقول تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﮊ [الروم:٣٠]، ويقول سبحانه: ﮋ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [الأعراف:١٧٢].

وعن عياض بن حمار[2] قال، قال النبي ﷺ: يقول الله عز وجل: ((... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا))[3]، فهذه الأدلة وغيرها تدل على أن فطرة الناس جميعاً هي التوحيد، والتوجه إلى الله وحده بالعبادة، إذا سلمت تلك الفطرة من الصوارف عن الحق.

فالتوحيد وإسلام الدين لله متفق مع ما جُبِلت عليه النفس، وأما الشرك فهو انتكاس في الفطرة، واختلال فيها، يخالف ما جُبلت عليه، ومن هنا نعلم وجه الشبه بين المشرك وبين من يمشي مكباً على وجهه، فالمكب على وجهه مختل الخلقة منكوسها، والمشرك مختل الفطرة منكوسها كذلك[4].

ويؤكد هذا: ما شبه به النبي ﷺ ولادة المولود على الفطرة، حيث قال:((كما

---

(1) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (366/5)، دار الفكر، بيروت، 1402هـ.

(2) هو عياض بن حمار بن أبي حمار المجاشعي التميمي، كان صديقاً للنبي ﷺ قبل الإسلام، وروى عنه أحاديث، روى له مسلم وأصحاب السنن، وذكروا أنه كان من أصحاب الصفة. انظر: الاستيعاب (1233/3)، والإصابة (752/4).

(3) أخرجه مسلم، كتاب الجنة ونعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث (2865).

(4) انظر: أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع (ص333).

Modifier avec WPS Office

تُنْتِج البهيمةُ بهيمةً جمعاء[1]، هل تحسون فيها من جَدْعاء[2]))[3]، فبين أن البهيمة تولد سليمة من العيب الخَلقي، والعيب طارئ عليها، وكذلك المولود يولد سالماً من الانحراف الفطري، وبعد ذلك يطرأ عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:((فإن حقيقة الإسلام أن يستسلم لله لا لغيره، وهو معنى لا إله إلا الله، وقد ضرب رسول الله مثل ذلك فقال:((كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء))، بين أن سلامة القلب من النقص كسلامة البدن، وأن العيب حادث طارئ))[4].

فهذا التشبيه الوارد في الحديث يشبه تماماً التشبيه الوارد في الآية، ويتفق معه في المؤدى والنتيجة، فكما أن الانتكاس في الفطرة يقابله العيب في الخِلقَة في الحديث، فهو كذلك في الآية، إلا أن الحديث مَثّل بالبهائم، والآية ضربت المثل بابن آدم نفسه، بما يشاهده في خلقته.

وهذا الحال الذي شبه به حال الكافر في الدنيا هو ما سيكون عليه حاله في الآخرة، فإن الكافر يوم القيامة يمشي على وجهه، كما قال تعالى: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮊ[الإسراء:٩٧].

وفي الصحيحين عن أنس أن رجلا قال: يا رسول الله: كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال:((أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟))[5].

قال ابن كثير -رحمه الله- بعد أن فسر هذا المثل:((هذا مثلهم في الدنيا وكذلك يكونون في الآخرة، فالمؤمن يحشر يمشي سويا على صراط مستقيم، مفض به إلى الجنة الفيحاء، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم))[6].

ومن سنة الله سبحانه أن من كان في الدنيا على حال فإنه يحشر عليها في الآخرة، كما قال تعالى:ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ[الإسراء: ٧٢]،

(1) ((أي: لم يذهب من بدنها شيء، سميت بذلك لاجتماع أعضائها)). فتح الباري (250/3).
(2) ((الجدعاء: المقطوعة الأذن)). فتح الباري (250/3).
(3) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، حديث (1358)، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى: كل مولود يولد على الفطرة... حديث (2658).
(4) مجموع الفتاوى (245/4).
(5) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الحشر، حديث (6523)، ومسلم، كتاب صفة الجنة والنار، باب يحشر الكافر على وجهه، حديث (2806).
(6) تفسير ابن كثير (400/4).

Modifier avec WPS Office

وقال عن المنافقين:ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﮊ [المجادلة: ١٨].

قال ابن كثير-رحمه الله-:((أي: يحلفون بالله عز وجل أنهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا، لأن من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه))(1) .

ومما اشتمل عليه النوع الأول من المثل: بيان انحرافه عن الطريق الصحيح، فهو لا يمشي سوياً مستقيماً على الطريق الصحيح، بل يتخبط ذات اليمين وذات الشمال، وكذلك حال المشرك، فلما حاد عن الفطرة السوية، و المنهج القويم، تفرقت به السبل، وأضله الله فلم يهتد إلى الصراط المستقيم، كما قال تعالى: ﮋ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﮊ [النساء: ١٦٨- ١٦٩]، ولو تأملنا قوله تعالى: ﮋ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ...ﮊ [الأنعام: ٧١] لوجدنا فيه أعظم دلالة على هذا المعنى.

قال ابن عباس رضي الله عنهما عند هذه الآية:((هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها، وللدعاة الذين يدعون إلى الله عز وجل، كمثل رجل ضل عن الطريق تائهاً ضالاً، إذ ناداه منادٍ يا فلان بن فلان هلم إلى الطريق، وله أصحاب يدعونه: يا فلان هلم إلى الطريق، فان اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه في الهلكة، وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق))(2).

فانظر كيف شبه من يعبد الآلهة الباطلة التي يدعو إليها الشيطان، بمن ضل في متاهة من الأرض، والجن تتلاعب به وتبعده عن الجادة الصحيحة حتى يهلك من الجوع والعطش، والمشرك كذلك تتلاعب به الشياطين فيسير في عبادته للآلهة الباطلة، وهو يظن أنه على شيء، حتى يأتيه الموت، وهو على تلك الحال، فيكون من الهالكين المعذبين في نار جهنم وبئس المصير.

قال ابن عاشور -رحمه الله-: ((فالمشرك يتوجه بعبادته إلى آلهة كثيرة، لا يدري لعل بعضها أقوى من بعض، وأعطفُ على بعض القبائل من بعض، فقد كانت ثقيف يعبدون اللات، وكان الأوس والخزرج يعبدون مناة، ولكل قبيلة إله أو آلهة، فتقسموا الحاجات عندها، واستنصر كل قوم بآلهتهم وطمعوا في غنائها عنهم، وهذه حالة يعرفونها فلا يمترون في أنهم مضرب المثل الأول، وكذلك حال أهل الإشراك في كل زمان، ألا تسمع ما حكاه الله عن يوسف عليه السلام من قوله: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﮊ [يوسف: ٣٩]))(3).

الصنف الثاني: المؤمن الموحد، الذي لا يعبد إلا الله عز وجل، ففطرته

(1) نفس المصدر (329/4).
(2) تفسير الطبري (236/7).
(3) التحرير والتنوير (45/12).

Modifier avec WPS Office

سليمة لم تصرفها الصوارف عن الحق[1]، وهذا ما دلت عليه النصوص السالفة الذكر، من أن الموحد على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأن الشرك عارض وليس بأصل، وعليه فيكون وجه تشبيه المؤمن بمن يمشي سوياً، هو كون كل واحد منهما قد وافق طبيعته التي خلقه الله عليها، فالسائر وهو معتدل القوام قد سلم من الاختلال في خلقته، والموحد المخلص قد سلم من الانحراف في فطرته.

ومما تركبت منه الصورة التمثيلية مما يتعلق بهذا الصنف: بيان كونه على طريق مستقيم، وهذا هو حال طريق الحق، فمن سار عليه هداه إلى رضوان الله والجنة، كما قال تعالى: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮊ [يس: ٦٠ - ٦١]، فالتوحيد هو الطريق الوحيد الموصل إلى جنات الخلد، فصاحبه موعود بالمغفرة والرحمة كما قال تعالى: ﮋ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ [النساء: ٤٨] وهو المستحق وحده لدخول الجنة وغيره من المشركين محرمة عليه، كما قال تعالى: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ [المائدة: ٧٢]، وقد وصف الله نبيه محمداً ﷺ بأنه يهدي إلى صراط مستقيم، قال تعالى: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ [الشورى: ٥٢ - ٥٣] وأمره بالثبات على هذا الصراط فقال: ﮋ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮊ [الزخرف: ٤٣].

ومن خلال ما تقدم نعلم أن ما جاء به النبي ﷺ وأعظمه التوحيد هو الصراط المستقيم، ونعلم مدى التشابه بينه وبين السائر على الطريق الحسي، وأن استقامة الطريق الحسي يقابله في الممثل الاستقامة على الطريق المعنوي، فكل منهما مستقيم في دربه الذي يوصله إلى مقصوده ومطلوبه.

---

(1) انظر: أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع (ص333).

Modifier avec WPS Office

المطلب الخامس
الفوائد العَقَدية المستفادة من المَثَل

وفيه ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: دلالة المَثَل على أن التوحيد هو الفطرة.

الفائدة الثانية: دلالة المَثَل على أن الموحد سائر على الصراط المستقيم.

الفائدة الثالثة: دلالة المَثَل على أن الكافر منحرف عن الفطرة السوية.

Modifier avec WPS Office

الفائدة الأولى
دلالة المثل على أن التوحيد هو الفطرة

الفطرة: قوة تقتضي طلب معرفة الحق وإيثاره على ما سواه[1]، ومن رحمة الله بالإنسان أن فَطَره على ما يميز به بين الطيب والخبيث، والضار و النافع، ولو لم يكن عنده هذه الملكة لما استقامت حاله وصلح شأنه، ولتخبط في حياته بين النظريات والتوجهات، ولما استطاع أن يهتدي إلى الحق إذا دعي إليه، لعدم وجود الدافع من داخله لقبوله.

وقد بينت النصوص أن الإنسان مولود على الفطرة، وأن تغييرها إنما يحصل بأمور عارضة، أعظمها: تنشئة الوالدين، يقول النبي :((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))[2].

وقد اختلف العلماء -رحمهم الله- في معنى الفطرة الوارد في النصوص، على خمسة أقوال[3]:

الأول: أن الفطرة هي معرفة الله، والإقرار بربوبيته.

الثاني: أن كل مولود يولد على هيئة يتمكن بها من معرفة ربه إذا بلغ حد المعرفة.

الثالث: أنها الإسلام، وهو قول عامة السلف.

الرابع: أن الفطرة هي ما ابتدئ عليه خلق المولود، من كونه شقياً أو سعيداً، مؤمناً أو كافراً.

الخامس: أن الفطرة هي ما قضاه الله وقدره على عباده من أول حياتهم إلى آخرها.

وقد ناقش العلامة ابن القيم -رحمه الله- هذه الأقوال جميعاً، وبين أن الراجح الذي عليه الإجماع والآثار المنقولة عن السلف أن الفطرة هي الإسلام، وعزا ذلك إلى شيخه الإمام ابن تيمية -رحمه الله-، وذكر الأدلة الدالة على أن هذا المعنى هو الذي يتعين المصير إليه، فمن ذلك:

أولا ً: قوله تعالى: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﮊ [الروم: ٣٠]، وقول النبي : يقول الله:((إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين فحرموا عليهم ما أحللت لهم))[4]، فالحنيفية هي الإسلام العام، وهي الميل عن

---

(1) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم (ص304)، ت: محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، 1398هـ.

(2) هو طرف من حديث أبي هريرة السابق تخريجه (ص175).

(3) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (18/68-96)، ت: مصطفى بن أحمد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلا مية، المغرب، 1387هـ.

(4) تقدم تخريجه قريباً (ص174).

Modifier avec WPS Office

الشرك إلى التوحيد، وقد وصف الله خليله إبراهيم بأنه كان حنيفاً مسلماً، قال تعالى:ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮊ[آل عمران: ٦٧].

ثانياً: قوله :((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))[1]، فقوله: ((يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)) دليل على أنه كان على الإسلام، وإلا لما كان لذكر ذلك فائدة، ولقال: ويسلمانه، ولكن أراد أن يبين أنه كان على حال، وأن أبواه يصرفانه عنها.

ثالثاً : أن ذلك هو قول عامة السلف وأهل التأويل ، كما نقله عن ابن عبد البر - رحمه الله[2].

وذكر غيرها من الأدلة[3]، ثم بين أن كون العبد مفطوراً على الإسلام لا يعني أنه حين يخرج من بطن أمه يكون مريداً لهذا الدين، ولكن فطرته تميل إليه وتختاره إذا سلمت من المعارض، قال -رحمه الله:((ومما ينبغي أن يعلم أنه إذا قيل: إنه ولد على الفطرة أو على الإسلام أو على هذه الملة أو خلق حنيفاً ، فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده، فإن الله يقول: ﮋ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﮊ[النحل: ٧٨]، ولكن فطرته موجبة مقتضية لدين الإسلام لقربه ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئاً بعد شيء، بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض))[4].

فالفطرة غريزة تميل إلى معرفة الله والتوجه إليه والإخلاص له من جهة الإجمال، وهذا لا يستلزم أن تعبده كما أمر على ألسن رسله، إذ الفطرة لا تستقل بمعرفة ذلك، ما لم يأتها رسول يبين لها ما تدركه بسبب الفطرة التي جبلت عليها.

قال ابن القيم -رحمه الله-:((فالفطر مركوز فيها معرفته ومحبته والإخلاص له والإقرار بشرعه وإيثاره على غيره، فهي تعرف ذلك وتشعر به مجملاً ومفصلاً بعض التفصيل، فجاءت الرسل تذكرها بذلك وتنبهها عليه وتفصله لها وتبينه وتعرفها الأسباب المعارضة لموجب الفطرة المانعة من اقتفائها أثرها،

---

(1) تقدم تخريجه (ص175).

(2) هو يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، أبو عمر، ولد سنة 368هـ، طلب الحديث واشتهر به حتى صار محدثاً فقيهاً، كان سيد أهل زمانه في الحفظ والإتقان، ولم يكن بالأندلس مثله، من تصانيفه: التمهيد، والاستذكار ، والاستيعاب، توفي سنة 463هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (1123/3)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص431)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403 هـ.

(3) انظر: شفاء العليل (ص283-287).

(4) المصدر السابق (ص289).

Modifier avec WPS Office

وهكذا شأن الشرائع التي جاءت بها الرسل، فإنها أمر بمعروف ونهي عن منكر، وإباحة طيب وتحريم خبيث، وأمر بعدل ونهي عن ظلم، وهذا كله مركوز في الفطرة وكمال تفصيله وتبيينه موقوف على الرسل، وهكذا باب التوحيد وإثبات الصفات فإن في الفطرة الإقرار بالكمال المطلق الذي لا نقص فيه للخالق سبحانه، ولكن معرفة هذا الكمال على التفصيل مما يتوقف على الرسل ، وكذلك تنزيهه عن النقائص والعيوب، هو أمر مستقر في فطر الخلائق))[1].

ومن خلال ما تقدم ندرك رحمة الله بعباده، وأنه لم يترك لهم طريقاً يدركون به عبادته وطاعته إلا دلهم عليه فجبلهم على التوحيد، وأرسل إليهم الرسل ليردوهم إلى داعي الفطرة، ومقتضى الطبيعة، وركب فيهم العقول التي تدرك أحقيته بالعبادة، لما أبدع في هذا الكون من كمال الصنع وعظيم الخلق، وما ركب فيهم من بديع الخلق وجمال التركيب، كل ذلك ليستقيم العباد على توحيد الله وإفراده بالعبادة.

(1) نفس المصدر (ص301-302).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثانية
دلالة المَثَل على أن الموحد سائر على الصراط المستقيم

الصراط هو الطريق، وفي عدد من الآيات القرآنية استعير لفظ الصراط للدلالة على طريق الحق، مع إضافة الوصف بالاستقامة لذلك الطريق، من هذه الآيات قوله تعالى: ﮋﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﮊ[الفاتحة:٦- ٧]، وقوله: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ ﮊ [الأنعام: ١٥٣]، وغيرها من الآيات.

وقد جاءت النصوص لتوضح أن إفراد الله بالعبادة هو الصراط المستقيم، قال تعالى:ﮋﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ[آل عمران:٥١]، وقال جل شأنه: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﮊ[يس: ٦٠- ٦١] ، فمن أفرد الله وحده بالعبادة، وعبده دون ما سواه فهو سائر على الصراط المستقيم ، ومن انحرف عن ذلك وصرف شيء من العبادة لغير الله، فقد انحرف عن هذا الصراط وحاد عنه.

وقد أمرنا الله سبحانه أن ندعوه في كل ركعة من صلاتنا أن يهدينا إلى الصراط المستقيم، وذلك أن الشيطان حريص على إيقاع بني آدم في الشرك وعبادة الأوثان.

فعن ابن مسعود قال: خط لنا رسول الله خطا ً فقال:((هذا سبيل الله))، ثم خط خطوطا ً عن يمينه وعن شماله ثم قال:((وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه)) ثم تلا: ((ﮋﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ ﮊ إلى آخر الآية))[1]

فمن تمسك بالتوحيد فقد وافق الفطرة وسار على الصراط المستقيم، ومن عبد مع الله غيره فقد اتبع غير سبيل الحق، وعبد الشيطان الذي سول له ذلك وأملاه له.

وقد بُيّنَ في سورة الفاتحة أيضاً أن ذلك الصراط هو صراط المنعم عليهم، الذين ورد بيانهم في سورة النساء في قوله تعالى: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮊ[النساء: ٦٩]، فإذا ما ربطنا بينه وبين تفسير الصراط المستقيم في عدد من الآيات المتقدمة، علمنا أن ذلك الصراط الذي يسيرون عليه هو التوحيد، القائم على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فهذا يدفعنا إلى ترسم طريقهم والسير على خطاهم حتى نحشر في زمرتهم في الآخرة.

كما أمرنا في هذه السورة أيضاً أن ندعو الله أن يجنبنا طريق المغضوب عليهم والضالين، وقد وقع كل من الفريقين في الانحراف عن الحق في هذا الباب، ولكن سبب الانحراف كان مختلفاً، فاليهود عرفوا الحق ولكنهم خالفوه

(1) أخرجه أحمد (435/1) حديث(4142)، والنسائي في سننه الكبرى (343/6)، حديث (11174)، والبزار في مسنده (251/5)، حديث (1865)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (36/1).

Modifier avec WPS Office

عن عناد واستكبار، لذلك استحقوا غضب الله ونقمته، أما النصارى فكانوا ضالين، انحرفوا عن الحق عن جهل وقله علم.

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((فانقسم الناس بحسب معرفة الحق والعمل به إلى هذه الأقسام الثلاثة؛ لأن العبد إما أن يكون عالما ً بالحق أو جاهلا ً به، والعالم بالحق إما أن يكون عاملا ً بموجبه أو مخالفا له، فهذه أقسام المكلفين لا يخرجون عنها ألبته، فالعالم بالحق العامل به هو المنعم عليه، وهو الذي زكّى نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح، وهو المفلح ﮋ ﯾ ﺋﺠ ﺋﺤ ﺋﻢ ﺋﻰ ﮊ [الأعلى: ١٤]، والعالم به المتبع هواه هو المغضوب عليه، والجاهل بالحق هو الضال، والمغضوب عليه ضال عن هداية العمل، والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل، فكل منهما ضال مغضوب عليه، ولكن تارك العمل بالحق بعد معرفته به أولى بوصف الغضب وأحق به))[1].

وقد بين الله سبحانه أن سبيل الحق واحد وإن تعددت شعبه وفروعه، بمعنى أنه يؤدي إلى مقصود واحد، هو رضا الله والجنة، بخلاف طرق الضلال فهي كثيرة ومتنوعة، قال تعالى: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭿﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄ ﮅﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ ﮋ ﮌﮍ ﮎ ﮊ [الأنعام: ١٥٣]، وذلك أن الضلال طرق كثيرة متنوعة، وكل طريق لا يؤدي إلى مقصود الآخر وجهته، وكلها مؤدي إلى الضلال والانحراف عن الحق، وهذا يتناسب وما سبق أن مر معنا في الكلام على المثل، من أن المشرك تائه ضال عن طريق الحق، يتتبع الطرق المنحرفة والسبل المهلكة، وتتلاعب به الشياطين لتصده عن الحق واليقين.

(1) مدارج السالكين (11/1).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثالثة
دلالة المثل على أن الكافر منحرف عن الفطرة السوية

بين النبي أن الفطرة قد يأتيها ما يحرفها ويبدلها، حيث قال:((فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))[1]، وفي هذا إشارة إلى أهم أسباب حرف الفطرة وتغييرها.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((المراد بالحديث أن الأبوين يلقنانه الكفر ويعلمانه إياه، وذكر النبي الأبوين لأنهما الأصل العام الغالب في تربية الأ طفال، فإن كل طفل لا بد له من أبوين، وهما اللذان يربيانه مع بقائهما وقدرتهما))[2].

وهناك أسباب أخرى للانحراف عن الفطرة، منها: الشبهات والشهوات، قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((فالقلوب مفطورة على الإقرار بالله تصديقا ً به ودينا ً له، لكن يعرض لها ما يفسدها، ومعرفة الحق تقتضي محبته، ومعرفة الباطل تقتضي بغضه، لما في الفطرة من حب الحق وبغض الباطل، لكن قد يعرض لها ما يفسدها؛ إما من الشبهات التي تصدها عن التصديق بالحق، وإما من الشهوات التي تصدها عن اتباعه))[3].

وقد تقدم في الفائدة الأولى أن الفطرة هي الإسلام، وأن من خالف الإسلا م القائم على الاستسلام لله بالعبادة فقد خالف الفطرة وانحرف عنها، فمن أشرك بالله وكفر به، ودان بغير ما بعث به رسله وأنزل به كتبه فقد انحرف عن الفطرة وحاد عنها.

وهذا الانحراف عن الفطرة كالغشاء والحجاب يمنعها من رؤية الحق والا نقياد له، قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((ومـ ثـ لَ الفطرة مع الحق مثل ضوء العين مع الشمس، وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب لرأى الشمس، والا عتقادات الباطلة العارضة من تهو ُد وتنص ُر وتمج ُس مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس، وكذلك أيضا ً كل ذي حس سليم يحب الحلو، إلا أن يعرض في الطبيعة فساد يحرفه حتى يجعل الحلو في فمه مرا ً))[4]، ومن أجل ذلك بعث الله الرسل وأنزل الكتب تذكيراً للخلق بما فطروا عليه، وتحذيراً لهم مما يعارضه، فأول رسول بعثه الله نوح ، وكان الناس بعد آدم عشرة قرون على التوحيد[5]، فلما انحرفوا عنه بُعِثَ إليهم لدعوتهم

(1) تقدم تخريجه (ص163).
(2) شفاء العليل (ص297).
(3) مجموع الفتاوى (528/7).
(4) المصدر السابق (247/4).
(5) انظر: طبقات ابن سعد (42/1)، وتفسير الطبري (334/2)، وتفسير ابن أبي حاتم (377/2)، ت: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

Modifier avec WPS Office

إلى عبادة الله وحده.

Modifier avec WPS Office

المبحث الرابع

دراسة المـ ـَثـ ـَل في قوله تعالى: ژ ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ژ [الزمر: ٢٩]

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المـ ـَثـ ـَل.

المطلب الثاني: نوع المـ ـَثـ ـَل والغرض الذي ضـ ـُرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثـ ـّل به.

المطلب الرابع: بيان الممثـ ـّل له، والعبرة التي تضمنها المَثَل.

المطلب الخامس: الفوائد العـ ـَقـ ـَدية المستفادة من المثل.

Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
دلالة السياق الذي ورد فيه المـ ـثـ ـل

تميزت سورة الزمر باشتمالها على الدعوة إلى توحيد العبادة، والرد على المشركين من بدايتها، إلى نهايتها، فلا تكاد تمر آية إلا وتجد فيها دعوة إلى التوحيد، وسأحاول في هذا المبحث أن أذكر بعض النماذج مما اشتملت عليه هذه السورة من الدعوة إلى التوحيد، فمن هذه الآيات:

1. قوله تعالى في بداية السورة: ژڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈژ [الزمر:٢- ٣]، ففي هذه الآية أمر الله نبيه أن يفرده بالعبادة، وأن يخلص في توجهه له وحده دون ما سواه، لأن الدين الخالص من شوائب الشرك، لا ينبغي إلا له سبحانه.

قال ابن جرير -رحمه الله-: ((وقوله: ژڇ ڇ ڍ ڍ ڌژ يقول تعالى ذكره: فاخشع لله يا محمد بالطاعة وأخلص له الألوهة، وأفرده بالعبادة ولا تجعل له في عبادتك إياه شريكا ً، كما فعلت عبدة الأوثان))[1].

2. ثم قال تعالى في الآية الثالثة: ژژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھژ [الزمر: ٣]، حيث بين تعالى شبهة من أعظم شبه المشركين، ألا وهي قولهم: إنهم لا يعبدون ذلك الوثن، لأنه يستحق العبادة استقلالا ً، وإنما يصرفون له شيئاً من العبادة حتى يكون واسطة بينهم وبين الله، يشفع في حصول المرغوب ودفع المكروه، فالمشركون يعتقدون أن الله سبحانه لا يمكن طلبه ودعاؤه إلا بواسطة من خلقه، فنزلوا الخالق منزلة المخلوق الذي لا يمكن الإدلال عليه إلا بواسطة وشفاعة من خواصه وجلسائه، ولم يعلموا أن الله سبحانه قد أحاط بكل شيء علماً، لا يخفى عليه شيء من حال مخلوقاته، وليس بينه وبين عباده حجاب، قال تعالى: ژﮣﮤﮥﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡژ [يونس: ١٨][2].

3. ثم قال سبحانه بعد ذلك: ژ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ژ [الزمر:٤]، وفي هذا تأكيد لنفي الشريك له سبحانه، لأنه لو كان يحتاج إلى شريك، لا تخذ مما يخلق ولداً، ولكن تقدس عن اتخاذ الولد لمنافاة ألوهيته المطلقة سبحانه[3].

4. ثم بين تعالى حال المشركين وأنهم يخلصون لله في الشدة ويشركون في الرخاء، فقال: ژڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ژ [الزمر: ٨].

---

(1) تفسير الطبري (191/23).
(2) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (221/1)، ت: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1395هـ.
(3) انظر: تفسير الطبري (192/23).

Modifier avec WPS Office

5. أكد النبي ما أمَره به ربه من إخلاص العبادة، حيث قال: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﮊ [الزمر: ١١]، وبين التزامه بذلك، وخاطب الكفار على سبيل التهديد بأن يعبدوا ما يشاءون من الأوثان، فلن يكون في ذلك خير لهم يوم القيامة، حين يخسر الواحد منهم نفسه وأهله، أما خسران نفسه فلأنه أوردها العذاب، وأما خسرانه لأهله فلأنه لا يستطيع الاجتماع بهم، سواءٌ كانوا معه في العذاب، أو دخلوا الجنة، فالاجتماع والأنس بهم غير ممكن في الحالين[1]، قال تعالى:ﮋ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [الزمر:١٤-١٥] .

6. بعد ذلك بين حال عباد الله المؤمنين، وأنهم اجتنبوا الطاغوت وتركوا عبادتها، وأخلصوا عبادتهم لله، وبشرهم بالثواب في الدنيا، والنعيم في الآخرة، وأمر نبيه أن يبشرهم بذلك،قال تعالى:ﮋﮕﮖﮗ ﮘﮙﮚ ﮛﮜﮝﮞﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ [الزمر:١٧-١٨] .

7. بين سبحانه أنه ضرب للناس في القرآن من الأمثال ما يحتاجونه في بيان دينهم، سواءً كانت أمثالاً قياسية تشبيهية، أو أمثالاً لحالهم من الأمم الماضية وما حل بهم[2]، وقد ضرب الله الأمثال في القرآن وصرّف للمشركين فيه القول، عسى أن يكون في ذلك عظة وتذكير لهم، قال تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﮊ [الزمر:٢٧ -٢٨]، ثم ضرب مثلاً من تلك الأمثال للتنبيه على أحقيته للعبادة، فقال سبحانه:ﮋﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶﯷ ﯸ ﯹﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﮊ [الزمر:٢٩] .

8. ثم بين جل شأنه أنه لا أحد أظلم ممن كذب على الله بأن نسب له الشريك أو الولد، فقال: ﮋﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝ ﭞﮊ [الزمر:٣٢].

9. ثم بين سبحانه أسلوباً من أساليب المشركين في التعامل مع الدعاة إلى التوحيد، وأنهم يخوفونه بآلهتهم، ويزعمون أن لديها القدرة على إلحاق الأذى بهم، وهذه عادة المشركين مع الموحدين قديماً وحديثاً، فقال: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮍ ﮎ ﮏ ﮐﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮊ [الزمر:٣٦] وقد حكى سبحانه ما قاله قوم هود له حيث قالوا: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﮊ [هود: ٥٤]، وقال على لسان خليله إبراهيم : ﮋ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫﯬ ﯭ ﯮ ﮊ[الأنعام:٨٠] .

10. ثم خاطبهم سبحانه بأسلوب من أساليب المحاجة، وذلك بإلزامهم بالإقرار بتوحيد الألوهية إذا أقروا بتوحيد الربوبية، وهم مقرون بذلك، فيلزمهم الإقرار بلازمه وهو توحيد العبادة، ثم زادت الآية في البيان، لتؤكد عجز الآلهة الباطلة عن أهم ما يطلبه المشركون مما له تعلق بالربوبية على سبيل التنبيه، فإذا كانت عاجزة عن دفع الضر عنكم، وإنزال الرحمة بكم، فعجزهم عما سوى ذلك أولى، قال تعالى: ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ

(1) انظر: تفسير ابن كثير (49/4).
(2) انظر: تفسير الطبري (212/23)، وتفسير ابن كثير (53/4).

Modifier avec WPS Office

ۆ ۈ ۇٴ ۋ ۅ ۉ ې ې ى ى ﯨ ﯩ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ [الزمر: ٣٨]، ولكن لا بد من استحضار الشبهة التي يتعلقون به حال عبادتهم لها، من اعتقاد كونها واسطة بينهم وبين الله، فهذه الشبهة، هي الصارفة لهم عن الاستجابة لمثل هذه الحجج القاطعة.

11. ثم عاد السياق ليرد على الشبهة الكبرى التي يتعلق بها المشركون، و التي ذكرت في أول السورة، وهي ما ادعاه المشركين من أنهم لا يعبدون الأ وثان والأصنام إلا ليكونوا شفعاء لهم عند الله، قال تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ [الزمر: ٤٣-44]، فأبطل الله هذه الدعوى، فبين أن الشفاعة عنده ليست كالشفاعة عند خلقه، فالشفاعة عنده لا تكون إلا بإذن منه للشافع، ورضىً عن المشفوع، بخلا ف الشفاعة عند الناس التي تقوم على وجود علاقة بين الشافع والمشفوع تحمله على قبول شفاعته، قال تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ [البقرة:٢٥٥]، وقال: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ [الأنبياء:٢٨].

وقد جمع الله بين هذين الشرطين بقوله: ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﭼ [النجم:٢٦]، فإذا كانت الشفاعة ملكاً لله يأذن فيها لمن يشاء، فإن ذلك يعني أنه لن يأذن فيها إلا لمن أحبه ورضي عنه، وكيف يأذن سبحانه لمن كان نداً له يُعبد من دونه، هذا حقه أن يعذب مع عابده بدلاً من أن يشفع له، قال تعالى: ﭽ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ [الأنبياء:٩٨].

ولذلك بين سبحانه أن من عبد من دون ولم يكن راضياً بهذه العبادة أنه يتبرأ ممن عبده، كما قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ [سبأ: ٤٠-٤١] ويوم القيامة يُخاّطب المشركون على سبيل التبكيت فيقال لهم: قد جئتم فرادى ليس معكم من جعلتموهم شركاء مع الله، ألستم تعبدونهم رجاء شفاعتهم، فأين هم منكم اليوم،قال تعالى: ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﭼ [الأنعام:٩٤].

12. ثم بين سبحانه الشعور الذي ينتاب المشرك عندما يسمع التوحيد، ذلك الشعور الذي يتسم بالاشمئزاز والانقباض والنفور، وذلك لاعتقاده أن ذلك تنقص للآلهة، وقدح فيها، ولم يدرِ ذلك المسكين أنه يتنقص ربه ويسبه أعظم السب وأشنعه حين يشرك به، قال تعالى: ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ [الزمر: ٤٥].

13. ثم بين جل ثناؤه مبلغ الجهل والضلال الذي بلغه المشركون، حيث يريدون من الموحد الذي ذاق حلاوة اليقين، واستنار قلبه بنور الإيمان أن يعبد غير فاطره وخالقه ومن بيده مقاليد السموات والأرض، قال تعالى: ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ [الزمر: ٦٤]، كيف يعبد المؤمن غيره وقد توعد الله من أشرك به أن يحبط عمله ولو كان أعظم خلقه منزلة عنده، وهو نبيه وخليله محمد ، ثم

Modifier avec WPS Office

أمر تعالى نبيه بعبادته وشكره على أن هداه لموافقة مراده، والتوفيق لأداء حقه، وقد ضل عنه كثير من الناس[1]، قال تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﮊ [الزمر: ٦٥- ٦٦] .

14. ثم بين جل شأنه أن المشركين ما قدروا الله حق قدره، حينما نسبوا له الشريك في عبادته، ولم يشاهدوا دلائل قدرته، وبراهين عظمته، والتي منها أن الأرض يوم القيامة كلها تكون في قبضته، والسموات مطوية بيمينه، روى ا بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﮋ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﮊ [الزمر: ٦٧] ، ورسول الله يقول هكذا بيده, يحركها يقبل بها ويدبر، ((يمجد الرب نفسه: أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم))، فرجف برسول الله المنبر، حتى قلنا: ليخرن به[2].

هذه بعض الآيات التي ظهر فيها الحديث عن توحيد الألوهية ظهوراً جلياً، وإلا فجميع السورة تتحدث عن ذلك، إما بذكر ثواب الموحدين، أو عقاب المكذبين، أو الحديث عن بعض شواهد الربوبية في الكون، الدالة على وحدانية رب العالمين، قال الشيخ سليمان بن عبد الله-رحمه الله-: ((فكل هذه السورة في الدعاء إلى هذا التوحيد والأمر به، والجواب عن الشبهات و المعارضات، وذكر ما أعد الله لأهله من النعيم المقيم، وما أعد لمن خالفه من العذاب الأليم))[3].

فمن خلال ما سبق ندرك القضية الكبرى التي يدور حولها سياق هذا المثل ، وأن جميع السورة التي ورد هذا المثل في ثناياها تتحدث عن التوحيد وإفراد الله جل شأنه بالعبادة، وأن هذه السورة قد حوت من الدلائل على ذلك والشواهد ما لا تبقى معه حجة لأحد من المشركين في تبرير شركه والبقاء عليه، فليس بعد الحق إلا الضلال، وليس بعد الهدى إلا العمى.

قال ابن عاشور -رحمه الله-:((وأغراضها-أي هذه السورة- كثيرة تحوم حول إثبات تفرده بالإلهية، وإبطال الشرك فيها، وإبطال تعليلات المشركين لإ شراكهم وأكاذيبهم))[4].

---

(1) انظر: تفسير الطبري (24/24).
(2) أخرجه أحمد (72/2)، حديث (5414)، والنسائي في الكبرى (402/4)، حديث (7695)، وابن حبان (322/16)، حديث (7327)، وأصله في البخاري حديث (7412)، ومسلم (2788).
(3) تيسير العزيز الحميد (ص30).
(4) التحرير والتنوير (312/9).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثاني
نوع المثَل والغرض الذي ضُرب من أجله

هذان المثلان من الأمثال الأنموذجية، حيث جعلت نتيجة المقارنة بين حال –المملوك الذي يملكه شركاء متشاكسون، والمملوك الذي ليس له إلا سيد واحد- ((أنموذجاً منصوباً أمام عقل السامع ليقيس عليه ما يناسبه ويعتبر به))[1].

وهذا النوع من الأمثال لا يتضمن تشبيهاً من حيث الأسلوب، ولكنه يعطي حكماً عاماً يندرج تحته كل أفراده، وهو ما يسمى بقياس الشمول[2]، فالقياس في هذا المثل كالآتي: كل مملوك له سيد واحدٌ محسن إليه فحاله أفضل وأكمل ممن له أسياد متعددون ذوو أخلاق شكسة.

ونتيجة لهذه المقدمة يدرك المخاطب أن الموحد أفضل حالاً من المشرك.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((احتج سبحانه على قبح الشرك بما تعرفه العقول من الفرق بين حال مملوك يملكه أرباب متعاسرون سيئو الملكة، وحال عبد يملكه سيد واحد قد سلم كله له، فهل يصح في العقول استواء حال العبدين؟ **فكذلك حال المشرك والموحد الذي قد سلمت عبوديته لإلهه الحق، لا يستويان**))[3].

الغرض الذي من أجله ضُرب المَثَل:

هذا المَثَل ضُرب لتحسين التوحيد، وذلك ببيان مزية أهله في أنهم سالمون من التشتت والتوزع بين أكثر من إله، وتقبيح الشرك ببيان ما عليه أهله من التشتت بين الآلهة الباطلة، فالمشرك لا يدري أي هذه الآلهة أقرب إلى النفع من غيره، ((فيبقى ذلك المشرك متحيراً ضالاً، لا يدري أي هؤلاء الآلهة يعبد، وعلى ربوبية أيهم يعتمد، وممن يطلب رزقه، وممن يلتمس رفقه، فهمّه شَعَاع[4]، وقلبه أوزاع، أما من لم يثبت إلا إلهاً واحداً، فهو قائم بما كلفه، عارف بما أرضاه وما أسخطه، فكان حال هذا أقرب إلى الصلاح من حال الأول، **وهذا مثل ضرب في غاية الحسن في تقبيح الشرك وتحسين التوحيد**))[5].

كما أن فيه نوعاً من المحاجة للمشركين، ولفت أنظارهم إلى ما هم عليه من النصب والتعب، وشدة اللهث وراء هذه الآلهة الكثيرة التي لا يعلم من منها

(1) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (1049/3).
(2) انظر: نفس المصدر (84/1).
(3) مدارج السالكين (240/1).
(4) أي: متفرق. انظر: لسان العرب (181/8).
(5) التفسير الكبير للرازي (241/26).

Modifier avec WPS Office

يجلب الخير أو يدفع البلاء والشر، وهذه سمة من سمات السور المكية، وهذه السورة منها.

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
صورة الممثّل به

ورد ذكر الممثّل به في قوله تعالى:ژ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ژ [الزمر: ٢٩]، وقد ضرب الله المَثَل بحالين متضادتين في الصورة، ثم أورد السؤال بقوله:ژ ﯟ ﯠ ﯡ ژ، مما يدل على أن المقصود لفت الأنظار إلى الا عتبار الحاصل من تأمل هذه الصور المضروبة، ومقارنة المشرك بينها، واستخلا ص العبرة من ذلك.

وهذه الآية ضرب فيها المثل لحالين متقابلتين في الصورة:

الحال الأولى: حال عبد مملوك من عدة شركاء، فليس له مالك واحد ينقطع لخدمته، وإنما اشترك فيه عدد من الناس، ومن كان بهذه المثابة فإن الجهد سيكون عليه مضاعفاً، والعمل الذي سيؤديه كبيراً، وهذا يفقده الراحة و الاستقرار.

ثم إن هؤلاء الأسياد ليسوا على حالة منسجمة متآلفة، بل وصفهم القرآن بأنهم متشاكسون، والتشاكس هو التضاد والاختلاف[1]، ولك أن تتصور حال هذا العبد بين هؤلاء الشركاء، هذا يأمره وذاك ينهاه، وهذا يرسله والآخر يرده، وكلما فرغ من شغل لأحدهم جاءه ما يشغله من الآخر، فهو في شغل دائم وعناء مستمر، وإذا أضفنا إلى هذه الصورة صورة أخرى، هي أن هؤلاء الشركاء سيئة أخلاقهم، كثير خصامهم[2]، فهنا يزيد النصب ويعظم العناء و التعب، فيصبح بين تعبين، حسي ومعنوي، فالبدن منهك بكثرة ما يؤديه من ا لأعمال والتكاليف، والنفس مشحونة ومحبطة من كثرة ما يلقاه من التقريع و التهديد، والشتم والوعيد، فلو كان ذلك بسبب ذنب فعله، أو خطأ اقترفه، لهان الأمر عليه وسهل، ولكن لا ذنب إلا أنه مملوك لهؤلاء.

قال أبو حيان -رحمه الله-: ((ومـ ـثـ ـّل برجل مملوك اشترك فيه مـ ـُلا ـّك سيئو الأخلاق، فهو لا يقدر أن يوفي كل واحد منهم مقصوده، إذ لا يتغاضى بعضهم لبعض لمشاحتهم، وطلب كل منهم أن يقضي حاجته على التمام فلا يزال في عناء وتعب ولوم من كل منهم))[3].

أما الحال الثانية فهي حال مملوك ليس له إلا سيد واحد، يأتمر بأمره وينتهي بنهيه، يؤدي ما أمره به على أتم وجه وأكمله، لا يشغله عنه شاغل ولا يصرفه عن خدمته صارف، ومن هذا حاله لا بد أن يكون مرتاحاً من الهموم و المتاعب، سالماً من كثرة الأوامر والمطالب.

وإذا اجتمع إلى ذلك حسن الخلق من السيد واللطف في المعاملة، فإن ذلك

---

(1) انظر: لسان العرب (113/6).
(2) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص266).
(3) تفسير البحر المحيط (407/7).

Modifier avec WPS Office

المملوك يكون قد حاز على أعظم المنى، وأكمل المراتب، وبلغ من الطمأنينة و الراحة ما يتمناه كل راغب.

قال أبو حيان-رحمه الله- بعد أن ذكر الحال الأولى:((ورجل آخر مملوك جميعه لرجل واحد ، فهو معني ً بشغله لا يشغله عنه شيء، ومالكه راض عنه إذ قد خلص لخدمته وبذل جهده في قضاء حوائجه، فلا يلقى من سيده إ لا إحسانا))[1].

(1) نفس المصدر.

Modifier avec WPS Office

المطلب الرابع
بيان الممثـ ّل له، والعبرة التي تضمنها المَثَل

لم يرد في هذا الآية التنصيص على الممثّل له، وذلك اكتفاء بدلالة الممثّل به عليه، وكما سبق أن ذكرنا في الممثل به، من أنه مضروب لحالين متقابلتين:

الأولى: حال من عبد غير الله، واعتقد في الأصنام والأوثان، فقلبه متفرق بين هذه الآلهة الباطلة، لا يدري ممن يخاف ولا ممن يأمن، ولا من يجلب له الخير، ولا من يدفع عنه الشر، إذا تقرب لهذا خشي أن يغضب هذا، وإذا سأل هذا خشي أن يمنع ذاك، فهو في عناء دائم وتعب مستمر لا ينقطع، لأجل إرضاء تلك الآلهة.

والمشرك لا يكتفي بصنم واحد يلجأ إليه، وإنما يعبد أكثر من إله، ولذلك كان عدد الأصنام التي عند الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، وكان لكل قبيلة صنمٌ أو أكثر تعبده وتعكف عنده.

قال ابن عاشور -رحمه الله-: ((فالمشرك يتوجه بعبادته إلى آلهة كثيرة، لا يدري لعل بعضها أقوى من بعض، وأعطفُ على بعض القبائل من بعض، فقد كانت ثقيف يعبدون اللات، وكان الأوس والخزرج يعبدون مناة، ولكل قبيلة إله أو آلهة، فـ ـتـ ـقـ ـسـ ـموا الحاجات عندها، واستنصر كل قوم بآلهتهم وطمعوا في غنائها عنهم... وكذلك حال أهل الإ ِشراك في كل زمان، ألا تسمع ما حكاه الله عن يوسف عليه السلام من قوله: ﮋﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﮊ [يوسف: ٣٩]))[1].

وكان الذي يلجئهم لذلك عدم قناعتهم بتلك الأصنام والأحجار، وعلمهم أنه لا تضر ولا تنفع، وإنما يعتقدون أنها تتصل بمعبود غائب مؤثر كالأفلاك و الكواكب، أو الملائكة ونحو ذلك.

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((فوضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب، فجعلوا الصنم على شكله وهيئته وصورته ليكون نائبا ً منابه وقائما ً مقامه، وإلا فمن المعلوم أن عاقلا ً لا ينحت خشبة أو حجرا ً بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده))[2]، فإذا اعتقد اتصاله بذلك المعبود سعى لإ رضائه والتقرب إليه بكل ما يستطيع.

ولكثرة الأصنام التي يعتقد بها الكافر توزع جهده في سبيل إرضائها و التقرب لها، لأنه يتعلق من ذلك بأسباب موهومة غير متيقنة، فيتقلب بين تلك الأصنام والأوثان عسى أن يصادف من أحدها خيراً يطلبه، أو يندفع عنه شراً يحاذره، ولهذا لما دعا النبي إلى عبادة الله وحده، تعجب المشركون من ذلك ، وقالوا: ﮋﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮊ[ص:5].

---

(1) التحرير والتنوير (45/12).
(2) إغاثة اللهفان (224/2).

Modifier avec WPS Office

ومن عجيب ما يذكر عن المشركين: أن الواحد منهم إذا سافر فنزل منزلا ً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربا ً، وجعل الثلاثة أ َثَ َافِيِ[1] لقدره فإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلا ً آخر فعل مثل ذلك[2]، فتأمل في هذا الفعل وما شابهه لتدرك مدى التخبط والحيرة التي يعيشها المشركون مع هذه الأصنام، فكم صنماً يعبد! وكم وثناً يعكف عنده ويسجد!.

ولهذا لما سأل النبيُّ والد[3] عمران بن حصين[4]:((كم تعبد اليوم إلهاً ؟))، قال: سبعة، ستة في الأرض وواحداً في السماء، قال:((فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟))، قال: الذي في السماء... الحديث[5].

أما الحال الثانية فهي حال من وحد الله وأخلص له العبادة، فقلبه معلق بخالقه ومدبر أمره لا يعبد إلا هو, ولا يتقرب إلا إليه، ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ [الأنعام:١٦٢]، ومن هذه حاله فقد تحققت له أمور كثيرة، **منها:** أنه أصاب الحق، ووافق العدل حيث أسند الأمر إلى مالكه والقادر عليه، وصرف العبادة إلى من يستحقها وحده دون ما سواه.

ومنها: أنه وجه دعاءه ومسألته إلى القادر على كل شيء، من إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون، فضمن بإذن الله تحقق مقصوده، وانتفاء محذوره.

ومنها: أنه وَحّد قصده وتوجهه إلى معبود واحد وإله واحد، فلم يتخبط بين هذه الآلهة الكثيرة التي لا تملك لنفسها فضلا ً عن غيرها نفعاً ولا ضراً، كما قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ [الفرقان: ٣].

أضف إلى ذلك أن ربه قريب مجيب، يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، رحيم بعباده يحميهم مما يحيط بهم ويكلؤهم بلطفه ورحمته، ولا يكلفهم ما ليس

(1) جاء في لسان العرب (3/9):((الإثْ فِ يِ َة ُ: الحجر الذي توضع عليه القدر، وجمعها أثافي وأثاف)).

(2) إغاثة اللهفان (220/2).

(3) هو حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي والد عمران، اختلف في إسلامه، و الراجح أنه أسلم. انظر: الاستيعاب (353/1)، والإصابة (26/2).

(4) هو عمران بن حصين بن عبيد أبو نجيد الخزاعي، صحابي ابن صحابي، أسلم عام خيبر، وكان من فضلاء الصحابة، مات سنة 52هـ. انظر: الإصابة (705/4)، وسير أعلام النبلاء (508/2).

(5) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، حديث (3483)، والبيهقي في الأسماء و الصفات (329/2)، والبزار في مسنده (53/9)، والطبراني في الأوسط (280/2) حديث (1985)، وروى شطراً منه أحمد، (444/4)، حديث (20527) والنسائي في الكبرى (247/6)، وصححه الحافظ ابن حجر. انظر: الإصابة (86/2).

Modifier avec WPS Office

في وسعهم وطاقتهم، ويتجاوز عن خطئهم وتقصيرهم ونسيانهم، بخلاف آلهة المشركين فإنها تزيدهم خوفاً ورهقاً، كما قال تعالى: ﮋﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ [الجن: ٦]، فلما أن استعاذوا بالجن تلاعبوا بهم وزادوهم خوفاً ورعباً، على نقيض ما أرادوا وأملوا، لكن من التجأ بربه ومعبوده فلن يضره شيءٌ من المخلوقات أبداً، يقول النبي ﷺ: ((من نزل منزلا ً ثم قال: أعوذ بكلمات اللّه التامات من شر ما خلق، لم يضره شيءٌ حتى يرتحل من منزله ذلك))[1].

(1) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره، حديث (2708).

Modifier avec WPS Office

المطلب الخامس
الفوائد العقدية المستفادة من المثل

وفيه خمس فوائد:

الفائدة الأولى: دلالة المثل على أثر التوحيد في طمأنينة الموحد واستقرار قلبه، وعلى أثر الشرك في قلق المشرك وحيرته واضطرابه.

الفائدة الثانية: دلالة المثل على حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك، وإبطال التسوية بينهما.

الفائدة الثالثة: دلالة المثل على أن توحد الاتجاه والقصد سبب في طمأنينة الموحد، وأن التوزع في قضاء الحاجات بين أكثر من وجهة سبب لنصب المشرك وشدة عنائه.

الفائدة الرابعة: دلالة المثل على جهل المشركين بما ينفعهم.

الفائدة الخامسة:دلالة المثل على الترغيب في حمد الله على نعمة الهداية إلى التوحيد.


Modifier avec WPS Office

الفائدة الأولى

دلالة المَثَل على أثر التوحيد في طمأنينة الموحد واستقرار قلبه، وعلى أثر الشرك في قلق المشرك وحيرته واضطرابه

لا يستطيع المرء أن يعيش مضطرب النفس حائر الذهن دائم القلق و التفكير، فالكل يسعى لأن ينعم بالراحة والاستقرار في هذه الحياة بعيداً عما يجلب له الهم والتعب وكثرة العناء، ومن هنا وصف الله النفس المؤمنة بأنها مطمئنة، قال تعالى: ﮋ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﮊ[الفجر: ٢٧]، وذلك الاطمئنان يتحقق بتوجه القصد إلى الله والرضا بعبوديته والانقياد لأمره.

قال ابن القيم -رحمه الله-:((فالنفس إذا سكنت إلى الله واطمأنت بذكره وأنابت إليه واشتاقت إلى لقائه وأنست بقربه فهي مطمئنة... وحقيقة الطمأنينة: السكون والاستقرار، فهي التي قد سكنت إلى ربها وطاعته وأمره وذكره، ولم تسكن إلى سواه فقد اطمأنت إلى محبته وعبوديته وذكره، واطمأنت إلى أمره ونهيه وخبره، واطمأنت إلى لقائه ووعده، واطمأنت إلى التصديق بحقائق أسمائه وصفاته واطمأنت إلى الرضا به ربا ً وبالإسلام دينا ً وبمحمد رسولا ً، واطمأنت إلى قضائه وقدره، واطمأنت إلى كفايته وحسبه وضمانه، فاطمأنت بأنه وحده ربها وإلهها ومعبودها ومليكها ومالك أمرها كله، وأن مرجعها إليه وأنها لا غنى لها عنه طرفة عين))[1].

ومن مظاهر الطمأنينة التي يجدها المؤمن: الالتجاء إلى الله سبحانه عند الشدائد والكربات، حين يجد نفسه على شفا الهلاك، ولهذا كان المشركون يلجئون إلى الله عند الشدائد، يقول الله سبحانه: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﮊ[العنكبوت: ٦٥] ويقول تعالى: ﮋ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﮊ[الزمر: ٨]، وذلك لعلمهم أن لا منجي لهم منها إلا الله، والله سبحانه ينجيهم استدراجاً وتمتيعاً في هذه الدنيا، وليس لهم في الآخرة من نصيب[2].

وقد بين الله سبحانه أن ذكره سبب لطمأنينة المؤمن فقال:ﮋ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﮊ[الرعد: ٢٨]، فَذِكر الله يجعل الذاكر قريباً من ربه يأنس بمناجاته وخطابه في كل أحواله، وهذا يورث النفس طمأنينة وراحة لا يجدها إلا بذلك، وهذا لا يكون إلا إذا كان التوجه والقصد خالصاً لله، أما من ذكر الله بلسانه وقلبه مشغول بذكر غيره فهيهات أن يحصل له الاطمئنان، قال ابن القيم -رحمه الله-: ((فالطمأنينة إلى الله سبحانه حقيقة ترد منه سبحانه على قلب عبده، تجمعه عليه وترد قلبه الشارد إليه، حتى كأنه

---

(1) إغاثة اللهفان (76/1).

(2) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية (ص 413)، ت: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، ط2، 1369هـ.

Modifier avec WPS Office

جالس بين يديه يسمع به ويبصر به ويتحرك به ويبطش به، فتسرى تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة تجذب روحه إلى الله ويلين جلده وقلبه ومفاصله إلى خدمته والتقرب إليه، ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلا بالله وبذكره وهو كلامه الذي أنزله على رسوله، كما قال تعالى:ﮋ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي ﮊ، فإن طمأنينة القلب سكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه، وهذا لا يتأتى بشيء سوى الله تعالى وذكره البتة، وأما ما عداه فالطمأنينة إليه غرور والثقة به عجز))[1].

ويقابل ذلك حال المشرك الذي اضطربت نفسه وامتلأ قلبه خوفاً وقلقاً من الآلهة الباطلة التي يعبدها ويرجو النفع منها، فإذا كان السكون والطمأنينة لا تتحقق لهم من هذه الآلهة فأي منفعة منها يريدون، وأي خير يطلبون، ولتتأمل حال ذلك الشخص الذي دخل في وادٍ مظلم موحش، فأراد أن يسكن قلبه ويهدأ روعه، فاستعاذ بكبير الوادي من الجن من سفهاء قومه، فهل يا ترى تم له ما أمله، وبات قرير العين هادئ البال؟ لقد زادته تلك الاستعاذة خوفاً وهلعاً، يقول الله عز وجل: ﮋ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮊ[الجن:٦].

قال ابن القيم -رحمه الله-:((قضى الله سبحانه وتعالى قضاء لا مرد له أن من اطمأن إلى شيء سواه أتاه القلق والانزعاج والاضطراب من جهته كائنا من كان))[2].

فقلب المشرك أشبه ما يكون بالبيت الخرب تسكنه الشياطين وتأوي إليه، فتملأه بالوحشة والخوف والرعب، وما ذاك إلا لأنه ابتعد به عن أسباب الحياة، ولم يعمره بالإخلاص والتوحيد واليقين، قال تعالى: ﮋ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮊ[آل عمران: ١٥١]، وقد بين سبحانه أن من أعرض عن ذكره أن له معيشة ضنكاً، حيث قال سبحانه: ﮋ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﮊ[طه: ١٢٤]، وهذا يقابل حالة الطمأنينة التي يجدها المؤمن من ذكره سبحانه.

قال ابن القيم-رحمه الله-: ((فإنه سبحانه رتب المعيشة الضنك على الإعراض عن ذكره، فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب إعراضه، وإن تنعم في الدنيا بأصناف النعم ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي يقطع القلوب والأماني الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه، وإنما تواريه عند سكرات الشهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة، إن لم ينضم إلى ذلك سكر الخمر، فسكرها بهذه الأمور أعظم من سكر الخمر فإنه يفيق صاحبه ويصحو، وسكر الهوى وحب الدنيا لا يصحو صاحبه إلا إذا سكر في عسكر الأموات، فالمعيشة الضنك لازمة لمن أعرض عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله ﷺ في

---

(1) الروح (ص220).
(2) المصدر السابق (ص220-221).

Modifier avec WPS Office

دنياه وفي البرزخ ويوم معاده، ولا تقر العين ولا يهدأ القلب ولا تطمئن النفس إلا بإلهها ومعبودها الذي هو حق، وكل معبود سواه باطل، فمن قرت عينه ب الله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه علي الدنيا حسرات))[1].

فمن لم يعمر قلبه بذكر الرحمن عُمِرَ بوساوس الشيطان، فاستحوذت عليه الأوهام، وتخبط في دياجير الظلام، ومن هذا حاله فأنى له السكون والا طمئنان.

(1) الجواب الكافي (ص83-84).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثانية
دلالة المَثَل على حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك، وإبطال التسوية بينهما

بين الله سبحانه في هذا المَثَل حقيقة التوحيد، فالتوحيد معناه: الإفراد، وهو أن يفرد العبد ربه بعبادته، فلا يصرف شيئاً منها لأحد كائناً من كان، وقد ورد بيان هذه الحقيقة في كثيرٍ من نصوص الكتاب والسنة، قال تعالى: ﮋ ی ي ﯿئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ ﮊ[البقرة: ١٦٣]، وقال تعالى:ﮋ ۋ ۋ ۅ ې ې ې ى ئاﮊ[آل عمران:٥١]، وقال سبحانه: ﮋ ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخبم بى بي تج تح تخ ﮊ[طه:٩٨] وقال تعالى: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ[الأنبياء: ٢٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً.

ومما ورد في السنة: قول النبي : ((من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله))[1]، وقوله عليه الصلاة والسلام: ((أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه))[2].

قال ابن القيم-رحمه الله- مبيناً ما هو الصراط المستقيم: ((وحقيقته شيء واحد وهو طريق الله الذي نصه لعباده على ألسن رسله، وجعله موصلاً لعباده إليه، ولا طريق لهم إليه سواه، بل الطرق كلها مسدودة إلا هذا، وهو إفراده بالعبودية وإفراد رسوله بالطاعة، فلا يشرك به أحداً في عبوديته، و لا يشرك برسوله أحداً في طاعته، فيجرد التوحيد ويجرد متابعة الرسول))[3].

أما حقيقة الشرك فهي التسوية بين الله وبين خلقه فيما يستحقه وحده، حيث جعلوا له شركاء من خلقه يصرفون لهم من العبادة والطاعة مثل ما يصرفونه لله تعالى، وقد بين القرآن تلك الحقيقة، فقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ[النحل: ٢٧] .

قال ابن جرير -رحمه الله-: ((يقول تعالى ذكره يوم القيامة تقريعاً للمشركين بعبادتهم الأصنام، ﮋ ﭖ ﭗ ﮊ يقول: أين الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي اليوم، ما لهم لا يحضرونكم فيدفعوا عنكم ما أنا محل بكم من العذاب، فقد كنتم تعبدونهم في الدنيا وتتولونهم, والولي ينصر وليه))[4].

وقال تعالى مبيناً أن المشركين يعدلون بالله غيره من الآلهة الباطلة: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﮊ[الأنعام: ١] .

قال البغوي -رحمه الله-:((أي: ثم الذين كفروا بعد هذا البيان ﮋ ﭜ ﭝ ﮊ أي: يشركون، وأصله من مساواة الشيء بالشيء، ومنه العدل، أي يعدلون بالله

(1) تقدم تخريجه (ص117).
(2) تقدم تخريجه (ص55).
(3) بدائع الفوائد (276/2).
(4) تفسير الطبري (98/14).

Modifier avec WPS Office

غير الله تعالى، يقال: عدلت هذا بهذا إذا ساويته))[1].

قال شيخ الإسلام:((ودين الإسلام مبني على أصلين، وهما: تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأول ذلك: أن لا تجعل مع الله إلها آخر، فلا تحب مخلوقاً كما تحب الله، ولا ترجوه كما ترجو الله، ولا تخشاه كما تخشى الله، ومن سوّى بين المخلوق والخالق في شيء من ذلك فقد عدل بالله، وهو من الذين بربهم يعدلون، وقد جعل مع الله إلهاً آخر، وإن كان مع ذلك يعتقد أن الله وحده خلق السماوات والأرض...))[2].

ومن أظهر ما يدل على حقيقة الشرك: ما يخاطب به المشركون آلهتهم التي تعذب معهم في نار جهنم حين يقولون: ﮋ ﮗ ں ں ڻ ڻ ٹ ٺ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ﮊ [الشعراء: ٩٧- ٩٨]، وهذا من أعظم البيان وأوضح التصريح، حيث أنه جاء من المشركين أنفسهم بياناً لما كانوا يعتقدون في هذه الآلهة.

وهذه التسوية لها برب العالمين ليست تسوية له في الخلق والرزق ونحو ذلك، وإنما كانوا يحبونها ويرجونها ويتقربون إليها كما يتقربون إلى الله.

قال ابن القيم-رحمه الله-: ((فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الشرك، فإنهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا به، ولو أحسنوا به الظن لوحدوه حق توحيده، ولهذا أخبر سبحانه عن المشركين أنهم ما قدروه حق قدره في ثلاثة مواضع من كتابه، وكيف يقدره حق قدره من جعل له عدلاً ونداً يحبه ويخافه ويرجوه ويذل له ويخضع له ويهرب من سخطه ويؤثر مرضاته، قال تعالى: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [البقرة: ١٦٥]، وقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ [الأنعام:1]، أي يجعلون له عدلاً في العبادة والمحبة والتعظيم، وهذه هي التسوية التي أثبتها المشركون بين الله وبين آلهتهم، وعرفوا وهم في النار أنها كانت ضلالاً وباطلاً، فيقولون لآلهتهم وهم في النار معهم: ﮋ ﮗ ں ں ڻ ڻ ٹ ٺ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ﮊ ومعلوم أنهم ما سووهم به في الذات والصفات والأفعال، ولا قالوا إن آلهتهم خلقت السموات والأرض وأنها تحيي وتميت وإنما سووها به في محبتهم لها وتعظيمهم لها وعبادتهم إياها))[3].

فإذا عرفنا أن هذه حقيقة الشرك فهل يصح أن يُسوّى بينه وبين التوحيد، إن التسوية بين الشرك والتوحيد تسوية بين مختلفين، وجمع بين متناقضين، فالتوحيد هو العدل وذلك لأنه يقتضي أن لا نعبد إلا من هو مستحق للعبادة، لكمال إنعامه وإفضاله على عباده، فهو الذي أوجدهم من العدم ومتعهم بالنعم، وهو سيدهم وهم عبيده، فمن حق السيد على عبده أن لا يطيع غيره، ولا

(1) تفسير البغوي (83/2).
(2) مجموع الفتاوى (310/1-311).
(3) إغاثة اللهفان (61/1).

Modifier avec WPS Office

يتقرب إلا إليه.

أما الشرك فهو قائم على الظلم، لأنه صرف للطاعة والعبادة لمن لا يستحقها، وليس له فيها أدنى نصيب، فهذا الذي صرفت له العبادة ماذا فعل لأ ولئك العابدين له حتى صرفوا له شيئاً من طاعاتهم وقرباتهم؟ ولهذا سمى اللّٰه الشرك ظلماً عظيماً، فقال حاكياً قول لقمان لابنه: ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ [لقمان:13].

الفائدة الثالثة

دلالة المثل على أن توحُد الاتجاه والقصد سبب في طمأنينة الموحد، وأن التوزع في قضاء الحاجات بين أكثر من وجهة سبب لنصب المشرك وشدة عنائه

الإنسان له طاقة محددة لا يستطيع أن يزيد عليها، وقد جاءت الشريعة بأحكام وتشريعات تنسجم مع ما يمتلكه الإنسان من قدرة واستطاعة، يقول تعالى: ﮋﯘﯙﯚﯛﯜﯝﮊ[البقرة: ٢٨٦]، ويقول تعالى: ﮋ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮊ[الطلاق: ٧]، وقد نُهي المسلم عن أن يتكلف في العبادة وأن يشق على نفسه فيها، فقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما :((إن لنفسك عليك حقا ً، ولجسدك عليك حقا ً، وإن لزوجتك عليك حقا ً))(1).

وروت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:((عليكم من الأعمال ما تطيقون))(2)، وخُفف عن أصحاب الأعذار في العبادات، فمن لم يستطع أن يصلي قائماً صلى قاعداً أو على جنب، ومن كان مسافراً أبيح له الفطر في رمضان، وغير ذلك، وقد قال سبحانه: ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮊ[التغابن: ١٦] .

ولو تأملت العبادات التي ألزم بها الشارع لوجدت أنها يسيرة بالنسبة لما يستطيع أن يقوم به الإنسان من عمل، فالواجبات لا تأخذ من وقت الإنسان إلا القليل، فالصلاة فرضت خمس مرات في اليوم والليلة، والصيام شهر في السنة ، ولا يصام كل اليوم وإنما من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والزكاة مرة في السنة لمن ملك نصابها، والحج مرة في العمر لمن استطاع إليه سبيلا ً، ثم تأتي النوافل وهي مدار التسابق إلى أعلى مراتب القرب، وليست بواجبة على المكلف، هذا مع ما يتحصل عليه العابد من التقرب إلى الله واستجلاب و لايته، والأمن من الخوف والحزن في الدنيا والآخرة، فلا يقتصر النفع الذي يعود إلى المكلف في الراحة الجسدية بل يتعداه إلى الراحة النفسية والا طمئنان، والشعور بالراحة والأمان، كما قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﮊ[الأنعام: ٨٢] .

وإذا انتقلنا إلى الصورة المقابلة التي عليها المشرك، فإنه يعتقد أن لكل معظم في نفسه وكل إله يعبده قربه لا بد أن يؤديها، وطاعة لا بد أن يقضيها، فيذبح لهذا قرباناً، ويذهب ليحج عند الآخر، والثالث يتوجه إليه يسأله المدد و

---

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، حديث(1975)، ومسلم،كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به...، حديث(1159).

(2) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، حديث (1151)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم من الصيام وغيره، حديث (782).

Modifier avec WPS Office

النصرة، والرابع يتذلل إليه بالخضوع والسجود، والخامس ينذر له النذور، وقس على ذلك، وهذا مُشَاهد لا يحتاج إلى برهان ولا دليل، فكلما انقضى موسم لوثن من الأوثان وضريح من الأضرحة بدأ موسم لآخر، قد أتعبوا أبدانهم، وبدّدوا أموالهم، وأعموا قلوبهم وعقولهم بهذا الباطل المشين والشرك المبين، وقد وصفهم الله بقوله: ﮋ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ الغاشية: [١-٤].

قال البغوي -رحمه الله-:((قال عطاء[1] عن ابن عباس: يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام، من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم، لا يقبل الله منهم اجتهادا ً في ضلالة، يدخلون النار يوم القيامة))[2]

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- بعض مظاهر الشرك التي كانت تفعل في زمنه، فقال:((فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله ولو كانت ما كانت، ويقولون: إن هذا الحجر وهذه الشجرة وهذه العين تقبل النذر، أي تقبل العبادة من دون الله تعالى، فإن النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له، ويتمسحون بذلك النصب ويستلمونه ...وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب فتنة أنصاب القبور، وهي أصل فتنة عبادة الأصنام كما قاله السلف من الصحابة و التابعين وقد تقدم))[3].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله- عند تعليقه على طلب المشركين اتخاذ ذات أنواط:((فإذا كان اتخاذ شجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عندها اتخاذ إله مع الله، مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فما الظن بما حدث من عبّاد القبور من دعاء الأموات والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم، و الطواف بقبورهم وتقبيلها وتقبيل أعتابها وجدرانها، والتمسح بها والعكوف عندها وجعل السدنة والحجاب لها، وأي نسبة بين هذا وبين تعليق الأسلحة على شجرة تبركا ً))[4].

إذا عرفت هذا عرفت الفرق بين حال من أخلص توجهه وقصده لله، وعبده مخلصاً له الدين، قد توجهت همته وقصده لمن يستحق أن تصرف له العبادة، ويتقرب له بالطاعة، من إذا أراد نفعه لم يقدر أحدٌ على ضره، وإذا أراد

---

(1) هو عطاء بن أبي رباح، شيخ الإسلام، مفتي الحرم، أبو محمد القرشي مولاهم، ولد في خلافة عثمان ، روى عن جماعة من الصحابة والتابعين، وكان ثقة ورعاً، توفي سنة 114هـ. انظر: تهذيب الكمال (69/20)، وسير أعلام النبلاء (78/5).
(2) تفسير البغوي (478/4).
(3) إغاثة اللهفان (212/1).
(4) تيسير العزيز الحميد (ص141).

Modifier avec WPS Office

به خيراً فلا راد لفضله، وحال من تلاعبت به الشياطين فأصبح يطلب نجاته ممن لا ينفعون ولا يضرون، ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ [النحل: ٢١]، فصرف لها قلبه وهمه وجهده، وما علم أنه يلهث خلف السراب، وأن عمله في تباب.

Modifier avec WPS Office

الفائدة الرابعة
دلالة المثل على جهل المشركين بما ينفعهم

العقول السليمة، والفطر المستقيمة، تدل على أن من طلب حاجته ممن لا يملكها أنه في غاية الجهل والضلال، وذلك لأن الإنسان بما يملكه من عقل يدرك مصالحه وما فيه منفعة له، فمن لم يهتد إلى ذلك فهو في جهل مطبق وضلال مبين، وهذا هو ما عليه المشركون، فإنهم توجهوا بقرباتهم وطاعاتهم إلى من يعلمون أنه لا ينفعهم ولا يضرهم، ولا أدل على علمهم بذلك من توجههم إلي خالقهم وبارئهم حال الشدة وانقطاع الأسباب، فإذا سلموا من الهلاك عادوا إلى تلك الأصنام والأوثان، مع أنه من المعلوم بداهة أن الإنسان يتقرب إلى من يعبده في الرخاء حتى ينقذه حال الشدة، كما قال عليه الصلاة والسلام:((تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة))[1]، فلو كان لهم عقول تدرك حقائق الأشياء لتنبهوا إلى ذلك ولاهتدوا إليه.

قال ابن عاشور -رحمه الله-:((ولا شك في أن أقل الناس عقلاً: المشركون، لأنهم طرحوا ما هو سبب نجاتهم لغير معارض يعارضه في دينهم، إذ ليس في دين أهل الشرك وعيد على ما يخالف الشرك من معتقدات، ولا على ما خالف أعمال أهله من الأعمال، فكان حكم العقل قاضياً بأن يتلقوا ما يدعوهم إليه الرسل من الإنذار للامتثال إذ لا معارض له في دينهم لولا الإلف والتكبر))[2].

وكثيراً ما يستثير القرآن عُقول المشركين بذكر الحجج العقلية والبراهين القاطعة على انعدام الجدوى من هذه الآلهة التي يتعلق بها المشركون، وأن استمرارهم على ذلك مع وضوح الحجة، وقوة البينة استمرار على العمى والضلال، قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ [الفرقان: ٣]، وقال سبحانه: ﮋ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﮊ [سبأ: ٢٢ - ٢٣].

فالقرآن قد أبطل بما اشتمل عليه من الحجج جميع ما يتشبث به المشركون من الدعاوى الباطلة، والحجج الواهية التي تسببت في الاستمرار في عبادة الأصنام.

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: ((فانظر كيف تلاعب الشيطان بهؤلاء، وذهب بعقولهم فنحتوا بأيديهم ما عبدوه، وما أحسن ما عاب الحق سبحانه وتعالى

---

(1) أخرجه أحمد (307/1) حديث (2803)، والترمذي، كتاب صفة القيامة، حديث (2516)، والحاكم في المستدرك (623/3)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

(2) التحرير والتنوير (27/12).

Modifier avec WPS Office

أصنامهم فقال: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﮊ [الأعراف: ١٩٥]، وكانت الإشارة إلى العباد، أي أنتم تمشون وتبطشون وتبصرون وتسمعون والأصنام عاجزة عن ذلك، وهي جماد وهم حيوان، فكيف عبد التام الناقص، ولو تفكروا لعلموا أن الإله يَصنع الأشياء ولا يُصنع، ويَجمع وليس بمجموع، وتقوم الأشياء به ولا يقوم بها، وإنما ينبغي للإنسان أن يعبد مَن صنعه لا ما صنعه، وما خيل إليهم أن الأصنام تشفع فخيال ليس فيه شبهة يتعلق بها))[1].

ومما يدل على جهل المشركين وقلة عقولهم أنهم يتخذون آلهة يصنعونها بأنفسهم من الحجر أو التمر ونحوه، ويحكى عن بني حنيفة أنهم صنعوا صنماً من الحيس[2]، فلما جاعوا أكلوه، فقال الشاعر:

أكلَـتْ حَنِيفَةٌ رَبّهـا ... زَمَنَ التَقَحمُ[3] والمَجَاعَهْ

لَمْ يَحـْذَرُوا مِنْ رَبّهِـم ... سُوءَ العَواقِبِ والتِبَاعَـهْ[4]

واشتهر في هذه الأمة عبادة القبور والأموات، ودعائهم والتوسل بهم، مع أنهم لو كانوا يستطيعون النفع والضر لنفعوا أنفسهم بإخراجها من تلك الحفرة المظلمة الموحشة، ولمنعوا ملك الموت من قبض أرواحهم، ولكن المرء قد يحول بينه وبين التفكر فيما يفعل ما وجد عليه الآباء والأجداد، كما قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﮊ [الزخرف: ٢٣- ٢٤]، فالشمس ساطعة إلا أن الحجب الكثيفة تمنعهم من إبصار الهدى وتمييزه عن الضلال، ولهذا شبههم الله بالأنعام، بل هم أضل، وذلك أن المشرك مُنح العقل فعطله، والإدراك فأهمله، واتبع شهوة نفسه، وما يميل إليه قلبه، بينما البهائم لم تمنح ذلك، فمن منح شيئاً فلم ينتفع به يعاب على ذلك بخلاف من لم يُمنَحه أصلاً.

---

(1) تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص77)، ت: د.السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ.

(2) الحيس: التمر يخلط مع السمن. انظر: القاموس المحيط (ص696).

(3) التقحم: من القحم وهو الأمر العظيم الشاق المهلك. انظر: لسان العرب (463/12).

(4) انظر: لسان العرب (27/8).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الخامسة
دلالة المَثَل على الترغيب في حمد الله على نعمة الهداية إلى التوحيد

الحمد : خبر بمحاسن المحمود مقرون بمحبته[1]، والله سبحانه في هذه الآية حمد نفسه، وضمن ذلك الأمر لعباده بحمده على ما أنعم عليهم من نعمة الهداية إلى توحيده وإفراده بالعبادة[2]، فهذه النعمة التي هدي لها الموحِّد من إفراد القصد والتوجه لله وحده، وعدم التفرق والتشتت بين الآلهة، والتعب و النصب في سبيل إرضائها، يستحق الشكر الجزيل ومداومة الحمد على ذلك، فإن الذي هداك إلى هذا الأمر هو الذي أضل غيرك عنه، وهو قادر على أن يحول بينك وبينه، ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ:((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)) فسألته عائشة رضي الله عنها عن ذلك، فقال:((ليس من آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه))[3].

والله سبحانه يحب الحمد والثناء والتمجيد من عباده، ولهذا قال النبي ﷺ للأسود بن سريع رضي الله عنه[4] حين قال له: يا رسول الله ، ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى، فقال له:((أما إن ربك يحب الحمد))[5].

وفي الصلاة التي هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين نجد أنها اشتملت على الحمد في جميع أجزائها.

يقول ابن القيم -رحمه الله-:((ولما كان حمده والثناء عليه وتمجيده هو مقصود الصلاة التي هي عماد الإسلام ورأس الطاعات شرع في أولها ووسطها

---

(1) انظر: منهاج السنة النبوية (404/5)، وبدائع الفوائد (327/2).

(2) انظر: تفسير الطبري (61/1).

(3) أخرجه أحمد (91/6)، حديث (24604)، وابن حبان (222/3)، حديث (943)، والحاكم في المستدرك (706/1)، حديث (1926)، وأحمد (91/6) حديث (24604), والنسائي في السنن الكبرى (414/4)، حديث (7737)، والترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن (448/4)، حديث (2140) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (1/ 22 رقم 102).

(4) هو الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة التميمي السعدي الشاعر المشهور، غزا مع النبي ﷺ أربع غزوات، وكان أول من قصّ بمسجد الكوفة، توفي سنة 42هـ. انظر: طبقات ابن سعد (41/7)، والإصابة (74/1).

(5) أخرجه أحمد (435/3) حديث (15586)، والحاكم في المستدرك (712/3) حديث(6575) وقال:صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والطبراني في الكبير(282/1) حديث (821)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح (95/10)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (3179).

Modifier avec WPS Office

وآخرها وجميع أركانها))[1].

ولما دعا يوسف صاحبيه في السجن إلى التوحيد، أثنى على الله ورد الفضل إلى المتفضل به، ونبه إلى أن أنها نعمة تستوجب ذلك، وإن كان أكثر الناس قد غفل عنها[2]، قال سبحانه عن يوسف : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ[يوسف: ٣٨].

وكثيراً ما يعقب سبحانه الأمر بحمده الآيات التي يدعو فيها لتوحيده، قال تعالى: ﮋ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮊ[النحل: ٧٥]، وقوله: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﯟ ﯠ ﯡ ﯢﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﮊ[لقمان: ٢٥].

وهذا الحمد يستحقه الرب سبحانه لما تفضل به على عبده من أمور كثيرة، **منها**: توفيقه وهدايته لموافقة الفطرة التي فُطر عليها، قال تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝﯞ ﮊ[الروم:٣٠] .

ومنها: موافقته لمقتضى العقل والحكمة، فإن التوحيد هو الذي تدل عليه العقول السليمة من الانحراف والضلال، ولذلك نجد أن القرآن يدعو إلى التوحيد بمخاطبة العقول بما تدركه وتشاهده من الدلائل والبراهين، ومن ضمن ما دل عليه هذا المثل من الحجة الساطعة والبرهان القاطع.

ومنها: سلامته من الضياع والتخبط بين الآلهة الباطلة، التي لا تنفع ولا تضر، ولا تعطي ولا تمنع، وتسليم أمره لخالقه ومالك أمره، من يقول للشيء: كن فيكون.

ومنها: اصطفاؤه واختياره من بين كثير من البشر الذين حادوا عن الحق والصواب، وهدايته لمراده سبحانه، ومعونته على القيام بحقه، فله بذلك المنة وحده جل في علاه، يقول سبحانه: ﮋﯥ ﯦ ﯧ ﯨﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾﯿ ﮊ[الحجرات:١٧]، ويقول سبحانه مخبراً عن قول المؤمنين بعد دخولهم الجنة: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙﯚ ﯛ ﯜ ﯝﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ[الأعراف: ٤٣]، وغيرها من المنن التي لا تعد ولا تحصى، فاللهم لك الحمد لا نحصى ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

(1) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم (1474/4)، ت: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط3، 1418هـ.
(2) انظر: تفسير الطبري (191/9).

Modifier avec WPS Office

الباب الثاني
الأمثال المضروبة للشرك والمشركين

وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول: ما ورد من الأمثال في تصوير سقوط المشرك من ولاية الله عزوجل.
الفصل الثاني: الأمثال المضروبة لبيان ضَعْف ما يتمسك به المشركون.
الفصل الثالث: ما ورد من الأمثال لبيان عجز من يُدعى من دون الله، واستواء الداعي والمدعو في ذلك.
الفصل الرابع: ما ورد من الأمثال لبيان قبح الشرك وكراهية السيد مشاركة عبده له في ملكه، وتنَزّهِ الله عز وجل عن ذلك من باب أولى.
الفصل الخامس: ما ورد من الأمثال في بيان شؤم الشرك وسوء عاقبته وحيرة أهله.

Modifier avec WPS Office

•
•

في الباب الأول تمت –بحمد الله- دراسة الأمثال المضروبة لتوحيد العبادة، وفي هذا الباب سيكون الحديث عن الأمثال المضروبة للشرك و المشركين، وهذه الأمثال في مجملها تبَين قبح الشرك وبطلانه وسوء عاقبته من عدة أوجه:

الأول: ضَرْبُ المثل المُبيّن لكون الشرك سبباً للخذلان والهلاك، فالمشرك ساقط من ولاية الله وعنايته، كما أنه متعرض لأسباب الهلاك كتعرض الساقط من السماء لذلك.

الثاني: ضَرْبُ الأمثال التي تُبيّن ضعف ما يتعلق به المشركون، حيث شبّه تعالى أولياء المشركين ببيت العنكبوت، وشبه الشرك بالشجرة الخبيثة، فأولياء المشركين ضعفاء واهنون، والشرك في نفسه لا يقوم على دليل ولا برهان، فمآله إلى الانبتات والاجتثاث من الأرض.

الثالث: ضَرْبُ الأمثال التي تُبيّن عجز آلهة المشركين، حيث أكد تعالى على مشابهتها لهم في العبودية، فهم عباد أمثالهم، فما يعجزون عنه هم كذلك هي عاجزة عنه، إن لم يكونوا أشد عجزاً، وأقام الحجة على انتفاء ألوهيتها بعجزها عن الخلق، وصور عجزها عن الاستجابة لداعيها بعجز الماء عن الا ستجابة لمن طلب منه الصعود إلى فيه ليشرب منه، وعقد المقارنة بين حال العبد المملوك والسيد المالك، وبين المتكلم بالخير ومن هو أبكم لا يقدر على شيء، وبَيّن أنهما لا يستويان مثلا ً.

الرابع: ضَرْبُ المَثَل المتضمن لإقامة الحجة علي المشركين بشيء يعهدونه من أنفسهم، وهو كراهية الواحد منهم مشاركة عبده له فيما يملك، فإذا كانوا لا يرضون ذلك لأنفسهم فكيف يرضونه لربهم ومالكهم.

الخامس: ضَرْبُ الأمثال المُبيّنة لسوء عاقبة الشرك، حيث شُبه المشرك الذي يشرك في نفقته بمن يزرع في أرض تحتها حجر يمنع من الإنبات، وشبه حسرته يوم القيامة بحسرة صاحب الجنة التي جاءها الإعصار الناري فأحرقها وهي في أحسن حالاتها، وهو أشد ما يكون حاجة إليها، كما قصّ على المشركين قصة الرجل المشرك الذي وهبه الله جنتين من أفضل الجنان، فلم يشكر تلك النعمة، وتمادى في كفره حتى أهلكها الله، لتكون تلك القِصّة عبرة للمشركين بأن تلك عاقبتهم إذا لم يؤمنوا.

وضَرَبَ المَثَل المُبيّن لحيرة المشرك وضلاله عن الطريق المستقيم، حيث شبهه بمن أضلته الشياطين عن الجادة التي عليها أصحابه، فتاه في الصحراء لا يدري أن يذهب.

Modifier avec WPS Office

الفصل الأول

ما ورد من الأمثال في تصوير سقوط المشرك من ولاية الله ، وفيه:

دراسة المثل في قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﮊ[الحج: ٣١].

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المثَل.

المطلب الثاني: نوع المثَل والغرض الذي ضُرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثّل به.

المطلب الرابع: صورة الممثّل له.

المطلب الخامس: الفوائد العقَدية المستفادة من المثل.

Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
دلالة السياق الذي ورد فيه المـ ـثَـ ـل

ورد هذا المَثَل ضمن سياق الآيات التي تتحدث عن الحج؛ فلما بين سبحانه الخصام بين فريق الإيمان وفريق الكفر في دين الله، واعتقاد كل فريق صحة ما هو عليه[1]، وبين ما أعد لكلا الفريقين، ذكر أنه هدى فريق الإ يمان إلى الطيب من القول، وهو قول: لا إله إلا الله، وكل قول فيه ذكر له سبحانه[2]، فقال:ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﮊ [الحج:١٩-٢٤].

ثم عاد ليبين سبب استحقاق المشركين لما أعده لهم من العذاب، وهو كفرهم وصدهم عن المسجد الحرام، وهذا الأسلوب مع ما تضمنه من بيان سبب تعذيبهم، فقد تضمن أيضاً التوطئة للحديث عن حق المسلمين في البيت الحرام[3]، وأن عمارته حِسيّة كانت أو معنوية لا تقتصر على من كان مقيماً فيه، بل يشترك فيها من كان مقيماً فيه وبعيداً عنه، قال تعالى: ﮋ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﮊ [الحج: ٢٥].

ثم أخذ السياق في بيان أهم الأمور التي يجب أن يتصف بها عُمار بيته، وذلك بأن وجه خليله إبراهيم وهو أول من بنى البيت بأن يجتنب الشرك ويبتعد عنه، وأن يبني البيت على اسم الله وحده[4]، ثم يطهر مكان العبادة من الأوثان حتى يخلص الطواف والعكوف والصلاة لله وحده دون ما سواه، قال تعالى: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [الحج: ٢٦]، فإذا جنب نفسه الشرك، وطهر البيت من الشرك حينها يؤذن في الناس بالحج، وفي هذا تقريع للمشركين الذين أشركوا بالله سبحانه في هذه البقعة التي أسست أول ما أسست على التوحيد[5]، فإن الله سبحانه لم يأذن ببناء البيت وعمارته الحسية إلا لأهل التوحيد، ولم يأذن بالعبادة عنده، وعمارته المعنوية إ لا لأهل التوحيد، وقد خالف المشركون ذلك، فَعُمّاره من قريش كانوا على الشرك وعبادة الأوثان، والعرب الذين كانوا يفدون إليه بالحج كانوا على الشرك

---

(1) انظر: روح المعاني (133/17).
(2) انظر: المحرر الوجيز (115/4).
(3) انظر: التحرير والتنوير (236/7).
(4) انظر: تفسير الطبري (143/17)، وتفسير ابن كثير (217/3).
(5) انظر: تفسير ابن كثير (216/3).

Modifier avec WPS Office

، بل كانوا يهلون لله ولغيره من الأوثان في حجهم فإذا أرادوا التلبية قالوا:((لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك))[1].

ثم انتقل السياق إلى مخاطبة كل من يستجيب للنداء ويقصد البيت، أن يطهروا أنفسهم من الشرك اعتقاداً كان أو قولاً أو فعلاً، وجعل ذلك من تعظيم حرمات الله، فقال سبحانه: ﴿ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ﴾ [الحج:٣٠].

ثم بين أعظم وصف يجب أن يتصف به المؤمن عموماً وحاج البيت خصوصاً، ألا وهو إفراد الله وحده بالعبادة والكفر بكل ما عبد من دونه، فلا يقبل من عاملٍ عملاً بدون التوحيد، قال تعالى:﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ﴾ [الحج:٣١]، فمن عبد الله وعبد معه غيره لم تنفعه تلك العبادة؛ لأنه سقط من ولاية الله وتخلى عنه الرحمن، وتخطفه الشيطان، ولتجلية هذا المعنى وإبرازه ضرب الله هذا المثل العظيم، حين شبه هذا المشرك بشخص كان مرتفعاً في السماء فسقط من ذلك الارتفاع، فمصيره إلى أحد أمرين: إما أن تخطفه الطير وتمزقه، أو يهوي في وادٍ سحيق، قال تعالى: ﴿ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ﴾ [الحج: ٣١].

وقد ضرب الله هذا المثل في سياق الآيات التي تتحدث عن الحج؛ لأن الحجاج يتكبدون المشاق ويعانون المتاعب طلباً لولاية الله ورضوانه، فنبههم إلى أن الشرك مسقط من ولايته مبعد عنها أعظم الإبعاد، ولن يستفيد مَنْ هذا حاله من حجه إلا التعب والعناء.

وفي أثناء السياق ذُكِرَتْ صفات أخرى لا بد منها لبلوغ كمال الحج، فمن هذه الصفات:

1.تعظيم حرمات الله وشعائره، فالحرمات هي: ما أمر الله باجتنابه وتعظيمها تركها والبعد عنها، وشعائر الله: أعلام دينه الظاهرة ومنها المناسك، وتعظيمها بأدائها على أكمل الوجوه[2]، قال تعالى: ﴿ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ﴾ [الحج:٣٢].

2.الإخبات، وهو الخضوع لله بالطاعة والعبادة، والتواضع لعباده المؤمنين[3]، وقد وصف الله المخبتين بعدة أوصاف تناسب ما قدموا من أجله وهو الحج، فقال تعالى: ﴿ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ﴾ [الحج:٣٤- ٣٥].

ثم رجع السياق إلى التأكيد على قضية التوحيد، حيث بَيّنَ سبحانه أن

---

(1) انظر: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها، حديث (2872) وسيرة ابن هشام (203/1).
(2) انظر: تفسير الطبري (153/17)، وتفسير السعدي (ص538).
(3) انظر: تفسير الطبري (161/17).

Modifier avec WPS Office

الهدايا التي تذبح في مكة والمشاعر إنما شُرِع ذبحها لتوحيد الله وتعظيمه، ولن يُرفع إلى الله منها شيء، فقال: ﮋ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﮊ[الحج: ٣٧]، فلم يشرعها سبحانه لينال منها فهو غني عنها وعن عباده جميعاً، والعباد محتاجون إليه وله المنة وحده أن سخرها لهم، وإنما شَرَع هذه المناسك حتى يؤدوا شكره على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، ويوحِّدوه بالتعظيم والتقرب، فمن تقرب إليه وإلى غيره من الأ وثان لم يحقق الغاية التي من أجلها شرعت هذه المناسك، فلا ينفعه ما قدَّم من المناسك مهما كان عظيماً، لعدم اقترانه بشرط ذلك وهو التوحيد في التقرب بالنُسك.

وفي آخر السياق أمر الله نبيه ﷺ بتبشير المحسنين، وهم الموحدون كما قاله ابن عباس[1]، فمن جاء بهذه المناسك مخلصاً لله فيها فهو مستحقٌ للبشارة بالجنة والنعيم المقيم الذي وعد الله به المؤمنين في أول هذا السياق، حيث قال سبحانه: ﮋ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﮊ[الحج: ٢٣].

وبهذا تتبين القضية التي يدور حولها السياق، وجاء المثل ليساهم في إبراز معالمها وهي: أن أساس صحة الإسلام وقبول الأعمال، والدخول في ولا ية الله، والفوز بالجنة والنجاة من النار، إنما يحصل بإفراد الله بالتوحيد في سائر الأعمال، والكفر بما يُعبد من دونه، وأن الشرك به سبحانه مُحبط للعمل مُخيب للأمل، مبعد عن رضوان الله وولايته وجنته.

---

(1) انظر: تفسير البغوي (289/3).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثاني
نوع المـَثَل والغرض الذي ضُرب من أجله

هذا المَثَل من الأمثال التشبيهية، حيث شبُه المشرك في هلاكه بمن خر من السماء، فتخطفته الطير، أو عصفت به الريح فهوت به في مكان سحيق.
والتشبيه في هذا المَثَل تشبيه مركب.
قال ابن القيم-رحمه الله-:((شَبَّه الإيمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسماء... وشبه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين؛ من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة، والطير الذي تخطف أعضاءه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها الله سبحانه وتعالى عليه تؤزه أزاً، وتزعجه وتقلقه إلى مظان هلاكه، فكل شيطان له مُزْعَة من دينه وقلبه، كما أن لكل طير مُزْعة من لحمه وأعضائه، والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء))[1].
وفي هذا المَثَل شبُه معقول بمحسوس، حيث شبُه الشرك وهو أمر معنوي غير مدرك بالحس، بشيء محسوس يمكن إدراكه بالحواس، وهو السقوط من السماء.

الغرض الذي من أجله ضُرب المَثَل:
هذا المَثَل ضربه الله عز وجل لبيان عظيم خطر الشرك، وأنه سبب لسقوط العبد من ولاية الله، وأنه بشركه يكون قد فقد العروة الوثقى والحبل المتين الذي يربطه بسبب سعادته ونجاته، فهلك هلاكاً ليس وراءه هلاك.
وهذا السقوط من ولاية الله جعله عُرضة لأعدائه المتربصين به من الشياطين المُضِلة والأهواء المُرْدية، فتردّى في الظلمات والضلالات.
قال ابن جرير -رحمه الله-:((يقول تعالى ذكره: اجتنبوا أيها الناس عبادة الأ وثان وقول الشرك، مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له، وإفراد الطاعة و العبادة له خالصاً دون الأوثان والأصنام، غير مشركين به شيئاً من دونه، فإنه من يشرك بالله شيئاً من دونه فمثله في بعده من الهدى وإصابة الحق وهلاكه وذهابه عن ربه، مثل من خر من السماء فتخطفه الطير فهلك، أو هوت به الريح في مكان سحيق، يعني: بعيد))[2].

(1) إعلام الموقعين (180/1).
(2) تفسير الطبري (155/17).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
صورة المـ ـمُـ ـثَـ ـّل به

دل على الممثّل به من الآية قوله تعالى: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﮊ [الحج: ٣١]، وهو مركب من أربعة أجزاء، هي:

1. المكان المرتفع الآمن الذي لا يصل إليه مدى الطيور الجارحة.
2. سقوطه من ذلك المكان إلى علو مدرك منها.
3. تسلط الطيور عليه وتمزيقه.
4. إن سلم منها فلن يسلم من الهلاك في أحد الأماكن السحيقة.

فالذي سقط من المكان المرتفع لا يخلو من الحالتين المذكورتين في الآية، وهما: أن تتخطفه الطير فيتحول إلى مُزَع وأشلاء، أو يستمر في سقوطه حتى يهوي في أحد الأودية السحيقة، وقد يحصل له الأمران ، فتمزق الطير بعض جسده ويستمر في التردي فيحصل له الهلاك بالسقوط.

وقد عطف على قوله: ﮋﭞ ﭟ ﮊ قوله: ﮋﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﮊ بحرف ((أو)) الدال على العطف، ومن المعلوم أن هذا الحرف يرد لعدة معان، منها: التخيير، والإباحة، والشك، والإبهام، والتقسيم.. وغيرها[1].

وقد اختلف المفسرون في معنى ((أو)) المراد في الآية، فمنهم من ذهب إلى أنها للتخيير، فيكون المعنى: أنك مخير بين أن تشبه المشرك بمن خر من السماء فتخطفته الطير، أو بمن سقط من السماء فهوى في مكان سحيق، ولكن ليس لك أن تجمع بين الأمرين[2].

ومنهم من ذهب إلى أنها للتقسيم والتنويع، أي أن من خر من السماء، إما أن تخطفه الطير، وإما أن تهوي به الريح في مكان سحيق[3].

وكلا المعنيين محتمل، إلا أن دلالتها على التقسيم أظهر، وذلك لعدة اعتبارات:

1. أن ((أو)) لا تدل على التخيير إلا إذا سُبقت بطلب، وهو المشهور عند النحاة[4].

قال ابن هشام عند بيان معاني (أو):((ولها أربعة معان: **معنيان بعد الطلب** وهما: التخيير والإباحة))[5]، وهي هنا لم تسبق بأمر ولا بطلب، ومن حملها على

---

(1) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (232/3)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، سوريا، 1405هـ.
(2) انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (513/6)، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ.
(3) انظر: روح المعاني (149/17).
(4) انظر: روح المعاني (182/18).
(5) شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام (ص302)، ت: محمد محيي

Modifier avec WPS Office

التخيير لم ير اشتراط هذا الشرط[1].

2. أن تفسيره بذلك يثري الصورة التشبيهية للمثل، ويضيف إليها دلالا ت أكثر مما لو جعلت للتخيير، خاصة وأن هذا التقسيم هو الموافق لواقع من يخر من العلو، فإما أن تتخطفه الطيور الجارحة، وإما أن يهوي في أحد الأ ماكن السحيقة، وإذا جعلتها دالة على التخيير تكون قد قصرت النتيجة لهذا السقوط على جزء من دلالته فقط، وأغفلت الجزء الآخر، من غير حاجة إلى ذلك، فلو كانت الصورتان متعارضتين أو أن كل واحدة تدل على المقصود مستقلة عن الأخرى لكان لهذا القصر وجه.

3. أن هذا هو المطابق لحال الممثل له -كما سيأتي- حيث أن الممثل له إما أن تتسلط عليه الشياطين، فتفرق قلبه بين الاعتقادات الباطلة، وإما أن يسير خلف هواه وما تشتهيه نفسه، وكلاهما نتيجة لبعده عن الإيمان.

وخلاصة ما تقدم: أن المشبه به في هذا المثل مركب من شخص كان في مكان عالٍ لا يصل إليه عدوه، ولا يتعرض لشيء من الأذى، وإذ به يتسبب في إسقاط نفسه من ذلك المكان بعمل اقترفه، فلا يخلو حاله من أمرين: إما أن تتخطفه الطيور الجارحة فيتفرق لحمه في حواصلها، أو يستمر في السقوط و التردي حتى يسقط في إحدى المهاوي السحيقة، وفي كلا الحالين فالهلاك متحقق لا محالة.

الدين عبد الحميد.

(1) انظر: حاشية الشهاب (513/6).

Modifier avec WPS Office

المطلب الرابع
صورة الممثـ ـّل له

دل على الممثّل له من الآية قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭗ ﭘ ﭙ... ﮊ الآية.

وفي المبحث السابق تبين لنا أن المشبه به مركب من عدة أجزاء، وفي هذا المبحث سأتطرق إلى ما يقابل تلك الأجزاء في المشبه، وهذه الأجزاء هي:

1. المؤمن الموحِّد، وهو يقابل من كان في مكان مرتفع آمن.
2. وقوعه في الشرك الأكبر وخروجه من ولاية الله، وهو يقابل سقوط الشخص من المكان المرتفع الآمن.
3. تسلط الشياطين على المشرك بفتن الشبهات والشهوات، وهو يقابل تسلط الطير على الساقط من السماء.
4. إن سلم من الشياطين فلن يسلم من هوى نفسه وشهوتها، وهو يقابل: هوي الريح به في مكان سحيق[1].

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن اختطاف الطير يقابله في الممثل له: الهوى، وأن الشياطين تقابل سقوط الإنسان في مكان سحيق، قال في الكشاف:((فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوّح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة))[2].

وقد أورد ابن القيم-رحمه الله- نحواً من هذا الكلام، إلا أنه حين جاء إلى هذا الجزء من المثل عكس المعنى بأن جعل الشياطين تقابل تخطف الطير، و الهوى يقابل السقوط والتردي[3]، وهذا المعنى هو الأقرب لمعنى المثل، وذلك لأ ن الذي تخطفته الطير قد تعرض له عدو من خارج ذاته فمزقه، وكذلك الشياطين فهي أعداء من خارجه تتسلط عليه، فإذا لم تعترضه الشياطين تردى بهواه إلى الضلال والبعد عن الله، وهذا بفعل منه، فهو الذي أوقع نفسه في الردى، من غير أن يتسبب غيره في ذلك.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((والريح التي تهوي به في مكان سحيق، هو هواه الذي حمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء))[4].

فالإيمان يرتفع بالعبد إلى مقام الولاية، فيحبه ربه ويتولاه، كما قال تعالى: ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮊ [المائدة: ٥٤] وهذه المحبة تقتضي النصرة

---

(1) الأمثال من القرآن والسنة (ص33)، وإعلام الموقعين (180/1).
(2) (157/3).
(3) انظر: إعلام الموقعين (180/1).
(4) المصدر السابق.

Modifier avec WPS Office

والمدافعة عن ذلك المحبوب، كما قال تعالى: ﮋ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﮊ [الحج: ٣٨] وقال تعالى: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮊ [الروم: ٤٧]، فلا يتمكن عدوه منه، و لا يقدر على إضلاله وإغوائه، كما قال تعالى مخاطباً إبليس: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮊ [الحجر: ٤٢].

فإذا أشرك العبد سقط من تلك الولاية وأبعده الله، فأصبح عُرْضَة لكل بلاء وفتنة، فتتلاعب به شياطين الإنس والجن، وتذهب به الأهواء والضلالات كل مذهب، لأنه فقد الحماية والحفظ من رب العالمين جل في علاه.

وهذا المعنى ظاهر في من كان على الإيمان ثم وقع في الشرك، وأما من لم يكن مؤمناً فيشمله هذا المعنى من جهة الفطرة، بمعنى: أنه كان على فطرة سليمة يستحق بها الولاية والرعاية، ثم لوّثها وأفسدها بالشرك وعبادة غير الله.

قال الآلوسي-رحمه الله-:((وهذا السقوط إن كان في حق المرتد فظاهر، وهو في حق غيره باعتبار الفطرة، وجعل التمكن والقوة بمنزلة الفعل، كما قيل في قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﮊ [البقرة: ٢٥٧]))[1].

(1) روح المعاني (149/17).

Modifier avec WPS Office

المطلب الخامس
الفوائد العقدية المستفادة من المَثَل

الفائدة الأولى: دلالة المَثَل على معنى الحنيفية.

الفائدة الثانية: دلالة المَثَل على أن التوحيد أساس تحصيل ولا ية الله.

الفائدة الثالثة: دلالة المَثَل على أن الشرك سبب الخذلان الأعظم.

Modifier avec WPS Office

الفائدة الأولى
دلالة المَثَل على معنى الحنيفية

الحَنَفُ هو: المَيْل، قال ابن فارس-رحمه الله-:((الحاء والنون والفاء أصلٌ مستقيم، وهو المَيـ ْل... ورجل أحنف، أي مائل الرِّجْلين، وذلك يكون بأن تتدانى صـ ُدورُ قدمَيه ويتباعد عقِباه.

والحنيف: المائل إلى الدين المستقيم. قال الله تعالى: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﮊ [آل عمران:٦٧]، والأصل هذا، ثم يُتّسع في تفسيره فيقال: الحنيف النّاسك، ويقال: هو المـ َخـ ْتـ ُون، ويقال: هو المستقيم الطريقة، ويقال: هو يتحنّف، أي: يتحرّى أقومَ الطريق))[1].

وقد بين سبحانه أن إبراهيم كان على حنيفاً، قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﮊ [البقرة:١٣٥].

وقال تعالى:ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡﮊ [آل عمران:٦٧].

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((وقد جعل الله سبحانه إبراهيم وآل إبراهيم أئمة للحنفاء المخلصين، أهل محبة الله وعبادته وإخلاص الدين له))[2].

والحنيفية هي الميل عن عبادة ما سوى الله إلى عبادته، كما قال تعالى في الآية التي ضرب فيها هذا المثل: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﮊ [الحج:٣١] .

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: ((فالدين الحنيف هو الإقبال على الله وحده ، والإعراض عما سواه، وهو الإخلاص الذي ترجمته كلمة الحق والكلمة الطيبة لا إله إلا الله))[3].

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله-:((اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم: أن تعبد الله مخلصا ً له الدين))[4].

وقد أوحى الله إلى نبيه بأن يتبع هذه الملة الحنيفية، قال تعالى: ﮋ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ [النحل:١٢٣].

قال ابن جرير-رحمه الله-:((يقول تعالى ذكره لنبيه محمد : ثم أوحينا إليك يا محمد وقلنا لك: اتبع ملة إبراهيم الحنيفية المسلمة، ﮋﮊﮊ يقول: مسلما ً على الدين الذي كان عليه إبراهيم، بريئًا من الأوثان والأنداد التي يعبدها قومك، كما كان إبراهيم تبرأ منها))[5].

---

(1) معجم مقاييس اللغة (110/2-111).
(2) مجموع الفتاوى (217/10).
(3) مجموع الفتاوى (319/9).
(4) الأصول الثلاثة (ص2).
(5) تفسير الطبري (193/14).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثانية
دلالة المَثَل على أن التوحيد أساس تحصيل ولاية الله

الولاية مأخوذة من: القرب والنصرة والمحبة[1]، قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﮊ [البقرة:٢٥٧].

قال ابن جرير-رحمه الله-:((نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه))[2]، وقال سبحانه: ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ [الجاثية:١٩] .

وهذه الولاية تقتضي قرب الرب تعالى من عبده، وإمداده بعونه وتوفيقه، وتأمينه من الخوف والحزن، كما قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﮊ [يونس:٦٢]، وقال تعالى: ﮋ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﮊ [غافر:٥١].

وفي الحديث:((يقول الله عز وجل: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب))[3].

ولا يتولى الله سبحانه إلا من تولاه بأن آمن به واتبع رسله، كما قال تعالى: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﮊ [المائدة: ٥٥- ٥٦].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-:((فولاية الله تدرك بالإيمان والتقوى، فكل من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً، ومن كان لله ولياً فهو ولي لرسوله، ومن تولى الله ورسوله كان تمام ذلك تولي من تولاه وهم المؤمنون الذين قاموا بالإيمان ظاهراً وباطناً، وأخلصوا للمعبود بإقامتهم الصلاة بشروطها وفروضها ومكملاتها، وأحسنوا للخلق وبذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقيها منهم... ثم ذكر فائدة هذه الولاية فقال:ﮋ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﮊ أي: فإنه من الحزب المضافين إلى الله إضافة عبودية وولاية، وحزبه الغالبون الذين لهم العاقبة في الدنيا والآخرة))[4].

وفي حديث الولي بين سبحانه بم تحصل الولاية للعبد، فقال:((وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه))[5]، فالولاية التامة تحصل بالإيمان التام، وكلما نقص الإ

---

(1) انظر: لسان العرب(407/15)، ومعجم مقاييس اللغة (141/6)، وتهذيب اللغة(322/15).
(2) تفسير الطبري (21/3).
(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث(6502).
(4) تفسير السعدي(236).
(5) تقدم تخريجه قريباً (ص232).

Modifier avec WPS Office

إيمان نقصت الولاية، فإذا انتفى الإيمان انتفت الولاية بالكلية.

وما دام الأمر كما ذكر، فإنه لا يتصور تقرب وعبادة بدون إيمان، ولا يتصور إيمان بدون توحيد، فعاد الأمر إلى التوحيد في حصول الولاية للعبد، فبوجوده توجد وبانتفائه تنتفي، ولهذا قال سبحانه: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﮊ [الأنعام:٨٢]، فالظلم هنا هو الشرك، كما فسره النبي .

فعن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت:ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﮊ شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال:((ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه، وهو يعظه: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﮊ [لقمان: ١٣]))[1]، فالأمن الذي هو من ثمار الولاية يتحقق بالإيمان الخالص من شائبة الشرك.

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﮊ [لقمان:١٢]، حديث (3429)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، حديث (124).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثالثة

دلالة المثل على أن الشرك سبب الخذلان الأعظم

إذا كان التوحيد سبباً لاستحقاق ولاية الله، كما مر معنا في الفائدة السابقة، فإن الشرك سبب لخذلان العبد وسقوطه من تلك الولاية، والخذلا ن:ترك الإعانة والنصرة[1]، فإذا أشرك العبد بربه تخلى عنه وخذله ووكله إلى من أشرك به، قال تعالى: ﮋﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮌ[الإسراء:٢٢].

قال ابن جرير-رحمه الله-: ((يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ، لا تجعل يا محمد مع الله شريكا ً في ألوهته وعبادته، ولكن أخلص له العبادة وأفرد له ا لألوهة، فإنه لا إله غيره، فإنك إن تجعل معه إلها غيره وتعبد معه سواه ﮋ تقعد مذموما ً ﮌ يقول: تصير ملوما ً على ما ضيعت من شكر الله على ما أنعم به عليك من نعمه، وتصييرك الشكر لغير من أولاك المعروف، وفي إشراكك في الحمد من لم يشركه في النعمة عليك غيره، ﮋ ﮔﮋ قد أسلمك ربك لمن بغاك سوءا ً، وإذا أسلمك ربك الذي هو ناصر أوليائه، لم يكن لك من دونه ولي ينصرك ويدفع عنك))[2].

وإنما تخلى عنه ربه لأنه ترك ما يستحق به الولاية، وهو إفراده تعالى بالعبادة، وصرف حقه سبحانه لغيره، فكيف يستحق أن يكون الله ولياً مُعيناً له وقد صرف حقه لغيره، ولم يقدره حق قدره، ولهذا فإن الله يكله إلى من أشرك به، كما روى أبو هريرة عن النبي قال: ((قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا ً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه))[3].

وعن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري[4] -وكان من الصحابة- قال: سمعت رسول الله يقول:((إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه، نادى منادٍ: من كان أشرك في عمله لله أحدا ً فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك))[5].

---

(1) انظر: لسان العرب (202/11).
(2) تفسير الطبري (62/15).
(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، حديث (2985).
(4) هو أبو سعيد –ويقال أبو سعد- بن أبي فضالة الأنصاري، ذكره ابن سعد في طبقة أهل الخندق، روى له الترمذي وابن ماجه. انظر: تهذيب التهذيب (116/12)، والإصابة (172/7).
(5) أخرجه أحمد (466/3) حديث(15838) والترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ، باب ومن سورة الكهف، حديث(3154) وابن ماجة،

Modifier avec WPS Office

كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، حديث (4203)، وحسنه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

Modifier avec WPS Office

الفصل الثاني
الأمثال المضروبة لبيان ضعف ما يتمسك به المشركون

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دراسة المثل في قوله تعالى: ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮇﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﮏ ﮐﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭾ[العنكبوت:٤١].

المبحث الثاني: دراسة المثل في قوله تعالى: ﭿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭾ[إبراهيم:٢٦].

Modifier avec WPS Office

المبحث الأول

دراسة المَثَل في قوله تعالى: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮊ [العنكبوت:٤١].

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المـَثـَل.

المطلب الثاني: نوع المـَثـَل والغرض الذي ضـُرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثـّل به.

المطلب الرابع: صورة الممثـّل له.

المطلب الخامس: الفوائد العـَقـَدية المستفادة من المثل.

Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
دلالة السياق الذي ورد فيه المـ ـثـ ـل

ورد هذا المثل في سورة العنكبوت، وقد افتتح الله هذا السورة المباركة بـ الحديث عن الابتلاء، قال تعالى: ﮋ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮊ [العنكبوت: ١- ٢]، فمن دخل في الإسلام لابد أن يُوطن نفسه على حصول البلاء وا لامتحان، وإنما ذكر الله سبحانه ذلك؛ لأن ممن دخل في الإسلام قوم تعرضوا للتعذيب والإيذاء من قومهم فلم يحتملوا ذلك، وآثروا النجاة من أذى الناس، وقدموه على السلامة من عذاب الله، وكأن فعلهم ذلك يُشعر بأنهم يرون المساواة بين الأمرين، فقال تعالى في حقهم:ﮋ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮊ [العنكبوت:١٠][1].

ثم انتقل السياق للحديث عن الفتن والابتلاءات التي تعرض لها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فبين سبحانه أن نوحاً ابتلي بطول مُدّة الدعوة وقِلة المستجيب، قال تعالى: ﮋ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﮊ [العنكبوت:١٤].

وإبراهيم ابتلي بإلقاء قومه له في النار، ولكن الله سبحانه نجاه منها وجعلها عليه برداً وسلاماً، قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ [العنكبوت:٢٤].

ولوطٌ ابتلي بقوم يفعلون المنكر في نواديهم ومجتمعاتهم، بل بَلَغ بهم الأمر إلى مُراودته عن ضيفه، قال تعالى:ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﮊ [العنكبوت:٢٨-٢٩].

وتتَابعت قَصَص الأنبياء على هذا النسق، مُبينه ما تعَرّض له الأنبياء من أقوامهم. ثم إن الله سبحانه بَيّن أن العاقبة تكون للأنبياء فينجيهم ويُهلك أقوامهم، كما قال تعالى: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮊ [العنكبوت:٤٠][2].

فإذا نظرت إلى حال الأنبياء مع أقوامهم، ثم نظرت إلى ما آل إليه أمر أولئك الأقوام، أدركت قضيتين هامتين:

الأولى: أن البلاء والمحنة يتعرض لها المؤمنون جميعاً، لا فرق في ذلك بين مؤمن ومؤمن، بل إن العبد كلما كان أقوى في إيمانه كان بلاؤه أشد، كما قـ ال النبي : ((أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان دينه صلبا ً اشتد بلاؤه، و إن كان في دينه رقة ابتلي على

---

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الايات والسور (225/6)، وشفاء العليل (ص 247).

(2) انظر: نظم الدرر (225/6).

Modifier avec WPS Office

حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة))[1].

الثانية: أن القوم الذين بعث إليهم الأنبياء كانت لهم معبودات من دون الله، يصرفون لها العبادة والتعلق، ويتقربون إليها بأنواع القرب، فهل أغنت عنهم تلك الآلهة شيئاً.

فالسياق يقصد إلى مخاطبة من رجع عن دينه إلى عبادة الأوثان والأصنام ، ليؤكد لهم أن البلاء لم يكن خاصاً بهم؛ بل حتى الأنبياء يقع عليهم، وأن هذه الأوثان التي رجعوا إلى عبادتها لن تحميهم من العقاب الإلهي إذا نزل بهم، فإذا عجزوا عن تحمل العذاب الذي أوقعه بهم قومهم، مع أنه لا يقارن بعذاب الله سبحانه، فلن تحميهم هذه الأصنام من عذاب الله سبحانه الذي حل بالأمم قبلهم.

وبعد أن بَيّن الله هَاتين القضيتين، زاد في التأكيد على ضعف آلهة المشركين، وأنها لا تملك لمن عَبدها شيئاً بل هي في وهَائِها وضَعفها كنسج العنكبوت، قال تعالى: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮊ [العنكبوت:٤١].

قال الطاهر بن عاشور-رحمه الله-: ((لما بُيِّنَت لهم الأشباه والأمثال من الأمم التي اتخذت الأصنام من دُون الله، فما أَغنت عنهم أصنامهم لما جاءهم عذاب الله، أَعقب ذلك بضرب المثل لحال جميع أولئك وحال من ماثلهم من مشركي قريش، في اتخاذهم ما يحسبونه دَافِعاً عنهم وهو أضعف من أن يَدفَع عن نفسه، بِحال العنكبوت تَتّخِذ لِنفسها بيتاً تحسب أنها تعتصم به من المعتدي عليها، فإذا هو لا يَصمد ولا يَثبت لأضعف تحريك فيسقط ويتمزق))[2].

والمشركون على قلوبهم أكنة تمنعهم من فَهْمِ مثل هذه الحجج العقلية وإدراكها، وذلك بسبب الإعراض عن الحق، وتمكن الكفر والضلال في نفوسهم بحيث لا يستطيعون الانفكاك عنه مهما قامت عليهم الحجج، كما قال تعالى: ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ [الأعراف:١٤٦]، ولهذا قال في نهاية المثل: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ وقال بعده: ﮋ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ [العنكبوت:٤٣]، والمشركون لم يَكْتَفوا بمجرد الإعراض عن هذه الأَمْثَال بل زَادوا على ذلك بأن اتخذوها هُزواً فأنى لهم أن يفهموها وهذه حالهم[3].

---

(1) أخرجه أحمد (172/1)، حديث (1481)، والترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث (2398)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

(2) التحرير والتنوير (252/8)، وانظر: نظم الدرر (249/6).

(3) انظر: التحرير والتنوير (256/8).

Modifier avec WPS Office

وبعد أن ضرب الله هذا المثل بين القضية التي من أجله ضربها؛ وهي بيان أن المشركين في عبادتهم لهذه الأصنام ليسوا على شيء، وأن الله حين ضرب هذا المثل لها، ضربه وهو العليم بحالها المدرك لحقيقة ما يتعلق به المشركون حين عبادتهم لها، فقال جل شأنه: ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮊ [العنكبوت:٤٢][1].

(1) انظر: تفسير الطبري (153/20).

المطلب الثاني
نوع المـ ـثـ ـَل والغرض الذي ضـ ـُرب من أجله

هذا المَثَل من الأمثال التشبيهية، فقد شبّه الله سبحانه المشرك في عبادته لغير الله، بالعنكبوت حين اتخذت بيتاً، بجامع: قلة النفع وانعدام الفائدة المرجوة في كل.

وهو من الأمثال المركبة، فيكون المعنى: مثل العنكبوت عندما اتخذت بيتاً ضعيفاً واهناً، كمثل المشرك عندما اتخذ معبوداً باطلا ً لأنه لا ينفعه ولا يضره.

قال الآلوسي-رحمه الله-:((مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء فيما اتخذوه مـ ـُعتمدا ً ومـ ـُتكلا ً في دينهم، وتولـ ـّوه من دون الله تعالى، كمثل العنكبوت فيما نسجته واتخذته بيتا ً، والتشبيه على هذا من المركب))[(1)].

والتشبيه في هذا المَثَل من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس، فإن العنكبوت ونَسْجها أمر مدرك بالحس، أما الشرك وعِبادة الأ ـَوثان فهو أمر معنوي غير محسوس.

الغرض الذي من أجله ضُرب المثل:

بَيّن الله سبحانه الغرض من ضرب هذا المثل في قوله: ﮋﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮌ، فإذا كان بيت العنكبوت أوهن البيوت، ولا يحقق المقصود من اتخاذه وقد مَثّل الله به آلهة المشركين، إذاً فآلهة المشركين هي أيضاً شديدة الضعف والوَهَاء كذلك البيت.

كما أن هذا المَثَل ضُرِب أيضاً لبيان خطر هذه الأصنام والأوثان مع ضعفها ووهائها، حيث أن هذه الأصنام قد وَقَع في شَرَكها خلق كثير، وضل بها أمم من الناس، كما قال تعالى: ﮋﭟ ﭠ ﭡﭢﭣﭤﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭩﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮﭯﮌ [إبراهيم: ٣٥- ٣٦].

وهذا الأسلوب المتبع في هذا المَثَل يشبه ما حكاه الله سبحانه عن كيد الشيطان بقوله: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮌ [النساء:٧٦]، ومع ذلك الضعف فقد أضل كثيراً من الناس، قال تعالى: ﮋﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮌ [يس:٦٢].

وكما هي حال جميع أمثال القرآن فإن الله سبحانه يضربها لتنبيه العقول إلى القضية التي ضُرِبت الأمثال لأجلها، وهي هنا بيان بطلان الشرك، وضعف ما يتعلق به المشركون، ولذلك قال سبحانه بعد ضرب هذا المثل: ﮋ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮌ، فبين أنه ضرب هذا المثل ليتفكر فيه ويدرك معانيه وما يرمي إليه أهل العقل الصريح والبصيرة الثاقبة.

---

(1) روح المعاني (160/20).

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
صورة الممثّل به

دل على الممثّل به من الآية قوله تعالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮊ، وهو مركب من ثلاثة أجزاء:

1.العنكبوت، وهي الحشرة المعروفة، جاء في لسان العرب:((دويبة تنسج في الهواء وعلى رأس البئر نسجاً رقيقاً مهلهلاً))[1]، وهي أنواع كثيرة تصل إلى خمسة وثلاثين ألف نوع، ويعتقد الباحثون أن هناك أنواع كثيرة لم يتم اكتشافها بعد، وهذه الأنواع تختلف في حجمها وصفاتها وسميتها... وغير ذلك.

وليس كل العناكب تنسج بيوتاً، بل منها أنواع لا تتمكن من بناء هذه الأنسجة كالعنكبوت الذئبية والعنكبوت السرطانية، وتأكل العناكب -غالباً- أجسام الحشرات، وبذلك تفيد الإنسان لأنها تقضي على عدد كبير منها، وبالتالي تقيه أضرارها[2].

2.بيت العنكبوت، وهي تلك الخيوط الرقيقة التي تنسجها العنكبوت، وهي خيوط حريرية، تنسجها العنكبوت بواسطة غدد في أرجلها تصل إلى سبع غدد، ولا ينسج إلا الأنثى أما الذكر فلا يتمكن من ذلك، ومن هنا يظهر الإعجاز العلمي في هذه الآية، حيث قال سبحانه: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮊ فتاء التأنيث المتصلة بالفعل (اتخذ) عائدة إلى العنكبوت، ولفظ (العنكبوت) يطلق على الذكر والأنثى، فلو كان الذكر ينسج أيضاً لما أعاد سبحانه الضمير إليها بلفظ التأنيث[3].

وهذا النسيج تستفيد منه العنكبوت عدة فوائد، منها: اصطياد الفرائس، وهذا الغرض أبرز غرض تبني له العنكبوت بيتها، وطريقة الاصطياد تختلف من عنكبوت لآخر، فمن العناكب من تتربص بالفريسة حتى تدخل إلى هذا البيت ثم تهجم عليها، ومنها من تنسج على شكل شبكة تحملها بين رجليها فإذا مرت الفريسة تحتها ألقت الشبكة.

ومن فوائد هذا النسيج أيضاً: لف الفرائس، فبعض العناكب إذا اصطادت فريسة قامت بلفها بغرض حفظها، وأحياناً تقوم بلفها قبل موتها وذلك حتى تتقي أذاها[4].

---

(1) لسان العرب (632/1).
(2) انظر: عالم الحشرات العجيب، تأليف: تيني جونسون، ترجمة:كارم غنيم، (121-122). وموسوعة المعارف المصورة، إعداد الدكتور: ألبير مطلق، (128-131).
(3) انظر: بيت العنكبوت، لخليل إبراهيم أمين (ص17).
(4) انظر: العنكبوت وخيوطها في القرآن الكريم، (84-109).

Modifier avec WPS Office

3.وهن ذلك البيت وضعفه، وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﮋﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ، فبيت العنكبوت مقارنة ببيوت غيرها من الكائنات، بيت ضعيف واهن، فهو لا يقي من حر ولا برد، ولا يرد مطراً ولا ريحاً، ولا يضمن للعنكبوت الاستقرار فهي في داخله دائمة الترقب، ومثل هذا البيت لا ينطبق عليه أنه بيت إلا على سبيل التجوز.

وهذا لا يتعارض مع كون نسج ذلك البيت قوياً محكماً، لأن قوة نسجه لا يمنع من كونه ضعيفاً في نفسه.

قال الجاحظ[1]:((قال الله عز وجل: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮈﮉ ﮊﮋ ﮌ ﮍﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ، ثم قال على إثر ذلك: ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮊ، يريد ذ ِﮝ ْﮞ ُﮟ بالو َﮠن، وكذلك هو، ولم يُرِدْ إحكام الصنعة في الرّقّة و الصّفاقة، واستواء الرقعة، وطول البقاء، إذ كان لا يعمل فيه تعاوُرُ الأيام، وسَلِمَ من جنايات الأيدي))[2].

فإن قيل: لِـمَ أكد الله سبحانه وَهَن بَيْت العنكبوت، مع أن ذلك معلوم لكل المخاطبين؟

لم أجد من أجاب عن هذا الإشكال، وإنما أشار بعض المفسرين إلى مناسبة ختم الآية بقوله: ﮋ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ.

قال الزمخشري:((فإن قلت: ما معنى قوله: ﮋ ﮏ ﮐ ﮑﮒﮊ وكل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت؟ قلت: معناه لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم، وأن أ َﮠ ْﮡ َ دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن))[3]، ومع ذلك فالسؤال ما زال قائماً.

والذي يظهر –والله أعلم- أن الله سبحانه لما شبه المشركين في اتخاذهم أولياء من دونه بالعنكبوت في اتخاذها نسجها بيتاً، ورد في الذهن وارد هو: كيف يشبه أولئك الأولياء ببيت العنكبوت، وذلك البيت في غاية الوهاء، لا يصلح للقرار والسكنى، وأولياء المشركين يُعتقد فيهم أنهم ينفعون ويضرون، فليسوا كبيت العنكبوت.

فكان هذا التأكيد جواباً لهذا الوارد، فتلك الآلهة في غاية الضعف، وما يعتقدونه فيها إنمَا هي أوهام نُسِجت حولها يَظُن الظانُّ أنها حقائق، وهي أوهى من بيت العنكبوت، فكما أن ذلك النسج اتخذته العنكبوت بيتاً مع وهائه

---

(1) هو عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي، أبو عثمان الجاحظ، كان من بحور العلم وكان من الأذكياء، له مقالة في أصول الدين، وإليه تنسب الفرقة الجاحظية من المعتزلة، وكان ماجناً قليل الدين، توفي سنة 250هـ. من تصانيفه: الحيوان، والبيان والتبيين. انظر: سير أعلام النبلاء (526/11).

(2) كتاب الحيوان للجاحظ (300/2).

(3) الكشاف (458/3).

Modifier avec WPS Office

وضعفه، فلا تعجبوا من اتخاذ أولئك الأولياء من دون الله، مع ضعفهم وعدم نفعهم لأنفسهم فضلا ً عن غيرهم.

ولما كان المشركون يَأبون أن يكون أولياؤهم في الوهاء كبيت العنكبوت، بين تعالى أن ذلك أمر في غاية الظُهور لو كان لهم عقول يُدركون بها حقائق ا لأشياء.

Modifier avec WPS Office

المطلب الرابع
صورة الممثّل له

دل على الممثّل له من الآية قوله تعالى:ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮊ، وبناء على ما سبق ذِكْرُه في الممثّل به، يمكن أن نقسم أجزاء الممثّل له إلى ثلاثة أجزاء، هي:

1. المشرك الذي يعبد غير الله، وهو يقابل العنكبوت.
2. الأولياء، ويقابلون بيت العنكبوت.
3. ضعف أولئك الأولياء عن تحقيق المبتغى من توليهم، وذلك يقابل ضعف بيت العنكبوت.

فالمشرك اتخذ من دون الله أولياء، كالعنكبوت اتخذت بيتاً، وأولئك الأولياء المتخذون هم الطواغيت المشار إليهم في قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ[البقرة:٢٥٧]، والطاغوت:((كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى الطاغوت ومتابعته))(1).

وأعظم تلك الطواغيت، الذي ضل بسببه من ضل عن الحق، والذي نصب الأوثان ليعبدها الخلق، هو الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ[يس:٦٠].

قال ابن القيم-رحمه الله-:((فإنه ما عبد من دون الله إلا الشيطان، كما قال تعالى: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮊ [يس:٦٠- ٦١]، ولما عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم للشيطان، وهم يظنون أنهم يعبدون الملائكة، كما قال تعالى:ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ[سبأ:٤٠- ٤١]، فالشيطان يدعو المشركين إلى عبادته، ويوهمهم أنه ملك، كذلك عبّاد الشمس والقمر والكواكب، يزعمون إنهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب، وهي التي تخاطبهم وتقضي لهم الحوائج، ولهذا إذا طلعت الشمس قارنها الشيطان، فيسجد لها الكفار، فيقع سجودهم له، وكذلك عند غروبها... فيدل هذا كله على قوله تعالي:ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ

(1) إعلام الموقعين (50/1).

Modifier avec WPS Office

ژ، فما ع بَد أحد من بني آدم غير الله كائنا ً من كان إلا وقعت عبادته للشيطان))[1].

والمشركون إنما اتخذوا هذه المعبودات رجاء نفعها وبركتها، قال تعالى: ژ ﭺ ﭻ ﭼﭽﭾ ﭿﮀﮁﮂﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ژ [مريم:٨١- ٨٢]، وقال تعالى: ژ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ژ [يس:٧٤- ٧٥]، وهي أبعد ما تكون منفعة وفائدة.

قال ابن القيم-رحمه الله-: ((فذكر سبحانه أنهم-أي: المشركين- ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياءهم أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتا ً، وهو من أوهن البيوت وأضعفها.

وتحت هذا المثل: أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء، فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفا ً، كما قال تعالى:ژﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ژ، وقال تعالى:ژﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ژ، وقال بعد أن ذكر إهلاك الأمم المشركين: ژ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ژ ژ ژ [هود:١٠١]، فهذه أربعة مواضع في القرآن تدل على أن من اتخذ من دون الله وليا ً يتعزز به ويتكبر به ويستنصر به؛ لم يحصل له به إلا ضد مقصوده، وفي القرآن أكثر من ذلك، وهذا من أحسن الأمثال، وأ دَ لّها على بطلان الشرك، وخسارة صاحبه، وحصوله على ضد مقصوده))[2].

(1) الجواب الكافي (ص99).
(2) إعلام الموقعين (154/1).

Modifier avec WPS Office

المطلب الخامس
الفوائد العقدية المستفادة من المثل

وفيه أربع فوائد:

الفائدة الأولى: دلالة المثل على أن معبودات المشركين في غاية الضعف والعجز، والعاجز لا يصلح للعبادة.

الفائدة الثانية: دلالة المثل على شدة العداء بين الشيطان وبني آدم.

الفائدة الثالثة: دلالة المثل على أن المشرك يتحصل من الشرك على ضد مقصوده.

الفائدة الرابعة: دلالة المثل على أن المشرك لا عقل له.


Modifier avec WPS Office

الفائدة الأولى
دلالة المثل على أن معبودات المشركين في غاية الضعف والعجز، والعاجز لا يصلح للعبادة

ضرب الله تعالى هذا المثل لجميع الأولياء الذين اتخذهم المشركون من دونه، فكل من عُبِد من دُون الله فهو مُشبّه ببيت العنكبوت في الضعف و الوهاء وانعدام الجدوى.

وقد أخبر تعالى عن رأس الطواغيت وهو الشيطان الرجيم بأن من تولاه فقد خسر الخسران المبين، لأنه لا يملك إلا الأماني الكاذبة، قال تعالى: ﮋ ۋ ۇ ۆ ۈ ۉ ۉ ې ې ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﮊ [النساء:١١٩- ١٢٠].

قال ابن جرير-رحمه الله-: ((يقول: فقد هلك هلاكا ً، وبَ َخ َس نفسه حظَها فأوبقها بخسا ً ﮋﭥﮊ، يُ ُبيِ ِن عن عَطَبه وه َلاكه، لأن الشيطان لا يَملك له نصرا ً من الله إذا عاقبه على معصيته إياه في خلافه ِ أ َم ْرَه، بل يَ َخذُله عند حاجته إليه. وإنما حاله معه ما دام حيّ َا ً ممهَلا ً بالعقوبة، كما وصفه الله جل ثناؤه بقوله: ﮋ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﮊ، يعني بذلك جل ثناؤه: يَ َع ِد الشيطان المَرِيد ُ أولياءه الذين هم نصيبُه المفروض[1]:أن يكون لهم نصيرا ً ممن أرادهم بِ ِس ُوء، وظهيرا ً لهم عليه، يمنعهم منه ويدافع عنهم، ويُ ُم َن ِّيهم الظفر على من حاول مكروههم والفلَج[2] عليهم.

ثم قال: ﮋ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﮊ، يقول: وما يعد الشيطان أولياءَه الذين اتخذوه وليًا من دون الله ﮋﯭ ﯮ ﯯﮊ يعني: إلا باطلا ً))[3].

وكذلك سائر المعبودات الباطلة، قال تعالى موبخاً المشركين: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﮊ [الأعراف:١٩١- ١٩٤]، وقال إبراهيم لقومه: ﮋ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮊ [الأنبياء:٦٦- ٦٧].

فجميع من اتخذ ولياً من دون الله هم في غاية الضعف والوهاء، ومن كان بهذه المثابة فكيف يستحق أن يُجعل ولياً من دون الله، يرجوا متخذه نفعه وبره وبركته، وتأمل هذه المقارنة التي عقدها الخليل بين معبودات المشركين وبين الإله الحق المبين، قال تعالى: ﮋ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﮊ

---

(1) إشارة إلى قوله تعالى: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮊ [النساء:١١٨].
(2) الفلَج:((الظفر والفوز)) انظر: لسان العرب (347/2).
(3) تفسير الطبري (286/5).

Modifier avec WPS Office

[الشعراء:٦٩- ٨٢].

قال ابن جرير-رحمه الله-:((وإنما كان هذا الكلام من إبراهيم احتجاجاً على قومه، في أنه لا تصلح الألوهة، ولا ينبغي أن تكون العبودة إلا لمن يفعل هذه الأفعال، لا لمن لا يطيق نفعاً ولا ضرّاً))[1].

(1) تفسير الطبري (85/19).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثانية
دلالة المثل على شدة العداء بين الشيطان وبني آدم

لما خلق الله تعالى آدم أمر الملائكة بالسجود له، ﮋﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮊ [البقرة:٣٤]، فطرده الله وأبعده من رحمته، فأقسم بعزة الله ليُغْوينّ بني آدم أجمعين إلا عِبَاد الله المُخْلَصِين، قال تعالى:ﮋﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﮊ [ص:٧١- ٨٥].

ومن ذلك الحِين والحرب بين إبليس وجنوده، وآدم وذريته سِجَال، فما زال بآدم يُوَسْوِس له حتى أخرجه من الجنة، ولن يَزَال بذريته يوسوس لهم ويفتنهم حتى يوقع كثير منهم في شَرَكِه، ولذا حذرنا الله من مكره وشره، قال تعالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮊ [الأعراف:٢٧].

وقد نصب الشيطان لإضلال الناس وإغوائهم حبائل ومصائد كثيرة جداً، من أعظمها وأشدها إضلالاً لهم وإبعاداً عن الحق: تلك الأوثان والأصنام والمعبودات الباطلة التي عَلَق الناس بها وصرفهم عن التوحيد إلى الشرك، وعن الإيمان إلى الكفر، فجعل لكل قوم ولياً يتعلقون به يطلبون نفعه ونصره، ويتقربون إليه بأنواع القرب، فمنهم من علقه بالكواكب والنجوم، ومنهم من علقه بالأصنام والأحجار، ومنهم من علقه بالملائكة، ومنهم من علقه بالأنبياء، ومنهم من علقه بالأولياء والصلحاء، وقطع عليهم بذلك باب الهداية والنجاة من العذاب، فإن الله تعالى بين أن السلامة من الشيطان لا تكون إلا لعباده المخلصين، قال تعالى: ﮋﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﮊ [ص:٨٢- ٨٣]، وقال تعالى: ﮋﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﮊ [النحل:٩٨- ١٠٠].

وقد أشار ابن القيم إلى صور كثيرة من تلاعب الشيطان ببني آدم في هذا الباب في (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان)[1]، وكذلك أبو الفرج ابن الجوزي -رحمه الله- في (تلبيس إبليس)[2]، ومما قاله في هذا الكتاب:((فانظر كيف تلاعب الشيطان بهؤلاء، وذهب بعقولهم، فنحتوا بأيديهم ما عبدوه، وما أحسن ما عاب الحق سبحانه وتعالى أصنامهم فقال: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﮊ [الأعراف:١٩٥]، وكانت الإشارة إلى

(1) انظر: (1/182-223)، و(2/203) وما بعدها.
(2) انظر: الباب الخامس كاملاً.

Modifier avec WPS Office

العـ ُبـ ّاد، أي: أنتم تمشون وتبطشون وتبصرون وتسمعون، والأصنام عاجزة عن ذلك وهي جماد وهم حيوان، فكيف عـ َبـ َد التام الناقص، ولو تفكروا لعلموا أن الإله يـ َصـ ْنـ َع الأشياء ولا يـ ُصـ ْنـ َع، ويـ َجـ ْمع وليس بمجموع، وتـ َقـ ُوم الأشياء بـ ِه ولا يـ َقـ ُوم بها، وإنما ينبغي للإنسان أن يـ َعـ ْبـ ُد من صـ َنـ َعه لا ما صـ َنـ َعه، وما خـ ُيـ ِّل إليهم أن الأصنام تـ َشـ ْفـ َع، فخيال ليس فيه شـ ُبهة يـ ُتـ َعلق بها))[1].

---

(1) (ص77-78).

الفائدة الثالثة
دلالة المثل على أن المشرك يتحصل من الشرك على ضد مقصوده

الذي يتخذ ولياً كائناً من كان فإنما يتخذه ليكون نصيراً ومعيناً له، وهذا هو معنى الولاية، فإنها مأخوذة من القرب والنصرة والمحبة[1]، ومن أجل ذلك اتخذ المشركون من دون الله أنداداً وأولياء، قال تعالى: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮊ، وقال تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﮊ، ولكن ما كل من اتخذ ولياً يكون قادراً على تحقيق النصرة والمنفعة لمن تولاه، فمن الأولياء من يكون وبالاً على من تولاه، قال الشاعر:

وَالمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ   كَالمُسْتَجِيرِ مِنْ الرَمْضَاءِ بِالنَّارِ[2]

وهذا هو الشأن بالنسبة لأولياء المشركين، فلا يتحصلون بتوليها إلا على المذمة والخذلان.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((فأعظم الناس خذلانا من تعلق بغير الله، فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلق به، وهو معرض للزوال والفوات، ومثل المتعلق بغير الله: كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت أوهن البيوت.

وبالجملة: فأساس الشرك وقاعدته التي بُنِي عليها: التعلق بغير الله، ولصاحبه الذم والخذلان، كما قال تعالى:ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ[الإسراء:٢٢]، مذموما لا حامد لك، مخذولا لا ناصر لك، إذ قد يكون بعض الناس مقهورا محمودا؛ كالذي قهر بباطل، وقد يكون مذموما منصورا؛ كالذي قهر وتسلط عليه بباطل، وقد يكون محمودا منصورا؛ كالذي تمكن وملك بحق، والمشرك المتعلق بغير الله قسمه أردأ الأقسام الأربعة؛ لا محمود ولا منصور))[3].

وهذا المثل من أوضح الأدلة على هذا المعنى.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((وهذا من أحسن الأمثال، وأدلها على بطلان الشرك، وخسارة صاحبه، وحصوله على ضد مقصوده))[4].

---

(1) انظر: لسان العرب (407/15)، ومعجم مقاييس اللغة (141/6) وتهذيب اللغة (322/15).
(2) ((يضرب مثلا للرجل يفر من الأمر إلى ما هو شر منه)) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (160/2)، دار الفكر، بيروت.
(3) مدارج السالكين (458/1).
(4) إعلام الموقعين (154/1).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الرابعة
دلالة المَثَل على أن المشرك لا عقل له

نفى الله سبحانه وتعالى العقل عن المشركين في عدد من الآيات، منها قوله تعالى: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ [البقرة:١٧١]، وقوله سبحانه: ﮋ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﮊ [المائدة:١٠٣]، وقوله: ﮋ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ [الأنفال:٢٢]، وليس المراد من نفي العقل؛ نفي العقل الغريزي الذي يتميز به الإنسان عن البهائم، وإنما المراد ثمرة ذلك العقل الذي به يسمى المرء عاقلاً، فمن كان له عقل لا يستعمله في ما فيه مصلحته ومنفعته فهو ومن لا عقل له سواء.

ولهذا نفى الله عن المشركين السمع والكلام والبصر، مع أنهم يسمعون ويبصرون ويتكلمون، وذلك لعدم انتفاعهم بتلك الحواس.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: ((والقلب الحي المنور فانه لما فيه من النور يسمع ويبصر ويعقل، والقلب الميت فإنه لا يسمع ولا يبصر، قال تعالى: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ، وقال تعالى: ﮋ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﮊ [يونس:٤٢-٤٣]، وقال تعالى: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﮊ [الأنعام:٢٥]، الآيات.

فأخبر أنهم لا يفقهون بقلوبهم، ولا يسمعون بآذانهم، ولا يؤمنون بما رأوه من النار، كما اخبر عنهم حيث قالوا: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﮊ [فصلت:٥]، فذكروا الموانع على القلوب والسمع والأبصار، وأبدانهم حية تسمع الأصوات، وترى الأشخاص لكن حياة البدن بدون حياة القلب من جنس حياة البهائم؛ لها سمع وبصر، وهي تأكل وتشرب وتنكح، ولهذا قال تعالى: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﮊ، فشبههم بالغنم الذي ينعق بها الراعي وهي لا تسمع إلا نداءً، كما قال في الآية الأخرى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﮊ [الفرقان:٤٤]، وقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮊ [الأعراف:١٧٩]))[1].

ولما شبه الله ما اتخذه آلهة المشركين ببيت العنكبوت، نبه إلى ضعف بيت العنكبوت ووهنه، بقوله: ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮊ [العنكبوت:٤١]، أي: لو كانوا يعلمون أن أوليائهم بهذه المنزلة من الضعف والوهاء، ولكنهم لا عقول لهم يدركون بها النافع من الضار، والحسن من القبيح.

(1) مجموع الفتاوى (10/103-105).

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

المبحث الثاني

دراسة المثل في قوله تعالى: ﮋ ٹ ٺ ٻ ټ ٽ ٿ ٹ ڀ ٺ ٿ ڤ ڦ ڦ ﮊ [إبراهيم:٢٦].

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المثل.

المطلب الثاني: نوع المثل والغرض الذي ضُرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثَّل به.

المطلب الرابع: صورة الممثَّل له.

المطلب الخامس: الفوائد العَقَدية المستفادة من المثل.

Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
دلالة السياق الذي ورد فيه المثل

تقدم الكلام على سياق هذا المثل في الباب الأول[1]، عند الحديث عن المثل الذي ضربه الله -عز وجل- للمؤمن، في قوله تعالى: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ﴾[إبراهيم:٢٤- ٢٥]، وخلاصة النظر في السياق ما يلي:

أولاً: أن السياق ركز على قضية هامة ألا وهي: ما يتعرض له المؤمنون أفراداً وجماعات من الفتن، والتي سببها تسلط شياطين الإنس والجن على المؤمنين، وتطرق السياق إلى نوعين من الفتن؛ هي فتنة الطغاة والمجرمين الذين تعرضوا للمؤمنين بأنواع الإيذاء والتعذيب، وفتنة الإغراء من إبليس وجنده بالشهوات والشبهات، وحكى سبحانه ما جرى بين المتبوعين والأتباع حين اجتمعوا في نار جهنم، ثم حكى سبحانه خطبة إبليس الشهيرة في مجتمع أهل النار.

ثانياً: ورد في السياق عدة إشارات إلى المخرج من الفتن، منها: الصبر و الشكر، ومنها: مراقبة الله والخوف من عقابه، ومنها التوكل على الله وتفويض الأمور إليه سبحانه.

ثالثاً: ذكر سبحانه أعظم سبب للنجاة والخلاص من الفتن، وبدونه لا تثمر بقية الأسباب ولا تجدي نفعاً، ألا وهو الإيمان القائم على التوحيد، ذلك الأصل الراسخ في القلب رسوخ الشم الرواسي، لا تزلزله الفتن، ولا تميد به الأهواء.

رابعاً: بين سبحانه أن سبب الضلال والبعد عن الحق، هو قيام شجرة الكفر في قلب العبد، لأنها لا تقوم على أصل راسخ في القلب؛ يمد صاحبه بالتثبيت والهداية، كما قال تعالى: ﴿ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ﴾[إبراهيم:٢٧].

(1) (ص113-116).



المطلب الثاني
نوع المثل والغرض الذي ضُرب من أجله

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، شبه فيه الكافر وما قام في قلبه من الكفر وأعظمه الإشراك بالله، بشجرة خبيثة لا منفعة فيها، ليس لها أصل مستقر، ولا فرع قائم، ولا ثمر نافع.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((ثم ذكر سبحانه مثل الكلمة الخبيثة، فشبهها بالشجرة الخبيثة، التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، فلا عرق ثابت ولا فرع عال ولا ثمرة زاكية، فلا ظل ولا جنى، ولا ساق قائم ولا عرق في الأرض ثابت، فلا أسفلها مغدق، ولا أعلاها مونق، ولا جنى لها ولا تعلو بل تُعلى))[1].

وكذلك الكافر، ليس لاعتقاده أصل يقوم عليه، ولا عمل صالح يثاب عليه، ولا بركة فيه ولا خير، وليس لشركه وكفره ثبات وقرار، بل يزهق بمجرد ظهور الحق وبزوغ نوره.

كما أن هذا المثل من الأمثال المركبة، فالتشبيه حاصل من الهيئة المركبة من شجرة خبيثة ليس لها أصل ثابت ولا فرع قائم، ولا ثمر، يقابلها هيئة الكافر الذي ليس له اعتقاد ثابت في قلبه، ولا عمل صالح ينال به الثواب، وليس فيه خير ولا منفعة لعباد الله.

فهذا التشبيه يقابل تشبيه المؤمن بالشجرة الطيبة، في قوله تعالى: ژ ئۆ ئۆ ئۇ ئۇ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پپ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ژ[إبراهيم: ٢٤- ٢٥]

وفي هذا المثل تشبيه معقول بمحسوس، حيث شبه الكفر القائم في نفس الكافر، وهو أمر معنوي، غير مشاهد بالحس، بالشجرة الخبيثة وهي أمر محسوس ظاهر للعيان.

---

(1) إعلام الموقعين (175/1).


Modifier avec WPS Office

الغرض الذي من أجله ضُرب المثل:

ضُرب هذا المثل لبيان جانب من جوانب بطلان الشرك، وهو ضعف ما يتمسك به المشرك، ووهائه، وأنه لا يقوم على أصل صحيح، ولا برهان واضح، فالشرك كلمة خبيثة، قائمة على الزور والكذب، ليس لها أصل ثابت في قلب المشرك، ولا تثمر عملا ً صالحاً متقبلا ً، ولا تثبُت أمام الحق والهدى، فهي مُجْتَثّة مالها من قرار.

كما أن هذا المثل مضروب لبيان أن الشرك سببٌ للخذلان، والبعد عن ولاية الله وتثبيته وحفظه، فبالإيمان يستحق العبد الهداية والتوفيق، وبالشرك يستحق الإضلال والخذلان، قال تعالى: ﮋﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ [إبراهيم:٢٧].

قال ابن القيم-رحمه الله-:((ثم أخبر سبحانه عن فضله وعدله في الفريقين ، أصحاب الكلم الطيب والكلم الخبيث، فأخبر أنه يثبت الذين آمنوا بإيمانهم بـ القول الثابت، أحوج ما يكونون إليه في الدنيا والآخرة، وأنه يضل الظالمين وهم المشركون عن القول الثابت، فأضل هؤلاء بعدله لظلمهم، وثبت المؤمنين بفضله لإيمانهم... فالخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت))[1].

(1) المصدر السابق (1/176-177).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
صورة الممثـ ـّل به

ورد ذكر الممثل به في الآية في قوله تعالى تشبيهاً للكلمة الخبيثة بأنها: ﮋﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﮊ[إبراهيم:٢٦]، وقد سبقت الإشارة إلى أن هذا المثل يقابل التمثيل بالشجرة الطيبة، وعليه فأوصاف الشجرة الخبيثة مناقضة لأوصاف الشجرة الطيبة.

وهذه الشجرة وصفت في الآية بثلاثة أوصاف:

الأول: أنها خبيثة، والخبيث ضد الطيب، قال ابن الأعرابي[1]:((أصل الخبث في كلام العرب: المكروه، فإن كان من الكلام فهو الشتم، وإن كان من الملل فهو الكفر، وإن كان من الطعام فهو الحرام، وإن كان من الشراب فهو الضار))[2]، وهذا يدل على أن خُبْث كل شيء بحسبه.

والمراد بخبث الشجرة: خبثها بكثرة مضارها، وانعدام النفع فيها.

الثاني: أنها مجتثة، وهذا الوصف دل عليه قوله تعالى: ﮋ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱﮊ، ومعنى الاجتثاث: قطع الشيء من أصله، والشجرة المجتثة هي: التي لا أصل لها في الأرض[3].

قال الآلوسي-رحمه الله-:((ﮋ ﭯ ﭰ ﭱﮊ لكون عروقها قريبة من الفوق، فكأنها فوق))[4].

وهذا الوصف يدل على شيئين:

1. أنه ليس لها أصل ثابت، وهذا يقابل وصف الشجرة الطيبة بثبات الأ صل.

قال أبو حيان-رحمه الله-:((و ﮋ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱﮊ مقابل لقوله:ﮋ ﯼ ﯽ ﮊ أي: لم يتمكن لها أصل ولا عرق في الأرض، وإنما هي نابتة على وجه الأرض))[5].

ويلزم من عدم الأصل الثابت: أن تكون الشجرة متمددة على وجه الأرض، ليس لها فرع عالٍ مرتفع إلى السماء، لأن علو الفرع من آثار رسوخ الأصل.

2. سهوله اجتثاثها واقتلاعها، وهذا الوصف ناتج عن عدم ثبات الأصل، فإن الشجرة إذا لم تكن عروقها ثابتة فإن اقتلاعها واجتثاثها ممكن بأدنى

(1) هو محمد بن زياد أبو عبد الله بن الأعرابي الهاشمي، من أئمة الأدب و اللغة، قال الذهبي: كان عجباً في معرفة لغة العرب والأنساب، انتهى إليه علم اللغة، من مصنفاته: كتاب النوادر، وكتاب معاني الشعر. انظر: تاريخ الإ سلام (321/17)، وتاريخ بغداد (282/5).

(2) لسان العرب (144/2).

(3) انظر: كتاب العين (12/6).

(4) روح المعاني(214/13).

(5) تفسير البحر المحيط (412/5).

Modifier avec WPS Office

العوارض.

وهذا أمر مشاهد، فأسرع الأشجار اقتلاعاً عند هبوب الرياح، وجريان السيول، هي الأشجار القريبة العروق من الأرض.

الثالث: أن هذه الشجرة تتقاذفها الرياح يمنة ويسرة، وذلك بعد اقتلاعها بسبب الرياح ونحوها، وهذا الوصف دل عليه قوله تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥﭼ.

قال ابن عطية-رحمه الله-: ((والظاهر عندي: أن التشبيه وقع بشجرة غير معينة، إذا وجدت فيها هذه الأوصاف، فالخبث هو أن تكون كالعضاه أو كشجر السموم أو نحوها، إذا اجتثت، أي: اقتلعت...جثتها بنزع الأصول، وبقيت في غاية الوهاء والضعف لتقلبها أقل ريح))[1].

المراد بالشجرة الخبيثة:

اختلف المفسرون في تحديد المراد بالشجرة الخبيثة، على أقوال عدة[2]، منها:

الأول: أنها الحنظلة، وهو مروي عن أنس بن مالك ، وبه قال أكثر المفسرون.

الثاني: أنها الكشوث[3].

الثالث: أنها شجرة الثوم.

الرابع: أنها كل شجرة لا يطيب لها ثمر.

الخامس: أنها شجرة لم تخلق على وجه الأرض، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقد روي عن النبي أنه فسرها بشجرة الحنظل؛ فعن أنس بن مالك قال: أُتي رسول الله بقِنَاع[4] عليه رطب، فقال: ((مثل ﭽ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭼ قال: هي النخلة، ﭽ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼقال: هي الحنظل))[5].

---

(1) المحرر الوجيز (336/3).

(2) انظر: نفس المصدر (412/5).

(3) الكشوث: ((نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض)) لسان العرب (181/2).

(4) القِنَاع: الطبق من عسب النخل يوضع فيه الطعام. انظر: لسان العرب (103/8).

(5) أخرجه الترمذي، كتب تفسير القرآن، باب ومن سورة إبراهيم عليه السلام، حديث (3119)، وأبو يعلى في مسنده (182/7) حديث (4165)، وابن حبان في صحيحه (222/2) حديث (475).

ثم رواه الترمذي في الموضع السابق موقوفاً على أنس بن مالك ، وأشار إلى أن الموقوف أصح من المرفوع، وأن الثقات لم يرفعوه إلى النبي ،

Modifier avec WPS Office

قال ابن جرير-رحمه الله-: ((وقد روي عن رسول الله بتصحيح قول من قال: هي الحنظلة، خبر، فإن صح، فلا قول يجوز أن يقال غيره، وإلا فإنها شجرة بالصفة التي وصفها الله بها))[1].

وهذا الحديث ضعفه أهل العلم، وعليه فلا يمكن الجزم بأنها الحنظلة، مع أنها أقرب الأشجار شبهاً بالأوصاف المذكورة في الآية، فكل شجرة انطبقت عليها هذه الأوصاف فهي صالحة للتشبيه، مادام أنه لم يرد نص بتحديد المراد بتلك الشجرة، وشجرة الحنظل داخلة في ذلك دخولا ً أولياً.

وصحح الألباني الموقوف في تعليقه على سنن الترمذي (119/7).

(1) تفسير الطبري (211/13).

Modifier avec WPS Office

المطلب الرابع
صورة الممثل له

لم يرد في الآية ما يدل على الممثل له إلا قوله تعالى: ﴿ٺ ٿ ٿ﴾، أما بقية تفاصيل الممثل له فإنها تفهم مما يقابل أجزاء الممثل به، وقد تقدم أن الممثل به مكون من شجرة خبيثة الطلع، ليس لها عرق ثابت في الأرض، ولا فرع عال، ولا قرار لها، وكذلك الحال بالنسبة للممثل له، فهو مركب من (كلمة) هي أساس الممثل له، وصفت بأنها خبيثة، ومعتبر فيها ما يقابل أجزاء الممثل به هذه.

المراد بالكلمة الخبيثة التي ضرب لها المثل:

قبل الكلام على أجزاء الممثل له لا بد من تحديد المراد بالكلمة التي وصفت بأنها خبيثة، وجعلت أساس المثل، وقد تنوعت عبارات المفسرين في تحديد المراد بهذه الكلمة[1]، وأهمها ما يأتي:

1. أنها الشرك بالله.
2. أنها كلمة الكفر.
3. أنها الكذب
4. أنها كل كلام لا يرضاه الله.

وهذه العبارات لا تنافي بينها، فإن الكلمة الخبيثة تشمل كل كلام باطل أُسِّسَ عليه دين من أديان الكفار أو كان جزءاً منه، وما دام أنه باطل فهو زور وكذب، كما قال تعالى: ﴿ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ﴾ [الحج:٣٠]، كما أنه كلام لا يرضاه الله لكونه مخالف لأمره وشرعه.

وقد سبقت الإشارة إلى أن الكلمة ليس المراد بها لفظة ينطق بها، ولكن المراد بها مجموع ما يعتقده الإنسان سواء كان اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً، فـ الكلمة الخبيثة على هذا الأساس: مجموع العلوم والأفكار والشبهات التي بنيت عليها العقائد التي يعتقدها المشركون، على اختلاف طوائفهم ومللهم، فكل المذاهب الباطلة والأديان المنحرفة داخلة في هذا المثل العظيم، وذلك لأ نهم بنوها على كلمات خبيثة، وأفكار ضالة، مناقضة لكلمة الله التي أنزلها على رسله عليهم السلام.

والمراد بالتشبيه في هذا المثل: الكافر وما قام في قلبه من كلمة الشرك و الكفر، فالممثل له وهو الكافر وما قام به من الكلمة الخبيثة، مقابل للمؤمن الذي قامت به الكلمة الطيبة.

قال ابن جرير-رحمه الله-: ((وإنما ضُرِبت هذه الشجرة التي وصفها الله بهذه الصفة **لكفر الكافر وشركه به مثلا** ً، يقول: ليس لكفر الكافر وعمله الذي هو معصية الله في الأرض ثباتٌ، ولا له في السماء مصعد، لأنه لا يصعد

(1) انظر: تفسير الطبري (210/13)، وتفسير البحر المحيط (411/5).

Modifier avec WPS Office

إلى الله منه شيء))[1]، وقال الضحاك:((ضرب الله مثل الكافر: ﮋﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﮊ))[2].

والممثل له في هذه الآية موصوف بثلاثة أوصاف:

الوصف الأول: أن الكافر قد قام بقلبه أخبث الكلام، دل على هذا قوله تعالى: ﮋﭫ ﭬ ﭭﮊ .

الوصف الثاني: أن عقائد الكفار مبنية على شبهات واهية، وآراء موهومة، لم يقم في قلوبهم اعتقادات ثابتة راسخة، قال ابن عباس رضي الله عنهما:((الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر، ولا برهان))[3].

وهذان الأمران مستفادان من وصف الشجرة الخبيثة بأنها مجتثة من فوق الأرض، فلما لم يكن لاعتقادهم أصل ثابت يقوم عليه، أصبحوا في حيرة وتردد وشك، كما أن الشجرة الخبيثة لما وصفت بأنها مجتثة دل ذلك على أنها غير ثابتة الأصل، وعلى أنها معرضة للاقتلاع عند أدنى عارض.

ومن لوازم انعدام الأصل الثابت في قلب الكافر، انعدام العمل الصالح الذي ينال به الأجر والثواب، قال ابن عباس رضي الله عنهما :((ولا يقبل الله مع الشرك عملا ً، فلا يقبل عمل المشرك، ولا يصعد إلى السماء))[4].

الوصف الثالث: أن الكافر تتنازعه الأهواء والشبهات، وتتلاعب به الشياطين، وذلك لفقدانه سبب التثبيت وهو الإيمان، فالمؤمن مُثَبَّت بما قام في قلبه من الأصل الثابت، بخلاف الكافر، فهو مخذول بسبب فقده لأصل التثبيت.

وهذا الوصف مستفاد من قوله تعالى: ﮋ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﮊ، فالشجرة الخبيثة لما تعرضت لما يزيلها عن مكانها، تقاذفتها الرياح، وذهبت بها كل مذهب.

---

(1) تفسير الطبري (212/13).
(2) نفس المصدر.
(3) أخرجه الطبري في تفسيره (213/13)، والبيهقي في الأسماء والصفات (219/1)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (20/5) وعزاه مع من تقدم إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.
(4) المصادر السابقة.

Modifier avec WPS Office

المطلب الخامس
الفوائد العَقدية المستفادة من المثل

وفيه خمس فوائد:

الفائدة الأولى: دلالة المثل على أن أخبث الكلمات كلمة الكفر.

الفائدة الثانية: دلالة المثل على أن الكافر ليس لكفره أصل ولا برهان يقوم عليه.

الفائدة الثالثة: دلالة المثل على أن الكافر لا يُقبل له عمل صالح.

الفائدة الرابعة: دلالة المثل على أن الريب والشك ملازم للكافر بسبب كفره.

الفائدة الخامسة: أوجه مشابهة الكافر للشجرة الخبيثة.


Modifier avec WPS Office

الفائدة الأولى
دلالة المثل على أن أخبث الكلمات كلمة الكفر

وصف الله كلمة الكفر بأنها خبيثة، حيث قال تعالى: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤﮊ ، وبالنظر إلى الأوصاف التي وصفت بها تلك الكلمة ندرك أنها أخبث الكلمات، لأنها شبهت بأخبث الشجر الجامع لأوصاف الخبث وعدم النفع كلها.

وإنما كانت كلمة الكفر -وأعظمه الشرك- أخبث الكلمات، لأنها قائمة على الا عتقاد الباطل في الرب جل جلاله، بنسبة الشريك إليه، ونسبة النقائص و العيوب إليه، وصرف ما يستحقه لغيره، كما أنها قائمة على الكذب، لاشتمالها على نسبة الألوهية لمن ليس له من حقيقتها شيء.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((وأخبث الكلام والعقائد: كلمة الشرك، وهو اتخاذ إله مع الله، فإن ذلك باطل لا حقيقة له، ولهذا قال سبحانه ﮋ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﮊ ولهذا كان كلما بحث الباحث وعمل العامل على هذه الكلمات والعقائد الخبيثة، لا يزداد إلا ضلالا ً وبعدا ً عن الحق وعلما ً ببطلانها))(1).

ولأنها مشتملة على كل ما يكرهه الله من الأقوال والاعتقادات والأعمال التي حرمها على ألسن رسله، فكل ما خالف شرع الله ودينه فهو خبيث، ولكن لا يوصف بالخبث إلا الكافر، كما قال تعالى: ﮋﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﮊ [النور:٢٦].

قال مجاهد -رحمه الله-:((الخبيثات والطيبات: القول السيء والحسن، للمؤمنين الحسن وللكافرين السيء))، ولذا قال تعالى بعدها: ﮋ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﮊ وذلك بأنه ما قال الكافرون من كلمة طيبه فهي للمؤمنين، وما قال المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين، **كل بريء مما ليس بحق من الكلام**))(2).

كما أن كلمة الكفر خبيثة باعتبار من قامت به، فبكلمة الكفر يخرج من النور إلى الظلمات، فيمتلئ قلبه بالاعتقادات الباطلة والأفكار المنحرفة، ويلهج لسانه بالكلام الباطل والكذب، من دعاء القبور والاستنجاد بالمقبور، وغير ذلك من البهتان والزور، ويعمل بجوارحه الأعمال الخبيثة، من التقرب إلى الأوثان، والوقوع في الفواحش والآثام، فالكافر قريب من كل باطل وضلال، بعيد من كل خير وهدى.

ومن الآثار الخبيثة لكلمة الكفر: أنها سبب لمقت الله وسخطه وعقابه لأهل الإشراك والكفر به، وكم عذب الله من أمم وأهلكها بسبب شركها به وإعراضها عن دعوة الرسل، قال سبحانه: ﮋ ﭜ ﭝ ﭞﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮊ[العنكبوت:٤٠].

وكم مُنِعَتْ من نعم ووقعت من بلايا ومحن بسبب الكفر، قال تعالى: ﮋ ﭑ

---

(1) مجموع الفتاوى (74/4).
(2) تفسير الطبري (107/18).

Modifier avec WPS Office

ٹ ٺ ٻ ٽ ٿ ڀ ڤ ڦ ڄ ڃ ڇ ڈ ڍ ڌ ڎ ڏ ڐ ڑ ک ڪ ڭ ڳ ڱ ڲ ژ [النحل: ١١٢] وقال تعالى:ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﮊ [الأعراف:٩٦] وقال تعالى: ﮋ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﮊ [الروم:٤١].

الفائدة الثانية
دلالة المثل على أن الكافر ليس لكفره أصل ولا برهان يقوم عليه

عدم الأصل الثابت في قلب الكافر مستفاد من وصف الشجرة الخبيثة التي ضربت مثلا ً للكفر بأنها مجتثة من فوق الأرض.

فالكفار على اختلاف مللهم ليس لكفرهم وشركهم، أصل صحيح من العقل أو الشرع يتمسكون به ويعتمدون عليه، وإنما يتعلقون بشبهات وتلبيسات يغرهم بها شياطين الإنس والجن، قال تعالى: ﴿ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ﴾ [النور:٣٩].

وقد بين الله سبحانه أن المشرك إنما يعبد آلهة موهومة مزعومة، لا حقيقة لألوهيتها في الوجود، قال تعالى: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ﴾ [الرعد:٣٣] وقال تعالى: ﴿ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ﴾ [العنكبوت:١٧] وقال تعالى: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ﴾ [النجم: ٢٣].

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: ((لفظ الإله يراد به المستحق للإلهية، ويراد به ما اتخذه الناس إلها ً وإن لم يكن إلها ً في نفس الأمر، بل هي أسماء سموها هم وآباؤهم، فتلك ليست في نفسها آلهة، وإنما هي آلهة في أنفس العابدين، فإلهيتها أمر قدره المشركون وجعلوه في أنفسهم من غير أن يكون مطابقا ً للخارج، كالذي يجعل من ليس بعالم عالما ً ومن ليس بحي حيا ً ومن ليس بصادق ولا عدل صادقا ً وعدلا ً، فيقال: هذا عندك صادق وعادل وعالم، وتلك اعتقادات غير مطابقة وأقوال كاذبة غير لائقة))(1).

كما بين سبحانه أن الكافر لا برهان له على شركه وكفره، قال تعالى: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ﴾ [الكهف: ١٥].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-: ((﴿ﯹ ﯺ﴾ في هذه الآية الكريمة للتحضيض، وهو الطلب بـ ﴿ﭑ ﭒ﴾ وشـ ﴿ﭓ﴾، والمراد بهذا الطلب التعجيز، لأنه من المعلوم أنه لا يقدر أحد أن يأتي بسلطان بين على جواز عبادة غير الله تعالى، والمراد بالسلطان البين: الحجة الواضحة.

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من تعجيزهم عن الإتيان بحجة على شركهم وكفرهم وإبطال حجة المشركين على شركهم جاء موضحاً في

---

(1) مجموع الفتاوى (575/16).

Modifier avec WPS Office

آيات كثيرة...))[1].

وقد يقال: ما السبب الذي يجعل الكفار يتمسكون بما هم عليه، مع انعدام الحجة فيه؟

أجاب عن ذلك القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ[الزخرف:٢٣].

وعن سعيد بن المسيب[2] عن أبيه[3] قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله :((يا عم قل: لا إله إلا الله كلمه أشهد لك بها عند الله))، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو ط الب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب, وأبى أن يقول: لا إله إلا الله))[4]، قال الشيخ سليمان بن عبد الله-رحمه الله-:((ذ كَر اه ُ الحجة الملعونة التي يتعلق بها المشركون من الأولين والآخرين ويردون بها على الرسل، وهي تقليد الآباء والكبراء، وأخرجا الكلام مخرج الاستفهام مبالغة في الإنكار، لعظمة هذه الحجة في قلوب الضالين، وكذلك اكتفيا بها في المجادلة مع مبالغته وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصرا عليها))[5].

فهذه الحجة هي أعظم متمسك للمشركين للبقاء على ما هم عليه، وإلا فالأ سباب للبقاء على ما هم عليه كثيرة كالكبر والعناد، وكراهية مخالفة العوائد ونحو ذلك.

---

(1) أضواء البيان (216/3).

(2) هو سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي، أبو محمد، ولد سنة 13هـ، قال عنه الذهبي:((الإمام العلم... عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه))، وهو أحد الفقهاء السبعة، وأبوه وجده صحابيان، توفي رحمه الله سنة 94 هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (217/4)، والبداية والنهاية (99/9).

(3) هو المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي، يكنى أبا سعيد، و الد سعيد بن المسيب الفقيه، هاجر مع أبيه حزن بن أبي وهب . كان المسيب ممن بايع تحت الشجرة، قال الحافظ ابن حجر:((وقد شهد المسيب فتوح الشام، ولم يتحرر لي متى مات)). انظر: الاستيعاب (1400/3)، والإصابة (121/6).

(4) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لاإله إلا الله، حديث (1360) ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت، حديث (24).

(5) تيسير العزيز الحميد (241).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثالثة
دلالة المثل على أن الكافر لا يقبل له عمل صالح

دل على هذا مفهوم قوله عن الشجرة الخبيثة: ﮋﭽ ﭾ ﭿﮊ، فلما لم يرسخ لها عرق في الأرض، لم يصعد لها فرع إلى السماء، وكذلك الكافر لم يكن له اعتقاد صحيح في قلبه، فلم يقبل منه عمل.

فالأعمال الصالحة لا تكون مقبولة ومؤتية لثمراتها إلا بالإيمان، فالكافر لا ينال أجراً لأعماله مهما كانت صالحة، قال تعالى: ﮋ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ[الفرقان:٢٣] وقال تعالى: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ[هود:١٥- ١٦]، ويقول عليه الصلاة والسلام:((إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يـ ُجزى بها))[1].

وما في القلب هو الأساس لصحة ما يقوم في الجوارح وبطلانه، قال عليه الصلاة والسلام:((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب))[2].

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((وستأتي الأحاديث الصحيحة بأنه جعل الأ عمال الظاهرة من الإيمان... ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانا ب الله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان... فمن صلح قلبه صلح جسده قطعا ً، بخلاف العكس))[3].

فمن عمل من الكفار بما شرعه الله تعالى لم يقبل منه لفقده شرط القبول وهو الإيمان، وهذا حال كثير من أهل الكتاب، الذين يتقربون إلى الله بدين منسوخ، قال تعالى: ﮋ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮊ[آل عمران:٨٥].

وهناك صنف من الكفار أعرض عن الديانات والشرائع، وجعل من هواه ومشتهى نفسه إلهاً، فهؤلاء لم يكلفوا أنفسهم العمل بأمر الله أصلا ً، كما قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ[يونس:٧]، وقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ

(1) تقدم تخريجه (ص50).
(2) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث (52)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث (1599).
(3) مجموع الفتاوى (9/7).

Modifier avec WPS Office

ﮊ [الجاثية:٢٣-24]، فشابهوا الشجرة الخبيثة من هذه الجهة، فإن الشجرة الخبيثة ممتدة الأوراق والثمر على وجه الأرض، ليس لها قوة في الامتداد نحو السماء كالشجرة الطيبة، وقد سمى الله هذا إخلاداً إلى الأرض، فقال سبحانه: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﯓﮊ [الأعراف: ١٧٦] .

قال ابن القيم-رحمه الله-:((أي: سكن إليها ونزل بطبعه إليها، فكانت نفسه أرضية سفلية، لا سماوية علوية، وبحسب ما يخلد العبد إلى الأرض يهبط من السماء))[1].

فالكفار بجميع أصنافهم ليس لهم أعمال يثابون عليها، وذلك إما لعدم تقربهم إلى الله بشيء من العمل الصالح، وإما لفقد أعمالهم شرط الصحة وهو الإيمان بالله.

(1) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم (ص194)، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1412هـ.

Modifier avec WPS Office

الفائدة الرابعة
دلالة المثل على أن الحيرة والشك ملازمان للكافر بسبب كفره

دل على هذه الفائدة وصف الشجرة الخبيثة بأنها مجتثة من فو ق الأرض، وما يستفاد من ذلك في الممثل له من أن الكافر في حيرة وشك بسبب عدم ثبات اعتقاده في قلبه.

فالمؤمن ثابت مستقر على الإيمان لأن الله سبحانه أرشده وهداه إلى نور الهداية واليقين، قال تعالى: ﴿ گ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ﴾ [الأنعام:١٢٢].

قال ابن كثير-رحمه الله-:((هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتا أي في الضلالة هالكا ً حائرا ً، فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان وهداه له ووفقه لا تباع رسله، ﴿ گ گ گ ڱ ں ں ڻ ﴾ أي: يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرف به، والنور هو القرآن... وقال السدي: الإسلام، والكل صحيح، ﴿ ڻ ڻ ۀ ۀ ﴾، أي: الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، ﴿ ہ ہ ﴾ أي: لا يهتدي إلى منقذ ومخلص مما هو فيه))[1].

وقد ضرب الله لبيان هذه الحيرة والشك الملازمة للكافر بسبب كفره مثلا ً عظيماً، -سيأتي الكلام عليه إن شاء الله- وهو قوله تعالى: ﴿ ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮬ ۇ ۇ ۆ ۆ ﴾ [الأنعام:٧١]، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله -:((﴿ ڻ ڻ ۀ ۀ ﴾ أي: أضلته وتيهته عن طريقه ومنهجه الموصل إلى مقصده، فبقي ﴿ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ﴾ والشياطين يدعونه إلى الردى، فبقي بين الداعيين حائرا ً.

وهذه حال الناس كلهم إلا من عصمه الله تعالى، فإنهم يجدون فيهم جواذب ودواعي متعارضة، دواعي الرسالة والعقل الصحيح والفطرة المستقيمة، ﴿ ہ ہ ھ ﴾ والصعود إلى أعلى عليين، ودواعي الشيطان ومن سلك مسلكه، والنفس الأمارة بالسوء، يدعونه إلى الضلال والنزول إلى أسفل سافلين، فمن الناس من يكون مع دواعي الهدى في أموره كلها أو أغلبها، ومنهم من بالعكس من ذلك ومنهم من يتساوى لديه الداعيان ويتعارض عنده الجاذبان، وفي هذا الموضع تعرف أهل السعادة من أهل الشقاوة.

وقوله: ﴿ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﴾ أي: ليس الهدى إلا الطريق التي شرعها الله على لسان رسوله، وما عداه فهو ضلال وردى وهلاك))[2].

ومن الآيات الموضحة لما يعيشه الكافر من الحيرة والضلال: قوله تعالى: ﴿ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ ڱ ں ں ڻ

(1) تفسير ابن كثير (173/2).
(2) تفسير السعدي (ص261-262).

Modifier avec WPS Office

ٹ ڈ ﮈ ﮉ ﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ژ[النور:٤٠] .

قال ابن جرير-رحمه الله-: ((يقول تعالى ذكره: ومثل أعمال هؤلاء الكفار في أنها ع ُملت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة من ع ُم ّالها فيها، وعلى غير هدى، م ثَ لَ ُ ظلمات في بحر لجي، ونسب البحر إلى اللجة وصفا ً له بأنه عميق كثير الماء، ولجة البحر: معظمه.

ژ ﮖ ﮗژ يقول: يغشى البحر موج، ژ ﮘ ﮙ ﮚژ يقول: من فوق الموج موج ٌ آخر يغشاه، ژ ﮛ ﮜ ﮝ ژ يقول: من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأول سحاب ٌ، فجعل الظلمات مثلا ً لأعمالهم، والبحر اللجي مثلا ً لقلب الكافر، يقول: عمل بنية قلب قد غمره الجهل، وتغشته الضلال والحيرة كما يغشى هذا البحر اللجي موج من فوقه موج من فوقه سحاب، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات، يغشاه الجهل بالله بأن الله ختم عليه فلا يعقل عن الله، وعلى سمعه فلا يسمع مواعظ الله، وجعل على بصره غشاوة، فلا يبصر به حجج الله، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض))[1].

فهذا المثل يدل على أن الكافر غارق في الجهل والضلال والحيرة لا يستطيع الانفكاك عنها، وذلك لكثرة الحُجُب المانعة من معرفة الحق وقبوله.

(1) تفسير الطبري (150/18).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الخامسة
أوجه مشابهة الكافر للشجرة الخبيثة

لما شبه الله سبحانه الكافر بالشجرة الخبيثة، دل ذلك على أن بينهما تشابه، وقد ذكر الله أبرز الأوجه في الآية، وهي التي يقوم عليها التشبيه، وهناك أوجه أخرى يمكن إدراكها من خلال التأمل، فمنها:

الأول: أن الشجرة الخبيثة منها ما يكون عديم الثمر، ومنها ما يثمر ثمراً خبيثاً شديد المرارة، وكذلك الكافر فإما أن لا يكون فيه خير البتة، وإما أن يدفعه كفره إلى أن يعمل الفساد والشر.

الثاني: أن الشجرة الخبيثة إنما تنبت في الأماكن الضعيفة، وأطراف الأ ودية ومجاري السيول، وكذلك الكفر، فإنه لا يقوم بأصحاب القلوب القوية الثابتة على الهدى، وإنما يقوم في القلوب الضعيفة البعيدة عن الثبات والا ستقامة، التي أضعفها واستحوذ عليها الشيطان.

الثالث: أن الشجرة الخبيثة لا منفعة في شيء من أجزائها، وكذلك الكافر لا خير في شيء من جوارحه، فلا يعتقد الحق، ولا يقول الخير ولا يعمله.

الرابع: أن الشجرة الخبيثة ضعيفة لا تحتمل أي شيء، وكذلك الكافر فإنه عديم الصبر على البلاء، سريع التسخط والضجر، وذلك لعدم إيمانه ويقينه بما أعده الله للصابرين.

يقول النبي : ((عجبا ً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا ً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا ً له))[1].

الخامس: أن الشجرة الخبيثة تقلبها الريح يميناً وشمالا ً، وكذلك الكافر فإن الأهواء والشهوات تتلاعب به، وتأخذه كل مأخذ، فالكافر لاهث خلف متعه وشهوات نفسه، لا يستطيع التخلص من ذلك.

السادس: أن الشجرة الخبيثة قريبة من الأرض ممتدة فيها، وهذا يدل على قربها من الأوساخ والأقذار، وكذلك الكافر فهو قريب من كل ما فيه ضرر وشر، فما من أمر فيه مفسدة ومضرة إلا والكفار في سباق إليه، فالعقائد الفاسدة والأخلاق المنحطة، والعادات القبيحة، أول ما تنشأ في بلاد الكفار، وأول ما تنتشر بينهم.

السابع: أن الله سبحانه أبقى الشجرة الخبيثة في الأرض ابتلاء للناس، فمن أكل منها آذته وقد تقتله، وكذلك كلمة الكفر جعلها الله ابتلاء للناس واختباراً لهم، فمن آمن بالباطل ضل وهلك.

الثامن: أن ثمرة تلك الشجرة الخبيثة لا طعم فيها ولا لذة، بل هي شديدة

(1) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقاق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث (2999).

Modifier avec WPS Office

المرارة سيئة المذاق، وكذلك حال الكافر، فهو سيء الأخلاق عديم القيم، فكل خلق ردي، وفعل قبيح، وكلام ساقط، فهو عند الكفار، لا يترفعون عنه، كما في المثل السائر:((إنك لا تجني من الشوك العنب))[1].

التاسع: أن الشجرة الخبيثة إذا هبت عليها الريح، أو نزلت عليها الأمطار، ز الت وذهبت، وكذلك الكفار إذا نزلت جيوش الإسلام بساحتهم ﮋ ﺌ ﺋﻮ ﺌﻮ ﺋﯘ ﮊ [الصافات:١٧٧]، فلا يستطيعون مقاومة جند الحق، لأن الله وعدهم بالنصر، قال تعالى: ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ [الصافات: ١٧١- ١٧٣].

فهذه بعض الأوجه التي تشابه الكلمة الخبيثة فيها الكافر، ولاشك أن من تأمل في واقع الشجرة الخبيثة، وواقع من شبهت به، فسيجد أكثر من هذه الأ وجه.

(1) معنى المثل: ((أن ّ الشر لا تستحصل منه خيرا ً، والفساد لا تكتسب منه صلاحا ً، كما إنّ العنب ليس بخارج من الشوك)). زهر الأكم في الأ مثال والحكم (52/1)، وانظر: جمهرة الأمثال (105/1).

Modifier avec WPS Office

الفصل الثالث

ما ورد من الأمثال لبيان عجز من يُدْعَى من دون اللّه، واستواء الداعي والمدعو في ذلك

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: دراسة المثل في قوله تعالى: ﮋﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧﮊ [الأعراف:١٩٤].

المبحث الثاني: دراسة المثل في قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ [الحج:٧٣].

المبحث الثالث: دراسة المثل في قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﮊ [الرعد:١٤].

المبحث الرابع: دراسة المثلين في قوله تعالى: ﮋ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉﮊ [النحل: ٧٥- ٧٦].

Modifier avec WPS Office

المبحث الأول

دراسة المَثَل في قوله تعالى:

ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﮊ[الأعراف:١٩٤].

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه الم َث َل.

المطلب الثاني: نوع الم َث َل والغرض الذي ضرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممث ّل به.

المطلب الرابع: صورة الممث ّل له.

المطلب الخامس: الفوائد الع َق َدية المستفادة من الم َث َل.

Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
دلالة السياق الذي ورد فيه المثل

هذا المثل ورد ضمن سياق بدأ من قوله تعالى: ﴿ ... ﴾ [الأعراف:١٧٢- ١٧٣]، وقد عاد الحديث إلى مخاطبة المشركين، بعد أن أسهبت السورة في ذكر أخبار بني إسرائيل.

قال ابن عاشور-رحمه الله-:((هذا كلام مصروف إلى غير بني إسرائيل ، فإنهم لم يكونوا مشركين، والله يقول:﴿ ... ﴾، فهذا انتقال بالكلام إلى محاجة المشركين من العرب))[1].

وقد اشتملت هذه الآية على التذكير بحجة الله على عباده، سواء كان المعنى ما أخذ عليهم من الميثاق وهم في عالم الذر[2]، أو كان المراد بذلك الفطرة التي فُطِروا عليها، وهذه الحجة هي إقرارهم بلسان الحال أو المقال، بأن الله هو ربهم وخالقهم[3].

وبعد أن ذكر الله هذا الإقرار من بني آدم بربوبيته، حكى حال فرد من أفراد بني آدم، أقر بالحنيفية وآمن بالله، ثم إنه ترك الهدى وصار تابعاً للشيطان، قال تعالى: ﴿ ... ﴾ [الأعراف:١٧٥- ١٧٧].

قال ابن عاشور-رحمه الله-:((ومناسبتها للتي قبلها إشارة العبرة من حال أحد الذين أخذ الله عليهم العهد بالتوحيد والامتثال لأمر الله، وأمده الله بعلم يعينه على الوفاء بما عاهد الله عليه في الفطرة ، ثم لم ينفعه ذلك كله حين لم يقدر الله له الهدى المستمر))[4].

بعد ذلك عاب سبحانه على المشركين عدم انتفاعهم بما وهبهم من العقل والسمع والبصر، فقال تعالى: ﴿ ... ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وأخبر سبحانه أنه هيأ لجهنم هذا الصنف من الناس، وهم المعرضون عن التفكر و التأمل فيما جاءتهم به الرسل، وأنهم أشبه شيء بالأنعام، بل الأنعام أفضل منهم حالاً ، ((لأن البهائم لا اختيار لها ولا تمييز فتختار وتميز، وإنما هي مسَخّرة، ومع ذلك تهرب من المضارّ، وتطلب لأنفسها من الغذاء الأصلح، و

---

(1) التحرير والتنوير (165/4).
(2) انظر:فتح القدير (263/2).
(3) انظر:تفسير ابن كثير (265/2).
(4) التحرير والتنوير (163/4).

Modifier avec WPS Office

الذين وصف الله صفتهم في هذه الآية، مع ما أ ُعطوا من الأفهام والعقول المميّزة بين المصالح والمضار، تترك ما فيه صلاح دنياها وآخرتها، وتطلب ما فيه مضارّها، فالبهائم منها أسدُ، وهي منها أضل، كما وصفها به ربنا جل ثناؤه))[1].

وعاب عليهم كذلك إلحادهم في أسمائه الحسنى، والإلحاد فيها: ((هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها))[2]، وتوعّدهم بمجازاتهم على إلحادهم، فقال سبحانه: ﴿ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وأنكر عليهم ترك التفكر في شأن النبي وما جاءهم به من الحق، وفي صحة ما نسبوه إليه من الجنون، إذ لو تفكروا لأدركوا كذبهم في ما ادعوه[3]، قال تعالى: ﴿ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ﴾ [الأعراف:١٨٤]، كما أنكر عليهم تركهم التفكر في ملكوت السموات والأرض الدال على تفرده بالألوهية دون ما سواه، فقال سبحانه: ﴿ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ﴾ [الأعراف:١٨٥].

قال الشوكاني-رحمه الله-: ((والمعنى: إن هؤلاء لم يتفكروا حتى ينتفعوا بالتفكر، ولا نظروا في مخلوقات الله حتى يهتدوا بذلك إلى الإيمان به، بل هم سادرون في ضلالتهم ، خائضون في غوايتهم، لا يُعْمِلون فكراً، ولا يُمْعِنون نظراً))[4].

ثم انتقل السياق للحديث عن أصل نشأة الإنسان، وأن الله خلق بني آدم من نفس واحدة هي نفس آدم، وأنه خلق حواء من ضلع آدم، ليسكن كلٌ منهما إلى صاحبه، قال تعالى: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ﴾ [الأعراف:١٨٩- ١٩٠] فلما حصل بينهما الجماع وحملت منه، ((فحينئذ صار في قلوبهما الشفقة على الولد، وعلى خروجه حياً، صحيحاً، سالماً لا آفة فيه، فدعوا ﴿ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ﴾ ولداً ﴿ﭭ﴾ أي: صالح الخلقة تامها، لا نقص فيه ﴿ﭮ ﭯ ﭰ﴾، ﴿ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ﴾ على وفق ما طلبا، وتمت عليهما النعمة فيه ﴿ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ﴾ أي: جعلا لله شركاء في ذلك الولد الذي انفرد الله بإيجاده والنعمة به، وأقرّ به أعين والديه، فَعَبّدَاه لغير الله، إما أن يسمياه بعبد غير الله كـ (عبد الحارث) و (عبد العزى) و (عبد الكعبة) ونحو ذلك، أو يشركا بالله في العبادة ، بعدما منّ الله عليهما بما منّ من النعم التي لا يحصيها أحد من العباد.

وهذا انتقال من النوع إلى الجنس، فإن أول الكلام في آدم وحواء، ثم

(1) تفسير الطبري (133/9).
(2) بدائع الفوائد (185/1).
(3) انظر: فتح القدير (271/2).
(4) المصدر السابق.

Modifier avec WPS Office

انتقل إلى الكلام في الجنس، ولا شك أن هذا موجود في الذرية كثيرا ً، فلذلك قر ّرهم الله على بطلان الشرك، وأنهم في ذلك ظالمون أشد الظلم، سواء كان الشرك في الأقوال، أم في الأفعال، فإن الخالق لهم من نفس واحدة، الذي خلق منها زوجها وجعل لهم من أنفسهم أزواجا ً، ثم جعل بينهم من المودة والرحمة ما يسكن بعضهم إلى بعض، ويألفه ويلتذ به، ثم هداهم إلى ما به تحصل الشهوة واللذة والأولاد والنسل.

ثم أوجد الذرية في بطون الأمهات، وقتا ً موقوتا ً، تتشوف إليه نفوسهم، ويدعون الله أن يخرجه سويا ً صحيحا، فأتم الله عليهم النعمة وأنالهم مطلوبهم.

أفلا يستحق أن يعبدوه، ولا يشركوا به في عبادته أحدا ً، ويخلصوا له الدين))[1].

فهذه الآية اشتملت على تذكير المشركين بأحقيته سبحانه بالعبادة، وذلك لأنه هو الذي أوجدهم من العدم، وهيأ خروجهم إلى هذه الحياة الدنيا، في أتم خلقة وأكمل صورة، كما قال تعالى: ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮊ [الانفطار:٦- ٨].

وبعد أن بين الله لهم عظيم ما اقترفوه من الظلم حين جعلوا له الشركاء والأنداد، احتج عليهم بعدد من الحُجَج، تثبت ما هم فيه من الجهل والضلال، فقال سبحانه: ﮋ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﮊ [الأعراف:١٩١- ١٩٨]، ومن ضمن هذه الحجج: تشبيه هذه الآلهة بعابديها، وسيأتي-إن شاء الله- بيان كون هذا التشبيه حجة جامعة لأنواع التشابه بين هذه المعبودات على اختلاف أنواعها، وبين عابديها، مما يمنع أن تكون بذلك آلهة.

وخلاصة ما تقدم: أن هذه الآيات التي خُتمت بها سورة الأعراف، موضوعها مخاطبة المشركين، عرضت فيه لمسائل كثيرة، خالف فيها المشركون مقتضى دعوة النبي ، ذَكرهم الله في أثنائها بأصل خلقهم، ومقتضى فطرهم وما رُكِزَ في عقولهم من الإقرار بربوبيته المستلزم لإفراده بـ العبادة، وَوَبّخهم على عدم إعمال عقولهم وحواسهم في فهم ما جاء به النبي ، ونسبتهم الجنون إليه بغير قرينة ظاهرة تؤيد مزاعمهم، وأنكر عليهم إلحادهم في أسمائه وتوعدهم بمجازاتهم على ذلك، ثم عرض لبعض الحجج العقلية والبراهين الظاهرة، التي تمنع من ألوهية هذه الأصنام والأوثان التي يصرفون لها العبادة من دونه سبحانه.

---

(1) تفسير السعدي (ص311).

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

المطلب الثاني
نوع المثل والغرض الذي ضُرب من أجله

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، شبهت فيه المعبودات الباطلة بعابديها.

كما أن التشبيه في هذا المثل تشبيه مفرد، شبه فيه المعبود الذي عُبد من دون الله بالعابد الذي يعبده، بجامع حاجتها وافتقارها إلى الخالق سبحانه، و العجز عن جلب النفع ودفع الضر في كلٍ[1].

وفي هذا المثل تشبيه محسوس مُشاهد بمثله، فالآلهة الممثل لها محسوسة، كما أن العباد لها أشخاص مشاهدون مدركون بالحس.

الغرض الذي من أجله ضرب المثل:

الغرض من هذا المثل كما هو ظاهر من السياق: توبيخ المشركين على عبادة من يشتركون معهم في العبودية لله عز وجل، ومحاولة لإقناعهم ببطلان ما هم عليه من عبادة هذه الأوثان.

قال الشوكاني-رحمه الله-:((أخبرهم سبحانه بأن هؤلاء الذين جعلتموهم آلهة هم عباد لله كما أنتم عباد له، مع أنكم أكمل منهم، لأنكم أحياء تنطقون وتمشون، وتسمعون وتبصرون، وهذه الأصنام ليست كذلك، ولكنها مثلكم في كونها مملوكة لله مسخرة لأمره، **وفي هذا تقريع لهم بالغ، وتوبيخ لهم عظيم**))[2].

(1) انظر: تفسير أبي السعود (3/305-307).
(2) فتح القدير (2/277).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
صورة الممثـ ّل به

ورد ذكر الممثّل به في الآية في قوله:ﮋ ﯥ ﮊ ، حيث شبه الله هذه الآلهة التي تُعبد من دونه بعابديها، وهذه المثلية تتحقق في كونها معبدة لله، كما أن عابديها أيضاً معبدون لله.

قال ابن جرير-رحمه الله- مبيناً معنى هذه الآية:((يقول جل ثناؤه لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان، موبّخهم على عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم من الأصنام: ﮋﯚ ﯛ ﯜﮊ أيها المشركون آلهةً ﮋ ﯝ ﯞ ﯟﮊ وتعبدونها، شركًا منكم وكفرًا بالله ﮋ ﯠ ﯡﮊ **يقول: هم أملاك لربكم، كما أنتم له مماليك**))[1].

وهذه المثلية المعبر عنها بقوله: ﮋ ﯡﮊ حجة جامعة، يدخل تحتها جميع ما ذُكر قبل هذه الآية وبعدها من إبطال استحقاق هذه الأوثان للعبادة، ومن ذلك:

1. قوله تعالى: ﮋ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﮊ[الأعراف:١٩١]، فهي مثلكم في كونها لا تخلق، كما أنكم لا تخلقون.

2. ثم قال تعالى: ﮋ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ [الأعراف:١٩٢]، فإذا كنتم تستغيثون بها طلباً للنصر فهي مثلكم لا تستطيع نصر أنفسها فضلا ً عن أن تنصركم.

فهذه المعبودات التي تعلق بها المشركون، لا تعدو أن تكون مربوبة لله مخلوقة له، تحت قهره وملكه، كما أنكم كذلك لا فرق.

وفي أثناء ذلك يخبر سبحانه عن فضل العابدين على تلك المعبودات، فذكر سبحانه عجزهم عن الانقياد للهدى إذا دُعوا إليه، بخلاف من يعبدها فإنه إذا دعي إلى الحق يتمكن من الانقياد إليه[2]، فقال تعالى: ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ[الأعراف: ١٩٣].

وبَيّن أيضاً عجزها عن إجابة من دعاها لعدم تمكنها من السمع والبصر، حيث أنها جمادات، فقال سبحانه: ﮋ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﮊ [الأعراف:١٩٤].

ثم ذكر أهم ما يجب توفّره في المخلوق المربوب فضلا ً عن الإله المعبود، وسأل المشركين سؤال تقريع وتوبيخ: ﮋ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﮊ [الأعراف: ١٩٥]، فإذا ثبتت دونية هذه المعبودات عنهم، وثبوت كونها أقل صفة وقدراً منهم، فكيف يصح أن يعبدوها، لأن ((عبادة الشخص مثله لا تليق، فكيف بمن هو دونه))[3].

---

(1) تفسير الطبري (151/9).
(2) انظر: المصدر نفسه (150/9).
(3) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (421/4).

Modifier avec WPS Office

فهذا التشبيه عام جامع لجميع ما يشترك فيه العابد والمعبود، مما يمتنع معه أن تكون آلهة ومعبودات، كما امتنع أن يكون أولئك العابدون لها آلهة ومعبودات، وهذا الاشتراك تختلف نسبته باختلاف ذلك المعبود، فقد يكون ما يشتركان فيه أمور كثيرة، إذا كانت تلك المعبودات من البشر أو الملائكة، كما قال الله سبحانه عن عيسى : ﮋ ﯓ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﮊ [المائدة:٧٥].

قال ابن جرير-رحمه الله-:((وقوله: ﮋ ﯠ ﯡ ﯢ ﮊ خبرٌ من الله تعالى ذكره عن المسيح وأمّه أنهما كانا أهل حاجةٍ إلى ما يَغْذُوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب، كسائر البشر من بني آدم، فإنّ مَن كان كذلك، فغيرُ كائنٍ إلهًا، لأن المحتاج إلى الغذاء قِوَامه بغيره، وفي قَوَامِهِ بغيره وحاجته إلى ما يقيمه دليلٌ واضحٌ على عجزه، والعاجز لا يكون إلا مربوبًا لا ربًّا))[1].

وكما يشتركان في النوم، والخالق ﮋ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ [البقرة:٢٥٥]، ويشتركان في اتخاذ الزوجة وإنجاب الولد، والله سبحانه منزه عن ذلك؛ ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﮊ [الأنعام: ١٠١].

فهذه الأمور وغيرها هي من خصائص المخلوق الناقص، والخالق الكامل منزه عنها لكمال ربوبيته وقيوميته وملكه.

أما إذا كانت هذه المعبودات من الجمادات كالأحجار والأشجار ونحوها، فاتفاقها مع العابدين في صفة العبودية للخالق، عبودية الاضطرار التي لا ينفك عنها مخلوق، وإن كانت أضعف من عابديها وأقل كمالاً وقدرة وإرادة، لذلك ابتدأ الله عز وجل بالتنبيه على أنها مثلهم في القدر المشترك وهو العبودية للخالق في كلٍ منهما، ثم عاد ليبين أوجه النقص الكثيرة في تلك المعبودات عنهم، من باب التنزل من الأعلى إلى الأدنى، فيكون المعنى: أن هذه الآلهة التي اتخذتموها آلهة، أعلى أحوالها أن تكون مثلكم، فإذا كانت مثلكم فأنتم وهم عبيدٌ لله، ولكنها في الواقع أقل منكم لأنها جمادات لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تتحرك.

ولكن لم شُبِّهت هذه الآلهة بعابديها، مع أنها أعجز وأضعف؟

السبب في ذلك-والله أعلم-: أن المشركين يعترفون بضعف أنفسهم، ويقرون بأنها مملوكة مقهورة، لكنهم لا يقرون بضعف هذه المعبودات وعجزها، فكأن المعنى: إذا كنتم ترون أنفسكم عاجزين عن فعل ما تطلبون من هذه الآلهة، فهي عاجزة مثلكم، لكونها مملوكة مربوبة لله، بل عجزها أبين وأظهر، لكونها ناقصة في الخلقة مسلوبة الإرادة والقدرة[2].

---

(1) تفسير الطبري (315/6).
(2) روح المعاني (144/9).

Modifier avec WPS Office

المطلب الرابع
صورة الممثـ ـّل له

ورد ذكر الممثل له في الآية في قوله: ﭽﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﭼ، وهؤلاء المعبودون من دون الله وُصِفُوا بأنهم عِبَاد، أي: داخلون تحت العبودية العامة، التي تشمل جميع المخلوقات، كما قال تعالى: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ[مريم:٩٣].

قال ابن تيمية-رحمه الله-: ((وقد يطلق لفظ العبد على المخلوقات كلها، كقوله: ﭽﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﭼ))[1].

وذهب بعض المفسرين إلى أن هذا الوصف إنما ذكر على سبيل الاستهزاء، ((أي قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء، فإن ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم، لا تفاضل بينكم، ثم أبطل أن يكونوا عباداً أمثالهم فقال: ﭽﯨ ﯩ ﯪ ﯫﭼ))[2].

وهذا المعنى إنما صار إليه بعض المفسرين نظراً لاستشكالهم أن توصف هذه المعبودات بالعبودية، مع كونها جمادات[3]، ولكن ذلك الإشكال يزول بمجرد علمنا أن كل مخلوق فإنه عبدٌ لله عبودية ملك وقهر، لا يخرج عن ذلك أحد، قال تعالى: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ[البقرة:١١٦].

قال ابن جرير-رحمه الله-:((وأولى معاني القنوت في قوله: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ الطاعة والإقرار لله عز وجل بالعبودية، بشهادة أجسامهم بما فيها من آثار الصنعة، والدلالة على وحدانية الله عز وجل، وأن الله تعالى ذكره بارئها وخالقها. وذلك أن الله جل ثناؤه أكذب الذين زعموا أن لله ولدا ً بقوله: ﭽﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﭼ، ملكا ً وخلقا ً. ثم أخبر عن جميع ما في السموات والأرض أنها مقرة بدلالتها على ربها وخالقها ، وأن الله تعالى بارئها وصانعها. وإن جحد ذلك بعضهم، فألسنتهم مذعنة له بالطاعة، بشهادتها له بآثار الصنعة التي فيها بذلك، وأن المسيح أحدهم ، فأنى يكون لله ولدا وهذه صفته؟))[4].

وقد رد أبو حيان-رحمه الله- تأويل الزمخشري، فقال:((وليس كما زعم، لأ نه تعالى حكم على هؤلاء المدعوّين من دون الله أنهم عباد أمثال الداعين، فلا يقال في الخبر من الله: فإن ثبت ذلك لأنه ثابت، ولا يصحّ أن يقال: ثم أبطل أن يكونوا عباداً أمثالكم، فقال: ﭽﯨ ﯩ ﭼ. لأن قوله: ﭽﯨ ﯩﭼ ليس إبطالا ً لقوله: ﭽ ﯟﭼ لأن المثلية ثابتة، إما في أنهم مخلوقون، أو في أنهم مملوكون مقهورون، وإنما ذلك تحقير لشأن الأصنام وأنهم دونكم في انتفاء الآلات التي أعدت للانتفاع بها، مع ثبوت كونهم أمثالكم فيما ذكر، ولا يدلّ إنكار هذه الآلا

(1) مجموع الفتاوى (44/1).
(2) الكشاف للزمخشري (178/2).
(3) انظر: التفسير الكبير للرازي (75/15).
(4) تفسير الطبري (507/1).

Modifier avec WPS Office

ات على انتفاء المثلية فيما ذكر))[1].

وفي قوله تعالى: ﮋﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﮊ عموم يندرج تحته جميع من عبده المشركون، سواء أكان مَلَك مقرب أو نبي مرسل، أو كان حجراً أو شجراً أو أي شيء صُرفت له العبادة من دون الله، فجميع هؤلاء ينطبق عليهم هذا التشبيه، فالكل عباد لله، وهذا لا يتعارض مع كون السياق يدل على أنها في الأصنام خاصة، لأن الله سبحانه ذكر وصفاً عاماً يدخل فيه جميع الآلهة المعبودة من دونه.

(1) تفسير البحر المحيط (439/4).

Modifier avec WPS Office

المطلب الخامس

الفوائد العَقَدية المستفادة من المثل

وفيه فائدتان:

الفائدة الأولى: اشتمال السياق على أنواع من الحُجج التي تصَبها الله لعباده دالة على توحيده.

الفائدة الثانية: دلالة المثل على نوْعَي العبودية.

Modifier avec WPS Office

الفائدة الأولى
اشتمال السياق على أنواع من الحُجج التي نصبها الله لعباده دالة على توحيده

ذكر سبحانه في آخر سورة الأعراف أنواعاً من الحجج التي نصبها لعباده شاهدةً على توحيده، وقاطعة للعذر عن المشركين الذين أشركوا معه غيره، فمن هذه الحجج:

أولاً: الميثاق، وهو في اللغة: العقد المؤكد باليمين والعهد.

قال ابن فارس:((الواو والثاء والقاف كلمةٌ تدلُّ على عَقْدٍ وإحكام، ووثّقت الشّيءَ: أحكمْتُه. وناقةٌ موثّقة الخَلْق. والمِيثاق: العَهدُ المُحكم))[1].

وفي الاصطلاح:((هو الإشهاد الذي أشهد الله تعالى بني آدم على أنفسهم ﮋ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ أو وَهُم في ظهر آدم – عليه السلام- على الصفة التي أخبر بها في كتابه الكريم، وأخبر بها نبيه عليه الصلاة والسلام))[2].

وقد دل على أخذ الميثاق عدد من الأدلة، منها:

1. قوله تعالى:ﮋ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮋ [الأعراف:١٧٢-١٧٣].

2. ما روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي قال: ((يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي))[3]، وغيرها من الأدلة[4].

وحقيقة الميثاق: ((أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام مسح على ظهره

---

(1) معجم مقاييس اللغة (85/6).
(2) الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها للقرني (ص471)، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط1، 1424هـ.
(3) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث (6557)، ومسلم، كتاب صفة الجنة والنار، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً، حديث (2805).
(4) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (376/2)، مكتبة المعارف، الرياض. وكتاب:الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها (ص503-521)، وكتاب: أخذ الميثاق في قوله تعالى: ﮋ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ...ﮊ للعثيم، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1419هـ.

Modifier avec WPS Office

فأخرج منه ذريته كأمثال الذّر، فئة بيضاء نقيه، وأخرى سوداء كالحمم، وهذا ا لإخراج كان لجميع الذرية، وجعل لهم عقولا ً يعقلون بها ما يُعرض عليهم، ثم كلمهم الباري تعالى عياناً، وأخذ عليهم العهد والميثاق بأنه ربهم المعبود، الذي لا إله غيره، وأنهم عبيده المربوبون، فأقروا بذلك، ووقعت الشهادة عليهم بذلك، قال تعالى: ﮋ ﭴ ﭵﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﮊ الآية.

وأعلمهم أنه مُنزل عليهم كتبه، ومرسل إليهم رسله، مذكرة عهد الله وميثاقه، كما ورد في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

ثم أعادهم في ظهر أبيهم آدم عليه السلام، فهم يتناسلون على ذلك إلى قيام الساعة، فأهل القبور مرهونون حتى يخرج من أصلاب الرجال وأرحام النساء كل من أخذ عليه الميثاق يومئذ.

وهذا هو مذهب جمهور الصحابة والتابعين، وجمهور المفسرين، وعامة أهل الأثر والحديث والصوفية))[1].

وذهب بعض المفسرين، إلى أن أخذ الميثاق بتلك الصفة لم يقع، وفسروا الميثاق بأحد أمرين:

1. ما فطرهم الله تعالى عليه من التوحيد، وبه قال جمع من المفسرين، ونصره طائفة من أهل السنة كشيخ الإسلام ابن تيمية[2]، وتلميذه ابن القيم، وابن كثير[3]، وابن أبي العز الحنفي[4][5]، والسعدي[6]، وغيرهم-رحمة الله عليهم أجمعين-.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((وأحسن ما فسرت به الآية: قوله :((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه))[7]، فالميثاق الذي أخذه سبحانه

---

(1) الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها (ص522).

(2) انظر: درء التعارض (487/8).

(3) انظر: تفسير ابن كثير (506/3).

(4) هو علي بن محمد بن محمد عز الدين، أبو الحسن الدمشقي الصالحي الحنفي، المعروف بابن أبي العز، ولد سنة 731هـ، وأخذ العلم عن أبيه الذي كان من علماء الحنفية، كان وقاد الذهن ذكياً، ولي التدريس على صغر سنه ، من تصانيفه: شرح العقيدة الطحاوية، والتنبيه على مشكلات الهداية، توفي سنة 792هـ. انظر: إنباء الغمر بأنباء العمر (50/3)، وشذرات الذهب (326/6)، وجاء في المصدرين الأولين أن اسمه محمداً، وهو وَهْمٌ نبه عليه غير واحد. انظر: مقدمة محققي شرح الطحاوية (48/1).

(5) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص302-314)، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

(6) انظر: تفسير السعدي (ص308).

(7) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل

Modifier avec WPS Office

عليهم، والإشهاد الذي أشهدهم على أنفسهم، والإ ِقرار الذي أقروا به هو الفطرة التي فطروا عليها، لأنه سبحانه احتج عليهم بذلك، وهو لا يحتج عليهم بما لا يعرفه أحد منهم ولا يذكره، بل بما يشتركون في معرفته والإقرار به))[1].

2. ((أن المراد من أخذ الميثاق: الأخذ من ظهور بني آدم على الترتيب الذي مضت به السنة من لدن آدم إلى فناء العالم، ونصب الأدلة لهم في أنفسهم أو في الكون، ومعنى ذلك: أن الله عز وجل نصب هذه الدلائل، وأظهرها للعقول لئلا يقولوا: إنما أشركنا على سبيل التقليد لآبائنا... وهذا القول هو مذهب المعتزلة[2]))[3].

وبناءً على ما ذكر، فالميثاق حجة على قول كثير من السلف، والله أعلم.

ثانيا: الفطرة، وذلك بناءً على قول من قال بأن قوله تعالى: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ...ﮊالآية، دال على الفطرة.

وقد رَجّحَ الشيخ حافظ الحكمي-رحمه الله- أنه لا تنافي بين التفسيرين، حيث قال:((قلت: ليس بين التفسيرين منافاة و لا مضادة ولا معارضة، فإن هذه المواثيق كلها ثابتة بالكتاب و السنة.

الأول: الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام، ﮋﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳﮊ الآيات، وهو الذي قاله جمهور المفسرين رحمهم الله في هذه الآيات، و هو نص الأ حاديث الثابتة في الصحيحين و غيرهما.

الميثاق الثاني: ميثاق الفطرة، و هو أنه تبارك و تعالى فطرهم شاهدين بما أخذه عليهم في الميثاق الأول، كما قال تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﮊ الآية [الروم: ٣٠]...))[4].

يصلى عليه، حديث (1358)، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث (2658)

(1) أحكام أهل الذمة لابن القيم (527/2)، ت: يوسف البكري وشاكر العاروري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1418هـ.

(2) هي إحدى الفرق الضالة, وزعيمها هو واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري فقال الحسن: اعتزلنا واصل, فمن يومها سموا المعتزلة, ولهم أصول خمسة مشهورة، هي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، و المنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر الفرق بين الفرق (ص18)، ومقالات الإسلاميين (ص155).

(3) الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها (ص534-535).

(4) معارج القبول (92/1).

Modifier avec WPS Office

وقد سبق الحديث عن الفطرة فيما مضى[1] مما يغني عن إعادته، والمهم معرفة دلالة السياق على ميثاق الفطرة في قول جمع من أهل العلم.

ثالثاً: العقل، وهو في اللغة: الحبس والمنع، قال ابن فارس:((العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد، يدل ع ُظ ْم ُه على ح ُبْ ْسة في الشيء أو ما يقارب الح ُبْ ْسة، من ذلك: العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل.

قال الخليل: العقل نقيض الجهل، يقال: ع َقَ َل يعق ِل ع َقْ ْلا ً، إذا عرف ما كان يجهله قبل أو انزج َر عما كان يفعله))[2].

والعقل في الاصطلاح وقع الاختلاف في معناه، فقال بعضهم: العقل غريزة[3]، وقال آخرون: العقل آلة تمييز[4].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- أن العقل يطلق ويراد به معان أربعة، حيث قال:((فهنا أمور: **أحدها**: علوم ضرورية يفرق بها بين المجنون الذي رفع القلم عنه وبين العاقل الذي جرى عليه القلم فهذا مناط التكليف.

والثاني: علوم مكتسبة تدعو الإنسان إلى فعل ما ينفعه وترك ما يضره...

الثالث: العمل بالعلم يدخل في مسمى العقل أيضا ً بل هو من أخص ما يدخل في اسم العقل الممدوح...

الأمر الرابع: الغريزة التي بها يعقل الإنسان))[5].

وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية العقل في التكليف بالشرائع، ونبه المخاطبين إلى إعمال العقول في معرفة صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وصحة ما جاء به من البينات، ورد ذلك في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز، وفي سياق هذا المثل العظيم، تنوعت أساليب الخطاب للعقول والألباب، فمن ذلك:

1. الأمر بالتفكر والنظر العقلي، والإنكار على المشركين في إهمال ذلك ا لأمر، قال تعالى: ﮋﮒ ﮓ ﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ[الأعراف: ١٨٤- ١٨٥].

---

(1) (ص169-172).

(2) معجم مقاييس اللغة (69/4).

(3) الغريزة هي:((الطبيعة والقريحة والسجية من خير أو شر)) لسان العرب (387/5).

(4) انظر: موقف السلف والمتكلمين من موافقة العقل للنقل، لجابر إدريس (71-72/1)، أضواء السلف، ط1، 1419هـ.

(5) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية لابن تيمية (ص 260)، ت: موسى بن سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1408هـ.

Modifier avec WPS Office

2. ذكر الحجج والبراهين الدالة على بطلان الشرك، وضلال المشركين، وذلك في عدد من الآيات، كقوله تعالى: ﭽ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [الأعراف:١٩١- ١٩٣]، وما بعدها من الآيات.

3. ضرب الأمثال للتفكر والاعتبار، فالغرض من ضرب الأمثال طلب إعمال الذهن في صحة المضروب له المثل أو بطلانه، قال تعالى: ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ [العنكبوت:٤٣].

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((والقرآن والحديث مملوء من هذا-أي العلوم العقلية- يبين الله الحقائق بالمقاييس العقلية والأمثال المضروبة، ويبين طرق التسوية بين المتماثلين، والفرق بين المختلفين، وينكر على من يخرج عن ذلك))[1]، ومن الأمثال المضروبة في هذا السياق: المثل المضروب في قوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ [الأعراف: ١٧٥- ١٧٦] وقوله تعالى: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ [الأعراف:١٩٤].

فهذه ثلاثة أدلة وبراهين ذكرها الله في هذه السورة التي ضرب فيها هذا المثل العظيم، وجميع هذه الأدلة دليل الميثاق، ودليل الفطرة، ودليل العقل، تدل دلالة قاطعة على بطلان الشرك ووجوب التوحيد، ولهذا قال تعالى بعد آية الميثاق: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ، فبَيّن سبحانه أن هذا الإشهاد عليهم –سواء كان بالفطرة أو الميثاق- قاطع للعذر عنهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: ((فالشهادة هي الإقرار... فإشهادهم على أنفسهم: جعلهم شاهدين على أنفسهم، أي: مقرين له بربوبيته كما قال في تمام الكلام: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ فقولهم بلى شهدنا هو إقرارهم بربوبيته، وهو شهادتهم على أنفسهم بأنه ربهم وهم مخلوقون له، فشهدوا على أنفسهم بأنهم عبيده، كما يقول المملوك: هذا سيدي، فيشهد على نفسه بأنه مملوك لسيده، وذلك يقتضي أن هذا الإشهاد من لوازم الإنسان فكل إنسان قد جعله الله مقراً بربوبيته شاهداً على نفسه بأنه مخلوق والله خالقه.

ولهذا جميع بني آدم مقرون بهذا شاهدون به على أنفسهم، وهذا أمر ضروري لهم لا ينفك عنه مخلوق، وهو مما خُلقوا عليه وجُبلوا عليه، وجُعِل علماً ضرورياً لهم لا يمكن أحداً جحده.

ثم قال بعد ذلك: ﭽ ﭺ ﭼ أي كراهة أن تقولوا ولئلا تقولوا ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ عن الإقرار لله بالربوبية، وعلى نفوسنا بالعبودية، فإنهم ما كانوا غافلين عن

(1) الرد على المنطقيين لابن تيمية (ص382)، دار المعرفة، بيروت.

Modifier avec WPS Office

هذا، بل كان هذا من العلوم الضرورية اللازمة لهم، التي لم يخل منها بشر قط...

ثم قال: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﮊ، ذكر لهم حجتين يدفعهما هذا الإشهاد:

إحداهما: ﮋ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﮊ فبين أن هذا علم فطري ضروري لا بد لكل بشر من معرفته، وذلك يتضمن حجة الله في إبطال التعطيل، وأن القول بإثبات الصانع علم فطري ضروري وهو حجة على نفي التعطيل.

والثاني: ﮋ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﮊ فهذا حجة لدفع الشرك كما أن ا لأول حجة لدفع التعطيل، فالتعطيل مثل كفر فرعون ونحوه، والشرك مثل شرك المشركين من جميع الأمم...

فإذا كان في فطرتهم ما شهدوا به من أن الله وحده هو ربهم، كان معهم ما يبين بطلان هذا الشرك وهو التوحيد الذي شهدوا به على أنفسهم، فإذا احتجوا بالعادة الطبيعية من اتباع الآباء، كانت الحجة عليهم الفطرة الطبيعية العقلية السابقة لهذه العادة الأبوية، كما قال ﷺ: ((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه))[1]، فكانت الفطرة الموجبة للإسلام سابقة للتربية التي يحتجون بها، **وهذا يقتضي أن نفس العقل الذي به يعرفون التوحيد حجة في بطلان الشرك، لا يحتاج ذلك إلى رسول فانه جعل ما تقدم حجة عليهم بدون هذا))**[2].

وإثبات كون هذه الأدلة الثلاثة حججاً ثابتة لإبطال الشرك لا يتعارض مع الحكمة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، التي دل عليها قوله: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [النساء:١٦٥] ، وذلك لأن إرسال الرسل مع بقية هذه الحجج، حجة في وجوب العذاب، كما قال تعالى: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﮊ [الإسراء:١٥]، أما بطلان الشرك فهو مستقر في نفوس المكلفين ولو لم يأت رسول، قال ابن تيمية-رحمه الله- بعد الكلام المتقدم ذكره: ((وهذا لا يناقض قوله تعالى: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﮊ [الإسراء:١٥]، فإن الرسول يدعو إلى التوحيد، لكن إن لم يكن في الفطرة دليل عقلي يعلم به إثبات الصانع لم يكن في مجرد الرسالة حجة عليهم، فهذه الشهادة على أنفسهم التي تتضمن إقرارهم بأن الله ربهم ومعرفتهم بذلك، وأن هذه المعرفة والشهادة أمر لازم لكل بني آدم، به تقوم حجة الله تعالى في تصديق رسله، فلا يمكن أحداً أن يقول يوم القيامة إني كنت عن هذا غافلاً، ولا أن الذنب كان لأبي المشرك دوني، لأنه عارف بأن الله ربه لا شريك له، فلم يكن معذوراً في التعطيل و لا الإشراك بل قام به ما يستحق به العذاب.

---

(1) تقدم تخريجه (ص175).
(2) درء التعارض (8/488-491).

Modifier avec WPS Office

ثم إن الله بكمال رحمته وإحسانه لا يعذب أحداً إلا بعد إرسال رسول إليهم وإن كانوا فاعلين لما يستحقون به الذم والعقاب، كما كان مشركو العرب وغيرهم -ممن بعث إليهم رسول- فاعلين للسيئات والقبائح التي هي سبب الذم والعقاب، والرب تعالى مع هذا لم يكن معذباً لهم حتى يبعث إليهم رسولاً))[1].

(1) نفس المصدر (8/491-492).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثانية
دلالة المثل على نوعي العبودية

عبودية الكائنات لله تعالى تنقسم إلى قسمين، أشار إلى إحداهما المثل، وهي مستلزمة للعبودية الأخرى:

العبودية الأولى: العبودية العامة لجميع الكائنات، وهي التي دل عليها المثل.

العبودية الثانية: العبودية الخاصة بأهل الإيمان.

وهذا التقسيم دل عليه المعنى اللغوي لهذه الكلمة، فالعبودية في اللغة مأخوذة من: الطاعة مع شدة الخضوع والتذلل، ومنه قولهم: طريق مَعُبَّد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء عليه[1].

قال ابن القيم-رحمه الله-:((وإنما انقسمت العبودية إلى خاصة وعامة، لأن أصل معنى اللفظة: الذل والخضوع، يقال: طريق معبد إذا كان مُذَلّلاً بوطء الأقدام، وفلان عَبَّدَهُ الحُبُّ إذا ذَلّلَه، لكن أولياؤه خضعوا له وذلوا طوعا واختيارا وانقيادا لأمره ونهيه وأعداؤه خضعوا له قهراً ورغماً))[2].

أما العبودية العامة وتسمى (الكونية) فهي خضوع جميع الكائنات وذلها لربها وخالقها، فلا يخرج عنها مخلوق.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((فالعبودية العامة عبودية أهل السموات والأرض كلهم لله، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك، قال تعالى: ﴿ ... ﴾[مريم:٨٨ -٩٣]، فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم.

وقال تعالى: ﴿ ... ﴾[الفرقان:١٧]، فسماهم عباده مع ضلالهم))[3].

وأما العبودية الخاصة، وتسمى(الدينية أو الشرعية) فهي العبودية بامتثال الأوامر واجتناب النواهي.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((وأما النوع الثاني فعبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر، قال تعالى: ﴿ ... ﴾[الزخرف:٦٨]، وقال: ﴿ ... ﴾[الزمر:١٧- ١٨]، وقال: ﴿ ... ﴾[الفرقان:٦٣]، وقال تعالى عن إبليس: ﴿ ... ﴾[ص:٨٢- ٨٣]، فقال تعالى عنهم: ﴿ ... ﴾[الإسراء:٦٥]، فالخلق كلهم عبيد

(1) انظر: لسان العرب (273/3).
(2) مدارج السالكين (106/1).
(3) المصدر السابق (105/1).

Modifier avec WPS Office

ربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد إلهيته))[1].

والعبد يختلف وصفه باختلاف النوعين، فإذا عبد الله وحده، فامتثل أوامره واجتنب نواهيه، فهو عبد بمعنى عابد، فهو الذي اختار العبودية لله وقام بها، أما إذا لم يستجب لأوامره ولم يخضع له بل أشرك معه غيره، فهو عبد بمعنى مُعَبّد، أي: مذلل لله.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: ((وتحرير ذلك: أن العبد يراد به الم ُع َبـ ّد الذي عبده الله فذ َل ّل ـَه ودَبـ ّره وص َر ّفه، وبهذا الاعتبار فجميع المخلوقين عباد الله من الأبرار والفجار، والمؤمنين والكفار، وأهل الجنة وأهل النار، إذ هو ربهم كلهم ومليكهم لا يخرجون عن مشيئته وقدره وكلماته التامات التي لا يجاوزها بر ولا فاجر...

النوع الثاني من معنى العبد: وهو العبد بمعنى العابد، فيكون عابدا ً لله لا يعبد إلا إياه، فيطيع أمره وأمر رسله، ويوالى أولياءه المؤمنين المتقين، ويعادى أعداءه))[2].

ومما تقدم يتبين أن العبودية العامة تستلزم العبودية الخاصة، فمن عبد الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فقد تحققت فيه العبوديان العبودية الكونية والعبودية الدينية الشرعية.

---

(1) نفس المصدر (106/1).
(2) مجموع الفتاوى (154/10-157).

Modifier avec WPS Office

المبحث الثاني
دراسة المثل في قوله تعالى:

ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭥ ﭦ ﭧ
ﭨ ﭩ ﭪﭫ ﭬﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﮊ [الحج:٧٣].

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المثل.

المطلب الثاني: نوع المثل والغرض الذي ضُرِبَ من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثَّل به.

المطلب الرابع: بيان الممثل له، والعبرة التي تضمنها المثل.

المطلب الخامس: الفوائد العقدية المستفادة من المثل.

Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
دلالة السياق الذي ورد فيه المثل

ورد هذا المثل في آخر سورة الحج، وقد تعَرّضت السورة لمسائل التوحيد والبعث، وهما من المسائل الكبرى التي يعارضها المشركون، ففي بداية السورة برهن تعالى على إمكان البعث بدليلين قاطعين، فقال تعالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [الحج: ٥- ٧].

ثم بَيّن سبحانه حال ثلاثة أصناف من الناس:

الأول: من ((يجادل رسل الله وأتباعهم بالباطل ليدحض به الحق، ﮋ ﭻ ﭼ ﮊ صحيح ﮋ ﭽ ﭾ ﮊ أي: غير متبع في جداله هذا من يهديه، لا عقل مرشد، ولا متبوع مهتد، ﮋ ﭿ ﮀ ﮊ أي: واضح بين، أي: فلا له حجة عقلية ولا نقلية، إن هي إلا شبهات، يوحيها إليه الشيطان))[1]، قال تعالى مبيناً حال هذا الصنف: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮊ [الحج:٨- ٩].

الثاني: ((من هو ضعيف الإيمان، لم يدخل الإيمان قلبه، ولم تخالطه بشاشته، بل دخل فيه، إما خوفاً وإما عادة، على وجه لا يثبت عند المحن، ﮋ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ أي: إن استمر رزقه رغداً، ولم يحصل له من المكاره شيء، اطمأن بذلك الخير لا بإيمانه... ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮊ من حصول مكروه، أو زوال محبوب ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮊ أي: ارتد عن دينه))[2]، قال تعالى مبيناً حال هذا الصنف: ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﮊ [الحج: ١١- ١٣]، وقد تضمن التنفير من هذا الصنف بيان واقع من يدعو غير الله، وهو أنه يدعو من لا منفعة عنده ولا مضرة، ودعاء من هذا حاله من الضلال البعيد.

الثالث: المؤمن حقيقة، الذي خالطت بشاشةُ الإيمان قلبَه، وقد بين الله ما يستحقون من النعيم بقوله: ﮋ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﮊ [الحج:١٤].

وبعد أن عرض تعالى لهذه الأصناف الثلاثة، والتي منها من يعبد غير الله، بين أن جميع المخلوقات تخضع له وتسجد له، وأن ترك الخضوع والانقياد

(1) تفسير السعدي (ص533).
(2) المصدر السابق.

Modifier avec WPS Office

خروج عن الفطرة التي فُطرت عليها جميع المخلوقات، قال تعالى: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ [الحج:١٨][1].

ثم انتقلت السورة للكلام عن الحج، فقال سبحانه: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮊ [الحج:٢٦-٢٧]، وقد تقدم معنا بيان ما اشتملت عليه آيات الحج من هذه السورة من توجيهات ووصايا تؤكد على التوحيد وتحث عليه[2].

ثم تطرقت السورة إلى كثير من الحجج والدلائل الدالة على التوحيد، وذكر الأمم الماضية المكذبة للرسل وما حل بهم، قال تعالى: ﮋ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﮊ [الحج:٤٢-٤٤]، ثم أنكر عليهم عدم اعتبارهم بما حَلّ بالأمم الغابرة من العذاب والنكال، وهم يمرون على آثارهم، فقال جل شأنه: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﮊ [الحج:٤٥- ٤٦]، وقيل: بل ذلك حث لهم على السير ليعتبروا[3].

وبعد أن ذكر تعالى طرفاً من دلائل ربوبيته أشار إلى استحقاقه للعبادة دون ما سواه فقال: ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ [الحج:٦١- ٦٢].

وفي ختام السورة بين سبحانه أن المشركين لا يعتمدون في عبادتهم على برهان ودليل، وإنما هي التخرصات والأوهام الباطلة، ولو كانوا يطلبون الحق لكفاهم حجة لترك ما هم عليه بعض هذه الشواهد التي ذكرها الله في هذه السورة وغيرها، الدالة على بطلان الشرك، قال تعالى: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﮊ [الحج:٧١]، ولتأكيد وهاء هذه الأصنام وانعدام الحجة المقنعة المسوغة لعبادتها ضرب الله هذا المثل إمعاناً في تسفيه عقول المشركين، ومبالغة في التهوين من شأن تلك الآلهة الباطلة، قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﮊ [الحج:٧٣].

قال ابن عاشور-رحمه الله-:((أ ُعقبت تضاعيف الحجج والمواعظ والإ نذارات التي اشتملت عليها السورة، مما فيه مقنع للعلم بأن إله الناس واحد، وأن ما يُعبد من دونه باطل ، أ ُعقبت تلك كلها بمثَل جامع لوصف حال تلك

---

(1) انظر: التحرير والتنوير(225/7).
(2) (ص216-220).
(3) انظر: فتح القدير (459/3).

Modifier avec WPS Office

المعبودات وعابديها))[1].

(1) التحرير والتنوير (337/7).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثاني
نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله

هذا المثل من الأمثال الأنموذجية، حيث جعل عجز المشركين عن خلق أصغر المخلوقات حجة شاخصة أمام أبصارهم يعتبرون بها ويستنتجون منها عدم استحقاق آلهتهم للعبادة، لأن العاجز عن خلق أبسط المخلوقات وأحقرها، عاجز عن ما سوى ذلك من باب أولى.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((فقوله: ﮋ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﮊ **جـ عـ لِ ما هو من أصغر المخلوقات مـ ثـ لا ً** ونظيرا ً يـ عـ تـ بر به، فإذا كان أدون خلق الله لا يقدرون على خلقه ولا منازعته، فلا يقدرون على خلق ما سواه، فيعلم بها من عظمة الخالق، وأن كل ما يعبدون من دون الله في السماء والأرض لا يقدرون على ما هو أصغر مخلوقاته))(1).

والأمثال الأنموذجية جارية على قياس الشمول، دالة على قاعدة كلية يدخل تحتها جميع أفرادها، فالمثل هنا دل على قاعدة عامة هي: أن كل من يُعبد من دون الله لا يقدر على خلق الحقير فضلا ً عن الجليل، فاللات و العزى ومناة وأشباهها مما يعبده المشركون لا تقدر على الخلق لدخولها تحت هذه القاعدة.

وقد استشكل المفسرون وجود مَثَلٍ هنا، بناء على الاعتقاد بأن الأمثال لا بد أن تكون أمثالا ً تشبيهية، قائمة على تشبيه شيء بشيء.

وقد أشار ابن تيمية إلى أن ضرب المثل بمعنى الحجة موضع إشكال عند العلماء، حيث قال:((النوع الثاني-من ضرب الأمثال في المعاني-: الأمثال الكلية ، وهذه التي أشكل تسميتها أمثالا ً كما أشكل تسميتها قياسا ً، حتى اعترض بعضهم قوله: ﮋ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﮊ، فقال: أين المثل المضروب))(2).

فبعضهم نفى وجود مثلٍ أصلا ً، وبعضهم جعله من المثل السائر.

قال الشوكاني-رحمه الله-: ((قال الأخفش(3): **ليس ثـ مـ ـّ مثل**، وإنما المعنى : ضربوا لي مـ ثـ لا ً ﮋ ﭜﮊ قولهم، يعني: أن الكفار جعلوا لله مثلا ً بعبادتهم غيره ، فكأنه قال: جعلوا لي شـ بـ ـهاً في عبادتي فاستمعوا خبر هذا الشـ بـ ـه...

(1) مجموع الفتاوى (17/13).
(2) نفس المصدر (58/14).
(3) هو سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي النحوي، أبو الحسن الأخفش الأوسط، أخذ النحو عن سيبويه، وصحب الخليل، وكان معلماً لولد الكسائي، من تصانيفه: تفسير معاني القرآن، والاشتقاق، توفي سنة 210هـ. انظر: بغية الوعاة (590/1)، وشذرات الذهب (36/2).

Modifier avec WPS Office

قال النحاس[1]: المعنى: ضرب الله عزّ وجلّ لما يعبدونه من دونه مَثَلاً، قال: وهذا من أحسن ما قيل فيه، أي بين الله لكم شبَهاً ولمعبودكم، وأصل المَثَل: جملة من الكلام متلقاة بالرضا والقبول، مسيرة في الناس مستغربة عندهم، وجعلوا مضربها مثلاً لموردها، ثم قد يستعيرونها للقصة أو الحالة أو الصفة المستغربة، لكونها مماثلة لها في الغرابة كهذه القصة المذكورة في هذه الآية))[2].

وهذه الأقوال خارجة عن المعنى المراد بضرب المَثَل، من عدة أوجه:

1. أن الله سبحانه أخبر أنه ضرب هنا مَثَلاً، وأمر بالاستماع له، فكيف يصح نفي ذلك.

2. أنه سبحانه أمر بالاستماع للمَثَل، ولم يأمر بالاستماع لحال المِثْل، ولا يخفى ما في حمله على غير هذا من التكلف، وإنما ألجأهم إلى تأويل المثل عن ظاهره، ما تقدم من عدم تصورهم لوجود المثل في هذه الآية.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((وقد قيل إنهم جعلوا آلهتهم مَثَلاً لله فاستمعوا لذكرها، وهذا لأنهم لم يفقهوا المَثَل الذي ضربه الله، جعلوا المشركين هم الذين ضربوا هذا المَثَل))[3].

3. لا يمكن جعل هذا المثل من الأمثال السائرة، وذلك لأن المثل السائر هو: ما شبه مضربه بمورده، ويراد بمضرب المثل: الحالات والمواقف التي يمكن أن يستعمل فيها المثل، لما بينها وبين مورد المثل من التشابه، ومورده: الحالة والموقف الذي قيل فيها ذلك المثل ابتداءً، وعليه فالمثل أول ما قيل لم يكن مراد قائله أن يصبح مثلاً، وإنما لما تضمنه من الإيجاز ولاشتهاره على الألسن أصبح يُضرب لكل حال تناسب الحال التي قيل فيها أول مرة، والله سبحانه أخبر أنه ضرب مثلاً هنا، فكيف يخبر عن كلامه أنه صار مثلاً، ومن المفترض على هذا التقدير أن لا يصبح مثلاً إلا بعد شهرته وانتشار استعماله.

4. من المفسرين من قال: إنه كالمثل السائر في غرابته والتعجب من حال المضروب له[4]، ولا يخفى ما في حمله على هذا المعنى من البعد، لأن الله أخبر أنه ضرب مثلاً، فلا يصح أن يقال هو يشبه المثل وليس بمثل.

---

(1) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس، أبو جعفر النحوي المصري، من أهل الفضل الشائع والعلم الذائع، كان عالماً بالعربية، من تصانيفه: إعراب القرآن، ومعاني القرآن، غرق في النيل سنة 338هـ. انظر: وفيات الأعيان (83/1)، وشذرات الذهب (346/2).

(2) فتح القدير (469/3).

(3) مجموع الفتاوى (17/13).

(4) انظر: تفسير الزمخشري (172/3).

Modifier avec WPS Office

وبناء على ما تقدم فالمتعين حمل هذا المثل على أنه بمعنى الحجة، وقد سبق ذكر شواهد لهذا المعنى في الكتاب العزيز.

الغرض الذي من أجله ضرب المثل:

تقرر في المطلب السابق أن الله ضرب هذا المثل للاعتبار، وذلك أنه تقرر في بدائه العقول أن غير الله لا يتمكن من خلق أي شيء جَلّ أو قلّ، فكيف يستحق مَنْ هذا حاله أن يُعْبد من دون الله.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((فتأمل هذا المثل الذي أ ُمر الناس كلهم باستماعه، فمن لم يستمعه فقد عصى أمره، كيف تـ َضـ َمـ ّن إبطال الشرك وأسبابه بأصح برهان في أوجز عبارة وأحسنها وأحلاها، وأسجل على جميع آلهة المشركين أنهم لو اجتمعوا كلهم في صعيد واحد، وساعد بعضهم بعضا ً وعاونه بأبلغ المعاونة لعجزوا عن خلق ذباب واحد، ثم بـ َيـ ّن ضعفهم وعجزهم عن استنقاذ ما يسلبهم الذباب إياه حين يسقط عليهم، فأي إله أضعف من هذا الإله المطلوب، ومن عابده الطالب نفعه وخيره، فهل قـ َدـ َر القوي العزيز حق قـ َدـ ْر ِه من أشرك معه آلهة هذا شأنها))[1].

فقد احتج سبحانه على المشركين عبادتهم من لا يتمكن من خلق أضعف المخلوقات وأحقرها، فعدم إمكان الخلق دليل على عدم استحقاق الألوهية.

(1) الصواعق المرسلة (2/466-467).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
صورة الممثـ ـّل به

دل على الممثل به قوله تعالى: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﮊ، وهذه الحجة التي ضربها الله لتكون ماثلة أمام أذهان المشركين، بينت عجز معبودات المشركين، وذلك من جهتين:

الأولى: ما دل عليه قوله: ﮋﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ، حيث بين الله عز وجل عجز من يدعى من دون الله عن خلق أصغر المخلوقات وأقلها تركيباً خَلقياً.

الثانية: ما دل عليه قوله: ﮋﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪﮊ، فلما بين سبحانه عجزهم عن الخلق، انتقل معهم إلى ما هو أسهل منه، ليبين أنهم عاجزون عن ما هو أقل من الخلق فكيف بالخلق.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء إلهيتهم: أن هذا الخلق الأقل الأذل العاجز الضعيف لو اختطف منهم شيئا ً واستلبه فاجتمعوا على أن يستنقذوه منه لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا عليه))[1].

وقد تحّدث المفسرون –رحمهم الله- عن الحكمة التي من أجلها كان التحدي بالذباب دون غيره من المخلوقات، من ذلك:

قول الماوردي-رحمه الله-:((وخص الذباب لأربعة أمور تخصه: لمهانته وضعفه واستقذاره وكثرته، وسُمّي ذباباً لأنه يُذَبُّ احتقاراً واستقذاراً))[2].

وقال السُدِيُ-رحمه الله-:((ﮋﭤ ﭥ ﭦ ﭧﮊ يقول : يجعل للأصنام طعام، فيقع عليه الذباب، فيأكل منه، فلا يستطيع أن يستنقذه منه))[3].

وهذا الذي أشار إليه بعض المفسرين يُعَد من تلمس المعاني والحكم، ولا يلزم أن يكون هو المراد عيناً، فإن من الحشرات ما هو أمهن وأضعف من الذباب كالبعوض ونحوه، ومنها ما هو أقذر كالجُعْل، والكثرة أمر نسبي فمن الحشرات ما هو أكثر من الذباب، وأما ما ذكره السُدْيُ-رحمه الله- فهو إشارة إلى حال الأصنام مع الذباب وقت التنزيل، والعبرة بعموم اللفظ.

وبناء على ما تقدم، وبما أن التحدي قائم في كل وقت، وليس خاصاً بوقت التنزيل فقط، ومع تطور التجارب العلمية الدقيقة، فقد تجلت في هذه الحشرة معجزتان عظيمتان، مبنيتان على حقيقتين علميتين، إحداهما في تركيبته وخَلقِه، والثانية في كيفية امتصاصه للطعام الذي يأكله.

الحقيقة الأولى: أظهرت الأبحاث العلمية المتعلقة بعلم الخلية[4] و

---

(1) إعلام الموقعين (181/1).
(2) تفسير الماوردي (128/3).
(3) الدر المنثور (75/6)، وعزاه لابن أبي حاتم، ولم أقف عليه في تفسيره.
(4) الخلية هي: الوحدة الأساسية التي تتكون منها الكائنات الحية، ويحتوي كل كائن حي على عدد هائل من الخلايا، ومعظمها صغير جداً لا يرى بـ

Modifier avec WPS Office

المورثات[1] وتركيب الكائنات الحية، أن الصبغيات[2] الحاملة لجينات الكائن الحي (المورثات) تتفاوت في أعدادها، فمثلاً :((تحتوي كل خلية من خلايا جسم الإنسان على ستة وأربعين صبغياً، أي ثلاثة وعشرين زوجاً، وخلية نبات البازلاء تحتوي على أربعة عشر صبغياً، بينما خلية ذبابة الفاكهة فيها ثمان صبغيات))[3].

وعلى هذا فإن الذبابة وخاصة ذبابة البستان هي من أقل الكائنات تعقيداً من حيث التركيب الوراثي الذي جعله الله سر حياة الكائنات الحية وتنوعها، يؤيد ذلك استخدام ذبابة البستان في عمل تجارب الهندسة الوراثية[4]، كاستخدامها في تجارب إطالة العمر-بزعمهم- من خلال التعديل في المورثات[5]، واستخدامها أيضاً في تجارب التخلص من مرحلة الشيخوخة ومعالجة المورثات المسؤولة عنها[6].

فاختيار الذباب لإجراء التجارب عليه دليل على سهوله إجرائها عليه بالنسبة لهم، مع كونه أقل تعقيداً من جهة المورثات.

فإيجاد المخلوق الحي يبدأ بوجود خلية حية قابلة للانقسام والنمو في المسار الذي حدده الله للمخلوق، والخلية مكونة في الأصل من هذه المورثات

العين المجردة. انظر: الموسوعة العربية العالمية العدد (10) (ص140-142).

(1) المورثات أو الجينات هي: وحدة القاعدة الوراثية، وهي التي تتحكم –بإذن الله- في الصفات الوراثية المختلفة للكائن الحي، من طول الجسم أو قصره، وشكله ولونه، ومن وظائف المورثات: نقل الصفات الوراثية للكائن الحي من جيل إلى جيل. انظر: استنساخ الأجنة من الخلايا المهندسة وراثياً في ضوء العقيدة الاسلامية للجربوع (ص12-13)، لم يطبع.

(2) الصبغيات: هي شرائط من مادة تسمى بـ(DNA)، حاملة لمورثات الكائن الحي، انظر: الموسوعة العربية العالمية، العدد (27)، (ص 177).

(3) الاستنساخ تقنية-فوائد ومخاطر-، تأليف د. صالح بن عبد العزيز الكريم، (ص9)، ط1، عام 1418هـ، الناشر: مؤسسة عكاظ للطباعة والنشر.

(4) ((الهندسة الوراثية: مصطلح يطلق على التقنية التي تغير المورثات (الجينات) الموجودة داخل جسم الكائن الحي)) الموسوعة العربية العالمية ، العدد (27)، (ص177).

(5) انظر: الاستنساخ بين العلم والدين لعبد الهادي مصباح (ص109)، الدار المصرية اللبنانية، ط2، 1997م.

(6) انظر: الاستنساخ قنبلة العصر للدمرداش (ص102)، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418هـ.

Modifier avec WPS Office

المحددة لنوع المخلوق، فالله سبحانه وتعالى بين عجزهم عن خلق هذا المخلوق الذي هو من أقل المخلوقات تعقيداً، فإذا تبين عجزهم عن ذلك كان عجزهم عن ما هو أشد تعقيداً وأكثر مورثات وصبغيات من باب أولى.

وهذا من إعجاز القرآن الكريم حيث أن الله تعالى تحداهم بهذه الحشرة التي بهذه المثابة من قلة التعقيد بالنسبة لغيرها، وذلك لسر بديع لم يظهر إلا في هذا العصر، عصر الثورة العلمية، مما يعني أن التحدي يكون في زمن نزول الوحي وما بعده من الأزمنة إلى قيام الساعة.

الحقيقة الثانية: ما أثبتته الأبحاث العلمية أيضاً من طبيعة امتصاص الذباب للغذاء، فالذباب يتميز بطريقة فريدة في امتصاص الغذاء، فالسوائل تمتص عن طريق الخرطوم (الراشف) ثم تتحلل داخل تجويف الفم ولا تصل إلى الجهاز الهضمي إلا وقد تحللت جميع أجزاءها، وأما الأغذية الصلبة فإن الذباب يفرز مواد لعابية تذيبها ومن ثم يتم امتصاصها، فتكون قد تحللت قبل أن تدخل إلى الجوف، وفي كلا الحالين لا يمكن استلاب ما أخذه الذباب لكونه تحلل قبل الوصول إلى جوفه[1].

(1) انظر: كتاب: مشهد الأحياء المستصغرة في النظر السطحي للعثمان (60-63)، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، السعودية، 1418هـ.

Modifier avec WPS Office

المطلب الرابع
بيان الممثل له، والعبرة التي تضمنها المثل

تقدم معنا أن هذا المثل من الأمثال الأنموذجية، وهذه الأمثال ((لا تتضمن تشبيهاً من حيث الأسلوب، لكنها قائمة على القياس، وتتضمن التدبر وا لاعتبار، وذلك أن هذا النوع من الأمثال ينصب فيه المثل... أمام عقل السامع ليقيس عليه ما يناسبه، ويعتبر به))[1]، ولهذا لا يذكر فيها ما يقابل الممثل به، وإنما يحتاج الأمر فيها إلى تحديد من ضرب لهم المثل، ونصبت لهم الحجة.

والمضروب له المثل ومن نصبت لهم الحجة هم المشركون بدليل قوله تعالى: ﮋ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﮊ، فتدعون: فعل مضارع مبدوء بتاء المخاطب وهم من يدعوا تلك الأصنام فالخطاب موجه لهم[2].

وجميع الخلق مخاطبون بهذه الحجة بدليل قوله تعالى:ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔﮊ.

والحجة لا تستقيم إلا بإثبات تفرده تعالى بالخلق، إذ لو كان غيره يستطيع الخلق لم يصح إبطال استحقاق آلهة المشركين للعبادة بهذا الدليل.

أدلة تفرد الرب تعالى بالخلق:

دلت النصوص على أن الله تعالى متفرد بخلق جميع الكائنات، وهي أدلة كثيرة جداً، منها قوله تعالى: ﮋ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﮊ [البقرة:٢٩]، وقوله: ﮋ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﮊ [الأنعام:١٠١-١٠٢]، وقوله:ﮋ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮊ [الأعراف:٥٤]، وقوله:ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ [الرعد:١٦]، وقوله:ﮋ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﮊ [الفرقان:٢] ، وقوله: ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ [الزمر:٦٢]، وقوله: ﮋ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﮊ [غافر:٦٢]، وغيرها من الآيات الدالة على عموم خلقه لكل شيء سبحانه.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((ومن أخص أوصاف الرب: القدرة على الخلق والاختراع، فليس ذلك لغيره أصلاً))[3].

وقد استقر في فطر الناس جميعاً أن من يخلق أكمل ممن لا يخلق، و المشركون يقرون به ولا ينكرونه.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((من المعلوم تصريح العقل أن من يخلق أكمل ممن لا يخلق، كما قال تعالى:ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ [النحل:١٧] ، وهذا استفهام إنكار يتضمن الإنكار على من سَوَّى بين الأمرين يعلم أن أحدهما أكمل من الآخر قطعاً، ولا ريب أن تفضيل من يخلق على من لا يخلق في الفِطَرِ والعقول، كتفضيل من يعلم على من لا يعلم، ومن

(1) الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله (84/1).
(2) انظر: التحرير والتنوير (337/7).
(3) الرد على البكري (ص172).

Modifier avec WPS Office

يقدر على من لا يقدر، ومن يسمع ويبصر على من لا يسمع ولا يبصر، ولما كان هذا مستقرا ً في فطر بني آدم جعله الله تعالى من أدلة توحيده وحججه على عباده))[1].

ولما كان هذا الأمر مما استقرت معرفته عند الكفار، أنكر سبحانه عليهم عبادتهم من لا يستطيع الخلق، وذلك للتأكيد على أن القدرة على الخلق من خصائص المستحق للإلهية، فعبادة الكامل من جميع الوجوه أولى من عبادة الناقص العاجز، قال تعالى: ﮋ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ [الأعراف:١٩١]، وقال سبحانه: ﮋ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ [النحل:١٧] ، وقال تعالى:ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﮊ [الفرقان:٣]، ((فهذه الآيات تبين أن الذي يستحق أن يُعبد هو من يَخْلُق الخلق ويبرزهم من العدم إلى الوجود، أما غيره فهو مخلوق مربوب محتاج إلى من يخلقه ويدبر شؤونه))[2].

فإذا تقرر كون أخص خصائص الرب أن يكون قادراً على الخلق، وتقرر أيضاً وجود التلازم بين القدرة على الخلق وبين استحقاق العبودية، نتج عن ذلك أن معبودات المشركين لا تستحق العبودية لأنها لا تستطيع خلق أضعف المخلوقات وأحقرها.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك، وتجهيل أهله، وتقبيح عقولهم، والشهادة على أن الشيطان قد ت لاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة، حيث أعطوا الإلهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات، والإحاطة بجميع المعلومات، و الغنى عن جميع المخلوقات، وأن يصمد إلى الرب في جميع الحاجات، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإجابة الدعوات، فأعطوها صورا ً وتماثيل يمتنع عليها القدرة على أقل مخلوقات الإله الحق، وأذلها وأصغرها وأحقرها، ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه))[3].

فهذه أربع قضايا، ثلاث منها مسلمة عند الكفار، والرابعة محل نزاع عندهم ، ولأجلها ضربت لهم الأمثال والحجج:

الأولى: أن الله تعالى هو خالق كل شيء.

الثانية: أن من يخلق أكمل ممن لا يخلق.

الثالثة: أن آلهة المشركين لا تستطيع أن تخلق شيئاً.

الرابعة: أن تلك الآلهة لا تستحق العبادة.

فالثلاث الأولى لا ينازع فيها المشركون، والرابعة ينازعون فيها ولا يقرون بها، بل ويجادلون عن استحقاق تلك الآلهة للعبادة، كما قال تعالى: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ

(1) شفاء العليل (ص 208).
(2) أضواء البيان (330/2).
(3) إعلام الموقعين (181/1).

Modifier avec WPS Office

ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﮊ[يونس: ١٨].

قال البغوي-رحمه الله-: ((أتخبرون الله، ﮊ ﯔ ﯕ ﯖﮊ الله صحته، ومعنى الآية: أتخبرون الله أن له شريكا ً، أو عنده شفيعا ً بغير إذنه، ولا يعلم الله لنفسه شريكا؟))[1].

فالله سبحانه أمر بالتوجه بالدعاء إليه وحده دون ما سواه، وهذه الأ وثان التي جعلها المشركون وسيلة بينهم وبين الله، لا تصح أن تكون وسيلة لأ ن الله لم يأذن بها ولا ارتضاها بينه وبين خلقه، فوجب أن تعود العبادة إلى مستحقها الحق وهو الله سبحانه وتعالى دون ما معبود سواه.

(1) تفسير البغوي (348/2).

Modifier avec WPS Office

المطلب الخامس
الفوائد العقدية المستفادة من المثل

وفيه ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: دلالة ¬المثل على ضلال النصارى في تأليه المسيح لكونه يخلق، وبيان المراد بالخلق المسند إليه .

الفائدة الثانية: دلالة المثل على ضلال المعتزلة في زعمهم أن العبد يخلق فعل نفسه.

الفائدة الثالثة: دلالة المثل على استمرار التحدي بالخلق إلى يوم القيامة، وأن اللجوء إلى الهندسة الوراثية دليل على عجز العاملين في مجال الاستنساخ عن الخلق.

Modifier avec WPS Office

الفائدة الأولى

دلالة المثل على ضلال النصارى في تأليه المسيح لكونه يخلق، وبيان المراد بالخلق المسند إليه

المسيح أيده الله عز وجل بمعجزات عظيمة، وأجرى على يديه أموراً من خوارق العادات، قال تعالى: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ [آل عمران:٤٩]، وقال تعـالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮊ [المائدة:١١٠].

وقد اعتقد النصارى في المسيح أنه رب وإله، وأن الله عبارة عن ثلاثة أقانيم[1]، كل أقنوم قائم بذاته، ولكنه يتقاسم مع غيره الأعمال الإلهية، ((يقول صاحب قاموس الكتاب المقدس: طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية، الله الأب، الله الابن، الله روح القدس، فإلى الله الأب ينتمي الخلق، وإلى الله ا لابن الفداء، وإلى الله روح القدس التطهير، غير أن الثلاثة الأقانيم تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء))[2].

ومن أسباب اعتقادهم في المسيح أنه إله: ما مكنه الله تعالى من المعجزات، ومنها القدرة على تصوير بعض الكائنات ونفخ الروح فيها، وقد وجد في النصوص الإنجيلية وكذلك القرآن الكريم ما يثبت ذلك، يقول الدكتور منقذ السقار: ((خامساً -من الأدلة التي يتعلق النصارى بها على ألوهية المسيح عليه السلام-: نسبة أفعال الله إلى المسيح.

أ. إسناد الخالقية لله بالمسيح.

كما أسندت بعض النصوص الخالقية لله بالمسيح، فتعلق النصارى بها، ورأوها دالة على ألوهيته، ومنها قول بولس عن المسيح: ((فإن فيه خلق الكل: ما في السماوات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى، سواء أن كان عروشاً أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خلق)) [كولوسي 1/16-17]))[3].

---

(1) الأقنوم: ((كلمة سيريانية معناها: شخص أساسي((PERSON))، أو شخص رئيسي... ولكن فضلت الكنائس الشرقية أن تستعمل لفظ (أقنوم) بدلا ً من (شخص) لأن المقصود في التثليث أن يكون كل أقنوم قائماً بذاته، وأن يكون له كيان خاص)) اليهودية والمسيحية (ص417-418)، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي.

(2) اليهودية والميسحية (ص417).

(3) الله جل جلاله واحد أو ثلاثة للسقار (ص58)، دار السلام، مصر، ط1،

Modifier avec WPS Office

وقد سبق في بداية الفائدة ذكر دلالة القرآن على تمكن المسيح من أن يخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- تمسك النصارى بهذه الآيات الواردة في القرآن لنصرة عقيدتهم وأجاب عنها، قال-رحمه الله-:((قالوا: وقد سماه الله أيضا في هذا الكتاب خالقا ً حيث قال:ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮊ... وهذا مما يوافق رأينا واعتقادنا في السيد المسيح لذكره، لأنه حيث قال: وتخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيكون طيرا ً بإذن الله، أي بإذن لاهوت الكلمة المتحدة في الناسوت.

والجواب: أن جميع ما يحتجون به من هذه الآيات وغيرها فهو حجة عليهم لا لهم، وهكذا شأن جميع أهل الضلال إذا احتجوا بشيء من كتب الله وكلام أنبيائه، كان في نفس ما احتجوا به ما يدل على فساد قولهم... فإذا عرف هذا-أي: سبب ضلال من ضل في فهم كلام الأنبياء- فنقول: الجواب عما ذكروه هنا من وجوه:

أحدها: أن الله لم يذكر عن المسيح خلقا مطلقا ً ولا خلقا ً عاما ً كما ذكر عن نفسه تبارك وتعالى، فأول ما أنزل الله على نبيه محمدٍ ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮊ [العلق: ١- ٥]... ووصف نفسه بأنه رب العالمين، وبأنه مالك يوم الدين، وأنه له الملك وله الحمد، وأنه الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، وأنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، ونحو ذلك من خصائص الربوبية، ولم يصف شيئا ً من مخلوقاته لا ملكا ً مقربا ً ولا نبيا ً مرسلا ً بشيء من الخصائص التي يختص بها، التي وصف بها نفسه سبحانه وتعالى.

وأما المسيح فقال فيه:ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮊ، وقال المسيح عن نفسه:ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﮊ، فلم يذكر إلا خلق شيء معين خاص بإذن الله، فكيف يكون هذا الخالق هو ذاك.

الوجه الثاني: أنه خلق من الطين كهيئة الطير، والمراد به تصويره بصورة الطير، وهذا الخلق يقدر عليه عامة الناس، فإنه يمكن أحدهم أن يصور من الطين كهيئة الطير وغير الطير من الحيوانات، ولكن هذا التصوير محرم بخلاف تصوير المسيح؛ فإن الله أذن له فيه، والمعجزة أنه ينفخ فيه الروح فيصير طيرا ً بإذن الله عز وجل، ليس المعجزة مجرد خلقه من الطين، فإن هذا مشترك...

الوجه الثالث: أن الله أخبر المسيح أنه إنما فعل التصوير والنفخ بإذنه تعالى، وأخبر المسيح ُ أنه فعله بإذن الله، وأخبر الله أن هذا من نعمه التي أنعم بها على المسيح ... وهذا كله صريح في أنه ليس هو الله، وإنما هو عبد

Modifier avec WPS Office

الله، فعل ذلك بإذن الله، كما فعل مثل ذلك غيره من الأنبياء، وصريح بأن الآذن غير المأذون له، والم ُع َلـ ّم ليس هو الم ُع َلـ ِّم، والـ ُمن ْع َم عليه وعلى والدته ليس هو إياه، كما ليس هو والدته...))[1].

فالخلق الذي أضيف إلى المسيح كما في آية آل عمران وآية المائدة على مرحلتين:

الأولى: خلق الطين كهيئة الطير، بمعنى تصويره على صورة الطير، وتقدم في كلام شيخ الإسلام-رحمه الله- أنه هذا لا معجزة فيه، لأن عامة الناس يقدرون عليه.

الثاني: أن ينفخ فيه الروح فيصبح طيراً، وهذا هو المعجز، ولكن لا يدل على أن من فعله أصبح خالقاً يستقل بالخلق كالرب تعالى، وذلك من وجوه:

1. أن الله تعالى هو الذي أقدره على ذلك وأذن له، فلا يقدر على فعل ذلك بغير إذن الله.
2. أن الله سبحانه أقدره على أن يخلق وينفخ الروح في أشياء خاصة أذن له فيها، فلا يتمكن من خلق كل شيء.
3. أن الإذن بنفخ الروح في بعض المخلوقات ليس خاصاً بعيسى ، بل الملك الموكل بالأجنة مكنه الله من أن ينفخ فيها الروح، كما في حديث ابن مسعود ، أن النبي قال:((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك، فينفخ فيه الروح...)) متفق عليه[2].

فتبين مما تقدم أن المسيح لا يستقل بالخلق الذي من اتصف به استحق أن يكون إلهاً معبوداً، وإنما أذن له سبحانه بتصوير بعض المخلوقات وأقدره على نفخ الروح فيها، وهذا من المعجزات التي لعيسى ، ولكن لا يصح أن يوصف بالقدرة على الاستقلال بالخلق كما تزعم النصارى لما تقدم، و الله أعلم.

---

(1) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (48/42/4)، مطبعة المدني، مصر.

(2) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، حديث (3208)، ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه...، حديث (2643).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثانية
دلالة المثل على ضلال المعتزلة في زعمهم أن العبد يخلق فعل نفسه

ذهب المعتزلة ومن وافقهم إلى أن الله سبحانه لا يخلق أفعال العباد، وإنما العبد هو الذي يخلق أفعاله، قال القاضي عبد الجبار المعتزلي[1]:((اتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم، وقيامهم وقعودهم حادث من جهتهم، وأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها ولا محدث سواهم، وأن من قال: إن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه))[2].

وقال الأشعري-رحمه الله-[3]:((أجمعت المعتزلـة على أن الله سبحانه لم يخلق الكفر ولا المعاصي ولا شيئاً من أفعال غيره، إلا رجـلا ً منهم فإنـه زعـم أن الله خلقها بأن خلق أسماءها وأحكامها))[4].

وقال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((وأما القدرية[5] من الإمامية[6] والمعتزلة وغيرهم فإذا قالوا: إنه قادر على كل المقدورات، لم يريدوا بذلك ما يريده أهل

(1) هو القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل، أبو الحسن الهمذاني، وهو الذي تلقبه المعتزلة قاضي القضاة، كان إمام الا عتزال في زمانه، وكان ينتحل مذهب الشافعي في الفروع، له تصانيف كثيرة أغلبها في مذهب الاعتزال، توفي سنة 415هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (97/5)، وميزان الاعتدال (238/4).

(2) المغني في أبواب العدل والتوحيد (3/8).

(3) هو علي بن أبي بشر أبو الحسن الأشعري نسبة إلى الصحابي أبي موسى ا لأشعري ، ولد سنة 270هـ، وقدم بغداد وتفقه على علمائها، وكان في أول أمره معتزلياً، ثم تركه وأظهر فضائح المعتزلة وقبائحهم، ونصر مذهب أهل السنة، توفي سنة 324هـ، من تصانيفه: مقالات الإسلاميين، والفصل في الملل الأهواء والنحل. انظر: البداية والنهاية (187/11)، ووفيات الأعيان (284/3).

(4) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين للأشعري (ص157)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(5) وهم نفاة القدر, سموا بذلك لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها, وغلاتهم ينكرون علم الله تعالى بأفعال العباد حتى يعملوها توهما منهم أن علمه بها يفضي إلى الجبر. انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص115) والملل والنحل للشهرستاني (43/1).

(6) إحدى فرق الشيعة, يقولون بإمامة علي بعد النبي ويقعون في الصحابة رضي الله عنهم طعناً وتكفيراً. انظر الفرق بين الفرق (ص38) و الملل والنحل للشهرستاني (164/1).

Modifier avec WPS Office

الإثبات، وإنما يريدون بذلك أنه قادر على كل ما هو مقدور له، **وأما نفس أفعال العباد من الملائكة والجن والإنس فإن الله لا يقدر عليها عند القدرية**))[1].

وقد ضل المعتزلة في قولهم هذا حيث أثبتوا خَالِقِين مع الله تبارك وتعالى[2]، وقد رد عليهم المثبتون لعموم خلق الله تعالى للأشياء سواء كانت أفعال العباد أو غيرها، والآيات والأحاديث الدالة على عموم الخلق تنقض قولهم[3].

(1) منهاج السنة (291/2).
(2) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص437).
(3) لمعرفة شبهات المعتزلة والرد عليها انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص 436-444) والمعتزلة وأصولهم الخمسة (ص171) وما بعدها، والقضاء و القدر للمحمود (ص335) وما بعدها.

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثالثة

دلالة المثل على استمرار التحدي بالخلق إلى يوم القيامة، وأن اللجوء إلى الهندسة الوراثية دليل على عجز العاملين في مجال الا ستنساخ[1] عن الخلق

ورد التعبير في نفي قدرة معبودات المشركين على الخلق حرف (لن) الدال على النفي في المستقبل[2]، فتلك المعبودات لم تخلق في الماضي ولن تخلق في المستقبل، وهذا النفي يدل على عجز المخلوقات عن الخلق إلى يوم القيامة.

ومع تسارع الاكتشافات العلمية في العصر الحديث وهذه الطفرة التقنية، اكتشف العلم ما يسمى بخارطة المورثات المسؤولة عن كل جزء من أجزاء الكائن الحي، وقد احتفل العالم بنشر تلك الخارطة، ووصفها رئيس الولايات المتحدة -بيل كلنتون- بأنها:((أعظم خريطة أنتجها العقل البشري))[3].

ومن ذلك الحين بدأ علماء الأحياء تجاربهم محاولين إحداث تغيير في المورثات الموجودة في الكائن الحي، بقصد تغيير الميزات الجسمية أو العقلية لذلك الكائن[4].

((والسؤال: هل هم، بهذه الممارسات في مضمار الهندسة الوراثية والا ستنساخ، نجحوا في الوصول إلى هذه المرتبة -مرتبة الخلق-، وأبطلوا التحدي ، وكسروا حقيقة أن الله متفرد بالألوهية؟

والجواب: أنه لم يأت يوم يعلن الإنسان فيه بصراحة عجزه عن الخلق مثل هذه الأيام، التي توسعت فيها البحوث في الهندسة الوراثية والا ستنساخ.

لقد كانوا قبل قرن من الزمان، عند الثورة العلمية وقيام دولة الإلحاد الروسية، وغيرها من الدول الملحدة، يأملون ويزعمون أنهم سيتوصلون إلى

---

(1) الاستنساخ: محاولة إيجاد نسخ لكائن حي أو لجزء من أجزائه عن طريق استنساخ الخلايا الجنسية أو الجسدية ثم زرعها لتكون علقة. انظر: استنساخ الأجنة من الخلايا المهندسة وراثياً في ضوء العقيدة الاسلامية (ص15).

(2) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام (ص107)، ت: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط6، 1985م.

(3) موقع ال (بي بي سي):
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_806000/806506.stm

(4) انظر: الاستنساخ قنبلة العصر (ص18) وما بعدها.

Modifier avec WPS Office

القدرة على الخلق، عند دراسة الخلية ومعرفة مركباتها الكيميائية، وإيجاد الظروف المناسبة لتكوين الخلايا الحية.

لكنهم اليوم، بعد أن فتح الله لهم جزءاً يسيراً من علمها، وما فيها من الأسرار العظيمة، والقدرات الخارقة، والمركبات المعقدة التي تقوم بوظائف كثيرة متكاملة، أدركوا أنهم أبعد ما يكونون عن خلقها؛ وعزفوا عن محاولة الخلق إلى ما سُمي بالهندسة الوراثية، ثم الاستنساخ الذي هو قطْع ووصْل، وتبديل وتغيير في مخلوقات خلقها الله، تجري قبل فعلهم وبعده، على مقتضى السنن التي أودعها الله فيها. فهم لم يخلقوا الخلية، ولا الكروموزومات والمورثات، ولا يستطيعون جعل الخلية تنقسم إلى قسمين متساويين من حيث المحتويات. فلم يخلقوا شيئاً، ولم يوجدوا سنة؛ إنما استفادوا من مخلوقات الله وسننه الجارية في خلقه[1]..

ولسان حالهم يقول: نحن لا نستطيع خلق (أو تصنيع) الحليب، ولا الدم الذي يجري في عروق الكائنات؛ لذلك لجأنا إلى الهندسة الوراثية لاستنساخ بقر أو حيوانات تعطينا ذلك.

فعجزهم عن الخلق ألجأهم إلى الاستنساخ. وهكذا في سائر أجزاء المخلوقات، عجزهم عن خلقها دفعهم إلى محاولة استنساخها، بل إنهم بعيدون عن معرفة تفاصيل ما تحتويه الخلية، فضلاً عن خلقها.

يقول البروفسور (دانيال كوهن)، واضع خارطة العوامل الوراثية الإنسانية ، ومدير مركز التعدد الشكلي للدراسات الوراثية بباريس، ورئيس مؤسسة (جان دوسيه) لكتلة العوامل الوراثية، يقول (عام 1993م):((ما نعرفه تماماً، أي: يمكننا قراءته واستيعابه علمياً حتى الآن، تقدّر نسبته بـ1% من (DNA)))[2].

والحقيقة أن التحدي ما زال قائماً، فليخلقوا ذباباً (الذي هو من أقل المخلوقات في عدد الكروموزومات، وأقلّ المخلوقات تعقيداً في مورّثاته - كما يقولون -) وليخلقوا حبة أو شعيرة، تنبت وتنمو وتتكاثر بل فليخلقوا خلية، أو كروموزوماً واحداً إنهم لن يستطيعوا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

وهذه الحقيقة التي قررها القرآن الكريم (تفرد الله بالخلق، والتحدي على ذلك)، قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة، تأتي العلوم والعاملون بها ليؤكدوا ما

---

(1) انظر: الرد على من توهم ادعاء التخليق، في: الاستنساخ في ضوء الأصول والقواعد والمقاصد الشرعية للخادمي (ص72-73)، دار الزاحم للنشر والتوزيع، ط1، 1422هـ.

(2) الاستنساخ تقنية-فوائد ومخاطر- للكريّم (ص12)، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، 1418هـ.

Modifier avec WPS Office

دل عليه القرآن، ويسطروا أن الإنسان اليوم -وهو في أوج تقدمه العلمي- أبْعد ما يكون عن القدرة على الخلق، ويسجلوا بذلك معجزة علمية لهذا الكتاب العزيز))[1].

(1) استنساخ الأجنة من الخلايا المهندسة وراثياً في ضوء العقيدة الاسلامية (ص46-48).

Modifier avec WPS Office

المبحث الثالث

دراسة المثل في قوله تعالى:

ﮋ ﭑ ﭒ ﭓﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ
ﭨﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﮊ [الرعد:١٤].

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المثل.

المطلب الثاني: نوع المثل والغرض الذي ضـ ـُرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثـ ـّل به.

المطلب الرابع: صورة الممثـ ـّل له.

المطلب الخامس: الفوائد العـ ـقـ ـَدية المستفادة من المثل.

Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
دلالة السياق الذي ورد فيه المثل

ورد هذا المثل في سياق تكلم عن قضية هامة، هذه القضية هي طلب المشركين من النبي أن يأتي بمعجزة تدل على صدق نبوته، وصحة ما جاء به، وقد ذكر الله هذه القضية بقوله: ﮋ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﮊ [الرعد:٧].

قال الشوكاني -رحمه الله-:((أي: هلا أُنزل عليه آية غير ما قد جاء به من الآيات... قال الزجاج[1] : طلبوا غير الآيات التي أتى بها، فالتمسوا مثل آيات موسى وعيسى))[2].

وهذه المطالبة حكى القرآن في أكثر من موضع أمثلة لها، فمن ذلك: قوله تعالى: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ [الإسراء:٩٠- ٩٣]، وغيرها من الآيات.

وقد بين الله لنبيه أن مهمته الإنذار، فقال سبحانه: ﮋ ﭶ ﭷ ﭸﮊ، ((أي: إنما عليك أن تبلغ رسالة الله التي أمرك بها))[3]، ومع ذلك فقد أيده الله بهذا الكتاب الذي هو من أعظم المعجزات، ولكن الكفار من عادتهم التعنت في مطالبهم، لذا لم يكتفوا به مع إعجازه، قال تعالى: ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﮊ [العنكبوت:٥٠-٥١] .

وقد ذكر الله في أول السورة وأثنائها بعضاً من الشواهد الكونية الدالة على وحدانيته في الربوبية، المستلزم إفراده بالألوهية، وذلك لتبيين صدق النبي فيما جاء به، وأن ذلك غير مفتقر إلى آية ومعجزة تبين صحته، فقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ [الرعد:٢- ٤].

ثم انتقل السياق لذكر نوع آخر من ضلال المشركين، ألا وهو إنكارهم البعث، فقال تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﮊ [الرعد:٥].

---

(1) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، أخذ عن ثعلب والمبرد ، وصار إماماً في اللغة، وكان من أهل الدين والفضل وحسن الاعتقاد، توفي سنة 311هـ. انظر:البداية والنهاية (148/11)، ومعجم الأدباء (82/1).

(2) فتح القدير (68/3).

(3) تفسير ابن كثير (502/2).

Modifier avec WPS Office

قال أبوحيان-رحمه الله-:((ولما أقام الدلائل على عظيم قدرته بما أودعه من الغرائب في ملكوته التي لا يقدر عليها سـ ـِواه، ع ـَج ـِب ـَ الرسول عليه الصلاة والسلام من إنكار المشركين وحدانيته، وتوهينهم قدرته لضعف عقولهم فنزل:ﮋ ﯘ ﯙﮊ ، قال ابن عباس: وإن تعجب من تكذيبهم إياك بعدما كانوا حكموا عليك أنك من الصادقين، فهذا أعجب، وقيل: وإن تعجب يا محمد من عبادتهم ما لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً بعدما عرفوا الدلائل الدالة على التوحيد ، فهذا أعجب))[1].

ثم أشار السياق إلى عظيم جهلهم واستخفافهم بقدرة الله، حين استعجلوا الهلاك على السلامة والنجاة، فطلبوا من النبي أن يُعجِّل بما توعدهم به من العذاب، فقال تعالى: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﮊ[الرعد:٦]، قال ابن جرير-رحمه الله-: ((ﮋﭑﮊ يا محمد مشركوا قومك بالبلاء والعقوبة قبل الرخاء والعافية، فيقولون: ﮋﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﮊ [الأنفال:٣٢]، وهم يعلمون ما حَلّ بمن خلا قبلهم من الأمم التي عصت ربها وكذبت رسلها من عقوبات الله وعظيم بلائه، فمن بين أمة مـ ـُسـ ـِخـ ـَت قردة وأخرى خنازير، ومن بين أمّة أهلكت بالرّجْفة، وأخرى بالخسف، وذلك هو(الـمـ ـَثـ ـُلا ـَت) التي قال الله جل ثناؤه: ﮋﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﮊ، و(الـمـ ـَثـ ـُلا ـَت): العقوبات المنكِّلات))[2].

ثم رجع السياق للحديث مرة أخرى عن عظمة الله سبحانه بذكر شيء من مظاهر عزته وجلاله، فقال سبحانه: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﮊ[الرعد:٨- ١٣].

وبعد أن بَيّنَ سبحانه بعضاً من شواهد قدرته، ودلائل ربوبيته، ذكر سبحانه الغرض المطلوب من إيراد تلك الشواهد فقال: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﮊ[الرعد:١٤].

قال أبو حيان-رحمه الله-: ((والمعنى: أن الله تعالى الدعوة له هي الدعوة الحق، ولما ذكر تعالى جدال الكفار في الله تعالى، وكان جدالهم في إثبات آلهة معه، ذكر تعالى أنه له الدعوة الحق أي: من يدعو له فدعوته هي الحق ، بخلا ف أصنامهم التي جادلوا في الله لأجلها ، فإن دعاءها باطل لا يتحصـ ـّل منه شيء))[3].

ثم ضرب سبحانه هذا المثل العظيم بعد كل هذه المقدمات الباهرة، ليبين للمشركين أمرين هامين:

---

(1) تفسير البحر المحيط (358/5).
(2) تفسير الطبري (105/13).
(3) تفسير البحر المحيط (368/5).

Modifier avec WPS Office

الأول: أن ما هم عليه من عبادة تلك الأصنام والأوثان ليس بشيء، كما قال تعالى: ﮋﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨﮊ [الحج:٧١]، وقوله: ﮋﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔﮊ [المؤمنون:١١٧].

والثاني: ليعكس المطالبة بالآية والبرهان عليهم، فهم المطالبون بإقامة الدليل والبرهان لصحة ما هم عليه وليس النبي ، الذي يشهد لصدق نبوته كل الدلائل الكونية، وجميع البراهين العقلية، لذلك عاد السياق إلى مخاطبة المشركين بعد أن ذكرهم بشيء من مظاهر ربوبيته، ليمهد لإقامة الدليل و الحجة عليهم بما جحدوه، وهو استحقاقه وحده للعبادة، فأمر النبي أن يسألهم سؤال تقرير عن ربهم وخالقهم، فقال تعالى لنبيه: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮊ [الرعد:١٦]، فإذا أقروا بذلك فسألهم على سبيل التوبيخ والإنكار، ﮋﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮊ .

قال أبو حيان-رحمه الله: ((واستفهم بقوله:ﮋﮂ ﮃﮊ على سبيل التوبيخ والإنكار، أي: بعد أن علمتم أنه تعالى هو رب السموات والأرض تتخذون من دونه أولياء وتتركونه، فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبباً للتوحيد من علمكم وإقراركم سبباً للإشراك ، ثم وصف تلك الأولياء بصفة العجز وهي كونها لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضراً، ومن بهذه المثابة فكيف يملك لهم نفعاً أو ضراً؟))[1].

وفي نهاية السياق أعاد الله سبحانه نفس القضية التي بدأ بها السياق، فقال سبحانه: ﮋﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﮊ [الرعد:٢٧] ((وهذه الطريقة - وهي أن يبدأ السياق الذي يضم جملة من الآيات، ويختم بنفس المعنى مع التقارب في الألفاظ - له دلالة هامة، حيث يدل على أن ما بين الآيتين - المبدوء والمختوم بها - يتكلم عن قضية واحدة، أو أن ما يذكر في ذلك السياق له علاقة بالمعنى المشترك بين آيتي البدء و الختام.

وهذه الطريقة من روائع البيان القرآني، وقد تكررت في القرآن في مواضع لبيان قضايا هامة، من ذلك مثلا ً: قول الله تعالى: ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ [الإسراء:٢٢]، ثم ذكر جملة من الشرائع والآداب والنهي عن المحرمات وسيئ الأخلاق، ثم ختم السياق بقوله: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﮊ[الإسراء:٣٩]، وذكر بعض المفسرين أن الحكمة من البداية بهذه الآية والختم بها إنما هي ليشعر أن هذه الأعمال المذكورة بين الآيتين لا تكون عبادة مقبولة إلا إذا كانت خالصة لا يقصد بها غير الله...

وهذا الأسلوب جدير بأن يُراعى في التفسير، على أساس أن ما بين الآ

(1) المصدر السابق (370/5).

Modifier avec WPS Office

آيتين المبدوء والمختوم بهما يتكلم عن قضية واحدة، أو له علاقة بالمعنى الذي دلت عليه آيتَا البدء والختام))[1].

وقد ختمت الآية المبدوء بها السياق بقوله: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮊ وختمت الآية التي انتهى عندها سياق المثل بقوله: ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﮊ وفي هذا إشارة هامة إلى توْعَي الهداية، فالآية الأولى تدل على هداية الدلالة والإرشاد، وهي التي أُمر بها النبي ، كما قال تعالى: ﮋ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﮊ [الشورى:٥٢]، وأما الآية الثانية فتدل على هداية التوفيق ويختص بها الله سبحانه من يشاء من عباده، كما قال تعالى: ﮋ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮊ [القصص:٥٦] .

والحكمة في ختم الأولى بالإشارة إلى هداية التوفيق- والله أعلم-: أن الكفار لما طلبوا ما طلبوه من الآيات، بين الله لنبيه أنه مُكلف بالدعوة إليه، ومن ذلك أن يدعوهم مُذكِراً لهم بالآيات الكونية التي ذكرت في هذه السورة وغيرها مما يدل على ربوبيته المستلزمة لتوحيده، وقد فعل النبي ما كلف به، فكان المفترض أن يؤمن كفار مكة، ولكن الحال أنهم لم يؤمنوا، فناسب أن تختم الآية الثانية بما يدل على اختصاص هداية التوفيق بالله سبحانه، يمن بها على من يشاء، لكي لا يستغرب كفرهم وتعنتهم عن قبول الحق مع ما بذله النبي معهم من الدعوة والبلاغ.

(1) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (2/454-456).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثاني
نوع المثل والغرض الذي ضُرب من أجله

هذا المثل من الأمثال التشبيهية، فقد شبه الله الذي يدعو الآلهة الباطلة، بمن يدعو الماء ليصل إلى فمه من غير أن يرفعه بيده، بجامع عدم الاستجابة في كلٍ، المعبر عنه بقوله تعالى: ﮋﭙ ﭚ ﭛ ﭜﮊ.

كما أنه من التشبيه المركب، قال الآلوسي-رحمه الله-:((والحاصل أنه شبه آلهتهم حين استكفائهم إياهم ما أهمهم بلسان الاضطرار في عدم الشعور فضلاً عن الاستطاعة للاستجابة، وبقائهم لذلك في الخسار، بحال ماءٍ بمرأى من عطشان، باسط كفيه إليه يناديه عبارة وإشارة، فهو لذلك في زيادة الكباد والبوار، والتشبيه على هذا من المركب التمثيلي في الأصل))[1].

وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس، فدعاء العطشان للماء، شُبِّه به دعاء المشرك للوثن والصنم.

الغرض الذي من أجله ضرب المثل:

هذا المثل ضربه الله لبيان عجز آلهة المشركين، وعدم تمكنها من نفع من استنجد بها ودعاها من دون الله، وقد ورد ذكر الغرض مصرحاً به في قوله تعالى: ﮋﭙ ﭚ ﭛ ﭜﮊ.

كما أنه ضُرب لتصوير حال المشركين حال دعائهم تلك الأصنام، وما يعودون به من الإفلاس وانعدام الجدوى.

قال الآلوسي-رحمه الله-:((والغرض -كما قال بعض المدققين-: نفي الا ستجابة على البت، بتصوير أنهم أحوج ما يكونون إليها لتحصيل مباغيهم، أخيب ما يكون أحد في سعيه لما هو مضطر إليه))[2].

---

(1) روح المعاني (124/13).
(2) المصدر السابق.

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
صورة الممثَّل به

ورد ذكر الممثل به في الآية في قوله تعالى: ﴿ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﴾، وهذا التشبيه مركب من ثلاثة أجزاء:

1. شخص في أشد الحاجة إلى الماء ليروي ظمأه.
2. عندما وجد الماء بسط كفيه فيه، راغباً أن يرتفع بنفسه إلى فمه من غير أن يرفعه.
3. لم ينتفع من تلك الطريقة التي أراد أن يشرب بها الماء، فلن يصل الماء إلى فمه ولو بقي طول حياته على تلك الحال.

وقد اختلف المفسرون في معنى المشبه به على عدة أقوال[1]، وسأكتفي بذكر اثنين منها، لأنها أقرب الأقوال لظاهر الآية:

القول الأول: أنه الذي وضع كفيه في الماء، يريد أن يصعد بنفسه إلى فمه، وهذا القول مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة[2][3].

القول الثاني: أنه الواقف على حافة البئر يمد يده إلى الماء، طالباً أن يرتفع إليه، وهذا القول مروي عن علي ومجاهد[4].

وهذان القولان يدلان على معنى واحد، وهو أن ذلك العطشان لم يسلك الطريقة الصحيحة للشرب، وإنما طلب الماء بطريقة خاطئة، ولذلك فلن يصل إلى مقصوده ولن ينال مراده.

---

(1) انظر: تفسير الطبري (13/128-131)، وزاد المسير (4/317).

(2) هو قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب البصري الأعمى، أحد العلماء العاملين من التابعين،ولد أعمى وعني بالعلم فصار من أحفظ أهل زمانه وأعلمهم بالقرآن والسنة، روى عن بعض الصحابة وجماعة من التابعين، توفي سنة 117هـ. انظر: تهذيب الكمال (23/498)، والبداية والنهاية (9/313).

(3) انظر: تفسير الطبري (13/130).

(4) انظر: نفس المصدر (13/129).

Modifier avec WPS Office

المطلب الرابع
صورة الممثل له

ورد ذكر الممثل له في الآية في قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﮊ، والممثل به مركب من ثلاثة أجزاء، تقابل أجزاء الممثل به السابق ذكرها:

1. المحتاج إلى جلب نفع أو دفع ضر.
2. توجهه إلى الآلهة الباطلة، وإنزال حاجته بها.
3. عدم انتفاعه من طلبها وسؤالها أبداً، ولو بقي يسألها إلى آخر حياته.

فهذا الذي ألمت به حاجة، يشبه الظمآن الذي طلب الماء ليشرب منه، ومده يده إلى الماء يشبه مد الداعي للأوثان يده حال دعائه ومسألته، وعدم استجابة الماء تشبه عدم استجابة الآلهة لأن كلا ً منهما اتخذ طريقاً لا يوصل إلى مقصوده، وخيبة رجاء ذلك الظمآن تشبه خيبة رجاء المشرك.

Modifier avec WPS Office

المطلب الخامس
الفوائد العَقَدية المستفادة من المثل

وفيه ثلاثة فوائد:

الفائدة الأولى: دلالة المثل على أن الدعوة الحق له سبحانه.
الفائدة الثانية: دلالة المثل على عجز من يدعى من دون الله عن إجابة من يدعوه.
الفائدة الثالثة: دلالة المثل على أن الدلائل العقلية تدل على وجوب إخلاص الدعاء لله تعالى.

Modifier avec WPS Office

الفائدة الأولى
دلالة المثل على أن الدعوة الحق له سبحانه

ابتدأ سبحانه الآية التي ضَرب فيها المثل بقوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﮊ، وقد اختلفت أقوال المفسرين في المراد بالدعوة الحق المضافة له سبحانه.

قال الشوكاني-رحمه الله-:((إضافة الدعوة إلى الحق للملابسة أي: الدعوة الملابسة للحق المختصة به التي لا مدخل للباطل فيها بوجه من الوجوه، كما يقال كلمة الحق، والمعنى: أنها دعوة مجابة واقعة في موقعها لا كدعوة من دونه، وقيل: الحق هو الله سبحانه، والمعنى: أن لله سبحانه دعوة المدعو الحق، وهو الذي يسمع فيجيب، وقيل: المراد بدعوة الحق ها هنا: كلمة التوحيد والإخلاص، والمعنى لله من خلقه أن يوحدوه ويخلصوا له، وقيل: دعوة الحق: دعاؤه سبحانه عند الخوف فإنه لا يدعى فيه سواه، كما قال تعالى:ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝﮊ [الإسراء:٦٧]، وقيل: الدعوة: العبادة فإن عبادة الله هي الحق والصدق))[1].

وهذه الأقوال مؤداها واحد، وهو: أن الدعوة الحق يستحقها الحق سبحانه دون ما سواه، كما قال تعالى: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ [الحج: ٦٢]، وهذا الذي دل عليه المثل، فإن الله تعالى لما أخبر بأن له الدعوة الحق، بين أن دعاء ما سواه لا يجدي ولا ينفع، فقال سبحانه: ﮋ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ...ﮊ [الرعد:١٤].

وقد أوضح ابن القيم-رحمه الله- هذا المعنى بقوله:((أنه تعالى صاحب دعوة الحق لذاته وصفاته، وإن لم يوجب لداعيه بها ثوابا ً فإنه يستحقها لذاته، فهو أهل أن يُعبد وحده، ويُدعى وحده، ويُقصد ويُشكر ويُحمد ويُحب ويُرجى ويُخاف ويُتوكل عليه ويُستعان به ويُستجار به ويُلجأ إليه ويُصمد إليه، فتكون الدعوة الإلهية الحق له وحده.

ومن قام بقلبه هذا معرفة وذوقا ً وحالا ً صح له مقام التبتل و التجريد المحض، وقد فسر السلف دعوة الحق بالتوحيد والإخلاص فيه و الصدق، ومرادهم هذا المعنى، فقال علي : دعوة الحق: التوحيد[2]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : شهادة أن لا إله إلا الله[3]، وقيل: الدعاء بالإخلاص، و الدعاء الخالص لا يكون إلا لله وحده، ودعوة الحق دعوة الإلهية وحقوقها

---

(1) فتح القدير (73/3).
(2) أخرجه الطبري (28/13).
(3) أخرجه الطبري (28/13).

Modifier avec WPS Office

وتجريدها وإخلاصها))[1].

ومن خلال هذا الكلام الجامع لابن القيم-رحمه الله- نستخلص ما يلي:

1. أن دعوة الحق تجمع التوحيد والإخلاص في العمل كله، كما قال تعالى: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮊ [الزمر:٣].

2. أن الدعوة الحق هي المتوجهة إليه سبحانه، فهو يستحقها لكماله في ذاته وصفاته، بخلاف من دُعوا من دونه، فليس لهم فيها حق، لما يعتريهم من النقص من جميع الوجوه.

3. أن الداعي إذا توجه بالدعاء إليه وحده سبحانه فحريٌ أن يجاب، لأ نه توجه بدعائه إلى القادر على إجابته وإعطائه ما سأل وزياده، ولهذا نفى قدرة من سواه على إجابة من يدعوهم، بقوله: ﮋ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ...ﮊ [الرعد:١٤].

(1) مدارج السالكين (29/2).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثانية

دلالة المثل على عجز من يدعى من دون الله على إجابة من يدعوه

صورة المثل تدل على أن هذه الأصنام عاجزة عن الاستجابة لمن يدعوها، وذلك أنها شبهت بالماء في استجابته لمن يطلب منه أن يصعد إلى فمه ليشرب منه، فإذا قدر الماء على ذلك فالأصنام تقدر علي إجابتهم.

وقد تنوعت الأدلة من الكتاب العزيز في ذكر أوجه عجز هذه الأصنام، ومن تلك الأوجه: بيان عجزها التام عن إجابة دعاء الداعي، قال تعالى: ﮋ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﮊ [الأعراف:١٩٤]، وقوله سبحانه: ﮋﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮊ [فاطر:١٣- ١٤]، وقال تعالى:ﮋﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ [الشعراء:٦٩- ٧٤]، وغيرها من الآيات.

إذا تقرر هذا الأمر، فإن لعُبّاد القبور والأوثان شُبَهاً يتعلقون بها في تسويغ دعاءها، منها قولهم: إننا إذا دعونا هذه القبور والأوثان، فإن حاجاتنا تقضى!

وهذه الشبهة أشار إليها العلماء-رحمهم الله- وردوا عليها.

من ذلك ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:((وأكثر ما تجد الحكايات المتعلقة بهذا –أي: تعظيم الأمكنة التي لا خصيصة لها- عند السدنة والمجاورين لها، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، وقد يحكى من الحكايات التي فيها تأثير، مثل أن رجلا ً دعا عندها فاستجيب له، أو نذر لها إن قضى الله حاجته فقضيت حاجته ونحو ذلك، وبمثل هذه الأمور كانت تعبد الأصنام، فإن القوم كانوا أحيانا ً يُخاطَبُون من الأوثان، وربما تقضي حوائجهم إذا قصدوها ...

وأما إجابة الدعاء فقد يكون سببه اضطرار الداعي وصدق التجائه، وقد يكون سببه مجرد رحمة الله له، وقد يكون أمرا ً قضاه الله لا لأجل دعائه، وقد يكون له أسباب أخرى، وإن كانت فتنة في حق الداعي، فإنا نعلم أن الكفار قد يستجاب لهم، فيسقون وينصرون ويعافون ويرزقون مع دعائهم عند أوثانهم وتوسلهم بها))[1].

وقال ابن القيم-رحمه الله-:((ومنها – أي:مما أوقع عباد القبور في الافتتان بها-: حكايات حكيت لهم عن تلك القبور، أن فلانا ً استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخُلِّص منها، وفلانا ً دعاه أو دعا به في حاجة فقُضيت له، وفلانا ً نزل به ضر فاسترجى صاحب ذلك القبر فكشف ضره، وعند السدنة والمقابرية من ذلك شيء كثير يطول ذكره، وهم من أكذب خلق الله تعالى على الأحياء والأموات، والنفوس مولعة بقضاء حوائجها، وإزالة ضروراتها، ويُسمع بأن قبر فلان ترياق مجرب، والشيطان له تلطف في

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم (ص321).

Modifier avec WPS Office

الدعوة، فيدعوهم أولاً إلى الدعاء عنده، فيدعو العبد بحرقة وانكسار وذلة فيجيب الله دعوته، لما قام بقلبه لا لأجل القبر، فإنه لو دعاه كذلك في الحانة والخمارة والحمام والسوق أجابه، فيظن الجاهل أن للقبر تأثيراً في إجابة تلك الدعوة، والله سبحانه يجيب دعوة المضطر ولو كان كافراً...

فليس كل من أجاب الله دعاءه يكون راضياً عنه ولا محباً له ولا راضياً بفعله، فإنه يجيب البر والفاجر والمؤمن والكافر، وكثير من الناس يدعو دعاء يعتدي فيه أو يشترط في دعائه، أو يكون مما لا يجوز أن يسأل فيحصل له ذلك أو بعضه، فيظن أن عمله صالح))[1].

ومما ذكره هذان الإمامان نعلم أنه لا تلازم بين إجابة الدعاء وصحته، فإن المرء قد يشفى من مرضه ويتحصّل على مرغوب أو يدفع عنه مكروه وهو لم يدعُ البتة، كما أنه قد يجاب ابتلاءً وامتحاناً له ولغيره من الناس، وهذا هو الواقع، والله أعلم.

---

(1) إغاثة اللهفان (215/1).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثالثة

دلالة المثل على أن الدلائل العقلية تدل على وجوب إخلاص الدعاء لله تعالى

إذا كان المثل يدل على أن هذه الأصنام لا تستحق أن تدعى لأنها عاجزة عن إجابة من يدعوها، فهذا يستلزم أن يكون القادر على إجابة من يدعوه هو من يستحق الدعاء، وهو الله سبحانه وتعالى، وهذا الأمر متقرر في نفوس المشركين الأولين، ولهذا احتج الله به عليهم، فقال سبحانه: ﮋ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ [الأنعام:٤٠- ٤١] ، وقال تعالى:ﮋ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﮊ [النحل:٥٢- ٥٥]، وقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﮊ [الإسراء:٦٧]، وغيرها من الآيات.

كما أثبت تعالى لنفسه القدرة على إجابة من دعاه، فقال تعالى: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﮊ [البقرة:١٨٦]، وقال سبحانه: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﮊ [النمل:٦٢]، وقال تعالى: ﮋ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﮊ [غافر:٦٠].

والمقصود بيان دلالة العقول السليمة على هذا الأمر، وأنه ما دام قد استقر عدم قدرة هذه الأصنام على إجابة من يدعوها، وأن القادر هو الله وحده فالعجب كل العجب ممن يصرف لغيره هذه العبادة.

Modifier avec WPS Office

المبحث الرابع

دراسة المثلين في قوله تعالى:

ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮊ[النحل:٧٥- ٧٦].

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المثلان.

المطلب الثاني: نوع المثلين والغرض الذي ضُربا من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثّل به.

المطلب الرابع: بيان الممثّل له، والعبرة التي تضمنها المثلان.

المطلب الخامس: الفوائد العقَدية المستفادة من المثلين.

Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
دلالة السياق الذي ورد فيه المثلان

ورد هذان المثلان في سورة النحل، وهي سورة مكية في قول الجمهور[1]، ومن عادة السور المكية أنها تركز على الدعوة إلى التوحيد وإفراد الله ﺑ العبادة.

وقد أشار إلى أغراض هذه السورة العلامة ابن عاشور-رحمه الله- حيث ق ال:((معظم ما اشتملت عليه السورة، إكثار متنوع ُ الأدلة على تفرد الله تعالى بالإلهية، والأدلة على فساد دين الشرك وإظهار شناعته، وأدلة إثبات رسالة محمد ، وإنزال القرآن عليه ، وإن شريعة الإسلام قائمة على أصول ملة إبراهيم ، وإثبات البعث والجزاء.

فابتدأت بالإنذار بأنه قد اقترب حلول ما أ ُنذر به المشركون من عذاب الله الذي يستهزؤون به، وتلا ذلك قرع المشركين وزجرهم على تصلبهم في شركهم وتكذيبهم.

وانتقل إلى الاستدلال على إبطال عقيدة الشرك، فابتدئ بالتذكير بخلق السماوات والأرض وما في السماء من شمس وقمر ونجوم، وما في الأرض من ناس وحيوان ونبات وبحار وجبال وأعراض الليل والنهار، وما في أطوار الإ نسان وأحواله من العبر...

والاستدلال على إمكان البعث وأنه تكوين كتكوين الموجودات.

والتحذير مما حل بالأمم التي أشركت بالله وكذبت رسله عليهم السلام، عذاب َ الدنيا وما ينتظرهم من عذاب الآخرة، وقابل ذلك بضده من نعيم المتقين المصدقين والصابرين على أذى المشركين والذين هاجروا في الله وظلموا...))[2].

وهذا الذي ذكره ابن عاشور-رحمه الله- يحدد أبرز قضية للسورة، وهي تركيزها على تقرير توحيد الألوهية، والتحذير من الشرك، وقد اشتملت السورة على عدد من أظهر الآيات دلالة على هذا المعنى، منها: قوله تعالى: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ [النحل:١٧- ٢٢]، وقوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮊ [النحل:٣٥- ٣٦]، وقوله سبحانه:ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (65/10)، والبرهان في علوم القرآن (200/1).

(2) التحرير والتنوير (4/94-95).

Modifier avec WPS Office

ئە ژ [النحل:٥١]، وغيرها من الآيات.

وسأقف مع آيتين وردتا في أثناء السورة، تسهمان إسهاماً مباشراً في فهم القضية التي ضرب المثلان لإبرازها ، هاتان الآيتان هما:

1.قوله تعالى: ژ ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ژ [النحل:٦٠] فمثل السوء ((هو القبيح من المثل، وما يسوء من ضرب له ذلك المثل))[1]، وأما المثل الأعلى فهو أفعل تفضيل: أي أعلى من غيره وأكمل.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((أنه سبحانه وصف نفسه بأن له المثل الأعلى فقال تعالى: ژ ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ژ، وقال تعالى: ژ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ژ [الروم:٢٧]، **فجعل مثل السوء المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال للمشركين وأربابهم، وأخبر أن المثل الأعلى المتضمن لإثبات الكمالات كلها له وحده...** فمثل السوء لعادم صفات الكمال، ولهذا جعله مثل الجاحدين لتوحيده وكلامه وحكمته، لأنهم فقدوا الصفات التي من اتصف بها كان كاملا ً وهي الإيمان والعلم والمعرفة واليقين، والعبادة لله والتوكل عليه والإنابة إليه والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، والصبر والرضا والشكر وغير ذلك من الصفات التي اتصف بها من آمن بالآخرة، فلما سلبت تلك الصفات عنهم وهي صفات كمال صار لهم مثل السوء.

فمن سلب صفات الكمال عن الله وعلوه على خلقه وكلامه وعلمه وقدرته ومشيئته وحياته وسائر ما وصف به نفسه، فقد جعل له مثل السوء، ونزهه عن المثل الأعلى، **فإن مثل السوء هو العدم وما يستلزمه، وضده المثل الأ على وهو الكمال المطلق، المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل، كان أعلى من غيره، ولما كان الرب تعالى هو الأعلى ووجهه الأعلى وكلامه الأعلى وسمعه الأعلى وبصره وسائر صفاته عليا كان له المثل الأعلى، وكان أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل** أن يشترك في المثل الأعلى اثنان، لأنهما إن تكافآ لم يكن أحدهما أعلى من الآ خر، وإن لم يتكافآ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده، ويستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير))[2].

2.قوله تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ [النحل:٧٤]، والنهي عن ضرب الأمثال لله تعالى يشمل أمرين:((**الأول**: النهي عن اتخاذ الشركاء والأنداد ، في الذات أو الصفات، أو الألوهية أو الربوبية ونحو ذلك مما تفرد به سبحانه.

الثاني: النهي عن ضرب الأمثال القولية الفاسدة له سبحانه.

---

(1) تفسير الطبري (125/14).
(2) الصواعق المرسلة (1030/3-1032).

Modifier avec WPS Office

والأمر الأول - النهي عن الشرك واتخاذ الأنداد واعتقاد مماثلة أحد من الخلق له سبحانه - هو المعنيُ أصلا ً بالنهي عن ضرب الأمثال لله تعالى، وذلك أن أساس الرسالة قائم على الدعوة إلى توحيد الله، والتحذير من الشرك ومحاربته ووسائله، أما الأمثال القولية الفاسدة التي يضربها الجاهلون لله، فإنها داخلة في النهي تبعاً، لأنها من وسائل الشرك وأسبابه، فالنهي إذاً يشمل ا لأمرين، إلا أنه في اتخاذ الأمثال من الشركاء والأنداد أصلا ً، وفي ضرب الأ مثال القولية تبعا ً...

[و] الأمثال القولية المضروبة لله، منها ما هو ممنوع ومنها ما هو مشروع، **فالممنوعة**: هي الأمثال التي يضربها لله المشركون أو غيرهم من الجاهلين لمعارضة دين الله وتوحيده، أو لتصحيح الشرك، أو المتضمنة للتسوية بين الله وبين أحد من الخلق، ويدخل في ذلك الأمثال التمثيلية، والأمثال الشمولية.

والمشروع منها: التي تصدر عن العالمين بالله، ولا تتضمن التسوية بين الله وخلقه، أو معارضة الدين، وإنما تؤيد ما أثبت الله لنفسه من الصفات، وتنفي عنه ما لا يليق به من النقص والعيب، وهي الأمثال الجارية على قياس الأولى، والله أعلم))[1].

فهاتان الآيتان أكدتا على حكمين تضمنهما المثلان:

الأول: أن الله نهى عن ضرب الأمثال له سبحانه، ثم ضرب هذين المثلين، فدل ذلك على أن ضرب الأمثال التي تشتمل على النقص لا يجوز أن تضرب لله، بخلاف الأمثال المثبتة للكمال، فضرب الأمثال-كما سيأتي- ليس منهي عنه بكل حال.

الثاني: أن ضرب الأمثال لله يجب أن يكون على أساس إثبات المثل الأ على له سبحانه، كهذين المثلين الذين ضربهما في هذه السورة، فما أثبت من ا لأمثال الكمال لله كهذين المثلين، فلا بأس بضربه لله عز وجل.

---

(1) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (3/783-785).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثاني
نوع المثلين والغرض الذي ضـ ـُربا من أجله

هذان المثلان من الأمثال الأنموذجية، حيث جعلت نتيجة المقارنة بين –العبد المملوك والحر القادر، وبين الأبكم الذي لا يأتي بخير ومن يأمر بالعدل- ((أنموذجاً منصوباً أمام عقل السامع ليقيس عليه ما يناسبه ويعتبر به))[1].

وهذا النوع من الأمثال لا يتضمن تشبيهاً من حيث الأسلوب، ولكنه يعطي حكماً عاماً يندرج تحته كل أفراده، وهو ما يسمى بقياس الشمول[2]، فالقياس في هذا المثل كالآتي: كل حر قادر فهو أكمل من كل عبدٍ مملوك، وكل متكلم آمر بالعدل فهو أفضل من كل أبكم لا خير فيه.

وبعد أن نثبت هذه القاعدة الكلية ننتقل بعدها إلى نوع آخر من القياس وهو قياس الأولى، ((فإن الرب تعالى لا مثيل له، ولا يجتمع هو وغيره تحت كلي تستوي أفراده))[3]، فيجري القياس في هذا المثل على هذا الأساس، فيقال: إذا تقرر أن الحر القادر لا يصح أن يساوى بالمملوك العاجز في الحكم و لا في الحق، فإن الله هو المالك حقيقة، الذي كمُل ملكه وسؤدده، والقادر الذي لا يعجزه شيء، فلا يجوز تسويته بغيره من المعبودات المخلوقة العاجزة في الحق ولا في الحكم من باب أولى ، لأن له الكمال المطلق، ولأنه واهب الكمال فهو أولى به.

فهذان المثلان من الأمثال القائمة على قياس الأولى الشمولي[4].

الغرض الذي ضرب المثلان من أجله:

ضُربَ هذان المثلان لإلزام المشركين ببطلان التسوية في استحقاق العبادة بين الرب المتصف بصفات الكمال، وبين الأصنام المتصفة بصفات النقص والعجز.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((فالله سبحانه هو المالك لكل شيء... والأوثان مملوكة عاجزة، لا تقدر على شيء، فكيف تجعلونها شركاء لي تعبدونها من دوني مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين))[5].

وقال الشوكاني –رحمه الله-:((أي هل يستوي العبيد والأحرار الموصوفون بتلك الصفات، مع كون كلا الفريقين مخلوقين لله سبحانه من جملة البشر، ومن المعلوم أنهم لا يستوون عندهم، فكيف يجعلون لله سبحانه شركاء لا

(1) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (1049/3).
(2) انظر: نفس المصدر (84/1).
(3) مجموع الفتاوى (141/9).
(4) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (1050/3).
(5) إعلام الموقعين (160/1).

Modifier avec WPS Office

يملكون لهم ضرا ً ولا نفعا ً، ويجعلونهم مستحقين للعبادة مع الله سبحانه... والمقصود الاستدلال بعدم تساوي هذين المذكورين على امتناع التساوي بينه سبحانه وبين ما يجعلونه شريكاً ً له))[1].

(1) فتح القدير (3/181-182).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
صورة الممثل به

دل على الممثل به في قوله تعالى: ﮋ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ، وفي كل آية من هاتين الآيتين ضرب الله المثل بحالين متضادتين في الصورة، ثم أورد السؤال بقوله: ﮋ ﮄ ﮅ ﮊ ، وقوله: ﮋ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ، مما يدل على أن المقصود لفت الأنظار إلى الاعتبار الحاصل من تأمل هذه الصورة المضروبة، ومقارنة المشرك بين حاله وحال من يعبد بها، واستخلاص العبرة من ذلك.

بيان المضروب به المثل في المثل الأول:

في المثل الأول وهو قوله تعالى: ﮋ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮊ ضرب الله المثل بشخصين متقابلين في الأ وصاف:

الأول: ((رقيق لا يملك نفسه ولا يملك من المال والدنيا شيئا ً))[1]، ((ولما كان لفظ عبد قد يطلق على الحر، خصص بمملوك، ولما كان المملوك قد يكون له تصرف وقدرة كالمأذون له والمكاتب، خصص بقوله : ﮋ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﮊ ، والمعنى: على شيء من التصرف في المال ، لأنه يقدر على أشياء من حركاته: كالقيام، و القعود، والأكل، والشرب، والنوم، وغير ذلك))[2].

الثاني: ((حرٌ غنيٌ قد رزقه الله منه رزقا ً حسنا ً من جميع أصناف المال، وهو كريم محب للإحسان، فهو ينفق منه سرا وجهرا ً))[3]، فلم يكتفي بوصفه بالحرية، وإنما وصف بما هو أبلغ، وهو كونه غني كثير المال، وكريم سخيٌ ينفق منه في السر والعلن.

بيان المضروب به المثل في المثل الثاني:

أما في المثل الثاني وهو قوله تعالى: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ فقد ضرب الله فيه المثل بشخصين متقابلين في الأوصاف، كما هو الحال بالنسبة للمثل الذي قبله:

الأول: رجل في أشد حالات العجز، دل على ذلك العجز أربعة أمور:

1. أنه أبكم، والبَكمُ:((الخرَسُ مع عيٍّ وبَلَهٍ، وقيل: هو الخرَس ما كان...قال الأ َزهري: بَيْن الأ َخْرس والأبْكم فرقٌ في كلام العرب، فالأ َخْرسُ الذي

---

(1) تفسير السعدي (ص445).
(2) تفسير البحر المحيط (503/5).
(3) تفسير السعدي (445).

Modifier avec WPS Office

خَلِقَ ولا نُطْقَ له كالبهيمة العَجْماء، والأ َبْكم الذي للسانه نُطْقٌ وهو لا يعْقِل ا لجوابَ ولا يُحْسِن وَجْه الكلام))[1].

ويظهر أن المراد بالبَكم في هذه الآية: ما كان بسبب البلاهة، وقلة العقل، وذلك لمناسبة هذا المعنى لما ذكر بعده من الأوصاف في الآية.

2. أنه ((لا يقدر على شيء من الأشياء المتعلقة بنفسه أو بغيره، لعدم فهمه، وعدم قدرته على النطق))[2].

3. أنه كلٌ على مولاه، و((الكل ": هو بالفتح: الثِّقل من كل ما يُتكلف، و الكلّ: العيال))[3].

وكونه كلٌ على مولاه يراد به أنه ((ثقيل على من يلي أمره وي َع ُوله، وقيل: أصله من الغ ِل َظ وهو نقيض الحد ِد ّة، يقال ك َل ّ السكين إذا غلظت شفرته، وك َل ّ اللسان إذا غلظ فلم يقدر على النطق، وك َل ّ فلان عن الأمر إذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه، فقوله: ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﮊ أي: غليظ ثقيل على مولاه))[4]، ((وفي هذا بيان لعدم قدرته على إقامة مصالح نفسه، بعد ذكر عدم قدرته على شيء مطلقاً))[5].

4. أنه إذا وجه لشأن من الشؤون، فإنه لا يحسنه، لأنه عاجز عن النطق والإدراك[6].

الثاني: الرجل الذي اكتملت فيه الصفات الحسنة، والتي تناقض صفات النقص والعجز للذي قبله، فهو موصوف بأوصاف تغاير صفات المقابل له، وقد عبر عنها سبحانه بقوله: ﮋﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮊ، حيث دلت هذه الجملة على ما يلي[7]:

1. أنه يأمر وينهى، وهذا يدل على أنه ليس بأبكم.

2. أن قادر لأن الأمر والنهي لا يتصور إلا من قادر على ذلك، وهذا يخالف ما وصف به ضده، من كونه ﮋﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮊ.

3. أنه عالم، لأن الذي يأمر بالعدل وينهى عن ضده لا يتصور منه ذلك إ لا إذا كان عالماً، وهذا يخالف وصف الأول بأنه: ﮋﮚ ﮛ ﮜ ﮊ.

فالصورة التي تركب منها التمثيل في الآية، تدل على إبراز وإشخاص لشخصيتين متغايرتين، إحداهما للشخص الناقص العاجز أشد العجز بناء على

(1) لسان العرب (53/12).
(2) فتح القدير (181/3).
(3) لسان العرب (595/11).
(4) تفسير الخازن (197/4).
(5) فتح القدير (182/3).
(6) نفس المصدر.
(7) انظر: التفسير الكبير (70/20).

Modifier avec WPS Office

اعتبارات البشر، وللشخص الكامل أعظم الكمال.

Modifier avec WPS Office

المطلب الرابع
بيان الممثـ ـّل له، والعبرة التي تضمنها المثلان

تقدم معنا أن هذين المثلين من الأمثال الأنموذجية، وهذه الأمثال ((لا تتضمن تشبيهاً من حيث الأسلوب، لكنها قائمة على القياس، وتتضمن التدبر وا لاعتبار، وذلك أن هذا النوع من الأمثال ينصب فيه المثل- سواء كان شخصاً، أو قصة، أو شاهداً كلامياً، أو حجة أو غيره - أمام عقل السامع ليقيس عليه ما يناسبه، ويعتبر به))[1]، ولهذا نلاحظ أن هذين المثلين لم يذكر فيهما ما يقابل الممثل به، وإنما ترك ذلك لعقل السامع يدركه من خلال التأمل في الحالين، ولأ جل ذلك ورد الاستفهام بقوله: ﮋ ﯾ ﯿ ﮊ وقوله: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﮊ.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((يعني إذا كان لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر على شيء، وغني مـ ـُوسـ ـّع عليه ينفق مما رزقه الله، فكيف تجعلون الصنم الذي هو أسوأ حالا ً من هذا العبد شريكا ً لله، وكذلك إذا كان لا يستوي عندكم رجلان أحدهما أبكم لا يعقل ولا ينطق، وهو مع ذلك عاجز لا يقدر على شيء، وآخر على طريق مستقيم في أقواله وأفعاله وهو آمر بالعدل عامل به لأنه على صراط مستقيم، فكيف تسوون بين الله وبين الصنم في العبادة))[2].

بيان المضروب له المثل في المثلين:

اختلف المفسرون في المضروب له المثل على قولين:

الأول: أنه مثل ضربه الله لنفسه عز وجل وللأوثان التي تُعْبَد من دونه، وبه قال مجاهد وغيره.

الثاني: أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((فالمثل الأول ما ضربه الله سبحانه لنفسه وللأ وثان، فالله سبحانه هو المالك لكل شيء ينفق كيف يشاء على عبيده سرا ً وجهرا ً وليلا ً ونهارا ً، يمينه ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، و الأوثان مملوكة عاجزة لا تقدر على شيء، فكيف يجعلونها شركاء لي ويعبدونها من دوني مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين، هذا قول مجاهد وغيره.

وقال ابن عباس: هو مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، ومثل المؤمن في الخير الذي عنده، ثم رزقه منه رزقا ً حسنا ً فهو ينفق منه على نفسه وعلى غيره سرا ً وجهرا ً، والكافر بمنزلة عبد مملوك عاجز لا يقدر على شيء، لأنه لا خير عنده فهل يستوي الرجلان عند أحد من العقلاء.

---

(1) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (84/1).
(2) مفتاح دار السعادة (77/2).

Modifier avec WPS Office

والقول الأول أشبه بالمراد، فإنه أظهر في بطلان الشرك، وأوضح عند المخاطب، وأعظم في إقامة الحجة، وأقرب نسبا بقوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ[النحل:٧٣-٧٤]))[1].

ثم قال عن المثل الثاني:((وأما المثل الثاني فهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لنفسه ولما يُعْبَد من دونه أيضاً، فالصنم الذي يعبد من دون الله بمنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق، بل هو أبكم القلب واللسان، قد عدم النطق القلبي واللساني، ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة، ومع هذا فأينما أرسلته لا يأتيك بخير، ولا يقضي لك حاجة، والله سبحانه حي قادر متكلم، يأمر بـ العدل وهو على صراط مستقيم، وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد...

وفي الآية قول ثان مثل الآية الأولى سواء، أنه ضربه الله للمؤمن والكافر، وقد تقدم ما في هذا القول))[2].

وقد أشار ابن القيم-رحمه الله- إلى أهم الأسباب التي بها يترجح القول الأ ول في المثلين، وهي:

1. مناسبة ذلك المعنى لسياق المثل، حيث أن موضوع السياق: الحديث عن إفراد الله بالألوهية، وإبطال الشرك، عبر عن ذلك بقوله:((فإنه أظهر في بطلان الشرك))، وقد ورد قبل المثل قوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﮊ[النحل:٧٣] وجاء هذا المثل مؤكدا للمعنى الذي دلت عليه هذه الآية.

2. أن ذلك أقرب لإدراك المخاطب لمعنى المثل ومن ثم إقامة الحجة عليه، مِنْ جَعْلِهَا مضروبة للمؤمن والكافر، وذلك لأن الكافر لا يقر بأنه يشبه العبد المملوك، فكفار مكة كانوا هم الأسياد، وهم أصحاب المال والجاه والنفوذ ، والمسلمون كانوا ضعفاء بل بعضهم كان رقيقاً، كما أنه لا يقر بأنه أبكم لا يقدر على شيء، بينما الكفار يقرون بأن تلك الأصنام لا تقدر على شيء، وأن الله هو القادر وحده، ولهذا قال ابن القيم-رحمه الله- عن القول الأ ول:((وأوضح عند المخاطب، وأعظم في إقامة الحجة)).

3. فيه مناسبة للنهي عن ضرب الأمثال لله تعالى، في قوله سبحانه:ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ[النحل:٧٤]، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله -:((ولهذا قال: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﮊ المتضمنة للتسوية بينه وبين خلقه ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﮊ فعلينا أن لا نقول عليه بلا علم، وأن نسمع ما ضربه العليم من الأ مثال، فلهذا ضرب تعالى مثلين له ولمن يعبد من دونه))[3]، فلما نهى عن ضرب

(1) إعلام الموقعين (1/160-161).
(2) المصدر نفسه (1/161-164).
(3) تفسير السعدي (ص445).

Modifier avec WPS Office

الأمثال الباطلة، ويدخل فيها الأوثان، ضرب المثل المُبَيِنَ لحقيقة تلك الأوثان التي صرفوا لها شيئاً من حق الخالق سبحانه وتعالى.

ثم إن ابن القيم-رحمه الله- وجّهَ القول الثاني بقوله:((ومن لوازم هذا المثل وأحكامه: أن يكون المؤمن الموحِّد كمن رزقه منه رزقاً حسناً، و الكافر المشرك كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، فهذا ما نبه عليه المثل وأرشد إليه، فذكره ابن عباس منبهاً على إرادته، لا أن الآية اختصت به، فتأمله فإنك تجده كثيراً في كلام ابن عباس وغيره من السلف في فهم القرآن، فيظن الظان أن ذلك هو معنى الآية التي لا معنى لها غيره فيحكيه قوله))[1].

ومما سبق يتبين أن الراجح في تفسير هذين المثلين: أن الله ضربهما لنفسه وللأوثان التي تعبد من دونه.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((والمثلان ضربهما الله سبحانه لنفسه المقدسة ولما يعبد من دونه، فإن الأوثان لا تقدر لا على عمل ينفع ولا على كلام ينفع، فإذا قُدِّر عبد مملوك لا يقدر على شيء، وآخر قد رزقه الله رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً، هل يستوي هذا المملوك العاجز عن الإحسان، وهذا القادر على الإحسان المحسن إلى الناس سراً وجهراً، وهو سبحانه قادر على الإحسان إلى عباده وهو محسن إليهم دائما فكيف يشبه به العاجز المملوك الذي لا يقدر على شيء حتى يشرك به معه، وهذا مثل الذي أعطاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل والنهار.

والمثل الثاني: إذا قدر شخصان أحدهما أبكم لا يعقل ولا يتكلم ولا يقدر على شيء، وهو مع هذا كَلٌّ على مولاه، أينما يوجهه لا يأت بخير، فليس فيه من نفع قط، بل هو كَلٌّ على من يتولى أمره، وآخر عالم عادل يأمر بالعدل ويعمل بالعدل فهو على صراط مستقيم، وهذا نظير الذي أعطاه الله الحكمة فهو يعمل بها ويعلمها الناس، وقد ضرب ذلك مثلاً لنفسه، فانه سبحانه عالم عادل قادر، يأمر بالعدل وهو قائم بالقسط على صراط مستقيم))[2].

ولكن لا بد أن ندرك أن هذا المثل جارٍ على قياس الأولى، فيكون المعنى: إذا كنتم لا تساوون بين العبد الملوك العاجز عن الإحسان، وبين المحسن المُتَفَضِل من البشر، فلأن لا تساوون بين الأصنام والأوثان التي لا تملك شيئاً، وبين الله جل وعلا المالك لكل شيء من باب أولى.

وإذا كنتم لا تساوون بين الأبكم العاجز عن كل شيء، وبين الذي يأمر بالعدل وهو مستقيم على الحق، فلأن لا تساوون بين الله سبحانه وتعالى

(1) إعلام الموقعين (161/1).
(2) مجموع الفتاوى (115/10-116).

Modifier avec WPS Office

القادر على كل شيء، وبين الأصنام العاجزة عن كل شيء من باب أولى.

ولا يجوز أن يجعل هذان المثلان من قبيل قياس التمثيل، ولا من قبيل قياس الشمول.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:((والأقيسة العقلية وهي الأمثال المضروبة، كالتي تسمى أقيسة منطقية وبراهين عقلية ونحو ذلك، استعمل سلف الأمة وأئمتها منها في حق الله سبحانه وتعالى ما هو الواجب، وهو ما يتضمن نفيا ً وإثباتاً بطريق الأولى، لأن الله تعالى وغيره لا يكونان متماثلين في شيء من الأشياء، لا في نفي ولا في إثبات، بل ما كان من الإثبات الذي ثبت لله تعالى ولغيره فانه لا يكون إلا حقا متضمنا ً مدحا ً وثناء ً وكمالا ً والله أحق به، ليس هو فيه مماثلا ً لغيره، وما كان من النفي الذي ينفي عن الله وعن غيره فإنه لا يكون إلا نفي عيب ونقص، والله سبحانه أحق بنفي العيوب والنقائص عنه من المخلوق، فهذه الأقيسة العادلة والطريقة العقلية السلفية الشرعية الكاملة.

فأما ما يفعله طوائف من أهل الكلام من إدخال الخالق والمخلوقات تحت قياس أو تمثيل يتساويان فيه فهذا من الشرك والعدل بالله، وهو من الظلم وهو ضرب الأمثال لله، وهو من القياس والكلام الذي ذمه السلف وعابوه))[1].

(1) بيان تلبيس الجهمية (536/2).

Modifier avec WPS Office

المطلب الخامس

الفوائد العـ ـقَـ ـَدية المستفادة من المثلين

وفيه أربع فوائد:

الفائدة الأولى: دلالة المثلين على أنواعٍ من الحجج العقلية الدّالة على بطلان الشرك.

الفائدة الثانية: الرّد على نفاة الصفات.

الفائدة الثالثة: دلالة المثلين على صحة ضرب الأمثال لله تعالى، إذا كانت جارية على قياس الأ ولى.

الفائدة الرابعة: دلالة المثلين على أنه لا يجوز إدخال الخالق والمخلوق تحت قياس شمول أو تمثيل تستوي أفراده.

Modifier avec WPS Office

الفائدة الأولى

دلالة المثلين على أنواع من الحجج العقلية الدالة على بطلان الشرك

القرآن مَليء بالحجج العقلية الدالة على إبطال الشرك، وقد اشتمل هذين المثلين على حجتين من هذه الحجج:

1. إبطال التسوية بين العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء من التصرف، وبين الحر القادر على التصرف فيما يملك بأنواع التصرفات، بل ويضع ما يملك في أحسن مواضعه.
2. إبطال التسوية بين الأبكم الذي لا يحسن النطق، ولا يحسن تدبير شيء من أموره، وبين الناطق الذي يضع الكلام في أحسن مواضعه.

وهاتان الحجتان من أبلغ الحجج الدالة على بطلان عبادة الأوثان، وقد احتج بهما القرآن على المشركين في مواضع كثيرة، قال تعالى منكراً على قوم موسى اتخاذهم العجل: ﮋﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ[الأعراف:١٤٨].

قال الشوكاني-رحمه الله-: ((قوله : ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﮊ الاستفهام للتقريع و التوبيخ، أي: ألم يعتبروا بأن هذا الذي اتخذوه إلهاً لا يقدر على تكليمهم، فضلا ً عن أن يقدر على جلب نفع لهم، أو دفع ضرّ عنهم؟! ﮋ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ أي طريقاً واضحة يسلكونها، ﮋ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ أي: اتخذوه إلهاً وكانوا ظالمين لأنفسهم في اتخاذه، أو في كل شيء، ومن جملة ذلك هذا الاتخاذ))[1].

وقال محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-: ((بين في هذه الآية الكريمة سخافة عقول ﻉ ﺑَ ﻛَ ﺓَ ﹺ العجل، وو ﺑَ ﺨّ ﻬَ ﻢُ على أنهم يعبدون ما لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ً، وأوضح هذا في « طه » بقوله: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﮊ [طه:٨٩]))[2].

وحكى سبحانه قول إبراهيم الخليل لأبيه: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮊ [مريم:٤٢].

قال الشوكاني-رحمه الله-:((والاستفهام في ﮋ ﭽ ﭾ ﮊ للإنكار والتوبيخ، ﮋﭿ ﮀ ﮁﮊ ما تقوله من الثناء عليه والدعاء له، ﮋﮂ ﮃ ﮊ ما تفعله من عبادته، ومن ا لأفعال التي تفعلها مريداً بها الثواب، ويجوز أن ﻳ ُحمل نفي السمع والإبصار على ما هو أعم ُ من ذلك، أي لا يسمع شيئاً من المسموعات، ولا يبصر شيئاً من المبصرات ﮋﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ من الأشياء، فلا يجلب لك نفعاً، ولا يدفع عنك ضرراً، وهي الأصنام التي كان يعبدها آزر[3]، أورد إبراهيم على أبيه الدلائل

---

(1) فتح القدير (247/2).
(2) أضواء البيان (40/2).
(3) آزر: اسم أبي إبراهيم ، وقيل: اسمه تارح، ورجح ابن جرير-رحمه الله- الأ ول. انظر: تفسير الطبري (244/7)، والبداية والنهاية (142/1).

Modifier avec WPS Office

والنصائح، وصدّر كلا منها بالنداء المتضمن للرفق واللين استمالة لقلبه، وامتثا لا ً لأمر ربه))[1].

قال شيخ الإسلام-رحمه الله- موضحاً التلازم بين الكلام والسمع والبصر و القدرة وغيرها من صفات الكمال، وبين استحقاق العبادة:((إن نفي هذه الصفات -السمع والبصر والكلام- نقائص مطلقا ً، سواء ٌ نفيت عن حي أو جماد، وما انتفت عنه هذه الصفات لا يجوز أن يحدث عنه شيء ولا يخلقه، و لا يجيب سائلا ً ولا يُعبد ولا يُدعى، كما قال الخليل: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮌ، وقال إبراهيم لقومه: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﮌ [الشعراء:٧٢-٧٤]، وقال تعالى: ﮋﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮌ، وقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﮌ [طه:٨٨- ٨٩].

وهذا لأنه من المستقر في الفطر أن ما لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم لا يكون ربا ً معبودا ً، كما أن ما لايغنى شيئا ً ولا يهدى ولا يملك ضرا ً و لا نفعا ً لا يكون ربًا ً معبودا ً، ومن المعلوم أن خالق العالم هو الذي ينفع عباده بالرزق وغيره ويهديهم، وهو الذي يملك أن يضرهم بأنواع الضرر... ولذلك من المستقر في العقول أن ما لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ناقص عن صفات الكمال، لأنه لا يسمع كلام أحد، ولا يبصر أحداً ولا يأمر بأمر، ولا ينهى عن شيء، ولا يخبر بشيء، فإن لم يكن كالحي الأعمى الأصم، كان بمنزلة ما هو شر منه وهو الجماد الذي ليس فيه قبول أن يسمع ويبصر ويتكلم، ونفي قبول هذه الصفات أبلغ في النقص والعجز وأقرب إلى أوصاف المعدوم ممن يقبلها واتصف بأضدادها، إذ الإنسان الأعمى أكمل من الحجر، والإنسان الأبكم أكمل من التراب، ونحو ذلك مما لا يوصف بشيء من هذه الصفات، وإذا كان نفي هذه الصفات معلوما ً بالفطرة إنه من أعظم النقائص والعيوب، وأقرب شبها بالمعدوم، كان من المعلوم بالفطرة أن الخالق أبعد عن هذه النقائص و العيوب من كل ما ينفى عنه، وأن اتصافه بهذه العيوب من أعظم الممتنعات))[2].

---

(1) فتح القدير (336-335/3).
(2) العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (119-118/1)، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1، 1415هـ.

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثانية
الرد على نفاة الصفات

تضمن هذان المثلان الرد على نفاة الصفات[1]، وذلك أن الله سبحانه قد ضرب مثلا ً للأوثان ولذاته المقدسه، فمَثّل الأوثان بالرجل العاجز عن التصرف، وبالأبكم الذي لا يحسن التعبير عن مراده، وفي مقابل ذلك ضرب لنفسه المثل بالذي يتصرف كيفما أراد، ويحسن التحدث بما أراد، هل يستوي هذا وهذا؟ فإذا كانت لا تستوي فالأحق بالعبادة الذي له الكمال المطلق، وأما العاجز الناقص فلا يستحق العبادة.

وقد تقدم في الفائدة السابقة ذكر عدد من النصوص التي عاب فيها سبحانه آلهة المشركين لعدم اتصافها بصفات الكمال التي من قامت به كان مستحقاً للعبادة، فمن نفى عن الله سبحانه تلك الصفات فقد شبهه بآلهة المشركين، وعَطَله سبحانه عن صفات كماله التي استحق بها أن يكون إلهاً معبوداً.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((وقد وصف نفسه سبحانه بضد صفة أربابهم-أي المشركين- **وبضد ما وصفه به المعطلة والجهمية**[2]، فوصف نفسه بالسمع و البصر والفعل باليدين والمجيء والإتيان، وذلك ضد صفات الأصنام التي جعل امتناع هذه الصفات عليها منافيا ً لإلهيتها، فتأمل آيات التوحيد والصفات في القرآن على كثرتها وتفننها واتساعها وتنوعها، كيف تجدها كلها قد أثبتت الكمال للموصوف بها، وأنه المتفرد بذلك الكمال، فليس له فيه شبه ولا مثال،

---

(1) الذين نفوا صفات الله عز وجل خمس طوائف:
الأولى: الجهمية: ومذهبهم نفي الأسماء والصفات عن الله تعالى.
الثانية: المعتزلة: ومذهبهم نفي الصفات دون الأسماء.
الثالثة: الكلابية: ومذهبهم نفي الصفات الاختيارية فقط.
الرابعة: الأشاعرة، ومتقدميهم على رأي الكلابية، وأما المتأخرون فينفون جميع الصفات إلا سبع صفات هي: العلم، والقدرة، والحياة، والسمع، و البصر، والإرادة، والكلام.
الخامسة: الماتريدية: ومذهبهم كمذهب متأخري الأشاعرة وزادوا صفة ثامنة هي:(التكوين)
انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسما ء الله الحسنى (ص15-23).

(2) هي إحدى الفرق الضالة, وزعيمهم هو جهم بن صفوان وإليه ينسبون, من مقالاتهم: نفي الأسماء والصفات, الإيمان هو المعرفة فقط, خلق القرآن, وغير ذلك, أما جهم بن صفوان فقد قتله القائد سلم بن أحوز سنة 127هـ. انظر مقالات الإسلاميين للأشعري (ص279), والفرق بين الفرق (ص199) والفصل في الملل والنحل لابن حزم (155/4).

Modifier avec WPS Office

وأي دليل في العقل أوضح من إثبات الكمال المطلق لخالق هذا العالم ومدبره وملك السموات والأرض وقيومها، فإذا لم يكن في العقل إثبات جميع أنواع الكمال له فأي قضية تصح في العقل بعد هذا، ومن شك في أن صفة السمع و البصر والكلام والحياة والإرادة والقدرة والغضب والرضا والفرح والرحمة و الرأفة كمال فهو ممن سـ ُلب خاصة الإنسانية، وانسلخ من العقل))[1].

(1) الصواعق المرسلة (916/3)، وانظر: الرسالة التدمرية (ص93).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثالثة

دلالة المثل على صحة ضرب الأمثال لله تعالى إذا كانت جارية على قياس الأ ولى

تقدم معنا في دلالة السياق أن الله سبحانه نهى عن ضرب الأمثال له سبحانه، ثم ضرب هذين المثلين، وذلك لبيان ما يجوز أن يضرب له عز وجل من الأمثال وما لا يجوز.

قال الشوكاني –رحمه الله -: ((قوله:ﮋ ﭪ ﭫ ﭬﮊ لما قال سبحانه : ﮋ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊأي: بالمعلومات التي من جملتها كيف يـ ـَضـ ـْر ـِب الأمثال ، وأنتم لا تعلمون؟ ع ـَلـ ـّمـ ـَهـ ـُم سبحانه كيف تـ ـُضرب الأمثال، فقال: ﮋﭪ ﭫ ﭬﮊ، أي : ذكر شيئاً يـ ـُستدلّ ـُ به على تباين الحال بين جناب الخالق سبحانه ، وبين ما جعلوه شريكاً له من الأصنام))[1].

وقد تضمن هذان المثلات إثبات الكمال لله تعالى بطريق الأولى، كما تقدم.

وقد عَرّف الأصوليون قياس الأولى بأنه:((ما كانت العلة فيه في الفرع أظهر منها في الأصل))[2]، **مثاله:** قياس ضرب الوالدين على التأفيف في الحرمة، لأن الضرب أولى بالحكم من قول:(أف) لهما.

وهذا التعريف أوردته لتقريب معنى هذا القياس عند العلماء، ولكن لا يصح أن يطلق هذا التعريف عند استعماله في حق الله، لأنه لا يجوز أن يكون الله فرعاً والمخلوق أصلا ـً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وإنما يقال: كل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنه.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((والقرآن يستعمل الاستدلال بالآيات، ويستعمل أيضاً في إثبات الإلهية قياس الأولى: وهو أن ما ثبت لموجود مخلوق من كمال لا نقص فيه فالرب أحق به، وما نزه عنه مخلوق من النقائص فالرب أحق بتنزيهه عنه))[3].

وهذه هي قاعدة قياس الأولى، فإن هذا القياس يتضمن إثبات الحكم للفاضل لثبوته فيمن هو أدنى منه، وذلك لا يستلزم أن يكون مثله في الكيفية والحقيقة.

مثال ذلك: إذا كان الجمل يستطيع حمل كيس كبير من القمح، فقدرة السيارة على ذلك من باب أولى، مع أننا ندرك الفرق الشاسع بين حقيقة

---

(1) فتح القدير (180/3).

(2) انظر: معجم لغة الفقهاء (ص373)، إعداد: محمد رواس قلعجي ومحمد صادق قنيبي، دار النفائس، بيروت، ط2، 1408هـ. وانظر: شرح الكوكب المنير (378/2).

(3) الرد على المنطقيين (ص350).

Modifier avec WPS Office

السيارة وحقيقة الجمل، وقس على ذلك.

قال شيخ الإسلام –رحمه اللّه-:((وأما قياس الأولى الذي كان يسلكه السلف اتباعاً للقرآن فيدل على أنه يثبت له من صفات الكمال التي لا نقص فيها أكمل مما علموه ثابتا ً لغيره، مع التفاوت الذي لا يضبطه العقل، كما لا يضبط التفاوت بين الخالق وبين المخلوق، بل إذا كان العقل يدرك من التفاضل الذي بين مخلوق ومخلوق ما لا يحصر قدره، وهو يعلم أن فضل الله على كل مخلوق أعظم من فضل مخلوق على مخلوق، كان هذا مما يبين له أن ما يثبت للرب أعظم مما يثبت لكل ما سواه بما لا يدرك قدره))[1].

وقياس الأولى يستعمل في حق الله تعالى من جهتين:

الأولى: إثبات الكمال لله تعالى بطريق الأولى.

الثاني: نفي النقص عن الله تعالى بطريق الأولى.

وهذان الأمران مستقران في بدائه العقول، وقد بين شيخ الإسلام-رحمه اللّه- المستند العقلي لثبوت هذين الأمرين، حيث قال:((فكل كمال لا نقص فيه بوجه ثبت للمخلوق فالخالق أحق به من وجهين:

أحدهما: أن الخالق الموجود الواجب بذاته القديم أكمل من المخلوق القابل للعدم المحدث المربوب.

الثاني: أن كل كمال فيه فإنما استفاده من ربه وخالقه، فإذا كان هو مبدعا ً للكمال وخالقا ً له، كان من المعلوم بالاضطرار أن معطي الكمال وخالقه ومبدعه أولى بأن يكون متصفا ً به من المستفيد المبد َع المعط ىَ))[2]، هذا من جهة أحقيته بالكمال، وأما تنزهه تبارك وتقدس عن النقص فيدل عليه مفهوم الوجه الثاني، وذلك لأنه سبحانه هو الذي نزه المخلوق عن ذلك النقص فتنزهه عما نزه عنه ذلك المخلوق أولى.

وهذا الكمال الثابت لله تعالى بهذه القاعدة العظيمة، لا بد أن يراعى فيه ث لاثة أمور:

((**أولا ً**:((أن الكمال ثابت لله، بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأ كملية، لا يكون وجود كمال لا نقصَ فيه إلا وهو ثابت للرب تعالى، يستحقه بنفسه المقدسة.

وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه، فثبوت الحياة يستلزم نفى الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز، وإن هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية، مع دلالة السمع على ذلك))[3].

---

(1) مجموع الفتاوى (145/9).
(2) العقيدة الأصفهانية (117/1).
(3) مجموع الفتاوى (71/6).

Modifier avec WPS Office

وهذا النقل القيم عن شيخ الإسلام يبين أهم الفروق بين كمال الله تعالى وكمال الإنسان الذي هو الأصل الذي تستنتج منه قاعدة قياس الأولى، وهي:

1. أن الثابت لله هو أكمل الكمال وأعلاه، الذي يوجب له التفرد به دون غيره، ﮋ ﮒ ﮓ ﮔﮊ.
2. أنه كمال لا نقص فيه، بخلاف المخلوق الذي يثبت له الكمال لكن يعتريه النقص، كاتصافه بالحياة، مع سريان النوم والضعف والموت عليه.
3. أن الله يستحقه بنفسه المقدسة، لا يستفيده من غيره، بخلاف كمال المخلوق الذي استفاده من خالقه.
4. أنه يستلزم نفي النقيض، كالعلم الذي لا جهل معه، والقدرة التي لا عجز ولا تعب معها، بخلاف كمال المخلوق، الذي يتصف به وبما يناقضه، فيكون عالماً مع جهل، وقادراً مع عجز وضعف، ونحوها.

كما دل هذا النقل عن شيخ الإسلام على فائدة هامة في قياس الأولى، هي أنه يستخدم لتأييد وموافقة ما ثبت لله في الكتاب والسنة الصحيحة. حيث قال:((وإن هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية ، مع دلالة السمع على ذلك)).

ثانياً: أن يكون الكمال المثبت لله ممكن الوجود، فيخرج بذلك ما توهم أنه كمال وهو ممتنع، مما يتعلق بأفعال الله وقدرته.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أمثلة على ذلك، حيث قال: ((وكذلك إذا قيل: جعل الشيء الواحد متحركاً ساكناً، موجوداً معدوماً، صفة كمال، قيل: ممتنع لذاته، وكذلك إذا قيل: إبداع قديم واجب بنفسه صفة كمال، قيل: هذا ممتنع لنفسه، فإن كونه مُبْدَع يقتضي أن لا يكون واجباً بنفسه بل واجباً بغيره... وأمثال هذا كثير، فلهذا قلنا: الكمال الممكن الوجود، فما هو ممتنع في نفسه فلا حقيقة له، فضلا ً عن أن يقال: هو موجود، أو هو كمال للموجود))[1].

ثالثاً: أن يكون سليماً من النقص. فإن النقص ممتنع على الله.

وبهذا الشرط يخرج الكمال النسبي، الذي يكون كمالا ً لبعض المخلوقات دون بعض، أو كمالا ً بالنسبة للإنسان لكنه في الحقيقة يستلزم نقصاً، فيكون نقصاً بالنسبة للخالق.

وقد بين هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - بقوله:((أما الشرط الآخر: وهو قولنا: الكمال الذي لا يتضمن نقصاً. .. فاحتراز عما هو لبعض المخلوقات كمال دون بعض، وهو نقص بالإضافة إلى الخالق، لاستلزامه نقصاً كالأكل والشرب مثلا ً. فإن الصحيح الذي يشتهي الأكل والشرب من الحيوان أكمل من المريض الذي لا يشتهي الأكل والشرب، لأن قِوامه بالأكل و

(1) المصدر السابق (6/85-86).

Modifier avec WPS Office

الشرب، فإذا قدر غير قابل له كان ناقصاً عن القابل لهذا الكمال، لكن هذا يستلزم حاجة الآكل والشارب إلى غيره، وهو ما يدخل فيه من الطعام و الشراب، وهو مستلزم لخروج شيء منه كالفضلات، وما لا يحتاج إلى دخول شيء فيه أكمل ممن يحتاج إلى دخول شيء فيه. وما يتوقف كماله على غيره أنقص مما لا يحتاج في كماله إلى غيره، فإن الغني عن شيء أعلى من الغني به. والغني بنفسه أكمل من الغني بغيره. ولهذا كان من الكمالات ما هو كمال للمخلوق وهو نقص بالنسبة إلى الخالق))[1]))[2].

فما كان من الأمثال والأقيسة قد توفرت فيه هذه الشروط الثلاثة فلا بأس أن تضرب لله عز وجل.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- نماذج من الأمثال التي ضربها الإمام أحمد –رحمه الله- في رده على نفاة الصفات، قال-رحمه الله -:((ثم ذكر الإمام أحمد حجة اعتبارية عقلية قياسية لإمكان ذلك-أي: علو الله تعالى مع كمال إحاطته بخلقه- هي من باب الأولى، قال: ومن الاعتبار في ذلك لو أن رجلا ً كان في يده قدح من قوارير صاف، وفيه شيء، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله سبحانه له المثل الأعلى، قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه، قلت: وقد تقدم أن كل ما يثبت من صفات الكمال للخلق فالخالق أحق به وأولى، فضرب أحمد -رحمه الله- مثلا ً وذكر قياسا ً، وهو أن العبد إذا أمكنه أن يحيط بصره بما في يده وقبضته من غير أن يكون داخلا ً فيه ولا محايثا ً له، فالله سبحانه أولى باستحقاق ذلك واتصافه به، وأحق بأن لا يكون ذلك ممتنعا ً في حقه.

وذ ِكـ ْر أحمد في ضمن هذا القياس قول الله تعالى: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼﮊ [الروم:٢٧] مطابق لما ذكرناه من أن الله له قياس الأولى والأحرى بالمثل الأعلى، إذ القياس الأولى والأحرى هو من المثل الأعلى، وأما المثل المساوي أو الناقص فليس لله بحال، ففي هذا الكلام الذي ذكره واستدلاله بهذه الآية تحقيق لما قدمناه من أن الأقيسة في باب صفات الله وهي أقيسة الأولى كما ذكره من هذا القياس، فإن العبد إذا كان هذا الكمال ثابتا ً له، فالله الذي له المثل الأعلى أحق بذلك.

ثم ذكر قياسا ً آخر فقال: وخصلة أخرى، لو أن رجلا ً بني دارا ً بجميع مرافقها ثم أغلق بابها وخرج منها، كان لا يخفى عليه كم بيت في داره، وكم سعة كل بيت، من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار، فالله سبحانه له المثل الأعلى قد أحاط بجميع ما خلق وقد ع َلـ ِم كيف هو، وما

(1) المصدر نفسه (87/6).
(2) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (1036/3-1040).

Modifier avec WPS Office

هو، من غير أن يكون في جوف شيء مما خلق.

وهذا أيضاً قياس عقلي من قياس الأولى، قرر به إمكان العلم بدون المخالطة، فذكر أن العبد إذا فعل مصنوعا ً كدار بناها، فإنه يعلم مقدارها وعدد بيوتها مع كونه ليس هو فيها لكونه هو بناها، فالله الذي خلق كل شيء أليس هو أحق بأن يعلم مخلوقاته ومقاديرها وصفاتها وإن لم يكن فيها محايثا ً لها، وهذا من أبين الأدلة العقلية.

وهذان القياسان **أحدهما** لإحاطته بخلقه، إذ الخلق جميعا ً في قبضته وهو محيط بهم ببصره، **والثاني** لعلمه بهم لأنه هو الخالق، كما قال سبحانه: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ [الملك:١٤]))[1].

(1) بيان تلبيس الجهمية (2/546-547).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الرابعة

دلالة المثلين على أنه لا يجوز إدخال الخالق والمخلوق تحت قياس شمول أو تمثيل تستوي أفراده

هذه الفائدة مستفادة من النهي عن ضرب الأمثال في قوله تعالى: ﮋ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ [النحل:٧٤]، وقد تقدم أن النهي متجه إلى الأمثال التي تتضمن التسوية بينه وبين خلقه، بخلاف الأمثال التي تتضمن إثبات الكمال المطلق له سبحانه وتنزيهه عن النقص، وهي الأمثال المبنية على قياس الأولى.

والأمثال التي لا يجوز أن تضرب لله تعالى قسمان:

الأول: الأمثال الشمولية، ووجه المنع من ضرب هذا النوع من الأمثال لله تعالى، أن هذا القياس تستوي فيه جميع الأفراد في الحكم، فإذا قيل مثلاً: كل مسكر حرام، فهذه قاعدة كلية، يدخل تحتها أفراد كثيرون، فنبيذ العنب ونبيذ التمر ونبيذ العسل، وجميع المسكرات كلها تدخل تحت هذه القاعدة، فاستعمال هذا النوع من القياس يستلزم أن يندرج الرب جل في علا وبعض المخلوقات تحت حكم واحد.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((وذلك أن الله سبحانه لا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قياس الشمول الذي تستوي أفراده))، ثم قال:((إذا حكموا على القدر المشترك الذي هو الحد الأوسط بحكم يتناوله والمخلوقات كانوا بين أمرين: إما أن يجعلوه كالمخلوقات، أو يجعلوا المخلوقات مثله))[1].

وهذا يبين وجه المنع من مثل هذا القياس، وذلك أنه يستلزم أن يكون الله سبحانه كالمخلوق فيضعوا من مقام الرب جل في علاه، أو يرفعوا المخلوق إلى درجة الخالق، وهذا وذاك ممتنع، ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﮊ [الشورى:١١].

الثاني: الأمثال التشبيهية، وهي الأمثال القائمة على تشبيه شيء بشيء آخر، وهذا النوع من التمثيل يستوي فيه الحكم في الأصل والفرع، ولأجل ذلك مُنع من استعماله في حق الله جل في علاه.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((والله تعالى له المثل الأعلى، فلا يجوز أن يقاس على غيره قياس تمثيل يستوي فيه الأصل والفرع))[2].

وخلاصة هذه الفائدة: أن الله تعالى منزه عن مشابهة خلقه في الذات وفي الصفات، فما كان من القياس مستلزماً للتشبيه فالواجب تنزيه الرب عنه، أما ما لا يستلزم نقصاً بوجه من الوجوه فلا بأس بضربه لله تعالى، وهي طريقة القرآن كما في هذين المثلين وغيرهما.

---

(1) العقيدة الأصفهانية (1/74-75).
(2) بيان تلبيس الجهمية (1/327).

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

الفصل الرابع

ما ورد من الأمثال لبيان قُبح الشرك، وكراهية السّيّد مشاركة عبده له في ملكه، وتنزه الله عن ذلك من باب أولى

وفيـــه:

دراسة المثل في قوله تعالى: ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ [النحل:٧١].

وقـوله تعالى: ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [الروم:٢٨].

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: السياق الذي ورد فيه المثل.

المطلب الثاني: نوع المثل والغرض الذي ضـُرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثـَّل به.

المطلب الرابع: بيان الممثـَّل له، والعبرة التي تضمنها المثل.

المطلب الخامس: الفوائد العـَقـَدية المستفادة من المثل.


Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
دلالة السياق الذي ورد فيه المثل

أولا ً: دلالة سياق المثل في سورة النحل.
تقدم الكلام عن أهم القضايا التي ناقشتها سورة النحل[1]، وسأذكر فيما يلي أهم ما اشتمل عليه السياق، وذلك لأهمية استحضاره في هذا الموضع:
1.اشتمال السورة في كثير من الآيات على بيان تفرد الله تعالى بالألوهية، وأن التوحيد هو الذي لأجله بعث الله الرسل، وأنزل الكتب.
2.اشتملت كذلك على بيان بطلان الشرك، وذكر البراهين العقلية الدالة على بطلانه.
3.الإخبار عن اتصاف الله تعالى بالمثل الأعلى، وقد تقدم أن المثلين السابقين دلا على اتصافه سبحانه بهذا الوصف، وكذلك هذا المثل، فإذا كان المشركون لا يرضون أن يشاركهم عبيدهم في ما يملكون فتنزه الله عن ذلك من باب أولى.
4.النهي عن ضرب الأمثال لله عز وجل، وذلك لأمرين:
الأول: أن ضرب الأمثال قد يتضمن نسبة النقص والعيب كالأمثال التي يضربها المشركون له سبحانه، ومثل تلك الأمثال لا يجوز أن تضرب لله عز وجل.
الثاني: تفرُّده سبحانه بالمثل الأعلى، والكمال المطلق، فلا يجوز أن يُجعل له مماثل من خلقه، ولهذا عَلَمَنا سبحانه كيف نضرب له الأمثال بنحو هذا المثل، فما كان من الأمثال جارياً على قياس الأولى جاز أن يُضرب لله، وهذا لا يعرفه إلا العالمون بالله وما يستحقه سبحانه من الكمال.
فهذه الخلاصة تحدد أهم معالم السياق، وتبين أن المثل متمم لما دلت عليه السورة الكريمة من بيان إفراد الله بالعبادة، والتحذير من الشرك.
ثانياً: دلالة سياق المثل في سورة الروم.
ورد هذا المثل أيضاً في سورة الروم، وهي مكية بالاتفاق[2]، ومن خصائص هذه السور: أنها تركز على قضايا التوحيد وإثبات البعث، وقد ورد هنا التصريح بضرب المثل، فقال تعالى: ﮋﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ، بخلاف سورة النحل فقد وردت الإ شارة بذلك دون صريح العبارة.
وسياق هذا المثل يمكن اعتباره من قوله تعالى: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮊ[الروم: ٢٧]، ففي هذه الآية إخبار منه سبحانه بقدرته على بعث الخلق لأنه هو الذي أنشأهم أول مرة، فالقادر على الخلق على غير مثال سابق قادر على إعادة ما خلق من باب أولى، وهذا

(1) (ص367-370).
(2) انظر: تفسير البغوي (475/3)، وتفسير القرطبي (1/14).

Modifier avec WPS Office

المعنى هو الذي حُمِل عليه قوله: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼﮊ، فالله ليس في حقه أهون وهين ، كما قال تعالى: ﮋ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂﮊلقمان:٢٨].

قال ابن جرير-رحمه الله-:((يقول تعالى ذكره: ﮋﯻ ﯼﮊ أيها الناس ﮋ ﯽ ﯾﮊ على الله ﮋﯿﮊ كخلق نفس واحدة وبعثها... فسواءٌ خَلَق واحد وبعثه، وخَلَق الجميع وبعثهم))[1]، وإنما المراد: أن إعادة الخلق أهون من ابتدائه ((باعتبار حكم المخاطبين وما استقر في أفهامهم وما يعقلونه من أفعالهم، حيث يقرون بأن من ابتدأ خلق شيء فإن إعادته مرة أخرى أهون وأيسر عليه))[2].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-: ((أي إعادة الخلق بعد موتهم ﮋﭻ ﭼﮊ من ابتداء خلقهم بالنسبة إلى الأذهان والعقول))[3].

ثم أعقب ذلك بقوله: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ ، ليؤكد على أن ما سبق ذكره من كون الإعادة أهون من البدء بالخلق، إنما ذكر لمجرد تقريب الأمر لمن يقر بالخلق الأول وينكر البعث، وإلا فالرب سبحانه يثبت له الوصف الأعلى الأتم فلا يقاس تعالى بخلقه، لأن القدرة التامة له وحده دون ما سواه[4].

وهذا المعنى الذي دل عليه قوله: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼﮊ ، قام عليه التمثيل في المثل الذي نحن بصدده، وهو قوله تعالى:ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮊ، وهذا تأكيد لقاعدة عظيمة، هي: أن كل مثل يتضمن إثبات الكمال لله تعالى، ونفي النقائص و العيوب عنه، فهو مؤكد لمدلول قوله تعالى: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿﮊ .

إذاً فالله سبحانه ضرب مثلين قائمين على إثبات الوصف الأكمل له سبحانه، الأول في إثبات البعث، والثاني في التوحيد وإثبات تفرده بالألوهية، وهاتان القضيتان هما أبرز القضايا التي اشتملت عليهما السورة.

ثم أعقب سبحانه هذا المثل المتضمن إقامة الحجة على المشركين في بطلان الشرك بالتأكيد على أن التوحيد هو الموافق للفطرة التي فطر الله عليها عباده، قال تعالى: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﮊ [الروم:٣٠].

ثم تتابعت الآيات بعد ذلك على هذا النسق، مؤكدة لهاتين القضيتين التي دلت عليهما السورة، وهما إثبات البعث وإثبات تفرده تعالى بالألوهية.

---

(1) تفسير الطبري (82/21).
(2) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (1020/3).
(3) تفسير السعدي (ص640).
(4) انظر: التحرير والتنوير (21/83-84).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثاني
نوع المثل والغرض الذي ضُرب من أجله

هذا المثل من الأمثال الأنموذجية، حيث جعل ما يعهدونه من حالهم، وهو استنكافهم أن يكون عبيدهم مشاركين لهم في ما يملكون، أنموذجاً منصوباً أمام عقولهم ليقيسوا عليه ما يناسبه ويعتبرون به.

وهذا النوع من الأمثال لا يتضمن تشبيهاً من حيث الأسلوب، ولكنه يعطي حكماً عاماً يندرج تحته كل أفراده، وهو ما يسمى بقياس الشمول[1]، فالقياس في هذا المثل كالآتي: كل حر مالك فإنه يأنف من مشاركة عبيده له فيما يملكه.

وبعد أن نثبت هذه القاعدة الكلية ننتقل بعدها إلى نوع آخر من القياس وهو قياس الأولى، لأن ((الرب تعالى لا مثيل له، ولا يجتمع هو وغيره تحت كلي تستوي أفراده))[2]، فيجري القياس في هذا المثل على هذا الأساس، فيقال: إذا تقرر أن الحر المالك لا يرضى بمشاركة عبيده ومماليكه له فيما يملك، فالله سبحانه هو المالك لكل شيء المتصرف في كل شيء، و المخلوقات كلها مُعَبَدة له سبحانه، فتنزهه عن أن يشاركه أحد من عبيده فيما يختص به من باب أولى.

قال ابن تيمية-رحمه الله-: ((والقرآن يستعمل الاستدلال بالآيات ويستعمل أيضاً في إثبات الإلهية قياس الأولى، وهو أن ما ثبت لموجود مخلوق من كمال لا نقص فيه فالرب أحق به، وما نزه عنه مخلوق من النقائص فالرب أحق بتنزيهه عنه، كما ذكر سبحانه وتعالى هذا في محاجته للمشركين الذين جعلوا له شركاء فقال: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ))[3].

فهذا المثل من الأمثال القائمة على قياس الأولى الشمولي[4].

الغرض الذي من أجله ضُرب المثل:

ضرب هذا المثل لبيان بطلان التسوية بين الله تعالى وبين المعبودات الباطلة في الاستحقاق، بأمر يعلمونه من أنفسهم، قال سبحانه: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((وهذا دليل قياس احتج الله سبحانه به على المشركين، حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء، فأقام عليهم حجة

---

(1) انظر: الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (84/1).
(2) مجموع الفتاوى (141/9).
(3) الرد على المنطقيين (ص350).
(4) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (1050/3).

Modifier avec WPS Office

يعرفون صحتها من نفوسهم لا يحتاجون فيها إلى غيرهم، ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الإنسان من نفسه، ويحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عندها معلوم لها))[1] .

وقال الشوكاني-رحمه الله-:((أي: منتزعاً ومأخوذاً من أنفسكم، فإنها أقرب شيء منكم، وأبين من غيرها عندكم، فإذا ضرب لكم المثل بها في بطلان الشرك كان أظهر دلالة وأعظم وضوحاً))[2].

---

(1) إعلام الموقعين (159/1).
(2) فتح القدير (223/4).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
صورة الممثـ ـّل به

دل على الممثل به قوله تعالى: ﮋ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢﮊ، وقـوله تعالى: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮊ.

وتتلخص دلالة الممثل به في أنه من المستقر في بدائه العقول أن السيد المالك لا يرضى بأن يشاركه عبده المملوك له في ملكه وما تحت يده، فيصبح هو وإياه في ملك ذلك سواء، عبر عن ذلك في الآية الأولى بقوله: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞﮊ ، وفي الآية الثانية بقوله: ﮋﮒ ﮓ ﮔﮊ.

قال ابن جرير-رحمه الله-:((يقول تعالى ذكره: ﮋﮤﮊ أيها الناس ﮋﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪﮊ الذي رزقكم في الدنيا، فما الذين فضّلهم الله على غيرهم بما رزقهم ﮋ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮊ يقول: بمشركي مماليكهم فيما رزقهم من الأموال والأزواج، ﮋﯜ ﯝ ﯞﮊ يقول: حتى يستووا هم في ذلك وعبيدهم))[1].

وقال ابن القيم-رحمه الله-:((وهذا دليل قياس احتج الله سبحانه به على المشركين حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء، فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم لا يحتاجون فيها إلى غيرهم، ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الإنسان من نفسه ويحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عندها معلوم لها، فقال: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮊ من عبيدكم وإمائكم شركاء في المال والأهل، أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم وأهليكم فأنتم وهم في ذلك سواء، تخافون أن يقاسموكم أموالكم ويشاطروكم إياها، ويستأثرون ببعضها عليكم كما يخاف الشريك شريكه، وقال ابن عباس: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا[2]، والمعنى: هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله، حتى يساويه في التصرف في ذلك، فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأمر يتصرف فيه، كما يخاف غيره من الشركاء والأحرار))[3].

---

(1) تفسير الطبري (142/14).
(2) علقه البخاري في صحيحه مجزوماً به، كتاب التفسير، سورة الروم، (ص 1015)، ووصله الطبري (39/21).
(3) إعلام الموقعين (159/1).

Modifier avec WPS Office

المطلب الرابع
بيان الممثـ ـّل له، والعبرة التي تضمنها المثل

تقدم معنا أن هذا المثل من الأمثال الأنموذجية، وهذه الأمثال ((لا تتضمن تشبيهاً من حيث الأسلوب، لكنها قائمة على القياس، وتتضمن التدبر والاعتبار، وذلك أن هذا النوع من الأمثال ينصب فيه المثل... أمام عقل السامع ليقيس عليه ما يناسبه، ويعتبر به))[1]، ولهذا نلاحظ أن هذا المثل لم يذكر فيه ما يقابل الممثل به، وإنما ورد على صيغة الاستفهام الإنكاري الذي بمعنى النفي، فإذا لم يكن لهم مما ملكت أيمانهم شركاء، فليعيدوا النظر فيمن جعلوهم شركاء لله وهم عبيد له.

والمضروب لهم المثل هم المشركون.

قال ابن جرير-رحمه الله-:((وهذا مَثَل ضربه الله تعالى ذكره للمشركين ب الله))[2]، وقال ابن القيم-رحمه الله-:((وهذا دليل قياس احتج الله سبحانه به على المشركين حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء))[3].

فالمستقر في فطر الناس وطبائعهم أن السيد لا يشاركه عبده في ما يملك ، والمشركون يقرون بذلك ولكنهم جعلوا له من عباده شركاء، فضرب لهم سبحانه هذا المثل لينبه عقولهم إلى عدم الفارق بين ما لا يرضونه لأنفسهم، وما يرضونه لربهم جل في علاه.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((وهو سبحانه منزه عن النقائص والعيوب، ولهذا يـ ـُنـ ـكـ ـِر على المشركين أنهم يصفونه بما هو عندهم عيب ونقص لا يرضونه لأنفسهم، مثل كون مملوك أحدهم شريكه يساويه فإن هذا من النقائص والعيوب التي ينزهون أنفسهم عنها ويعيبون ذلك على من فعله من الناس فإذا كان هذا عيبا ً ونقصا ً لا يرضاه الخلق لأنفسهم لمنافاته الحكمة والعدل، فإن الحكمة والعدل تقتضي وضع كل شيء موضعه الذي يليق به ويصلح به فلا تكون العين كالر ِجل، ولا الإمام الذي يؤتم به في الدين والدنيا في آخر المراتب، والسفلة من أتباعه في أعلى المراتب، فكذلك المالك لا يكون مملوكه مساويا ً له فإن ذلك يناقض كون أحدهما مالكا ً وا لآخر مملوكا ً، ولهذا جاءت الشريعة بأن المرأة لا تتزوج عبدها لتناقض الأ حكام، فان الزوج سيد المرأة وحاكم عليها، والمالك سيد المملوك وحاكم عليه، فإذا جعل مملوكها زوجها الذي هو سيدها تناقضت الأحكام، **فهذا وأمثاله مما يبين أن هذه القضية مستقرة في فـ ـِطـ ـَر العقلاء**))[4].

(1) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (84/1).
(2) تفسير الطبري (142/14).
(3) إعلام الموقعين (159/1).
(4) النبوات (239-240).

Modifier avec WPS Office

وهذا المثل من الأمثال الجارية على قياس الأولى، فإذا كان المشركون لا يرضون أن يشاركهم مماليكهم فيما يملكون، فتنزه الرب عن ذلك من باب أولى ، وذلك من وجوه:

الأول: أن الله سبحانه له تمام الملك على جميع مخلوقاته، فهو القادر على إحيائهم وإماتتهم، ورزقهم ومنعهم، وسائر أحوالهم، بخلاف ملك العباد لبعضهم فهو ملك ناقص، فلا يملك الواحد منهم سوى منافع مملوكه دون حياته، بل لا يملك التعدي عليه ومنعه من حاجياته كالأكل والنوم وقضاء الحاجة[1].

الثاني: أن العباد لا يتصور زوال ملكه تبارك وتعالى عنهم طرفة عين، بخلا ف ملك الناس لبعضهم فإنه يزول بالبيع والعتق والهبة ونحوها.

الثالث: أن العبد المملوك يشبه سيده في الذات وكثير من الصفات، أما الله سبحانه فمنزه عن مشابهة أحد من خلقه في الذات أو في الصفات، قال تعالى:
ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﮊ [الشورى:١١].

الرابع: أن العبد المملوك يستطيع أن يتخلص من ملك سيده بالهرب، أما م الك الملك سبحانه فلا يقدر أحد عن الخروج عن عبوديته القهرية، وإن خرج عن العبودية الاختيارية.

فهذه الأمور وغيرها توجب أن لا يقاس الرب تعالى بخلقه قياساً تمثيلياً أو شمولياً، وإنما يجرى في حقه تبارك وتعالى القياس الأولوي، القائم على إثبات الحكم في ما قيس له لأنه أولى به من المقيس عليه، والله أعلم.

---

(1) انظر: درء التعارض (66/4).

Modifier avec WPS Office

المطلب الخامس

الفوائد العقَدية المستفادة من المثل

وفيه ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: دلالة المثل على حُجة عقلية تدل على إبطال الشرك.

الفائدة الثانية: دلالة المثل على قاعدة قياس الأولى.

الفائدة الثالثة: دلالة المثل على ضلال المشركين في تسويتهم بين المالك والمملوك.


Modifier avec WPS Office

الفائدة الأولى
دلالة المثل على حجة عقلية تدل على إبطال الشرك

اشتمل هذا المثل على حجة عقلية تدل على بطلان الشرك، وذلك أنه قد استقر في بدائه العقول أن مشاركة العبد المملوك لسيده في ملكه وما تحت يده من المال والمتاع أمر تنفر منه الطباع، وذلك لأن العبد بمنزلة المتاع يباع ويشترى، وما مَلك فهو لسيده، فكيف يصح أن يكون مشاركاً له وهو لا يملك نفسه أصلا ً.

والمشركون يعلمون أن من جعلوهم أوثاناً وأنداداً عبيدٌ لله.

قال ابن كثير-رحمه الله-:((هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به، العابدين معه غيره، الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له، ملك له، كما كانوا في تلبيتهم يقولون: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا ً هو لك، تملكه وما ملك))[1].

فما دام الواحد منهم يأنف من أن يشاركه عبده ومملوكه في ماله، فكيف يشركون به عبيده، وهذا على نحو قوله تعالى: ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮊ [النحل:٥٧- ٦٠]، قال ابن كثير-رحمه الله-:((ثم أخبر تعالى عنهم أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا، وجعلوها بنات الله، وعبدوها معه، فأخطئوا خطأ كبيرًا في كل مقام من هذه المقامات الثلاث، فنسبوا إليه تعالى أن له ولدا ً، ولا ولد له، ثم أعطوه أخس القسمين من الأولاد وهو البنات، وهم لا يرضونها لأنفسهم))[2]، فالواحد منهم يكره أن يولد له أنثى، وينفر من ذلك، ثم ينسب إلى ربه تعالى اتخاذ الإناث.

الفائدة الثانية
دلالة المثل على قاعدة قياس الأولى

سبق في الفصل الماضي بيان جواز ضرب الأمثال الجارية على قياس الأ ولى في حق الله تعالى، وفي هذه الفائدة أشير إلى أن هذا المثل من أدلة صحة ذلك القياس، لأن الله تعالى ضرب هذا النوع من القياس لذاته المقدسة.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((فإن الله سبحانه لا يماثله شيء من الموجودات في قياس التمثيل ولا أن يدخل في قياس شمول تتماثل أفراده، بل ما ثبت لغيره من الكمال الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه فهو أحق به، وما نزه عنه غيره من النقائص فهو أحق بالتنزيه منه، كما قال تعالى ﮋﮕ ﮖ ﮗ

(1) تفسير ابن كثير (432/3).
(2) نفس المصدر (574/2).

Modifier avec WPS Office

ﮕ ﮖ ﮗﮘ ﮙ ﮚ ﮛﮜ [النحل:٦٠] وقال تعالى: ﮋﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﮊ [الروم: ٢٨]))[1].

(1) مجموع الفتاوى (347/12).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثالثة
دلالة المثل على ضلال المشركين في تسويتهم بين المالك والمملوك

احتج الله على المشركين تسويتهم بينه وبين عبيده في الاستحقاق، وذلك أن المشركين عبدوه سبحانه وعبدوا معه غيره، وأحبوه وأحبوا غيره، كما قال تعالى: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮊ [البقرة:١٦٥].

وقد وصف الله المشركين بأنهم يعدلون به غيره، قال تعالى: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﮊ [الأنعام: ١]، أي:((يجعلون له عَدِيلا ً، فيعبدون الحجارة الموات ... يقال: عدلت هذا بهذا: إذا ساويته به))[1]، كما ذكر تعالى حسرة المشركين يوم القيامة على تسويتهم معبوداتهم برب العزة والجلال، قال تعالى: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮊ [الشعراء:٩٦- ٩٨]، وهذا إقرار منهم بالتسوية بينه تعالى وبين خلقه.

وهذه التسوية ليست تسوية مطلقة، وإنما هي تسوية في الاستحقاق، حيث أنهم لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق وترزق كالرب سبحانه، وإنما صرفوا لها العبادة التي هي محض حق الله عز وجل.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((فإن المشركين لم يكن أحد منهم يقول: إن العالم له خالقان، ولا إن الله معه إله يساويه في صفاته، هذا لم يقله أحد من المشركين، بل كانوا يقرون بأن خالق السموات والأرض واحد، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ [لقمان:٢٥] وقوله تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﮊ [المؤمنون:٨٤- ٨٩]، وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا ً هو لك، تملكه وما ملك، فقال تعالى: ﮋ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ، وكانوا يتخذون آلهتهم وسائط تقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم))[2].

(1) زاد المسير (2/3).
(2) اقتضاء الصراط المستقيم (ص442).

Modifier avec WPS Office

الفصل الخامس

ما ورد من الأَمْثَال في بيان شُؤم الشرك وسُوء عاقبته وحيرة أهله

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دراسة المثلين في قوله تعالى: ﮋ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﮊ [البقرة:٢٦٤].

وقوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ [البقرة: ٢٦٦].

المبحث الثاني: دراسة المثل في قوله تعالى: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ إلى قوله: ﮋ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﮊ [الكهف:32- ٤٤].

المبحث الثالث: دراسة المثل في قوله تعالى: ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ [الأنعام:٧١].

Modifier avec WPS Office

المبحث الأول

دراسة المثلين في قوله تعالى: ﮋ ۉ ۋ ۊ ې ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﮊ [البقرة:٢٦٤].

وقوله تعالى: ﮋ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮊ [البقرة: ٢٦٦].

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: السياق الذي ورد فيه المثلان.

المطلب الثاني: نوع المثـ لين والغرض الذي ضـ ُربا من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثـ ّل به والممثّل له في المثل الأول.

المطلب الرابع: صورة الممثـ ّل به والممثّل له في المثل الثاني.

المطلب الخامس: الفوائد العـ قَـ دية المستفادة من المثلين.

Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
السياق الذي ورد فيه المثلان

سبق الكلام على سياق هذين المثلين في الفصل الأول من الباب الأول[1]، عند الحديث على قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ... ﮊ وقوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ...ﮊ وخلاصة النظر في السياق ما يأتي:

أولاً: أن القضية التي يدور حولها السياق هي الحث على الإنفاق في سبيل الله، ففي بداية السياق قال تعالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮊ [البقرة:٢٥٤]، وفي نهاية السياق قال سبحانه: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﮊ [البقرة:٢٧٤]، وما بين آية البدء والختام من الآيات، كل آية منها تطرق جانباً من جوانب هذه القضية الهامة.

ثانياً: ورد في السياق التعريف بالله تعالى، بذكر بعضٍ من أسمائه وصفاته وعظيم قدرته، وذلك في آية الكرسي، والقصص التي بعدها، وهي قصة الذي حاج إبراهيم في ربه، وقصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، وقصة سؤال إبراهيم أن يريه الله كيف يحيي الموتى، واستجابته سبحانه له بإحياء الطير.

كما ورد التعريف به سبحانه في ختام أكثر الآيات، وفي ذلك تنبيهٌ للمنفق إلى إحسان العمل، لأنه يتعامل مع ربه وخالقه، وحضّاً له على طلب الخلف والأجر منه سبحانه.

ثالثاً: ورد في السياق التنبيه على أهم شرط لصحة الإنفاق وغيره من الطاعات، وهو الإسلام وانعقاد القلب على معنى الشهادتين، بالاستسلام لله وحده والكفر بالطاغوت، وذلك قوله تعالى: ﮋ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﮊ [البقرة:٢٥٦].

رابعاً: ذكر في السياق شدة الحاجة إلى ثواب النفقة يوم القيامة، إذ لا ينفع ذلك اليوم إلا الإيمان والعمل الصالح، والنفقة في سبيل الله من أعظم الأعمال نفعاً، في وقت يكون الإنسان فيه أشد حاجة.

ذُكر ذلك في أول السياق، وفي المثل في قوله تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ.. ﮊ [البقرة:٢٦٦]، وغيرها من الآيات.

خامساً: أبرز في السياق أثر الإخلاص في مضاعفة أجر النفقة، وذلك بأسلوب التمثيل، كما في قوله تعالى: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮊ [البقرة:٢٦١]، وقوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﮊ [البقرة:٢٦٥].

---

(1) (ص57-61).


Modifier avec WPS Office

سادساً: حذر السياق من الأمور المبطلة للنفقة، كالرياء والمن والأذى والإ نفاق من المال الخبيث، كما في قوله: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﮊ [البقرة: ٢٦٤] وقوله: ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮊ [البقرة:٢٦٧].

سابعاً: ذكر في السياق كثيراً من الكرامات التي يكرم الله بها المنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته على الوجه المشروع.

ثامناً: ذُكر في السياق كثير من أحكام النفقة وآدابها.

المطلب الثاني
نوع المثـ ـَلين والغرض الذي ضـ ـُربا من أجله

اشتملت الآيتان الكريمتان على مثَلَيْن من الأمثال المحذرة من الشرك:
الأول: تشبيه المرائي بعمله بمن بذر بذراً في تراب، وكان ذلك التراب على صفوان[1]، فأصابه مطر شديد أزاله عن الصفوان، فالصفوان بمثابة المانع الذي منع من الإنبات، والوابل[2] بمثابة الكاشف والمظهر لذلك المانع -كما سيأتي- وهذا التشبيه تشبيه مركب، كما أنه من تشبيه المعقول بالمحسوس، فالرياء أمر معنوي شبه بأشياء محسوسة مشاهدة بالعيان.
قال ابن عاشور-رحمه الله-: ((فالتشبيه تشبيه مركب ٌ معقول، بمركب ٍ محسوس))[3].
والثاني: تشبيه المبطل لنفقته -بالمن والأذى والرياء ونحوها-، برجل كانت له جنة حسنة، حوت أطايب الثمار، وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء، فأصابها إعصار يحمل ناراً فأحرق تلك الجنة ، وهذا التشبيه تشبيه مركب أيضاً، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس، فالحسرة التي تحصل لمن أبطل عمله ولم ينتفع به -وهي شيء معنوي-، مشبهة بأشياء حسية مشاهدة.
وسيأتي بيان ما تركب منه كلا المثلين، عند تحديد صورة الممثّل به و الممثّل له فيهما.
الغرض الذي من أجله ضُرب المثلان:
هذان المثلان مقابلان في المعنى للمثلين الواردين في الإخلاص وأثره في قبول النفقة ومضاعفتها، فالمثل الأول، مقابل لقوله تعالى:ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ...ﮊ الآية.
قال ابن القيم-رحمه الله-:((المنفق لغير الله هو في الظاهر عامل عملا ً يـ ـُر ـتـ ـّب عليه الأجر ويزكو له، كما تزكو الحبة التي إذا بذرت في التراب الطيب أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، ولكن وراء هذا الإنفاق مانع يمنع من نموه وزكائه، كما أن تحت التراب حجرا ً يمنع من نبات ما يبذر من الحب فيه، فلا ينبت ولا يخرج شيئا ً))[4].
فالغرض من ضرب هذا المثل بيان عدم قبول النفقة، وعدم انتفاع المنفق بها، لفقدانها شرط الصحة وهو الإخلاص، فإذا كان المخلص يتضاعف أجر نفقته إلى أضعاف كثيرة، فإن المرائي لا تقبل نفقته منه ولا تضاعف له، وهذا المعنى يجليه ما ختم به سبحانه الآية، وهو قوله: ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﮊ .

---

(1) الصفوان هو: الحجر الأملس. انظر: معجم مقاييس اللغة (292/3).
(2) الوابل هو: المطر الشديد. انظر: معجم مقاييس اللغة (82/6).
(3) التحرير والتنوير(49/2).
(4) طريق الهجرتين(ص545-546).

Modifier avec WPS Office

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-:((ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﮊ من أعمالهم التي اكتسبوها، لأنهم وضعوها في غير موضعها، وجعلوها لمخلوق مثلهم، لا يملك لهم ضررا ً ولا نفعا ً، وانصرفوا عن عبادة من تنفعهم عبادته، فصرف الله قلوبهم عن الهداية))[1].

وأما المثل الثاني، فهو مقابل لقوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ...ﮊ الآية[2]، فالمخلص أجره حاصل لا محالة، فالله لا يضيع أجر من أحسن عملا ً، فقد يكون أجره كاملا ً وقد ينقص، كالجنة التي سقيت بـ المطر، فإما أن تسقى بوابل فيصبح نماؤها كثيراً، أو تسقى بطل، فيقل النماء عن الأول، فالأجر حاصل لا محالة، ولن يخيب سعيه.

بخلاف من عمل لغير الله، أو أبطل عمله بشيء من مبطلات الأعمال، فإن حسرته وندامته وقت شدة حاجته وانقطاع عمله لا توصف.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((فهذا مثل ضربه الله سبحانه في الحسرة لسلب النعمة عند شدة الحاجة إليها، مع عظم قدرها ومنفعتها، والذي ذهبت عنه قد أصابه الكبر والضعف، فهو أحوج ما كان إلى نعمته، ومع هذا فله ذرية ضعفاء لا يقدرون على نفعه والقيام بمصالحة بل هم في عياله، فحاجته إلى نعمته حينئذ أشد ما كانت لضعفه وضعف ذريته))[3].

فظهر مما تقدم، أن المثل الأول وما قابله في بيان حصول الأجر للمخلص وتخلفه عن المرائي، وأن المثل الثاني وما قابله في بيان أن أجر المخلص حاصل وثابت لا يضيع منه شيء، بخلاف المرائي فإنه يفقد ثواب عمله أحوج ما يكون إليه.

(1) تفسير السعدي(ص115).
(2) انظر: المصدر نفسه.
(3) إعلام الموقعين (184/1-185).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
صورة الممثّل به والممثّل له في المثل الأول

أولاً: بيان صورة الممثّل به.

ورد ذكر الممثل به في الآية في قوله تعالى: ﮋ ﮱ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ی ﮊ، وقد اختلف المفسرون -رحمهم الله- في هذه الآية، هل تشتمل على تشبيه واحد، أو أكثر؟ على ثلاثة أقوال[1]:

1. أن الآية مشتملة على تشبيهين لمشبه واحد، وهو المَانُّ والمؤذي، شبهه مرة بالمرائي، ومرة بالصفوان الذي عليه تراب.
2. أن الآية مشتملة على تشبيهين لمشبهين، الأول: تشبيه المَانّ والمؤذي بالمرائي، والثاني: تشبيه المرائي بالصفوان.
3. أن الآية متضمنة لثلاث تشبيهات، الأول: تشبيه المَانّ المؤذي بالمرائي ، والثاني: تشبيه المرائي بالصفوان، والثالث: تشبيه المَانّ والمؤذي بالصفوان، وذلك لأن المَانّ والمؤذي مشبهان بالمرائي، والمرائي قد شبه بالصفوان، فالذي ينطبق على المرائي ينطبق على المَانّ والمؤذي لأنهما مشبهان به.

والذي يظهر أن الضمير في قوله تعالى: ﮋ ئۈ ئۈ ئې ﮊ عائد على المرائي، وذلك لكونه أقرب مذكور، ولأن الضمير جاء بصيغة الإفراد بدل التثنية أو الجمع[2]، وهذا لا يمنع أن يكون المثل الذي ينطبق على المرائي ينطبق على المانّ والمؤذي، وعليه فيكون المثل مشتمل على تشبيهين لمشبهين.

فالتشبيه الأول: تشبيه المَانّ والمؤذي بالمرائي.

والتشبيه الثاني: تشبيه المرائي بالصفوان الذي عليه تراب... إلى آخر التشبيه.

أما المشبه به في التشبيه الأول: فهو المرائي،والمرائي هو: الذي يفعل الشيء ليراه الناس[3]، وفي الشرع: الذي يتعبد في الملأ دون الخلوة ليرى[4].

قال ابن كثير-رحمه الله-: ((أي: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كما تبطل صدقة من راءى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدح الناس له، أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس، أو يقال: إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء

---

(1) انظر: تفسير البحر المحيط (321/2)، والتحرير والتنوير (48/2).
(2) انظر: تفسير البحر المحيط (321/2).
(3) انظر: معجم مقاييس اللغة (473/2).
(4) انظر: فتح الباري (594/1).

Modifier avec WPS Office

مرضاته وجزيل ثوابه))[1].

وأما المشبه به في التشبيه الثاني: فهو ما دل عليه قوله تعالى: ﮋ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ.

وهذا المشبه به مركب من خمسة أجزاء:

1. البذرة الطيبة.
2. الشخص الذي غرس تلك البذرة.
3. التربة التي غرست فيها تلك البذرة.
4. المانع من نبات البذرة في التراب وهو الصفوان.
5. الذي كشف عن وجود ذلك المانع وهو الوابل.

فالصفوان والتراب الذي عليه والوابل ورد بها النص، وأما تقدير وجود بذرة فيفهم من صورة التشبيه، ومن طبيعة الأمثال الثلاثة الواردة في الإنفاق ، فقد ورد فيها جميعاً التشبيه بالنبات كناية عن النفقة، ففي المثل الأول وهو قوله تعالى: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ...ﮊ ، شبهت النفقة بحبة أنبتت سبع سنابل.

وفي المثل الثاني في قوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ...ﮊ، شبهت النفقة بجنة على ربوة.

وفي المثل الثالث، في قوله: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ... ﮊ، شبه زوال أجر النفقة باحتراق الجنة.

فناسب في هذا المثل تقدير البذرة كناية عن النفقة، خاصة وأن هذا المثل في مقابل مثل السنبلة.

وأما دلالة صورة التشبيه، فإن الله سبحانه قد ضرب للمرائي مثلاً بتراب على صفوان، وأن ذلك التراب جاءه وابل فأزاله عن الصفوان، فاجتماع وابل وتراب يقوي أن المراد وجود نبات، الأصل فيه أن ينبت في ذلك التراب ويسقى بذلك الوابل لولا وجود المانع وهو الصفوان.

قال ابن عاشور-رحمه الله-: ((مُثِّل حال الكافر الذي ينفق ماله رئاء الناس، بحال صفوان عليه تراب يُغَشِّيه، يعني: يَخاله الناظر تربة كريمة صالحة للبذر، **فتقدير الكلام: عليه تراب صالحٌ للزرع، فحذفت صفة التراب إيجازاً، اعتماداً على أنّ التراب الذي يرقب الناس أن يصيبه الوابل، هو التراب الذي يبذرون فيه**، فإذا زرعه الزارع وأصابه وابل وطمع الزارع في زكاء زرعه، جرفه الماء من وجه الصفوان، فلم يترك منه شيئاً، وبقي مكانه صلداً أملس، فخاب أمل زارعه))[2].

وقد ذهب بعض المفسرين إلى عدم اعتبار ذلك، وأن المثل مركب من ثلا

---

(1) تفسير ابن كثير (319/1).
(2) التحرير والتنوير (48/2).

Modifier avec WPS Office

اثة أجزاء[1]:

1. الصفوان.
2. التراب الذي على الصفوان.
3. الوابل.

فالصفوان يقابل قلب المرائي لقسوته وشدة إعراضه عن الحق، والتراب يقابل العمل الذي عمله لغير الله، والوابل يقابل المانع الذي أبطل ذلك العمل.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((وهذا من أبلغ الأمثال وأحسنها، فإنه يتضمن تشبيه قلب هذا المنفق المرائي الذي لم يصدر إنفاقه عن إيمان بالله واليوم ا لآخر بالحجر لشدته وصلابته وعدم الانتفاع به، وتضمن تشبيه ما علق به من أثر الصدقة بالغبار الذي علق بذلك الحجر، والوابل الذي أزال ذلك التراب عن الحجر فأذهبه بالمانع الذي أبطل صدقته وأزالها كما يذهب الوابل التراب الذي على الحجر، فيتركه صلداً فلا يقدر المنفق على شيء من ثوابه لبطلانه وزواله))[2] ثم ذكر-رحمه الله- التوجيه الثاني للمثل.

وهذا التفسير لأجزاء المثل لا ينطبق على المرائي، وإنما ينطبق على المانّ والمؤذي، وذلك لأن الوابل على هذا التفسير -وهو المانع من قبول النفقة- جُعل وارداً عليها بعد وجودها وثباتها، ولم يكن موجوداً حين وُجدت النفقة، وهذا ينطبق على المَانّ والمؤذي، فإن أعمالهم كانت مقبولة عند الله، وجاء ذلك المن أو الأذى فأبطلها، وهذا التوجيه للمثل رَجّحه المعتزلة بناء على مذهبهم في الإحباط والتكفير[3]، وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة في الفوائد - إن شاء الله-.

والكلام عن أجزاء المثل سيكون بناءً على التوجيه الأول لظهور قوته ورجحانه[4].

فالبذرة الطيبة قد غرست في تربة صالحة للزراعة، فلو كانت البذرة غير طيبة أو الأرض غير صالحة لما نبتت البذرة ولو لم يوجد المانع، ثم إن تلك التربة سقيت بوابل من المطر، وهذا المطر من طبيعتة أن ينبت لكثرته وغزارته، ولكن مَنع من الإنبات مانع، هو ذلك الصفوان الذي تحت التراب، فبد لا ً من أن يكون الوابل سبباً لنبات تلك البذرة، أدى إلى إزالتها والتراب التي هي فيه عن ذلك الحجر، فصار ذلك الحجر صلداً أملساً ليس عليه من آثار

---

(1) انظر: تفسير الطبري (66/3)، وتفسير ابن كثير (319/1).
(2) طريق الهجرتين (ص545).
(3) ((الفرق بين الإحباط والتكفير: أن الإحباط هو إبطال عمل البر من الحسنات بالسيئات... والتكفير إبطال السيئات بالحسنات)) انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ص22).
(4) التحرير والتنوير (49/2).

Modifier avec WPS Office

التراب شيء[1].

ثانياً: بيان صورة الممثّل له:

ورد ذكر الممثّل له في قوله تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﮊ، فالمرائي ممثّل به وممثّل له، أما كونه ممثّلاً به، فقد مُثِّل به المَانُّ والمؤذي، وأما كونه ممثّلاً له، فقد مُثِّل له بالصفوان، فالممثّل لهما في الآية أمران:

الأول: المانُّ والمؤذي، فالمَنُّ هو: ذكر النعمة على سبيل التعديد بها، و الفخر على من أُنْعِم عليه، والمَنّان من أَبْنِيَة المبالغة، وهو الذي لا يعطي شيئاً إلا مَنّ به، واعتد به على من أعطاه[2].

أما تسمية الله تعالى نفسه بالمنان، فلا يدخل في هذا.

قال ابن الجوزي-رحمه الله-: ((فان قيل: كيف مدحهم بترك المَنّ، ووصف نفسه بالمنان؟ فالجواب أنه يقال: مَنَّ فلان على فلان إذا أنعم عليه، فهذا الممدوح، قال الشاعر:

فَمَنِّي عَلَيْنَا بِالسَّلَامِ فَإِنَّمَا كَلَامُكِ يَاقُوتٌ وَدُرٌّ مُنَظَّمُ

أراد بالمَنِّ: الإنعام، وأما الوجه المذموم فهو أن يقال: مَنَّ فلان علي فلان، إذا استعظم ما أعطاه وافتخر بذلك))[3].

وقد بين ابن القيم-رحمه الله- أن المَنّ نوعان:((**أحدهما:** مَنٌّ بقلبه من غير أن يُصرح به بلسانه، وهذا إن لم يبطل الصدقة فهو من نقصان شهود مِنّة الله عليه في إعطائه المال وحرمان غيره، وتوفيقه للبذل ومَنْع غيره منه، فلله المِنّة عليه من كل وجه، فكيف يشهد قلبه مِنَّةً لغيره.

والنوع الثاني: أن يَمُنّ عليه بلسانه، فيعتدي على من أحسن إليه بإحسانه، ويريه أنه اصطنعه وأنه أوجب عليه حقاً، وطَوّقَهُ مِنّةً في عنقه، فيقول: أما أعطيتك كذا وكذا، ويعدد أياديه عنده))[4]

والأذى هو: إلحاق أي نوع من أنواع الضرر بالمُنْفَق عليه، فمن الأذى:((أن يَسُبّ المُعْطَى، أو يشتكي منه، أو يقول: ما أشد إلحاحك، و خَلّصَنا الله منك، و أنت أبداً تجيئني، أو يكلفه الاعتراف بما أَسْدَى إليه، وقيل: الأذى أن يذكر إنفاقه عليه عند من لا يُحِب وُقُو

(1) انظر: تفسير البحر المحيط (321/2).
(2) انظر: لسان العرب (418/13).
(3) زاد المسير (317/1).
(4) طريق الهجرتين (541).

Modifier avec WPS Office

َفه عليه))[1].

والمن نوع من الأذى، وإنما أفرد بالذكر لكثرة وقوعه من المتصدق[2].

أما الممثل له الثاني: فهو المرائي.

والممثل له مركب من خمسة أجزاء، تقابل أجزاء الممثل به التي سبق ذكرها، وهذه الأجزاء هي:

1. النفقة من مال طيب، وهذا يقابل البذرة الطيبة.
2. المنفق لذلك المال، وهو يقابل الذي زرع البذرة.
3. وضع المال في مستحقيه، وهذا يقابل زرع البذرة في التربة الصالحة.
4. النية الفاسدة التي منعت من قبول النفقة، وهي تقابل الصفوان.
5. انكشاف تلك النية الفاسدة يوم القيامة، وهذا يقابل الوابل.

فالمرائي صورة عمله صحيحة، فقد أخرج مالا ً طيباً، إذ لو كان خبيثاً لبطلت صدقته ولو لم يكن مرائياً، كما أنه قد وضع ذلك المال في مستحقيه وهم الأصناف الثمانية الوارد ذكرهم في قوله تعالى: ﮋ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﮊ[التوبة:٦٠]،وهذا يقابل غرس الحبة في الأرض الطيبة، فكما أن الأرض الطيبة سببٌ لحصول الإنبات، فكذلك وضع الصدقة في أهلها سببٌ لحصول الأجر والثواب.

ولكن النتيجة جاءت مخالفة للمنتظر والمتوقع، فلم تنبت الحبة، ولم تقبل الصدقة، وذلك لوجود مانع يمنع من ذلك وهو الرياء، ولكونه عملا ً قلبياً خفياً، لم يظهر للناس وقد لا يظهر للمرائي أنه منع من قبول نفقته، فالصورة الظاهرية لعمل ذلك المنفق هي القبول، لاستيفاء النفقة في الظاهر شروط الصحة.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((المنفق لغير الله هو في الظاهر عامل ٌ عملا ً يـ ُر َتـ ّب عليه الأجر ويزكو له، كما تزكو الحبة التي إذا بذرت في التراب الطيب أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، ولكن وراء هذا الإ نفاق مانع يمنع من نموه وزكائه، كما أن تحت التراب حجرا ً يمنع من نبات ما يبذر من الحب فيه، فلا ينبت ولا يخرج شيئا ً))[3].

ولا يظهر بطلان عمله وعدم قبوله إلا يوم القيامة، فإن من مظاهر ذلك اليوم انكشاف ما في القلوب، قال تعالى: ﮋ ﭸ ﭹ ﭺ ﮊ[الطارق:٩].

قال ابن كثير-رحمه الله-:((أي: يوم القيامة، تبلى فيه السرائر، أي: تظهر

---

(1) تفسير البحر المحيط (319/2).
(2) انظر: نفس المصدر.
(3) طريق الهجرتين(545-546).

Modifier avec WPS Office

وتبدو، ويبقى السر علانية، والمكنون مشهورا ً))[1]، فكما أن المانع من الإنبات بقي خفياً حتى جاء ذلك الوابل فكشفه وأظهره، فكذلك الرياء يبقى خفياً في نفس صاحبه حتى يأتي اليوم الذي يكشف فيه عن ما في قلبه، فيظهر عندئذ عدم انتفاعه من نفقته بشيء لوجود ذلك المانع وهو الرياء.

قال أبو حيان-رحمه الله-:((ضَ رَ بَ الله لهذا المنافق المرائي، أو الكافر المباهي، المَ ثَ لَ بصفوان عليه تراب، يظنه الظان أرضاً منبتة طيبة، فإذا أصابه وابل من المطر أذهب عنه التراب، فيبقى صلداً منكشفاً، وأخلف ما ظنه الظان، كذلك هذا المنافق يِ رَى الناس أن له أعمالا ً كما يُرى التراب على هذا الصفوان، فإذا كان يوم القيامة اضمحلت وبطلت ، كما أذهب الوابل ما كان على الصفوان من التراب))[2].

وقد اختلف المفسرون -رحمهم الله- في توجيه قوله تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ بعد قوله: ﮋ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ فمنهم من ذهب إلى أنها في المنافق الذي يخفي كفره، ويتصدق مراءاةً للناس، ومنهم من ذهب إلى أنها في الكافر المجاهر الذي لا يريد بإنفاقه إلا الثناء والمدح[3].

ويظهر من كلام ابن كثير -رحمه الله- أنها تعم الذي يرائي بنفقته، سواءً كان مسلماً أو منافقاً، وأن معنى قوله: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ أي: لا يعمل تلك الأعمال راجياً ثواب الله وما أعده للمنفق يوم القيامة، حيث قال: ((أي: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كما تبطل صدقة من راءى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدح الناس له، أو شهرته بالصفات الجميلة، ليِ شُ كَ رَ بين الناس، أو يقال: إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه، ولهذا قال: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ))[4].

وقال الآلوسي-رحمه الله-:((والمراد من الموصول ما يشمل المؤمن والكافر كما قيل، وغالب المفسرين على أن المراد به المنافق))[5].

أما القول بأنه الكافر فضعيف، وذلك لأن الكافر كفره ظاهر للناس، فبطلان عمله لا يحتاج إلى شيء يظهره ويُجَليه، أما المنافق الكافر أو المؤمن المرائي فبطلان عمله خفي غير ظاهر، فيحتاج إلى شيء يُبَيّنُه، والمثل إنما ضُرب لمن يَخْفَى بطلان عمله لوجود مانع خفي.

وبناء على ذلك فالذي يظهر أن المثل ينطبق على المرائي سواءً كان

---

(1) تفسير ابن كثير (499/4).
(2) تفسير البحر المحيط (321/2).
(3) انظر: نفس المصدر (321/2).
(4) تفسير ابن كثير (319/1).
(5) روح المعاني (35/3).

Modifier avec WPS Office

مؤمناً أو منافقاً.

وفائدة الخلاف تظهر عند بيان ما يقابل الصفوان، فإذا كان الذي يقابله النفاق، أصبح المانع من قبول العمل ما قام في قلب المنافق من الكفر، وتكون نفقته فيما يبدو للناس مقبولة، ويوم القيامة يظهر أنه لم يقبل له عمل لكفره ونفاقه، وأن تلك الأعمال إنما كانت تعمل رياءً، كما قال تعالى عن المنافقين: ﮋ ﭽ ﭼ ﭻ ﭺ ﭹ ﭸ ﭷ ﮊ [النساء:١٤٢].

وإذا كان ذلك المرائي مسلماً، فإن ما يقابل الصفوان هو الرياء الذي منع من قبول العمل، فالمثل يدل على إبطال العمل بالرياء، سواءٌ كان معه نفاق أو لم يكن.

المطلب الرابع
صورة الممثّل به والممثّل له في المَثَل الثاني

أولاً: بيان صورة الممثّل به.

ورد ذكر الممثل به في الآية في قوله تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ[البقرة:٢٦٦]، وهذا التشبيه مركب من أربعة أجزاء:

1. الجنة الطيبة.
2. شدة حاجة صاحب الجنة لجنته.
3. احتراق الجنة بالإعصار الناري الذي أتى على جميع ما فيها.
4. حال ذلك الرجل بعد هلاك جنته.

وإلى توضيح هذه الأجزاء الأربعة:

فالجزء الأول: تلك الجنة العظيمة التي احتوت على أصناف الأشجار وأطايب الثمار، وقد وصفت هذه الجنة بعدة أوصاف:

الأول: أنها من نخيل وأعناب، وهذا يدل على أنها من أحسن البساتين، لأن النخل والعنب من أطيب الأشجار وأكثرها منافع، ولذلك خُصّا بالذكر، وجعلت الجنة منهما[1].

الثاني: أن الأنهار تجري من تحتها، وهذا مما يزيد في أهميتها وحسنها، وذلك لأن الماء قريب منها، جارياً بين أشجارها وزروعها[2].

الثالث:أنها مشتملة على كثير من أصناف الثمر، إضافة إلى العنب والتمر، وهذا يدل على أنها ليست مقتصرة على النخل والعنب، بل الأشجار فيها متنوعة، وهذا يزيدها كمالاً وجمالاً على ما هي عليه. فهذه الجنة بهذه الأوصاف أفضل وأكمل ما تكون الجنان والبساتين[3].

أما الجزء الثاني: فهو بيان شدة حاجته لتلك الجنة، وقوة تعلقه بها، وذلك من جهتين:

الأولى: كبر سنه، وضعفه عن التكسب، وعن العمل على إصلاح ما ذهب منه، إذا حصل للجنة شيء من الجوائح والآفات، وقد ورد التعبير عن ذلك في الآية بقوله: ﮋ ﭽ ﭾ ﮊ بمعنى: أن الكبر قد أثر فيه، وبلغ به الضعف غايته[4].

الثانية: صغر الذرية، وضعفهم عن التكسب، فلا يقدرون على نفعه بعد ذهاب جنته، ولا يقدرون إصلاح ما فسد منها وإعادته إلى ما كان عليه.

وقد صور ابن القيم -رحمه الله- أوجه الضعف الذي عليه ذلك الرجل

(1) انظر: تفسير البحر المحيط (326/2).
(2) انظر: تفسير ابن كثير (63/1).
(3) انظر: التفسير الكبير (52/7).
(4) انظر:روح المعاني (37/3).

Modifier avec WPS Office

وذريته، فقال: ((قال تعالى: ﮋ ﭺ ﭻ ﮊ هذا إشارة إلى شدة حاجته إلى جنته، وتعلق قلبه بها من وجوه:

أحدها: أنه قد كبر سنه عن الكسب والتجارة ونحوها.

الثاني: أن ابن آدم عند كبر سنه يشتد حرصه.

الثالث: أن له ذرية، فهو حريص على بقاء جنته لحاجته وحاجة ذريته.

الرابع: أنهم ضعفاء فهم كل ٌ عليه، لا ينفعونه بقوتهم وتصرفهم.

الخامس: أن نفقتهم عليه لضعفهم وعجزهم.

وهذا نهاية ما يكون من تعلق القلب بهذه الجنة، لخطرها في نفسها، وشدة حاجته وذريته إليها))[1].

الجزء الثالث: هلاك تلك الجنة، حيث سلط الله عليها إعصاراً فيه نار، فاحترقت، وهذا إشارة إلى شدة ذلك الهلاك، وأنه لم يبق من الجنة شيء ينتفع به، فلو كان الذي سُلط عليها إعصار شديد من دون نار، لأدى إلى إفساد كثير من الأشجار والزروع، لكن قد يبقى ما يمكن الانتفاع به، بخلاف الإعصار الناري فإنه يأتي على جميع ما في الجنة فيهلكه ويقضي عليه.

والإعصار في لغة العرب، يطلق على:((الرياح التي تهب من الأرض، وتثير الغبار فترتفع كالعمود إلى نحو السماء، وهي التي تسميها الناس الزوبعة، وهي ريح شديدة لا يقال لها إعصار حتى تهب كذلك بشدة))[2].

أما الإعصار الناري فقد فسره ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، وتبعهما على ذلك عامة المفسرين، بالريح التي فيها سموم شديدة[3]، وفسروا ا لإحراق بكل ما أهلك النبات من حر وبرد ونحوه، جاء في لسان العرب:((الحريق ما أحرق النبات، من حر أو برد أو ريح أو غير ذلك من الآ فات... وفي التنزيل: ﮋﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮊ))[4].

ولم أجد من ذكر أنه إعصار يحمل ناراً حقيقية، وتؤدي إلى إحراق حقيقي للنبات، سوى إشارة من ابن القيم-رحمه الله- حيث قال:((...فكيف تكون مصيبة هذا الرجل، إذا أصاب جنته إعصار، وهي الريح التي تستدير في الأرض ثم ترتفع في طبقات الجو كالعمود، وفيه نار مرت بتلك الجنة فأحرقتها وصيرتها رماداً))[5].

وإذا نظرنا في التعبير القرآني، نجد أن الله سبحانه ذكر لفظين دالين على إرادة المعنى الحقيقي للإحراق بالنار، وهما في قوله: ﮋﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮊ ، فلو

---

(1) طريق الهجرتين(ص550).
(2) لسان العرب (578/4).
(3) انظر: الدر المنثور (49/2).
(4) لسان العرب (43/10).
(5) طريق الهجرتين (ص550).

Modifier avec WPS Office

اقتصر الخطاب على ذكر الإعصار وأنه أدى إلى الاحتراق، لأمكن تأويله بما ذكره المفسرون، ولكن ورد التصريح باشتماله على النار، وأنها كانت سبباً في ا لإحراق، يضعف القول بذلك التأويل لصراحة اللفظ القرآني، وانعدام القرينة الصارفة إلى القول بخلافه.

التفسير العلمي لظاهرة الأعاصير:

ورد في موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة:((الإعصار رياح شديدة دوارة، وسطها منخفض الضغط، وقد تمتد أطرافها لتصل إلى 800 كيلومتر، ويصل ارتفاعها إلى 16 كيلومتر، وقد تجمع عدة سحب رعدية ممطرة))[1].

والأعاصير تختلف آثارها المدمرة تبعاً لاختلاف قوتها وضعفها، وباختلاف المناطق التي تمر بها، فكلما قربت من المناطق السكنية كلما كانت بالغة الأثر، والعالم يشهد بين الحين والآخر أعاصير شديدة التدمير، وقد تؤدي تلك الأ عاصير إلى فيضانات إذا كانت تمر عبر المحيطات والبحار.

وقد أثبت العلم الحديث، أن من الأعاصير ما تتسبب في حرائق للغابات وا لأشجار، وذلك إذا صاحبها برق ورعد، بحيث تُصدر صواعق تشعل النار، ورد في موسوعة الإعجاز العلمي: ((والأعاصير الرعدية من أشد الأعاصير قوة، ويصاحبها برق ورعد، لأن السحب المشحونة كهربياً تدخل في تكوينها وقد تصدر تلك الأعاصير صواعق، تزيد من شدة المأساة بإشعال الحرائق ومضاعفة الدمار، وتتفق تلك المعرفة الحديثة مع قوله تعالى:ﮋ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈﮊ))[2].

فالإعصار يحمل معه سبب النار، وهي السحب الرعدية التي تكون مشحونة بالكهرباء، وهذه السحب تُصدر صواعق تؤدي إلى إشعال النار في الغابات والمزارع التي يمر بها الإعصار، فيكون التدمير الواقع على تلك الأماكن من جهتين: الإعصار القوي الذي يدمر كل ما يمر به، والنار التي يحملها الإ عصار فتسبب الحرائق الهائلة.

الجزء الرابع: حال ذلك الرجل بعد أن ذهبت جنته، وهو في تلك الحال من العجز وضعف الذرية، فحاله قريب مما قال سبحانه:ﮋﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣﮊ[الكهف:٤٢] ، فهو في أعظم حالات الإياس والحسرة والندم.

ثانياً: بيان صورة الممثّل له.

لم يرد في الآية ما يدل على الممثل له، ولكن لظهور المقصود من خلال السياق، والغرض من التمثيل، اقتُصِرَ على ذكر الممثل به فقط.

---

(1) موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة:
http://www.55a.net/firas/arabic/print_details.php?page=show_det&id=1314

(2) المرجع السابق.

Modifier avec WPS Office

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: ((وبعض المواضع يذكر سبحانه الأصل المعتبر به ليستفاد حكم الفرع منه، من غير تصريح بذكر الفرع، كقوله:ﮋﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮊ إلى قوله: ﮋﮰﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗﮊفإن هذا يحتاج إلى تفكر))[1].

وصورة التشبيه دالة على أن المراد به شخص عمل عملا ً فأبطله، وهذا هو الذي فسره به عمر بن الخطاب ، فقد قال يوما ً لأصحاب النبي : فيم ترون هذه الآية نزلت:ﮋﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈﮊ؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلا ً لعمل، قال عمر: أي عمل، قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله))[2].

فالمثل عام في كل مبطلات الأعمال، ويدخل فيها دخولا ً أولياً: ما سبق التحذير منه في السياق، وهو المن والأذى والرياء، أما المن والأذى فانطباق المثل عليهما ظاهر، وذلك أن المتصدق قبل أن يتبع نفقته بهما قد قبلت الصدقة منه، ثم جاء ذلك المبطل فأبطلها، فيكون المبطل ورد على النفقة بعد أن وُجِدَت وثبتت في ميزان حسنات عاملها، كما أن الإعصار الناري ورد على جنة عامرة فأحرقها.

ولكن الإشكال يرد في إدخال الرياء ضمن هذا التشبيه، فإن الرياء مانع من قبول النفقة أصلا ً، وذلك لافتقاره لشرط الصحة وهو الإخلاص، ولهذا حمل كثير من المفسرين المثل على غير المرائي.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((وتأمل كيف ضرب سبحانه المثل للمنفق المرائي، الذي لم يصدر إنفاقه عن الإيمان، بالصفوان الذي عليه التراب، فإنه لم ينبت شيئا أصلا ً، بل ذهب بذره ضائعا ً، لعدم إيمانه وإخلاصه، ثم ضرب المثل لمن عمل بطاعة الله مخلصا ً بنيته لله، ثم عرض له ما أبطل ثوابه، بالجنة التي هي من أحس الجنان وأطيبها وأزهرها، ثم سلط عليها الإعصار الناري فأحرقها، فإن هذا نبت له شيء، وأثمر له عمله، ثم احترق، والأول لم يحصل له شيء يدركه الحريق))[3]، وظاهر من كلامه -رحمه الله- اعتبار التفريق بين التشبيهين، من هذا الوجه.

ولكن الإمام ابن جرير -رحمه الله- وبعض المفسرين، رأوا أن المرائي داخل في هذا التشبيه[4]، وذلك لعدة اعتبارات:

---

(1) مجموع الفتاوى (57/14).
(2) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﮋﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮊ حديث (4538).
(3) طريق الهجرتين (551-552).
(4) انظر: تفسير الطبري (74/3)، وتفسير البغوي (253/1).

Modifier avec WPS Office

الأول: أن هذا التشبيه من تشبيه المعقول بالمحسوس؛ فالمرائي عمله حسن طيب، لأنه بذل للمال في وجوه الخير، فهو وغيره ممن اطلعوا على نفقته يظنون أنها قد قُبلت وترتب عليها الأجر والثواب، كما قال تعالى: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮊ [الكهف:١٠٣- ١٠٤]، فهو مشابه لصاحب الجنة بما ظنه وتوهمه، ولا فرق في النتيجة مؤثر بين من كان له عمل حقيقي وأبطله، وبين من كان يظن أن له عمل وهو ليس له عمل، إذ كلٌ منهما يظن أن له عمل صالح سيلقى جزاءه في الآخرة.

الثاني: أن الغرض من التشبيه: بيان الخسارة والحرمان لذلك المنفق أحوج ما يكون لأجر نفقته، ولا شك أن المرائي يحصل له ذلك، إذا كان لا يعلم بفساد نيته، فالرياء قد يكون خفياً لا يعلم به الإنسان، كما قال عليه الصلاة و السلام:((أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر))، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال:((الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء))[1].

الثالث: ما أشار إليه الإمام الطبري من أنه قد يحصل له منفعة دنيوية من جراء نفقته، فينال المحمدة والثناء الحسن، وهذا يقابل الثمر الذي كان يناله صاحب الجنة منها.

فهذه الاعتبارات وغيرها تؤيد شمولية التشبيه للمرائي وغيره.

أجزاء الممثل له:

الممثل له مركب من عدة أجزاء، كما هي الحال بالنسبة للممثل به، وهذه ا لأجزاء هي:

1. النفقة الطيبة، وهو يقابل الجنة الطيبة.
2. بيان شدة حاجة صاحب النفقة لأجرها وثوابها، وهو يقابل شدة حاجة صاحب الجنة لثمرها ومنافعها.
3. المبطل الذي حرمه من الثواب يوم القيامة، وهو يقابل الإعصار الذي أحرق الجنة.
4. تصوير حال الرجل بعد انعدام أجر نفقته، وهو يقابل حال صاحب الجنة بعد هلاكها.

فهذا الرجل قد عمل عملا صحيحاً، أو ظاهره الصحة، كما سبق أن مر معنا في المثل السابق، فإما أن يكون له عمل طيب مقبول، ينتظر الثواب عليه من الله، أو يكون ذلك فيما ظنه وتوهمه.

---

(1) أخرجه أحمد (428/5) حديث (23630)، والبغوي في شرح السنة (324/14)، والبيهقي في شعب الإيمان (333/5) حديث (6831)، وصححه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة (951).

Modifier avec WPS Office

ولكن هذا العمل قد اقترن به أو تبعه ما يبطله ويذهب أجره، وهذه المبطلات كثيرة، من أعظمها ما حذر الله منه في السياق، وهي المن والأذى والرياء والإنفاق من المال الخبيث، وهي تقابل الإعصار الذي أحرق الجنة.

فإذا كان يوم القيامة وأصبح في أشد الحاجة لأجر تلك النفقة، وذلك لانقطاعه عن دار العمل إلى دار الجزاء والحساب، فلا قدرة له على تدارك ما فات، كما قال تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﮊ [المنافقون:١٠]، إذا كان ذلك اليوم فوجئ بذلك المبطل قد أبطل جميع أعماله، فحاله يوم القيامة شبيه بحال صاحب الجنة من جهتين:

الأولى: أنه في أَمَسِّ الحاجة لأجر نفقته، وما قدّم من الأعمال الصالحة.

الثانية: عَجْزُه التام عن الرجوع إلى الدنيا، لكي يُعَوض ما فقد من أجور تلك الأعمال.

قال مجاهد -رحمه الله-: ((...**فمثله بعد موته كمثل هذا حين أُحرقت** جنته وهو كبير، لا يغني عنها شيئًا، وولده صغار لا يغنون عنها شيئًا، وكذلك المفرّط بعد الموت كل شيء عليه حسرة))[1].

وقال السُدِّي-رحمه الله-: ((...**فإذا كان يوم القيامة واحتاج إلى نفقته،** وجدها قد أحرقها الرياء، فذهبت كما أنفق هذا الرجل على جنته، حتى إذا بلغت وكثر عياله واحتاج إلى جنته جاءت ريح فيها سموم فأحرقت جنته، فلم يجد منها شيئًا، فكذلك المنفق رياءً))[2].

وقال ابن القيم-رحمه الله-: ((فإذا كان يوم استيفاء الأعمال وإحراز الأجور، وجد هذا العامل عمله قد أصابه ما أصاب صاحب هذه الجنة، فحسرته حينئذ أشد من حسرة هذا على جنته))[3].

أما عن حال ذلك الرجل بعد إفلاسه من الحسنات، فهي حال يعجز البيان عن وصفها، فهو بين ذهول بما رآه من ذهاب حسناته، وحسرة وتقطُّع قلب على فوات ما علّق أمله به، ويأس من الرجوع إلى الدنيا ليعمل صالحاً، قال تعالى مصوراً تلك الحال التي يمر بها العاصي يوم القيامة: ﮋ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﮊ [الزمر:٥٥- ٥٨].

---

(1) أخرجه الطبري في تفسيره (75/3)، وابن أبي حاتم في تفسيره (522/2) برقم (2771).

(2) أخرجه الطبري في تفسيره (75/3)، وابن أبي حاتم في تفسيره (2/ 523) برقم (2775).

(3) إعلام الموقعين (184/1).

Modifier avec WPS Office

المطلب الخامس

الفوائد العقدية المستفادة من المثلين

وفيه أربع فوائد:

الفائدة الأولى: دلالة المثلين على بطلان العمل بالرياء.

الفائدة الثانية: دلالة المثل الأول على أن الرياء من الأمور الخفية.

الفائدة الثالثة: دلالة المثلين على أن السيئات قد تبطل الحسنات.

الفائدة الرابعة: الرد على المعتزلة والأشاعرة في مسألة الإحباط والتكفير.

Modifier avec WPS Office

الفائدة الأولى
دلالة المثلين على إبطال العمل بالرياء

وهذه الفائدة مستفادة من قوله تعالى: ژ ۓ ﮪ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ژ، فالصفوان منع من إنبات الزرع، كالرياء منع من قبول النفقة، ومستفادة أيضاً من قوله تعالى: ژ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧژ حيث أحرق ذلك المبطل جميع ما توهم من أجور نفقته.

وكذلك الحال بالنسبة لجميع الأعمال، فإن الرياء يبطلها ويذهب أجره، وقد دل على ذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، منها:

قوله تعالى: ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ژ [هود:١٥- ١٦]، وقال سبحانه: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ژ [الإسراء:١٨]، وقال سبحانه: ژ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ژ [الشورى:٢٠].

قال ابن رجب-رحمه الله-:((والمعنى الثاني- من معاني النية- تمييز المقصود بالعمل، وهل هو لله وحده لا شريك له، أم لله وغيره، وهذه هي النية التي يتكلم فيها العارفون في كتبهم في كلامهم على الإخلاص وتوابعه، وهي التي توجد كثيراً في كلام السلف المتقدمين... **وقد جاء ذكرها كثيراً في كتاب الله عز وجل بغير لفظ النية أيضاً، من الألفاظ المقاربة لها**))[1].

وروى البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله يقول : ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه))[2].

وروى مسلم من حديث أبي هريرة قال: سمعت النبي يقول:((إن أول الناس يقضى يوم القيامة على رجل استشهد، فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء فقد قيل، ثم أُمِر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وسّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه

(1) جامع العلوم والحكم (ص11).
(2) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان ين-زل الوحي إلى رسول الله ، حديث (1)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله:((إنما الأعمال بالنية))، حديث (1907).

Modifier avec WPS Office

فعرفها، فقال: فما عملت فيها؟ فقال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد فقد قيل، ثم أ ُمر به فس ُحب على وجهه حتى ألقي في النار))[1].

فهذه الأدلة وغيرها تدل على بطلان الأعمال بالرياء، وأن العمل إذا صَاحَبه الرياء أبطله وأذهب أجره.

قال ابن القيم-رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﭽ ئي بج بح بخ بمبى بي تجتحتخ تمتى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح ﭼ [الكهف:١١٠]:((كما أنه إله واحد لا إله سواه، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده، فكما تفرد بالإلهية يجب أن يفرد بالعبودية، فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء، المقيد بالسنة، وكان من دعاء عمر بن الخطاب ((اللهم اجعل عملي كله صالحا ً، واجعله لوجهك خالصا ً، ولا تجعل لأحد فيه شيئا ً))[2].

وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجبا ً، فإنه ينزله منزلة من لم يعمله، فيعاقب على ترك الأمر، فإن الله سبحانه إنما أمر بعبادته عبادة خالصة، قال تعالى ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ [البينة:٥] فمن لم يخلص لله في عبادته، لم يفعل ما أمر به، بل الذي أتى به شيء غير المأمور به، فلا يصح ولا يقبل منه، ويقول الله تعالى:((أنا أغني الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملا ً أشرك معي فيه غيري، فهو للذي أشرك به، وأنا منه بريء))[3]))[4].

فهذا المثل يؤيد ما دلت عليه الأدلة من أن الرياء يبطل الأعمال الصالحة.

وللرياء مع الأعمال الصالحة، حالان[5]:

الحال الأولى: الرياء المحض، وهو أن لا يريد الإنسان بعمله إلا رؤية الناس وثناءهم، وهذا النوع لا شك في حبوطه، وبطلانه.

قال ابن رجب –رحمه الله-: ((...وهذا الرياء لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة والحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة التي يتعدى نفعها فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة))[6].

(1) كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، حديث (1905).
(2) أخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان، (261/4).
(3) تقدم تخريجه (ص234).
(4) الجواب الكافي (ص91).
(5) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، وعلاقتها بالأدلة الشرعية (ص267-269).
(6) جامع العلوم والحكم (ص14).

Modifier avec WPS Office

الحال الثانية: أن يكون العمل مختلطاً، وهو أن يعمل لله ولغيره، وهذا على أقسام:

1. ما شاركه الرياء من أصله، ((كمن يصلي بالأجرة، فهو لو لم يأخذ الأجرة صلى، ولكنه يصلي لله وللأجرة، وكمن يحج ليسقط الفرض عنه ويقال: فلان حج))[1].

قال ابن رجب–رحمه الله-:((فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه أيضاً وحبوطه))[2].

2. أن يكون العمل في أصله لله ثم يطرأ عليه إرادة غير الله، فهذا إن كان مجرد خاطر فدفعه لم يضرّه بغير خلاف، وإن استرسل معه، فإن كان العمل مرتبط أوله بآخره كالصلاة والصيام ففيه خلاف:

فمنهم من يرى بطلان العمل بذلك، ومنهم من يرى عدم بطلانه، وهو اختيار ابن القيم وابن رجب.

وأما إذا لم يكن بين أول العمل وآخرة ارتباط كالقراءة والذكر والصدقة، فإن أجره ينقطع بنية الرياء التي طرأت عليه، ويحتاج إلى تجديد نيته[3].

3. أن يكون العمل في أصله لغير الله ثم يعرض له قلب النية لله، ((فهذا لا يحتسب له بما مضى من العمل، ويحتسب له من حين قلب نيته، ثم إن كانت العبادة لا يصح آخرها إلا بصحة أولها وجبت الإعادة كالصلاة، وإلا لم تجب كمن أحرم لغير الله ثم قلب نيته لله عند الوقوف والطواف))[4].

والرياء إنما كان مبطلاً للأعمال لأنه يشتمل على منافاة الإخلاص، و الشرك في التوجه والقصد، وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي:((أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه))[5]، ويقول : ((إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه، نادى منادٍ: من كان أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك))[6].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله-رحمه الله-:((لما كان المرائي قاصداً بعمله الله تعالى وغيره، كان قد جعل الله تعالى شريكاً، فإذا كان كذلك فالله تعالى هو الغني على الإطلاق، والشركاء بل جميع الخلق فقراء إليه بكل اعتبار، فلا يليق بكرمه وغناه التام أن يقبل العمل الذي جعل له فيه شريك، فإن كماله

---

(1) إعلام الموقعين (182/2).
(2) جامع العلوم والحكم (14).
(3) انظر: المصدرين السابقين.
(4) إعلام الموقعين (182/2).
(5) تقدم تخريجه (ص246).
(6) تقدم تخريجه (ص246).

Modifier avec WPS Office

تبارك وتعالى وكرمه وغناه يوجب أن لا يقبل ذلك))[1].

وعن أبي سعيد [2] قال: خرج علينا رسول الله ونحن نتذاكر المسيح الدجال، فقال:((إلا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال))، قال: قلنا: بلى، فقال: ((الشرك الخفي: أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل))[3]، فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن الرياء من الشرك، ولهذا لا يقبل الله عملا ً أشرك فيه معه غيره.

ويسير الرياء من الشرك الأصغر، لأنه لا يكون من القلب انصراف تام عن عبادة الخالق جل في علاه، وإنما يميل القلب في بعض العبادة بسبب شهوة خفية، مع بقاء أصل التوجه والقصد لله وحده، وهذا لا يعنى عدم بطلان العبادة التي وقع فيها الرياء، ولكن لا يكون شركاً أكبر محبطاً لجميع الأعمال الصالحة، أما كثير الرياء فالذي عليه الجمهور أنه من الشرك الأصغر، ويظهر من كلام ابن القيم -رحمه الله- أن كثير الرياء من الشرك الأكبر المخرج من الملة[4].

---

(1) تيسير العزيز الحميد (446).

(2) هو أبو سعيد الخدري، واسمه سعد بن مالك بن سنان الأنصاري ، من أصحاب الشجرة، من فقهاء الصحابة، روى أحاديث كثيرة عن النبي ، وأفتى مدة، عاش 86 سنة، ومات سنة 74هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (171/3)، وتهذيب الكمال (294/10).

(3) أخرجه ابن ماجه حديث (4204)، وابن خزيمة (67/2) حديث (937)، والبيهقي في شعب الإيمان (144/3)، حديث (3141)، وحسنه الألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه.

(4) انظر: مدارج السالكين (344/1)، وتيسير العزيز الحميد (472).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثانية
دلالة المثل الأول على أن الرياء من الأمور الخفية

لما ضرب الله سبحانه المثل لبطلان العمل بالرياء، بصفوان عليه تراب...الخ، وقد مر معنا أن الصفوان يقابل المانع من قبول النفقة وهو الرياء، وأن ذلك المانع كان مغطًى بالتراب، مما يدل على خفائه وعدم ظهوره، فكذلك الحال بالنسبة للرياء، فهو أمر خفي غير ظاهر.

وقد سمّى النبي الرياء بالشرك الخفي، فقال عليه الصلاة والسلا م:((الشرك الخفي: أن يقوم الرجل يصلي، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل))[1].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:((سمي الرياء شركا خفيا ً، لأ ن صاحبه يظهر أن عمله لله، ويخفي في قلبه أنه لغيره، وإنما تزي ّن بإظهاره أنه لله، بخلاف الشرك الجلي))[2].

وقد يحصل الرياء من العبد وهو لا يعلم، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: ((اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل))، فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال:((قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا ً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه))[3].

وقد كان السلف -رحمهم الله- يخافون الرياء في أعمالهم ويتعاهدون نياتهم.

فعن سفيان الثوري[4] قال:((ما عالجت شيئا ً أشد على من نيتي لأنها تتقلب علي))[5]، وعن يوسف بن أسباط[6] قال:((تخليص النية من فسادها أشد على

(1) تقدم تخريجه قريباً (ص438).
(2) تيسير العزيز الحميد (ص451).
(3) أخرجه أحمد (403/4) حديث (19606)، وابن أبي شيبة (70/6) برقم (29547)، والطبراني في المعجم الأوسط (10/4) حديث (3479)، وقال عنه الألباني:((حسن لغيره))، صحيح الترغيب والترهيب (36).
(4) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، ولد سنة 97 هـ، كان من أعلام السنة، ثقة ثبت حجة كثير الحديث، قال عنه أحمد بن حنبل: لم يتقدمه في قلبي أحد، توفي سنة 161هـ. انظر: طبقات ابن سعد (371/6)، وتذكرة الحفاظ (203/1).
(5) جامع العلوم والحكم (ص13).
(6) هو يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني الكوفي، له مواعظ وحكم، روى عن سفيان الثوري وغيره، وثقه ابن معين وغيره، توفي سنة 195هـ. انظر: تهذيب الكمال (358/11)، سير أعلام النبلاء (169/9).

Modifier avec WPS Office

العاملين من طول الاجتهاد))[1].

وقال يوسف بن الحسين الرازي[2]:((أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أَجْتَهِدُ في إسقاط الرياء عن قلبي، وكأنه ينبت فيه على لون آخر))[3].

قال الغزالي[4] في الإحياء:((وهو -أي: الرياء- من أضر غوائل النفس وبواطن مكائدها، وإنما يُبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة، فإنهم مهما قهروا أنفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات، وحملوها بالقهر على أصناف العبادات، عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العمل والعلم، فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم ، فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق، وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده، وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مَشَاقِّ العبادات، أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء، وبالغوا في التقريظ والإطراء، ونظروا إليه بعين التوقير والاحترام، وتبركوا بمشاهدته ولقائه، ورغبوا في بركة دعائه، وحرصوا على اتباع رأيه، وفاتحوه بالخدمة والسلام، وأكرموه في المحافل غاية الإكرام، وسامحوه في البيع والمعاملات، وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس، وتصاغروا له متواضعين، وانقادوا له في أغراضه موقرين، فأصابت النفس في ذلك لذة هي أعظم اللذات، وشهوة هي أغلب الشهوات، فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات، واستلانت خشونة المواظبة على العبادات، لإدراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات، فهو يظن أن حياته بالله وبعبادته المرضية، وإنما حياته بهذه الشهوة الخفية، التي تعمى عن

---

(1) جامع العلوم والحكم (ص13).

(2) هو يوسف بن الحسين الرازي، أشتهر بتصوفه، قال عنه الذهبي: شيخ الصوفية، رحل كثيراً في طلب العلم، وأخذ عن أحمد بن حنبل وذي النون وغيرهما، توفي سنة 304هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (248/14)، والبداية والنهاية (126/11).

(3) جامع العلوم والحكم (ص13).

(4) هو محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، أبوحامد الغزالي، من أعلام المسلمين، ولد بمدينة طوس سنة 450هـ، وطلب العلم حتى بلغ فيه منزلة عليا خاصة الفقه، وكان من أئمة المتكلمين والصوفية، من تصانيفه: إحياء علوم الدين، والمستصفى في علم الأصول. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (191/6)، والبداية والنهاية (173/12).

Modifier avec WPS Office

دركها العقول النافذة القوية، ويرى أنه مخلص في طاعة الله، ومجتنب لمحارم الله، والنفس قد أبطنت هذه الشهوة، تزيينا ً للعباد، وتصنعا ً للخلق وفرحا ً بما نالت من المنزلة والوقار، وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجور ا لأعمال، وقد أثبتت اسمه في جريدة المنافقين، وهو يظن أنه عند الله من المقربين، وهذه مكيدة للنفس، لا يسلم منها إلا الصديقون، وم َه ْو َاة لا يرقى منها إلا المقربون، ولذلك قيل: آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة))[1].

(1) إحياء علوم الدين (275/3).

الفائدة الثالثة
دلالة المَثَلين على أن السيئات قد تُبطل الحسنات

المراد بإبطال الأعمال: إبطال أجرها وثوابها المترتب عليها.

والذي عليه أهل السنة والجماعة، أن مبطلات الأعمال تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1. إبطال جميع الأعمال الصالحة، وذلك لا يكون إلا بالردة.
2. إبطال موازنة: حيث توزن الأعمال الصالحة، فمن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته، فهو تحت المشيئة.

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-:((وقال القاضي أبو بكر بن العربي[1]... ((القول الفصل في هذا: أن الإحباط إحباطان: أحدهما: إبطال الشيء للشيء وإذهابه جملة، كإحباط الإيمان للكفر، والكفر للإيمان، وذلك في الجهتين إذهاب حقيقي، ثانيهما: إحباط الموازنة، إذا جعلت الحسنات في كفة و السيئات في كفة، فمن رجحت حسناته نجا، ومن رجحت سيئاته وقف في المشيئة، إما أن يِ ُغ ْفر له، وإما أن يِ ُع َذب، فالتوقيف إبطال ما، لأن توقيف المنفعة في وقت الحاجة إليها إبطال لها، والتعذيب إبطال أشد منه، إلى حين الخروج من النار، ففي كل منهما إبطال نسبي، أطلق عليه اسم الإ حباط مجازا ً، وليس هو إحباط حقيقة، لأنه إذا أخرج من النار وأدخل الجنة عاد إليه ثواب عمله))[2].

3. إبطال عمل معين بمبطل معين.

أما الأول فقد دل عليه النص وأجمعت عليه الأمة[3]، قال تعالى: ﮋ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﮊ [المائدة:٥] وقال سبحانه: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ [البقرة: ٢١٧].

وقد اختلف العلماء -رحمهم الله- في حبوط عمل المرتد، هل يكون بمجرد الردة، أم لا بد من موته عليها.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:((وأما الردة عن الإسلام بأن يصير الرجل

---

(1) هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأندلسي الأشبيلي، المعروف بأبي بكر بن العربي القاضي، كان إماماً من أئمة المالكية، محدثاً فقيهاً أصولياً مفسراً، من مصنفاته: أحكام القرآن، وعارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي، توفي سنة 543هـ. انظر: وفيات الأعيان (423/3)، وشذرات الذهب (141/4).

(2) فتح الباري لابن حجر (110/1).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (637/10)، ومدارج السالكين (278/1).

Modifier avec WPS Office

كافرا ً مشركا ً أو كتابيا ً، فإنه إذا مات على ذلك حبط عمله باتفاق العلماء...ولكن تنازعوا فيما إذا ارتد ثم عاد إلى الإسلام، هل تحبط الأعمال التي عملها قبل الردة؟ أم لا تحبط إلا إذا مات مرتدا ً؛ على قولين مشهورين هما قولان في مذهب الإمام أحمد، والحبوط مذهب أبى حنيفة ومالك، و الوقوف مذهب الشافعي))[1].

والقسم الثاني دل عليه عدد من النصوص، منها: قوله تعالى: ﮋ ﮘ ﮙ ﮚﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ [الأعراف:٨- ٩]، وقال تعالى:ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﮊ[المؤمنون:١٠١- ١٠٣].

وفي الحديث عن النبي أنه قال:((أتدرون ما المفلس؟)) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع: فقال:((إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيـ ُعـ ْطـ َى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يـ ُقـ ْضـ َى ما عليه، أ ُخذ من خطاياهم فطرحت على ثم طـ ُرح في النار))[2].

وأما النوع الثالث فقد دلت عليه النصوص وآثار السلف، فمن ذلك: قوله تعالى: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ، وقوله تعالى:ﮋ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ [الحجرات:٢]، وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم هذه الآية على ظاهرها.

فعن أنس بن مالك أن النبي افتقد ثابت بن قيس[3] فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسا ً في بيته، منكسا ً رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي فقد حبط عمله، وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال:((اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة))[4].

قال ابن القيم-رحمه الله-:((فحذر المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر

---

(1) مجموع الفتاوى (257/4-258).
(2) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، حديث (2581).
(3) هو ثابت بن قيس بن شماس، أبو عبد الرحمن الخزرجي الأنصاري، أحد الصحابة الكرام، وخطيب النبي ، آخي النبي بينه وبين عمار بن ياسر، قُتل يوم اليمامة. انظر: تهذيب الكمال (368/4)، سير أعلام النبلاء (308/1).
(4) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﮋ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮊ الآية، حديث (4846)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله ، حديث (329).

Modifier avec WPS Office

لرسول الله كما يجهر بعضهم لبعض، وليس هذا بردة بل معصية تحبط العمل))[1] .

وعن بريدة [2] أن النبي قال:((من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله))[3].

قال ابن القيم-رحمه الله-:((والذي يظهر في الحديث والله أعلم بمراد رسوله، أن الترك نوعان: ترك كلي لا يصليها أبداً، فهذا يحبط العمل جميعه، وترك معين في يوم معين، فهذا يحبط عمل ذلك اليوم، فالحبوط العام في مقابلة الترك العام، و الحبوط المعين في مقابلة الترك المعين))[4].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله قال:((من شرب الخمر فسكر منها لم تقبل له صلاة أربعين يوماً))[5].

وأما الآثار عن الصحابة رضي الله عليهم والسلف، فهي كثيرة جداً.

قال ابن رجب-رحمه الله-:((والآثار عن السلف في حبوط الأعمال بالكبيرة كثيرة جداً يطول استقصاؤها))[6]، فمنها: قول عائشة رضي الله عنها لأم ولد زيد بن أرقم [7] :((أبلغي زيداً أنه أبطل جهاده مع رسول الله إلا أن يتوب))[8]، وغيرها من الآثار.

---

(1) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم (ص21)، ت: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ.

(2) هو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث، أسلم قبل وقعة بدر ولم يشهدها، وسكن المدينة، ثم انتقل إلى البصرة، ثم إلى مرو ومات بها، شهد خيبر وأبلى فيها بلاءً حسناً، وشهد فتح مكة وغيرها، توفي سنة 63هـ. انظر: تهذيب الكمال (53/4)، وسير أعلام النبلاء (469/2).

(3) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب من ترك صلاة العصر، حديث (553).

(4) الصلاة وحكم تاركها لابن القيم (ص85)، ت: بسام الجابي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1416هـ .

(5) أخرجه الحاكم في المستدرك (162/4)، وأحمد (197/2) حديث (6854)، والنسائي، كتاب الأشربة، باب ذكر الرواية المبينة عن صلوات شارب الخمر، حديث (5664)، والطبراني في المعجم الأوسط (116/1)، حديث (363). قال الحاكم:((هذا صحيح الاسناد ولم يخرجاه))، وصححه الألباني في تعليقه على سنن النسائي.

(6) فتح الباري (184/1).

(7) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، شهد سبعة عشر عزوة مع النبي ، نزل الكوفة وتوفي بها سنة 68هـ. انظر: الاستيعاب (535/2)، والاصابة (589/2).

(8) أخرجه البيهقي في سننه، (330/5)، وعبد الرزاق في مصنفه، (185/8)

Modifier avec WPS Office

برقم (14813)، وابن الجعد في مسنده (ص80) حديث (451).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الرابعة
الرد على المعتزلة والأشاعرة في مسألة الإحباط والتكفير

ضرب الله سبحانه هذين المثلين لبيان مبطلات الأعمال، وهي الرياء و المن والأذى ونحوه، أما الرياء فيمنع انعقاد العمل سبباً للثواب؛ لأنه لا يكون إلا مصاحباً للعمل، وأما المن والأذى فيبطل العمل بعد ثبوته لعامله، هذا ما عليه أهل السنة والجماعة، وقد خالف في ذلك المعتزلة والأشاعرة، ولهم في هذه المسألة قولان متقابلان.

القول الأول: قول المعتزلة:

الذي عليه جمهور المعتزلة أن الكبيرة الواحدة تحبط جميع الأعمال الصالحة.

وذهب أبو علي الجبائي[1] إلى أنه يبطل من الطاعات بقدر المعاصي، ولكن من رجحت سيئاته خلد في النار.

وذهب أبو هاشم[2] إلى أن الحسنات والسيئات توزن فما رجح منها أبطل ا لآخر[3].

ومن أبرز ما استدلوا به: هاتان الآيتان وأشباههما، التي فيها ذكر مبطلات ا لأعمال، قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: ((دلالة قوله تعالى: ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ... ﮊ [البقرة:٢٦٢]، يدل على أن الحسنات تبطل بالكبائر، وأن فاعلها إنما يستحق ثوابها إذا لم تبطل بالمعاصي، ولولا ذلك لم يكن لقوله: ﮋﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﮊ معنى))[4].

والرد عليهم من وجوه:

الوجه الأول: أن الله أثبت أن المؤمنين على ثلاثة أصناف: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، قال تعالى: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ

(1) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام، أبو علي الجبائي البصري، انتهت إليه رياسة المعتزلة في زمنه، تتلمذ عليه جماعة منهم أبو الحسن الأشعري، ذكروا أن له سبعين مصنفاً منها: تفسير القرآن، توفي سنة 303هـ. انظر: لسان الميزان (271/5)، ووفيات الأعيان (267/4).

(2) هو أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب ابن شيخ المعتزلة، كان هو وأبوه من كبار المعتزلة، ولهم مقالات على مذهب الاعتزال، ولد سنة 247هـ، وتوفي سنة 321هـ، ببغداد. انظر: وفيات الأعيان (183/3)، وشذرات الذهب (289/2).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (637/10)، المواقف في علم الكلام للإيجي (501/3)، ت: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1417هـ.

(4) متشابه القرآن (ص136).

Modifier avec WPS Office

ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮊ [فاطر:٣٢]، ((فقد قسم سبحانه الأمة التي أورثها الكتاب واصطفاها ثلاثة أصناف: ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات... ومعلوم أن الظالم لنفسه إن أريد به من اجتنب الكبائر والتائب من جميع الذنوب فذلك مقتصد أو سابق، فانه ليس أحد من بني آدم يخلو عن ذنب، لكن من تاب كان مقتصداً أو سابقاً، كذلك من اجتنب الكبائر كفرت عنه السيئات، كما قال تعالى: ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮊ [النساء:٣١]، فلابد أن يكون هناك ظالم لنفسه، موعود بالجنة ولو بعد عذاب))[1].

الوجه الثاني: أن الله سبحانه أثبت اسم الإيمان لمرتكبي بعض الكبائر، قال ابن أبي العز-رحمه الله-: ((أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج... ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين كما قالت المعتزلة، فإن قولهم باطل أيضاً، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين قال تعالى: ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮊ إلى أن قال: ﮊ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮊ [البقرة: ١٧٨]، فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخاً لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب، وقال تعالى ﮊ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮊ، إلى أن قال: ﮊ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ [الحجرات:٩-١٠]))[2].

والمعتزلة تنفي عن مرتكب الكبيرة اسم الإيمان، ولكن لا يسمى كافراً.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: ((صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين، وحُكم بين الحُكمين، لا يكون اسمه اسم الكافر، ولا اسمه اسم المؤمن، وإنما يسمى فاسقاً))[3].

الوجه الثالث: أن الله سبحانه أخبر أن ما دون الشرك من المعاصي تحت المشيئة، قال تعالى: ﮊ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ [النساء:٤٨]، فجميع الذنوب تحت المشيئة، ومنها الكبائر.

الوجه الرابع: ورود عدد من الأحاديث الدالة على الشفاعة في أهل الكبائر[4]، منها: قوله عليه الصلاة والسلام: ((أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم -أو قال: بخطاياهم- حتى إذا كانوا فحماً أذِنَ بالشفاعة...))[5]، وقوله: ((إن شفاعتي يوم

---

(1) مجموع الفتاوى (485/7).
(2) شرح العقيدة الطحاوية (ص361).
(3) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص697)، ت: د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1384هـ.
(4) انظر: مجموع الفتاوى (486/7).
(5) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، حديث (185).

Modifier avec WPS Office

القيامة لأهل الكبائر من أمتي))[1].

الوجه الخامس: تواتر الأحاديث الدالة على خروج أقوام من أهل الكبائر من النار[2]، منها: حديث أبي سعيد الخدري أن النبي قال:((إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يقول الله: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيـ َخـ ْرـ ُجون قد امتحشوا وعادوا حمما ً، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل[3]، أو قال: حمية السيل))[4].

الوجه السادس: دلالة الأحاديث على أن صاحب المظالم يكون له حسنات يستوفي منها المظلوم حقه[5]، منها: قوله لأصحابه:((أتدرون ما المفلس؟)) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال:((إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيـ ُعـ ْطـ َى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه؛ أ ُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار))[6].

الوجه السابع: أنه لا فرق بين مرتكب الكبيرة والمرتد، ما دام أن حسناته كلها حابطة، وأنه مخلد في النار، فلماذا لا يرتب عليه من الأحكام في الدنيا من القتل واستباحة المال ما يرتب على المرتد، وهم لا يقولون بذلك[7].

الوجه الثامن: أن هذا من أعظم الظلم، إذا كيف تحبط كبيرة واحدة عمل

---

(1) أخرجه أحمد، (123/3)، حديث (13222)، وأبو داود، كتاب السنة، باب في الشفاعة، حديث (4739)، والترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في الشفاعة، حديث (2435)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، حديث (4310)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود و الترمذي وابن ماجه.

(2) انظر: مجموع الفتاوى (486/7).

(3) حميل السيل:((وهو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره، فعيل بمعنى مفعول، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل، فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها)). النهاية في غريب الأثر (442/1).

(4) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث (6560)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، حديث (184).

(5) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص361).

(6) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، حديث (2581).

(7) انظر: مجموع الفتاوى (484/7).

Modifier avec WPS Office

ستين أو سبعين عاماً، مع أن الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بواحدة[1].

الثاني: قول الأشاعرة:

ذهب الأشاعرة إلى أن العمل الصالح إذا ثبت لصاحبه فإنه لا يحبط بأي أمر سوى الكفر الذي يحبط جميع الأعمال، فقولهم في مقابل قول المعتزلة، وأوّلوا قوله تعالى: ﴿ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ...﴾ [البقرة: ٢٦٢] وما في معناها من الآيات، بتأويلات، منها:

الأول: أن النهي في هذه الآية عن الإتيان بالعمل باطلاً، وليس فيها دليل على أنه ثبت ثم بطل.

قال الرازي[2]: ((المراد من الآية: أن حصول المن والأذى يخرجان الإنفاق من أن يكون فيه أجر وثواب أصلاً، من حيث يدلان على أنه إنما أنفق لكي يمن، ولم ينفق لطلب رضوان الله، ولا على وجه القربة و العبادة، فلا جرم بطل الأجر))[3].

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې...﴾: ((وأما أصحابنا فإنهم قالوا: ليس المراد بقوله: ﴿ې ې﴾ النهي عن إزالة هذا الثواب بعد ثبوته، بل المراد به أن يأتي بهذا العمل باطلاً، وذلك لأنه إذا قصد به غير وجه الله تعالى، فقد أتى به من الابتداء على نعت البطلان))[4].

الثاني: أن الإبطال معناه: أن هذا المنفق عمل صالحاً واستحق عليه الذم، وكان بإمكانه أن يعمله على وجه يستحق عليه المدح[5].

الثالث: أن العمل سبق المن والأذى، ولكن لم يؤجر عليه لأن الله علم من نيته أنه سيمن ويؤذي فلم يكتبه له، ومنهم من قال: أن الصدقة إذا كان صاحبها سيمن ويؤذي، يجعل الله للملك عليها أمارة فلا يكتبها[6].

والرد عليهم من وجوه:

الوجه الأول: أن النصوص دلت على أن مِن السيئات ما يبطل الحسنات، فلا يرد ما جاء في النصوص لأجل مشابهته لقول المعتزلة.

---

(1) مجموع الفتاوى (493/7).

(2) هو محمد بن عمر بن الحسين بن علي بن فخر الدين أبو عبد الله القرشي الرازي، ولد سنة 544هـ، وهو من المشتغلين بعلم الكلام وله فيه مصنفات، توفي سنة 606هـ. من مصنفاته: التفسير الكبير، وتأسيس التقديس، و المعالم في أصول الدين. انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (65/2)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص115).

(3) التفسير الكبير (42/7).

(4) نفس المصدر (44/7).

(5) انظر: شرح المقاصد في علم الكلام للتفتازاني (232/2)، دائرة المعارف النعمانية، باكستان، ط1، 1401هـ.

(6) انظر: تفسير البحر المحيط (321/2).

Modifier avec WPS Office

قال ابن القيم-رحمه الله-:((والقرآن والسنة قد دلا على الموازنة، وإحباط الحسنات بالسيئات، فلا يُضرب كتاب الله بعضه ببعض، ولا يُرد القرآن بمجرد كون المعتزلة قالوه، فعل أهل الهوى والتعصب، بل نقبل الحق ممن قاله، ويرد الباطل على من قاله))[1].

الوجه الثاني: أن الله سبحانه أخبر أن الإنفاق في سبيله إذا تبعة منٌ أو أذى فإنه يبطل، حيث قال سبحانه:ﮋﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ...ﮊ، فالإنفاق يترتب عليه الجزاء بشرطين: الإنفاق في سبيل الله، وأن لا يتبع ذلك الإ نفاق مناً ولا أذى، ولو كان المراد ما أوّله به الأشاعرة، من أنه وقع حين وقع لغير وجه الله، لم يكن لقوله سبحانه: ﮋﮔ ﮕ ﮖ ﮊ فائدة، لأن الإنفاق إنما حصل لأجل المن والأذى، وليس ابتغاء ثواب الله.

الوجه الثالث: أن الله سبحانه عَبّر بـ (ثم) الدال على التراخي، في قوله: ﮋ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﮊ، مما يدل على أن النفقة حصلت على وجه ليس معه منٌ أو أذى، وأن المن والأذى وقعا بعد النفقة، ولم يكونا مصاحبين لها.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((ونبه بقوله:ﮋ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﮊ على أن المَنّ والأذى ولو تراخى عن الصدقة وطال زمنه، ضر بصاحبه ولم يحصل له مقصود الإنفاق، ولو أتى بالواو وقال: ولا يتبعون ما أنفقوا مَنًّا ولا أذى، لأوهمت تقييد ذلك بالحال، وإذا كان المَنُّ والأذى المتراخي مبطلاً لأثر الإنفاق، مانعاً من الثواب، فالمقارِن أَوْلى وأَحْرى))[2].

الوجه الرابع: أنهم مقرون بأن التوبة تمحو الإثم المترتب على الخطيئة، فما المانع من أن تمحو السيئة الحسنة المترتبة على الطاعة، خاصة إذا كان الثواب مشروط بعدم حصول ذلك المبطل.

الوجه الخامس: أن قصر دلالة الآية على المَنّ والأذى المصاحب للنفقة، تحكم لا دليل عليه.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((وقد يقال: إن المَنّ والأذى المقارن للصدقة هو الذي يبطلها دون ما يلحقها بعدها، إلا أنه ليس في اللفظ ما يدل على هذا التقييد، والسياق يدل على إبطالها به مطلقاً))[3]، وهو أيضاً قصر للحكم على الصورة النادرة، دون الصورة الكثيرة الغالبة.

الوجه السادس: أن هذا هو الذي عليه سلف هذه الأمة، والآثار عنهم متكاثرة.

قال ابن رجب-رحمه الله-:((والآثار عن السلف في حبوط الأعمال بالكبيرة، كثيرة جداً يطول استقصاؤها))[4]، بل وشنع على من زعم أن هذا هو قول

(1) مدارج السالكين (278/1).
(2) طريق الهجرتين (ص542).
(3) المصدر نفسه (ص544-545).
(4) فتح الباري (184/1).

Modifier avec WPS Office

الخوارج والمعتزلة، حيث قال:((وأما من زعم أن القول بإحباط الحسنات بـ السيئات قول الخوارج والمعتزلة خاصة، فقد أبطل فيما قال، ولم يقف على أقوال السلف الصالح في ذلك، نعم المعتزلة والخوارج أبطلوا بالكبيرة الإيمان، وخلدوا بها في النار، وهذا هو القول الباطل الذي تفردوا به في ذلك))[1] فبين -رحمه الله- الفرق بين قول السلف وقول المعتزلة والخوارج، وأن قول السلف لا يلزم منه ما يلزم من قول المعتزلة والخوارج من حبوط سائر الأعمال بمجرد فعل الكبيرة.

(1) المصدر نفسه.

Modifier avec WPS Office

المبحث الثاني

دراسة المثل في قوله تعالى: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﮊ إلى قوله: ﮋ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﮊ [الكهف:32- 44].

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المَثَل.

المطلب الثاني: نوع المثَل والغرض الذي ضُرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثّل به.

المطلب الرابع: بيان الممثّل له، والعبرة التي تضمنها المثل.

المطلب الخامس: الفوائد العقَدية المستفادة من المثل.

Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
دلالة السياق الذي ورد فيه المَثَل

قال الله تعالى: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﮊ [الكهف:٣٢- ٤٤].

وردت هذه الآيات في سورة الكهف، وهي من السور المكية بالاتفاق[1]، وقد تميزت هذه السورة بكثرة القصص، وهذه القصص في مجملها سيقت لسببين:

الأول: تسلية المؤمنين المستضعفين في مكة.

الثاني: إقامة الأدلة على صدق نبوته ، وصحة ما بُعث به من التوحيد و البعث.

فالقصة الأولى وهي قصة أصحاب الكهف تضمنت هذين السببين، وذلك أن مشركي قريش سألوا النبي عن ثلاث مسائل، سألوه عن الروح وعن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين[2]، فقص الله في هذه السورة خبر أصحاب الكهف وذي القرنين، وذكر شأن الروح في سورة الإسراء.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((والذي أجمع عليه المفسرون أن أهل مكة سألوا النبي عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين))[3]، فأجاب الله عن سؤال المشركين تأييد للنبي .

كما أن في نوم أصحاب الكهف تلك المدة الطويلة دليل على إمكان البعث، وذلك أن المشركين هم من سأل عن تلك القصة، فيلزمهم التصديق بوقائعها الدالة على إمكان البعث الذي ينكرونه، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بقوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﮊ [الكهف:٢١].

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (346/10).

(2) هو أحد الملوك الذين ملكوا الدنيا من مشرقها إلى مغربها، ذكره الله تعالى في هذه السورة وأثنى عليه بالعدل، يقال: إنه كان في زمن إبراهيم ، قيل: إنه رسول، وقيل: إنه نبي، والصحيح: أنه ملك من الملوك العادلين. انظر: البداية والنهاية (103/2).

(3) مدارج السالكين (431/2).

Modifier avec WPS Office

أما الجانب الآخر وهو تسلية المؤمنين فهو أمر ظاهر من القصة، وذلك أن أكثر من آمن بالنبي كانوا من شباب مكة، وقد تعرضوا لكثير من الأذى من قريش، مما اضطرهم إلى الهجرة عن أوطانهم، وترك أهلهم وأموالهم، كما في الهجرة إلى الحبشة وبعدها إلى المدينة، فجاءت هذه القصة مسلية لهم بذكر حال تماثل حالهم، وشباب اضطرتهم الحال التي كان عليها قومهم من الشرك وعبادة غير الله إلى اعتزالهم والانحياز إلى الكهف يتعبدون فيه لخالقهم وحده لا شريك له، قال تعالى مخبراً عن شأنهم: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ[الكهف:١٦].

أما القصة الثانية، وهي قصة صاحب الجنتين فقد اشتملت على هذين الأ مرين، وذلك أن الله تعالى لما ذكر ما أعد للفريقين أهل الشرك وأهل الإيمان بقوله: ﮋﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ[الكهف:٢٩-٣١]

أتبع ذلك بقصة ظهر فيها التأييد للمؤمن وخذلان الكافر[1]، فالمؤمن له العاقبة الحميدة وإن كان لا يملك جناناً ولا أنهاراً، والمشرك له العاقبة السيئة وإن ملك الدنيا وما عليها، وفي هذا تسلية للمؤمنين المستضعفين في مكة.

وفي أثناء القصة إقامة للأدلة على عبادة الله وحده، وذلك بالاستدلال بقدرته تعالى على الخلق على وجوب إفراده بالعبادة، قال تعالى حاكياً قول المؤمن للمشرك: ﮋﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ[الكهف:٣٧- ٣٨]، كما ذكره بقدرته تعالى وأنه لا يعجزه شيء، وفي هذا تنبيه إلى استحقاقه للعبادة: ﮋﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮊ[بالكهف:٤٠- ٤١].

أما قصة موسى مع الخضر[2] فهي دالة على نبوته حيث أخبر بقصة جرت في زمن بني إسرائيل ، شبيهة بقصة ذي القرنين التي سأل عنها مشركو مكة، ولكنها تختلف عنها بكون الذي سأل عنه المشركون رجل طاف الدنيا سعياً في بسط ملكه وسلطانه، أما هذه فهي قصة نبي سافر لطلب علم نافع و اللقاء برجل صالح، فكان الأولى بهم أن يسألوا عن هذه القصة ويعتبروا بها، بد لاً عن السؤال عن قصة لا فائدة تعود عليهم من معرفتها[3].

ثم أعقب الله قصة موسى مع الخضر بقصة ذي القرنين، وقد اشتملت

---

(1) انظر: التحرير والتنوير (315/6).

(2) الخضر رجل عاش في زمن موسى ، وجرت له معه هذه القصة التي حكاها الله عز وجل في هذه السورة، وقد اختلف في اسمه ونسبه ونبوته وحياته إلى الآن، على أقوال لا طائل تحتها. انظر: البداية والنهاية (326/1).

(3) انظر: نفس المصدر (359/6)

Modifier avec WPS Office

على بيان صدق نبوته ، بإخبارهم عما سألوا عنه، وقد أشار تعالى إلى سؤالهم بقوله: ﮋ ﺌﺤ ﺌﻢ ﺌﻰ ﺌﻲﺑﺞ ﺑﺢ ﺑﺦ ﺑﻢ ﺑﻰ ﺑﻲ ﺗﺞ ﮊ[الكهف:٨٣].

فتبين مما سبق أن قصة صاحب الجنتين جاءت موافقة لمقاصد هذه السورة الكريمة، ومؤكدة للمعاني التي قصدت إلى تأكيدها وإبرازها، والله أعلم.

Modifier avec WPS Office

المطلب الثاني
نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله

هذه القصة ضُربت مثلا ً كسائر القصص القرآني، أي جُعلت مثالا ً وأنموذجاً للخير يحتذى أو للشر يتقى، ((وذلك أن الله سبحانه يضرب للمؤمنين المطيعين أمثالهم من الأمم السالفة ليقتدوا بهم في استقامتهم على نهج ربهم، وصبرهم وثباتهم عليه، كما يضرب للكافرين والمنافقين وغيرهم من الضلال أمثالهم ليعظهم وينذرهم ويحذر من طريقتهم، قال تعالى: ﴿ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ﴾ [محمد:٣]، وقال سبحانه بعد أن ذكر ما كان من فرعون في إضلاله لقومه وصرفهم عن اتباع رسوله موسى عليه السلام، وما نزل بفرعون وقومه من الانتقام حيث أغرقهم أجمعين، فقال سبحانه بعد ذلك: ﴿ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ﴾ [الزخرف:٥٦]، وقال عز من قائل مبيناً أن ما قص ّه في كتابه من أخبار المؤمنين وأخبار الكافرين إنما هي أمثال ضربت للآخرين ليعتبروا بها: ﴿ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ﴾ [النور:٣٤].

وبين سبحانه أن من حجته البالغة على من ظ َلم بتكذيب الرسل والإفساد في الأرض ومات على ذلك: ضرب الأمثال بما جرى على الأمم الظالمة التي تقدمته، فقال سبحانه: ﴿ۈ ۈ ٷ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ﴾ [إبراهيم:٤٤-٤٥].

فالقصص في القرآن الكريم كلها أمثال ضربت للناس ليتأملوها ويستخلصوا منها العبر.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: ((ونظير ذلك ذكر القصص فإنها كلها أمثال هي أصول قياس واعتبار))[1])[2].

ومن شواهد هذا النوع في القرآن الكريم: ما ورد في قوله تعالى: ﴿ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى﴾ [التحريم:١٠- ١١].

الغرض الذي من أجله ض ُرب المثل:

هذا المثل يبين سوء عاقبة الشرك، وأن نهايته الهلاك والخسار، وذلك أن الله سبحانه بين ما أمد به ذلك المشرك من النعم، ثم ذكر تعالى ما حل به من العقوبة بسبب كفره، ليكون في ذلك عبرة لمشركي مكة، ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ

(1) مجموع الفتاوى (57/14).
(2) الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (75/1-77).

Modifier avec WPS Office

ڤ ڦ ڦ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ژ [النحل:١١٢]، وكما جرى لأهل سبأ مما قصه الله سبحانه بقوله: ﮋ ٱ ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ﮋ [سبأ:١٥- ١٧]، والله سبحانه يحكي هذه القصص لتكون أمثالا ً يَعْتَبِر بها ويَتْعِظ كل من كان حاله كحال أولئك القوم، كما قال تعالى بعد ذكر العقوبات الذي عاقب بها قوم لوط : ﮋ ٽ ٿ ٺ ٺ ٽ ﮋ [هود:٨٣].

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
صورة الممثـ ـّل به

هذه القصة جعلها سبحانه مثلا ً يُحتذى به لحالين، حال المشرك المغتر بما عنده من النعم، وحال المؤمن الذي يحاول رده عن غيه وكفره وغروره.

وقد ذكر الحافظ ابن كثير-رحمه الله- مجمل ما قصه الله تعالى من حال الرجلين، حيث قال:((قال الله تعالى في سورة الكهف بعد قصة أهل الكهف: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﮊ إلى قوله: ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ، قال بعض الناس: هذا مثل مضروب ولا يلزم أن يكون واقعا ً، والجمهور: أنه أمر قد وقع، وقوله:ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ ، يعني لكفار قريش في عدم اجتماعهم بالضعفاء والفقراء وازدرائهم بهم وافتخارهم عليهم ...

والمشهور: أن هذين كانا رجلين مصطحبين، وكان أحدهما مؤمنا ً والآخر كافرا ً، ويقال: إنه كان لكل منهما مال، فأنفق المؤمن ماله في طاعة الله ومرضاته ابتغاء وجهه، وأما الكافر فإنه اتخذ له بساتين، وهما الجنتان المذكورتان في الآية، على الصفة والنعت المذكور، فيهما أعناب ونخيل تحف تلك الأعناب والزروع في ذلك والأنهار سارحة[1] ههنا وههنا للسقي والتنزه، وقد استوثقت فيهما الثمار، واضطربت فيهما الأنهار، وابتهجت الزروع والثمار، وافتخر مالكهما على صاحبه المؤمن الفقير قائلا له: ﮋ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﮊ أي: أوسع جنانا ً، ومراده أنه خير منه، ومعناه: ماذا أغنى عنك إنفاقك ما كنت تملكه في الوجه الذي صرفته فيه، كان الأولى بك أن تـ ـفـ ـعـ ـل كما فـ ـعـ ـلت ُ لتكون مثلي، فافتخر على صاحبه.

ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﮊ أي: وهو على غير طريقة مرضية، ﮋ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﮊ وذلك لما رأى من اتساع أرضها وكثرة مائها وحسن نبات أشجارها، ولو قد بادت كل واحدة من هذه الأشجار لاستخلف مكانها أحسن منها، وزروعها دار ّة لكثرة مياهها.

ثم قال:ﮋ ﭛ ﭜ ﭝ ﮊ فوثق بزهرة الحياة الدنيا الفانية، وكذب بوجود الآخرة الباقية الدائمة، ثم قال:ﮋ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﮊ أي: ولئن كان ثم آخرة ومعاد فلأجدن هناك خيرا ً من هذا، وذلك لأنه اغتر بدنياه، واعتقد أن الله لم يعطه ذلك فيها إلا لحبه له وحظوته عنده... ولما اغتر هذا الجاهل بما خول

---

(1) سارحة: أي منطلقة لا يعيقها شيء، قال ابن فارس: ((السين والراء والحاء أصل مطرد واحد، وهو يدل على الانطلاق، يقال منه: أمر سريح إذا لم يكن فيه تعويق ولا مطل)) معجم مقاييس اللغه (157/3).

Modifier avec WPS Office

به في الدنيا فجحد الآخرة، وادعى أنها إن وجدت ليجدن عند ربه خيرا ً مما هو فيه، وسمعه صاحبه يقول ذلك قال له ﮋﮁ ﮂ ﮃ ﮊ أي: يجادله، ﮋ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ أي: أجحدت المعاد وأنت تعلم أن الله خلقك من تراب ثم من نطفة ثم صورك أطوارا ً حتى صرت رجلا ً سويا ً سميعا ً بصيرا ً، تعلم وتبطش وتفهم، فكيف أنكرت المعاد، والله قادر على البداءة.

ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮊ أي: لكن أنا أقول بخلاف ما قلت، وأعتقد خلاف معتقدك، ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮊ أي: لا أعبد سواه، واعتقد أنه يبعث الأجساد بعد فنائها، ويعيد الأموات، ويجمع العظام الرفات، وأعلم أن الله لا شريك له في خلقه ولا في ملكه ولا إله غيره، ثم أرشده إلى ما كان الأولى به أن يسلكه عند دخول جنته فقال: ﮋ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮊ ولهذا يستحب لكل من أعجبه شيء من ماله أو أهله أو حاله أن يقول كذلك... ثم قال المؤمن للكافر: ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ أي: في الدار الآخرة، ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ قال ابن عباس و الضحاك وقتادة أي: عذابا ً من السماء، والظاهر أنه المطر المزعج الباهر الذي يقتلع زروعها وأشجارها، ﮋ ﯘ ﯙ ﮊ وهو التراب الأملس الذي لا نبات فيه، ﮋ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ وهو ضد المعين السارح، ﮋ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﮊ يعني: فلا تقدر على استرجاعه.

قال الله تعالى: ﮋ ﯤ ﯥ ﮊ أي: جاءه أمر أحاط بجميع حواصله وخرب جنته ودمرها، ﮋ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﮊ أي: خربت بالكلية فلا عودة لها، وذلك ضد ما كان عليه أمل، حيث قال: ﮋ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﮊ وندم على ما كان سلف منه من القول الذي كفر بسببه بالله العظيم، فهو يقول ﮋ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﮊ.

قال الله تعالى: ﮋ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﮊ أي: لم يكن أحد يتدارك ما فرط من أمره، وما كان له قدرة في نفسه على شيء من ذلك، كما قال تعالى: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮊ [الطارق: ١٠].

وقوله: ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﮊ، ومنهم من يبتدئ بقوله: ﮋ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﮊ وهو حسن أيضا ً، لقوله: ﮋ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ [الفرقان: ٢٦]، فالحكم الذي لا يرد ولا يمانع ولا يغالب في تلك الحال وفي كل حال لله الحق، ومنهم من رفع الحق جعله صفة للولاية، وهما متلازمتان وقوله: ﮋ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﮊ أي: معاملته خير لصاحبها، ثوابا ً: وهو الجزاء، وخير عقبا ً وهو العاقبة في الدنيا والآخرة))[1].

فهذا مجمل ما حكاه الله من حال ذي الجنتين وصاحبه المؤمن.

(1) البداية والنهاية لابن كثير (2/117-120).

Modifier avec WPS Office

المطلب الرابع
بيان الممثـ ـّل له، والعبرة التي تضمنها المَثَل

الضمير في قوله تعالى: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛﮊ عائد على مشركي مكة الذين اغتروا بما يملكون من متع الدنيا وتجبروا على الضعفاء من المؤمنين.

قال ابن جرير-رحمه الله-: ((يقول تعالى ذكره لنبيه محمد : واضرب يا محمد لهؤلاء المشركين بالله، الذين سألوك أن تطرد الذين يدعون ربهم بـ الغداة والغشي يريدون وجهه مَثَلا ً))[1].

والمثل مضروب للطائفتين، أهل الإيمان وأهل الكفر، فالكافر المكذب بـ البعث يناسبه حال صاحب الجنتين، والمؤمن الموحد يناسبه حال صاحب ذلك المشرك، الذي يدعوه إلى ترك الكفر وإلى الإيمان بالله[2].

والعبرة التي يستخلصها كلا الفريقين تتمثل في الاتعاظ بحال الرجلين ومآلهما، فمشركو مكة حالهم شبيهة بحال صاحب الجنتين، حيث قابلوا نعمة الله عليهم بالكفر به وإنكار البعث، بل وصل بهم الغرور إلى اعتقاد أنهم أهل المنازل العالية في الآخرة إن كان ثمَ قيامة وبعث.

كما روى الشيخان عن خباب بن الأرت [3] قال:((كنت قينا ً[4] في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دراهم، فأتيته أتقاضاه، فقال: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك، قال: فدعني حتى أ َموت ثم أ ُبعث فأوتى مالا ً وولدا ً ثم أقضيك، فنزلت: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﮊ[مريم:٧٧] الآية))[5]، وهذا كقول صاحب الجنتين: ﮋﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵﮊ، فالأولى بقريش أن يتعظوا ويعتبروا بحال هذا الرجل، فيؤمنوا بالنبي وبما جاء به، وأن يخشوا من العاقبة الوخيمة والعقوبة الأليمة التي حلت به.

---

(1) تفسير الطبري (244/15)، وانظر: البحر المحيط (118/6) و فتح القدير (285/3).

(2) انظر: تفسير ابن كثير (84/3)، وتفسير ابن عطية (515/3)، والبحر المحيط (118/6).

(3) هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي، أبو عبد الله، من نجباء السابقين إلى الإسلام، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ، توفي بـ الكوفة سنة 37هـ، وصلى عليه علي . انظر: سير أعلام النبلاء (323/2)، والبداية والنهاية (311/7).

(4) القين: الحداد. انظر: لسان العرب (350/13).

(5) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب اللقطة، باب التقاضي، حديث (2425) ، ومسلم، كتاب صفة الجنة والنار، باب سؤال اليهود النبي عن الروح...، حديث (2795).

Modifier avec WPS Office

وفي مقابل ذلك نجد أصحاب النبي في مكة قليلي ذات اليد، لا يملكون ما يملكه المشركون من متع الدنيا ومشتهياتها، وبعضهم مملوك لأسياد مكة يسومونه سوء العذاب، ومع ذلك فهم ثابتون على إيمانهم ودعوة قومهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وهذه الحال شبيهة بحال صاحب ذلك المشرك الذي لم يغره ما بيد صاحبه من الدنيا وزينتها، فاستمر في وعظه وتذكيره ومحاورته.

أما ما آل إليه حال ذلك المؤمن فلم ترد إليه الإشارة في القصة، ولكن ذلك يفهم مما يقابل حال صاحبه المشرك، ومما سبق ذكره من جزاء أهل الإيمان و العمل الصالح الوارد في قوله تعالى: ﮋﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ [الكهف:٣٠- ٣١].

وهذه الحال وذلك المآل الذي سيؤول إليه المؤمن، يستلهم منه المستضعفون من المؤمنين بمكة العبرة، فيصبروا على أذى قومهم والا ستضعاف الذي هم فيه، ويستيقنوا بأن العاقبة الحميدة لهم بإذن الله.

Modifier avec WPS Office

المطلب الخامس

الفوائد العقَدية المستفادة من المثل

وفيه ثلاثة عشر فائدة:

الفائدة الأولى: دلالة المثل على مشروعية جدال المشركين.

الفائدة الثانية: دلالة المثل على أن طول الأمل سبب للبقاء على الكفر.

الفائدة الثالثة: دلالة المثل على أن الأمن من مكر الله سبب للبقاء على الكفر.

الفائدة الرابعة: دلالة المثل على بطلان المقياس الجاهلي للخيرية و التفضيل.

الفائدة الخامسة: دلالة المثل على أن الذي يخلق هو الذي يستحق العبادة .

الفائدة السادسة: دلالة المثل على أن المنعم المتفضل هو المستحق للعبادة.

الفائدة السابعة: دلالة المثل على أن الخلق الأول دليل على إمكان الخلق الثاني.

الفائدة الثامنة: دلالة المثل على أن الإقرار بالربوبية يلزم منه إفراد الرب بالعبادة.

الفائدة التاسعة: دلالة المثل على مشروعية ذكر الله عند شهود النعم.

الفائدة العاشرة: دلالة المثل على حسن الظن بالله.

الفائدة الحادية عشرة: دلالة المثل على شؤم الشرك وسوء عاقبته.

الفائدة الثانية عشرة: دلالة المثل على أن العاقبة الحسنة للمتقين.

الفائدة الثالثة عشرة: دلالة المثل على أن ولاية الله إنما تكون لأهل طاعته.

Modifier avec WPS Office

الفائدة الأولى
دلالة المثل على مشروعية جدال المشركين

وهذه الفائدة مستفادة من حوار المؤمن لصاحب الجنتين، الذي أشار إليه تعالى بقوله: ﮋﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼﮊ.

والجدال مع المخالفين هو منهج الأنبياء عليهم السلام ، فقد جادل نوح قومه حتى قالوا له: ﮋ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮊ [هود:٣٢]، وجادل إبراهيم قومه كما في سورة الأنعام [آية:٨٠- ٨٣]، وجادل الكافر كما في سورة البقرة [آية:٢٥٨]، وأمر الله تعالى بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، حيث قال سبحانه: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﮊ [العنكبوت:٤٦] ، وأمر نبيه بمجادلة الكفار بالتي هي أحسن، فقال تعالى: ﮋ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰﮊ [النحل:١٢٥].

وقد بين شيخ الإسلام –رحمه الله- ما يُذم من الجدل وما يُمدح فقال:((و المذموم شرعا ما ذمه الله ورسوله، كالجدل بالباطل، والجدل بغير علم، و الجدل في الحق بعد ما تبين، فأما المجادلة الشرعية كالتي ذكرها الله تعالى على الأنبياء عليهم السلام وأمر بها مثل قوله تعالى: ﮋﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮊ، وقوله : ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﮊ [الأنعام:٨٣]، وقوله تعالى : ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﮊ [البقرة:٢٥٨] وقوله تعالى : ﮋﮭ ﮮ ﮯ ﮰﮊ، وأمثال ذلك فقد يكون واجبا ً أو مستحبا ً، وما كان كذلك لم يكن مذموما في الشرع))[1].

وقد أشار العلامة ابن القيم إلى فائدتين يستفيدهما المجادل من جدله، فقال-رحمه الله-: ((فلمناظرة المبطل فائدتان:

أحدهما: أن يرد عن باطله ويرجع إلى الحق.

الثانية: أن ينكف شره وعداوته ويتبين للناس أن الذي معه باطل، وهذه الوجوه كلها لا يمكن أن تنال بأحسن من حجج القرآن ومناظرته للطوائف، فإنه كفيل بذلك على أتم الوجوه لمن تأمله وتدبره، ورزق فهما ً فيه، وحججه مع أنها في أعلى مراتب الحجج... فهي أقرب شيء تناولا ً، وأوضح دلالة، وأقوى برهانا ً، وأبعد من كل شبهة وتشكيك))[2].

الفائدة الثانية
دلالة المثل على أن طول الأمل سبب للبقاء على الكفر

وهذه الفائدة دل عليها قول صاحب الجنتين: ﮋ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﮊ.

الفائدة الثالثة
دلالة المثل على الأمن من مكر الله سبب للبقاء على الكفر

وهذه الفائدة دل عليها أيضاً قوله: ﮋ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﮊ، وقوله: ﮋ ﭡ ﭢ

(1) درء التعارض (156/7).
(2) الصواعق المرسلة (1276/4).

Modifier avec WPS Office

ﯿ ﰀ ﮊ [الكهف:٣٦] حيث استبعد حصول العذاب الدنيوي، والعذاب الأخروي.

الفائدة الرابعة

دلالة المثل على بطلان المقياس الجاهلي للخيرية والتفضيل

وهذه الفائدة دل عليها قوله: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﮊ [الكهف:٣٦]، فاعتقد أنه إنما منح تلك النعم بسبب خيريته وفضله في نفسه، وأنه إذا كان سيبعث يوم القيامة فسيُعطى من النعم أفضل مما عنده في الدنيا، وهذا المقياس الجاهلي هو الذي أغرى المشركين للاستمرار على ما هم فيه من الكفر، قال تعالى: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﮊ [المؤمنون:٥٥-٥٦].

قال ابن كثير-رحمه الله-:((يعني: أيظن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا، كلا ليس الأمر كما يزعمون في قولهم: ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮊ [سبأ:٣٥]، لقد أخطؤوا في ذلك وخاب رجاؤهم، بل إنما نفعل بهم ذلك استدراجًا وإنظاراً وإملاء، ولهذا قال: ﮋ ﯦ ﯧ ﯨ ﮊ، كما قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﮊ [التوبة:٥٥]، وقال تعالى: ﮋ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮊ [آل عمران:١٧٨] ، وقال تعالى: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ [القلم:٤٤] ، وقال: ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﮊ [المدثر:١١- ١٦]، وقال تعالى: ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ [سبأ:٣٧] والآيات في هذا كثيرة))[1].

الفائدة الخامسة

دلالة المثل على أن الذي يَخْلُق هو الذي يستحق العبادة

هذه الفائدة دل عليها قول صاحب المشرك له: ﮋ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ، حيث جعل الخلق دليل على استحقاق العبادة[2].

الفائدة السادسة

دلالة المثل على أن المنعم المتفضل هو المستحق للعبادة

هذه الفائدة دل عليها قول المؤمن للمشرك: ﮋ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ وقوله: ﮋ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮊ، فـالذي أوجد من العدم ومتّع بالنعم هو المستحق للعبادة، ومن عبادته: شكره على تلك النعم، والاعتراف بمنته وفضله، وأنه سبحانه إن شاء أبقاها وإن شاء أهلكها، كل ذلك بمشيئته وحده دون ما سواه[3].

الفائدة السابعة

(1) تفسير ابن كثير (248/3).
(2) انظر: أضواء البيان (274/3).
(3) انظر: فتح القدير (287/3).

Modifier avec WPS Office

دلالة المثل على أن الخلق الأول دليل على إمكان الخلق الثاني

هذه الفائدة دل عليها قول المؤمن للمشرك: ﮋﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ، فالقادر على الخلق الأول قادر على البعث بعد الموت من باب أولى[1].

الفائدة الثامنة

دلالة المثل على أن الإقرار بالربوبية يلزم منه إفراد الرب بالعبادة

هذه الفائدة دل عليها قول المؤمن: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ، فأقر لله تعالى بالربوبية والتزم أن يعبده وحده ولا يشرك بعبادته أحداً[2].

الفائدة التاسعة

دلالة المثل على مشروعية ذكر الله عند شهود النعم

هذه الفائدة دل عليها قول المؤمن للمشرك: ﮋﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮊ.

قال ابن كثير-رحمه الله-:((هذا تحضيض وحث على ذلك، أي: هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك، وقلت:ﮋﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮊ ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده، فليقل: ﮋ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮊ وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة))[3].

ومعنى قوله: ﮋ ﮖ ﮗ ﮘﮊ أي:((الأمر بمشيئة الله، وما شاء الله كان ...إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها))[4]، ﮋﮙ ﮚ ﮛ ﮜﮊ أي:((لا يقوى أحد في بدنه، ولا في ملك يده إلا بالله))[5].

الفائدة العاشرة

دلالة المثل على حسن الظن بالله

هذه الفائدة دل عليها قول المؤمن للمشرك: ﮋ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ ﮸ ﮹ﮊ، فلم يمنعه ما رأى من التوسعة على الكافر، والفقر الذي هو فيه، من رجاء الخير من المنعم المتفضل سبحانه، وعدم اليأس من رحمته وإحسانه.

الفائدة الحادية عشرة

دلالة المثل على شؤم الشرك وسوء عاقبته

هذه الفائدة دل عليها ما حلّ بذلك المشرك من العقوبة والهلاك، قال تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ.

الفائدة الثانية عشرة

(1) انظر: تفسير ابن عطية (517/3).
(2) انظر: أضواء البيان (276/3).
(3) تفسير ابن كثير (85/3).
(4) فتح القدير (287/3).
(5) العلم الهيب للعيني (ص372).

Modifier avec WPS Office

دلالة المثل على أن العاقبة الحسنة للمتقين

هذه الفائدة دل عليها ما اقتضته سنة الله في خلقه من هلاك المكذبين ورحمة المؤمنين، وما أخبر به تعالى من جزاء المؤمنين قبل هذه القصة مباشرة، حيث قال تعالى: ﮋ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ، كما دل عليها قوله تعالى في نهاية القصة: ﮋ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﮊ، ومقتضى ولايته سبحانه لعباده المؤمنين إكرامهم بأعظم الكرامات في الدنيا والآخرة.

الفائدة الثالثة عشرة

دلالة المثل على أن ولاية الله إنما تكون لأهل طاعته

هذه الفائدة دل عليها قوله تعالى: ﮋ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﮊ ، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-:((أي: في تلك الحال التي أجرى الله فيها العقوبة على من طغى، وآثر الحياة الدنيا، والكرامة لمن آمن، وعمل صالحا ً، وشكر الله، ودعا غيره لذلك، تبين وتوضح أن الولاية لله الحق، فمن كان مؤمنا ً به تقيا ً، كان له وليا ً، فأكرمه بأنواع الكرامات، ودفع عنه الشرور والمثلات))[1].

---

(1) تفسير السعدي (478).

Modifier avec WPS Office

المبحث الثالث

دراسة المثل في قوله تعالى:ﮋﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ[الأنعام:٧١].

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المَثَل.

المطلب الثاني: نوع المَثَل والغرض الذي ضُرب من أجله.

المطلب الثالث: صورة الممثّل به.

المطلب الرابع: صورة الممثّل له.

المطلب الخامس: الفوائد العَقَدية المستفادة من المثل.

Modifier avec WPS Office

المطلب الأول
دلالة السياق الذي ورد فيه المَثَل

ورد هذا المثل في سورة الأنعام، وهي من السور المكية[1]، ومن سمات هذه السور: أنها تعتني بالحديث عن العقيدة، والدعوة إلى توحيد الله سبحانه، وبيان بطلان الشرك، وهذه السورة قد تميزت إضافة إلى أنها مكية بكونها ((أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية، وأشدها مقارعة جدال لهم، واحتجاج على سفاهة أحوالهم))[2].

وإذا نظرنا إلى المَثَل والقضية التي جاء لإبرازها، فإننا ندرك أنه ضرب لبيان حيرة المشرك، وأنه حائد عن الصراط المستقيم والطريق القويم، وأن الرجوع إلى الشرك بعد التوحيد رجوع إلى الضلال بعد الهدى، والعمى بعد البصيرة، فالمشرك تائه حائر، لا يعلم طريقاً إلى نجاته وسلامته.

وقد كان المشركون يدعون النبي ﷺ وأصحابه إلى ترك دينهم والرجوع إلى عبادة الأصنام، قال السُدِّيُ-رحمه الله-:((قال المشركون للمؤمنين: اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد، فقال الله تعالى ذكره:ﮋﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡﮊ))[3]، وقد ذكر الله في هذه السورة عدة أمثلة تبين حرص المشركين على صدِّ الناس عن هذا الدين، وذلك بأنواع من الطرق والأساليب، فمن ذلك:

1. مبالغتهم في رد الحق الذي جاء به النبي ﷺ، حتى لو أنزل القرآن مكتوباً على قرطاس، لقالوا عنه إنه سحر مبين، فكيف وهو لم ينزل على تلك الصفة، قال سبحانه: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﮊ[الأنعام: ٧].

2. وصفهم ما جاء به النبي ﷺ من الحجج والبينات وأعظمها القرآن، بأنه أساطير الأولين، أي:((مأخوذ من كتب الأولين ومنقول عنهم))[4]، قال تعالى: ﮋ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﮊ[الأنعام:٢٥].

3. نأيهم عن النبي ﷺ وإعراضهم عنه، ونهيهم الناس أن يتبعوه، قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﮊ[الأنعام:٢٦].

4. احتقار من أسلم من الضعفاء والعبيد، وطلب النبي ﷺ أن يطردهم من مجلسه، قال تعالى: ﮋﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﮊ[الأنعام:٥٢].

5. التهوين من شأن النبي ﷺ بكون أتباعه من الضعفاء والعبيد، قال تعالى:

(1) انظر: تفسير الطبري (142/7)، وزاد المسير (1/3).
(2) التحرير والتنوير(125/3).
(3) تفسير الطبري(236/7).
(4) تفسير ابن كثير(128/2).

Modifier avec WPS Office

ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﮊ [الأنعام:٥٣].

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل وصل إلى دعوة المؤمنين إلى العودة إلى الشرك، قال تعالى: ﮋﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ [العنكبوت:١٢]، فأمر الله نبيه أن يخبرهم بنهيه سبحانه له أن يتبع دينهم الذي ينبني على محض اتباع للهوى، فقال سبحانه: ﮋﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮊ [الأنعام: ٥٦].

قال ابن جرير-رحمه الله-:((يقول تعالى ذكره لنبيه محمد : قل يا محمد، لهؤلاء المشركين بربّهم من قومِك، العادلين به الأوثان والأنداد، الذين يدعونك إلى موافقتهم على دينهم وعبادة الأوثان: إنّ الله نهاني أن أعبد الذين تدعون من دونه، فلن أتبعكم على ما تدعونني إليه من ذلك، ولا أوافقكم عليه، ولا أعطيكم محبّتكم وهواكم فيه، وإن فعلت ذلك فقد تركت محجّة الحق، وسلكت على غير الهدى، فصرت ضالا ً مثلكم على غير استقامة))[1].

ثم شرع السياق في الحديث عن عظمة الخالق سبحانه، وذكر شيء من نعوت جلاله، مما يعلمه المشركون ويقرون به، فقال تعالى: ﮋ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ... ﮊ إلى قوله: ﮋﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ [الأنعام: ٥٩- ٦٥].

ثم ضرب الله هذا المَثَل لبيان قبح الرجوع عن الإيمان إلى الكفر، وأن من فعل ذلك فحاله كحال من كان على جادة مستقيمة، فحاد عنها وأصبح حيران، لا يدري إلى أين يتجه، فالنبي أراد أن يعلمهم أن هذه الأوثان التي يعبدها المشركون، ومع نهي الله له عن عبادتها، أن عبادتها ضلال وبعد عن الهدى و الرشاد، فهل ثمَ مقارنة بين من له هذه الآلاء العظيمة، مع من لا يملك منها شيئاً؟

وبعد أن بين السياق هذا الجانب الهام من جوانب المَثَل، وهو سعي المشركين إلى التحذير من هذا الدين، ومحاولة الصد عنه، انتقل السياق إلى بيان الجانب الآخر من دلالة المثل، وهو بيان حيرة المشرك وشدة ضلاله وبعده عن الحق، وذلك بذكر ما جرى لإبراهيم مع قومه، قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ [الأنعام:٧٤].

ثم خاض معهم جدلا ً عقلياً، حكاه الله سبحانه بقوله: ﮋﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮊ [الأنعام: ٧٥- ٧٩] .

قال ابن القيم -رحمه الله-:((ولذلك ناظرهم إمام الحنفاء صلوات الله وسلا مه عليه في بطلان إلهيتها، بما حكاه الله سبحانه في سورة الأنعام أحسن

(1) تفسير الطبري (210/7).

Modifier avec WPS Office

مناظرة وأبينها، ظهرت فيها حجته ود ُحـ ِضـ َت حجتهم، فقال بعد أن بين بطلان إلهية الكواكب والقمر والشمس بأفولها، وأن الإله لا يليق به أن يغيب ويأفل، بل لا يكون إلا شاهدا غير غائب، كما لا يكون إلا غالبا قاهرا ً غير مغلوب ولا مقهور، نافعا ً لعباده يملك لعابده الضر والنفع، فيسمع كلامه ويرى مكانه، ويهديه ويرشده، ويدفع عنه كل ما يضـ ُره ويؤذيه، وذلك ليس إلا لله وحده، فكل معبود سواه باطل.

فلما رأى إمام الحنفاء أن الشمس والقمر والكواكب ليست بهذه المثابة، صعد منها إلى فاطرها وخالقها ومبدعها فقال:ﮋ ﯓ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮊ، وفي ذلك إشارة إلى أنه سبحانه خالق أمكنتها ومحالـ ّها التي هي مفتقرة إليها، ولا قوام لها إلا بها، فهي محتاجة إلى محل تقوم به، وفاطر يخلقها ويـ ُدبرها ويـ َر ُبـ ُّها، والمحتاج المخلوق المربوب المـ َد ّبر لا يكون إلها ً))[1].

فهذه المحاجة العقلية التي جادل بها إبراهيم قومه، تحكي بوضوح مدى الحيرة والاضطراب الذي كان عليه أولئك القوم حال عبادتهم الكواكب وا لأصنام، وكأنه بتلك المحاجة يعكس الصراع الذي يعيشه كل واحد منهم، حينما يغيب معبوده -مهما عظم- عنه في حال هو في أمس الحاجة إليه.

وخلاصة ما تقدم: أن السياق أسهم في إبراز قضيتين هامتين لأجلهما ضُرب المَثَل:

1. سعي المشركين لصد النبي وأصحابه عن هذا الدين
2. إبراز الحيرة والتخبط عند من يعبد غير الله مهما كان ذلك المعبود.

والمثل جاء واسطة العقد بين هاتين القضيتين.

(1) إغاثة اللهفان(253/2).

Modifier avec WPS Office

المطلب الثاني
نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله

هذا المثل من الأمثال التشبيهية حيث شبه الله فيه من عاد إلى الشرك بعد أن كان على التوحيد، بمن كان على الجادة الصحيحة ثم حاد عنها، وتلاعبت به الشياطين، فأصبح في حيرة وتخبط.

كما أنه من الأمثال المركبة، فالتشبيه مكون من رجل كان يمشي على جادة صحيحة، فعرض له عارض صرفه عنها، فأصبح ضالا ً حائراً، وله رفقة يدعونه إلى الرجوع إلى الطريق المستقيم، فإن رجع إليهم نجا وإلا هلك.

يقابل هذه الصورة، صورة المرتد عن الإسلام إلى الكفر، وعن التوحيد إلى الشرك، فقد كان سائراً على الصراط المستقيم، ثم صرفته الشياطين عنه، فأصبح حائراً بين المعبودات الباطلة، وكل الدواعي تدعوه إلى الرجوع إلى الحق والهدى الذي كان عليه، وهو يأبى إلا التخبط والحيرة.

قال السُدّي-رحمه الله-:((ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼأي: في الكفر، ﭽ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ فيكون مثلنا كمثل الذي ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼيقول: مثلكم إن كفرتم بعد الإيمان، كمثل رجل كان مع قوم على الطريق، فضل الطريق، فحيـ ّرته الشياطين، واستهوته في الأرض، وأصحابه على الطريق، فجعلوا يدعونه إليهم يقولون: ائتنا فإنا على الطريق، فأبى أن يأتيهم، فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد ، ومحمد هو الذي يدعو إلى الطريق، و الطريق هو الإسلام))[1].

وفي هذا المثل شُبه معقول بمحسوس، فالضلال عن التوحيد أمر معقول معنوي ، شبه بالضلال عن الطريق الحسي.

الغرض الذي من أجله ضـ ُرب المثل:

ضرب هذا المثل لبيان جانب من جوانب خطر الشرك، وذلك بإبراز حيرة المشرك وتخبطه بين الآلهة الباطلة، وبعده عن سبيل الهداية، يدل على ذلك قوله تعالى في بداية الآية: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ، جاء في التفسير الوسيط:((ثم ساق القرآن صورة مؤثرة دقيقة للضلالة و الحيرة التي تناسب من يشرك بعد التوحيد، فقال:ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ))[2]، وقد أشار النص إلى هذا المعنى حيث عبر سبحانه بلفظ الحيرة في وصف الممثل به، فكذلك الممثّل له يناسبه ذلك الوصف لمشابهته له.

فإذا كان الشرك بهذه المثابة فإن الرجوع إليه بعد الهداية إلى الإسلام، من

(1) تفسير الطبري (236/7).
(2) (482/3).

Modifier avec WPS Office

أقبح الأمور، فقبحه شبيه بقبح من ترك الطريق الصحيح الذي يوصل إلى الوجهة المطلوبة، وذهب يتخبط يميناً وشمالا ً، ولا أحد يتمنى أن يكون هذا حاله.

Modifier avec WPS Office

المطلب الثالث
صورة الممثّل به

ورد ذكر الممثّل به في الآية في قوله تعالى: ژ ڑ ڈ ڎ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ۂ ھ ھژ، وهذا التشبيه مركب من:

1. رجل يسير في جماعة من الناس، قاصدين وجهة معينة.
2. تلاعبت به الجن وأضلته عن الطريق، فانساق وراءها لا يلوي على شيء.
3. شعر أصحابه بميله عن الطريق، فصاحوا به حتى يعود إليهم.
4. وقع في الحيرة والتردد بين الطريقين، فإما أن يستمر على ضلاله أو يعود إلى أصحابه.

أما ما ذُكِرَ من أنه في جماعة من الناس، فقد دل عليه قوله: ژ ہ ۂ ۂ ھ ھ ژ.

قال البغوي-رحمه الله-:((هذا مثل ضربه الله تعالى لمن يدعو إلى الآلهة ولمن يدعو إلى الله تعالى، كمثل رجل في رفقة ضل به الغول عن الطريق، **يدعوه أصحابه من أهل الرفقة: هلم إلى الطريق...**))[1].

وأما تلاعب الشياطين به، فدل عليه قوله: ژ ڑ ڈ ڎ ۀ ژ، والاستهواء استفعال من الهوى،((أي: طلب هوى المرء ومحبته، أي: استجلاب هوى المرء إلى شيء يحاوله المستجلِب))[2]، وفي المراد بهذا الاستهواء قولان:((**أحدهما:** أنها هوت به وذهبت، قاله ابن قتيبة[3] ، وقال أبو عبيدة[4] : تُشبّه له الشياطين فيتبعها ، حتى تهوي به في الأرض ، فتضله، **والثاني** : زيّنت له هواه ، قاله الزجاج))[5].

---

(1) تفسير البغوي (106/2).

(2) التحرير والتنوير (301/3).

(3) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد الدينوري، الإمام العلم في العربية والتفسير وغيرهما، قال الخطيب: كان ثقة ديناً فاضلاً، من تصانيفه: غريب القرآن، وغريب الحديث، ومشكل القرآن، ومشكل الحديث ، توفي سنة 270هـ. انظر: تاريخ بغداد (170/10)، ولسان الميزان (357/3).

(4) هو معمر بن المثنى التيمي مولاهم، البصري النحوي، أبو عبيدة، صاحب التصانيف، ولد سنة 110هـ، وتوفي سنة 209هـ، من تصانيفه: مجاز القرآن ، وغريب الحديث. انظر: سير أعلام النبلاء (445/9).

(5) زاد المسير (66/3).

Modifier avec WPS Office

والذي يظهر -والعلم عند الله- أنه لا تنافي بين القولين، وذلك أن الذي يترك الطريق الذي عليه أصحابه، لا يصدر منه ذلك إلا إذا كان في نفسه هوى إلى المخالفة، وترك الطريق الذي يسيرون عليه، إلى طريق آخر.

فهنا أمران: هويٌ في الأرض وضياع، ناتج عن ميل وهوى في نفس ذلك الضال التائه.

وذهب بعضهم إلى أن معنى استهوته: هوت به من العلو إلى السفل، ((وهذا المعنى لا مدخل له في هذه الآية، إلا أن تتأول اللفظة بمعنى ألقته الشياطين في ﮬ ﮱ ﯓ))[1]، وهذا التأويل يتعارض مع قوله:ﮋﯔ ﯕ ﮊ[2].

وقد أوضح ابن عباس رضي الله عنهما كيفية ذلك الاستهواء، حيث قال:((وقوله: ﮋﭨ ﭩ ﮊ وهم الغيلان يدعونه باسمه واسم أبيه واسم جده فيتبعها، فيرى أنه في شيء، فيصبح وقد ألقته في الهلكة، وربما أكلته أو تلقيه في مضلَّة من الأرض يهلك فيها عطشاً))[3].

وأما الجزء الثالث من أجزاء الممثّل به، وهو أن أصحاب ذلك الرجل صاحوا به وطلبوا منه الرجوع إلى الطريق الصحيح، فيدل عليه قوله: ﮋ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮊ قال ابن جرير-رحمه الله-:((يقول: لهذا الحيران الذي قد استهوته الشياطين في الأرض، أصحابٌ على المحجة واستقامة السبيل، يدعونه إلى المحجة لطريق الهدى الذي هم عليه، يقولون له : ائتنا))[4].

وأما قوله تعالى: ﮋ ﯕﮊ، فيدل على الجزء الرابع من أجزاء الممثل به، و الحيرة مصدر:((حار يحار حيرة فهو حائر وحيران، وتحير واستحار إذا تبلد في الأمر وتردد فيه))[5]، و ﮋ ﯕﮊ:((منصوب على الحال، أي: في حال حيرته وضلاله وجهله وجه المحجة))[6].

وهذه الحيرة سببها تردده بين النداءين، نداء الشياطين ونداء أصحابه الذين على الجادة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما :((هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها، وللدعاة الذين يدعون إلى الله، كمثل رجل ضل عن الطريق تائهًا ضالاً إذ ناداه مناد: يا فلان بن فلان، هلمّ إلى الطريق، وله أصحاب يدعونه:يا فلان، هلم إلى الطريق، فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه في الهلكة،

---

(1) المحرر الوجيز (307/2).
(2) انظر:حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (128/4).
(3) تفسير الطبري (236/7).
(4) المصدر نفسه (235/7).
(5) المفردات في غريب القرآن (ص135).
(6) تفسير ابن كثير (146/2).

Modifier avec WPS Office

وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق))[1].

ولم يرد في النص القرآني ما يشير إلى أن ذلك التائه المتردد، استجاب لأصحابه أو لم يستجب، وقد ذكر بعض المفسرين أنه لم يستجب وإنما بقي على ضلاله وحيرته.

قال ابن كثير -رحمه الله-:((وله أصحاب على المحجة سائرون، فجعلوا يدعونه إليهم وإلى الذهاب معهم على الطريقة المثلى، وتقدير الكلام: فيأبى عليهم ولا يلتفت إليهم))[2].

ولكن هذا التقدير ليس في الآية ما يدل عليه، ولذلك فالأولى أن لا يجزم بأحد الأمرين، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما :((وله أصحاب يدعونه:يا فلان، هلم إلى الطريق، فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه في الهلكة، وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق))[3].

(1) تفسير الطبري (236/7).
(2) تفسير ابن كثير (146/2).
(3) تفسير الطبري (236/7).

Modifier avec WPS Office

المطلب الرابع
صورة الممثّل له

ورد ذكر الممثل له في الآية في قوله تعالى: ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮊ، والصورة التي تركب منها الممثّل له مكونة من أربعة أجزاء:

1. شخص كان على التوحيد والإيمان، ويقابله في الممثّل به: من كان على الطريق الصحيح.
2. تعرض له دعاة شياطين الجن والإنس وصدوه عن التوحيد إلى الشرك، ويقابله في الممثّل به: تعرض الشياطين لذلك السائر وحَرْفِهِ عن الطريق.
3. دعته الرسل ودعاة الحق في كل زمان إلى الرجوع عن الشرك إلى الحق الذي كان عليه، وهذا يقابل في الممثّل به: دعوة أصحابه له أن يعود إليهم.
4. وقع في الحيرة والتردد بين الضلال الذي صار إليه، والحق الذي يُدعى إليه، فإن عاد إلى الإسلام نجا، وإلا هلك، وهذا يقابل في الممثّل به حيرة المفارق للطريق والجادة بين الشياطين التي تتلاعب به، وأصحابه الذين على الجادة الصحيحة.

فالمَثَل ضُرِبَ -كما تقدم- لحال من كان على التوحيد والإسلام، ففارقه إلى الشرك، وذلك عندما دعا المشركون المؤمنين للرجوع إلى الشرك، فأمر الله نبيه أن يقول لقومه:ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ... ﮊ ((والاستفهام للتوبيخ، أي: كيف ندعو من دون الله أصناماً لا تنفعنا بوجه من وجوه النفع إن أردنا منها نفعاً، ولا نخشى ضرّها بوجه من الوجوه، ومن كان هكذا فلا يستحق العبادة))[1].

والمراد بالدعاء في قوله :ﮋ ﮑﮊ : دعاء العبادة المتضمن دعاء المسألة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:((وأما قوله تعالى: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﮊ[الحج:٧٣] الآية، وقوله: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮊ[النساء:١١٧] الآية، وقوله: ﮋ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﮊ[فصلت:٤٨] الآية، وكل موضع ذُكر فيه دُعاء المشركين لأوثانهم، فالمراد به دعاء العبادة المتضمن دعاء المسألة))[2].

وفي قوله: ﮋ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ دلالة على الجزء الأول من أجزاء الممثّل، وهو أن ذلك الشخص كان على التوحيد الخالص، ومعنى قوله: ﮋﮝ ﮞ ﮟﮊ، أي: نرجع إلى الشرك بعد أن هدانا الله للإسلام.

قال ابن جرير-رحمه الله-:((وأصل المرتد على عقبيه، هو:المنقلب على

---

(1) فتح القدير (431/2).
(2) مجموع الفتاوى (13/15).

Modifier avec WPS Office

عقبيه، الراجع مستدبراً في الطريق الذي قد كان قطعه، منصرفاً عنه، فقيل ذلك لكل راجع عن أمر كان فيه، من دين ٍ أو خير، ومن ذلك قوله: ﮋﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﮊ [الكهف:٦٤]، بمعنى: رَجعا في الطريق الذي كانا سلكاه، وإنما قيل للمرتد مرتد، لرجوعه عن دينه وملته التي كان عليها، وإنما قيل: رجع على عقبيه، لرجوعه دُبُراً على عَقبه إلى الوجه الذي كان فيه بدءَ سيره قبل مَرْجِعه عنه، فيجعل ذلك مثلاً لكل تارك أمراً وآخذٍ آخر غيره إذا انصرف عما كان فيه، إلى الذي كان له تاركاً فأخذه، فقيل: ارتد فلان على عَقِبه، وانقلب على عَقبيه))(1).

ولا تقتصر دلالة الآية على من كان على الشرك ثم أسلم، وإنما تشمل أيضاً -والله أعلم- من كان على الفطرة السليمة ثم لوثها بالشرك، وقد مر بنا مثل هذا المعنى عند الحديث عن المثل في قوله تعالى: ﮋﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﮊ [الحج:٣١]، وقول الآلوسي-رحمه الله-:((وهذا السقوط إن كان في حق المرتد فظاهر، وهو في حق غيره باعتبار الفطرة))(2).

وأما الجزء الثاني من أجزاء الممثل، وهو رجوع ذلك الموحد إلى الشرك، فيدل عليه قوله تعالى أيضاً: ﮋﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮊ فيكون المعنى: أيليق بنا معشر المؤمنين أن نرجع إلى الكفر بعد أن أنقذنا الله منه، فإن مثل من حصل منه ذلك كمثل من استهوته الشياطين...الخ.

كما يدل على ذلك أيضاً مقتضى المقابلة بين الممثل به والممثل له، فقد تقدم أن الممثل به شخص كان على الجادة والطريق الصحيح ثم انحرف عنه وضل الصواب، ومثله هذا الذي كان على التوحيد فتركه وعاد إلى الشرك.

وعبر بقوله: ﮋﮕﮊ، ولم يقل: ونرتد، إشارة إلى أن هذا الارتداد والرجوع إلى الشرك كان بسبب شياطين الإنس والجن، التي زينت له الكفر، وأغرته بترك الإسلام(3)، وهذا هو حال الكفار مع المؤمنين إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﮊ[البقرة:١٢٠] وقال سبحانه: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮊ [النساء:٨٩].

وفي قوله تعالى: ﮋ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﮊ، دلالة على الجزء الثالث من أجزاء الممثل له، وذلك من باب المقابلة بين الممثل به والممثل.

والدعاة هنا هم الرسل وأتباعهم في كل زمان ومكان.

قال أبو حيان-رحمه الله-: ((ﮋﮝ ﮞ ﮊ أي: له رفقة **وجعل مقابلهم في صورة التشبيه المسلمين**، يدعونه إلى الهدى فلا يلتفت إليهم، وهو تأويل ابن

---

(1) تفسير الطبري (15/2).
(2) روح المعاني (149/17).
(3) انظر: نفس المصدر (188/7).

Modifier avec WPS Office

عباس ومجاهد))[1].

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن جميع الأدلة والبراهين الدالة على التوحيد داخلة ضمن الدعاة له إلى الإسلام.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-:((وهذه حال الناس كلهم إلا من عصمه الله تعالى، فإنهم يجدون فيهم جواذب ودواعي متعارضة، **دواعي الرسالة والعقل الصحيح والفطرة المستقيمة**، ﮋﮭ ﮮ ﮯﮊ **والصعود إلى أعلى عليين...**))[2].

ومن الصور التي حكاها القرآن -وهي قريبة من حال ذلك الشخص المضروب له المَثَل- ما ذكره الله سبحانه عن ذلك الابن العاق لوالديه، قال تعالى: ﮋﮕ ﮖ ﮗﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ[الأحقاف:١٧] .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-:((ﮋﮕ ﮖ ﮗﮊ إذ د ـَع ـَو ـَاه إلى الإيمان بالله واليوم الآخر وخو ـّفاه الجزاء، وهذا أعظم إحسان يصدر من الوالدين لولدهما أن يدعواه إلى ما فيه سعادته الأبدية وفلاحه السرمدي، فقابلهما بأقبح مقابلة، فقال: ﮋﮘ ﮙﮊ أي: تبا لكما ولما جئتما به، ثم ذكر استبعاده وإنكاره لذلك فقال:ﮋﮚ ﮛ ﮜﮊ من قبري إلى يوم القيامة، ﮋﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡﮊ على التكذيب وسلفوا على الكفر، وهم الأئمة المقتدى بهم لكل كفور وجهول ومعاند، ﮋ ﮢﮊ أي: والده، ﮋ ﮣ ﮤﮊ عليه ويقولان له: ﮋ ﮥ ﮦﮊ أي: يبذلان غاية جهدهما ويسعيان في هدايته أشد السعي، حتى إنهما من حرصهما عليه يستغيثان الله له استغاثة الغريق، ويسألانه سؤال الشريق، ويعذلان ولدهما ويتوجعان له ويبينان له الحق، فيقولان ﮋﮧ ﮨ ﮩ ﮪﮊ ثم يقيمان عليه من الأدلة ما أمكنهما، وولدهما لا يزداد إلا عتوا ً ونفورا ً واستكبارا ً عن الحق وقدحا ً فيه، فيقول:ﮋﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﮊ أي: إلا منقول من كتب المتقدمين ليس من عند الله ولا أوحاه الله إلى رسوله))[3].

فهذا الابن العاق يدعوه والداه إلى الحق والهدى، فيأبي متحججاً بما مضى عليه الناس في القرون الخوالي، وهي حجة المشركين في كل زمان، فحاله شبيهة بحال هذا الذي أعرض عن التوحيد، وجميع الحجج تدعوه للرجوع إليه فلا يأبه ولا يلتفت.

وهذا الجزء من التشبيه يدل على أنواع المؤمنين مع الإيمان، فالمؤمنون مع الإيمان على قسمين:

1. من معه إيمان مجمل به يكون مسلماً، لكن حقيقة الإيمان لم تدخل

---

(1) تفسير البحر المحيط (162/4).
(2) تفسير السعدي (ص261).
(3) المصدر نفسه (ص781).

Modifier avec WPS Office

في قلبه، وليس عنده من اليقين ما يحميه من الشبهات، ويمنعه من الشهوات.

قال ابن تيمية-رحمه الله-:((فعامة الناس إذا أسلموا بعد كفر، أو ولدوا على الإسلام والتزموا شرائعه وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله، فهم مسلمون ومعهم إيمان مجمل، ولكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم إنما يحصل شيئاً فشيئاً إن أعطاهم الله ذلك، وإلا فكثير من الناس لا يصلون لا إلى اليقين ولا إلى الجهاد، ولو ﺷ ﻛ ﱢﻛ ﻮا ﻟ ﺸ ﻛ ﱡﻮا، ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا، وليسوا كفاراً ولا منافقين، بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدرأ الريب، ولا عندهم من قوة الحب لله ولرسوله ما يقدمونه على الأهل والمال، وهؤلاء إن عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة، وإن ابتلوا بمن يورد عليهم شبهات توجب ريبهم فان لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب وإلا صاروا مرتابين وانتقلوا إلى نوع من النفاق))[1].

2. من جاءوا بأصل الإيمان، وكملوه بفعل الفرائض واجتناب المحرمات ، وهؤلاء هم المتقون الذين استحقوا النجاة في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﮊ [فصلت:٣٠- ٣١] وأعلى منهم مرتبة من زاد على ذلك ترك المكروهات، وفعل المستحبات، وهؤلاء هم السابقون بالخيرات.

فالقسم الأول ينطبق على هذا التارك للإيمان الحائد عن الطريق الحق، فبسبب ما بقي في قلبه من شبهات الشرك وأدرانه التي لم يتمكن من التغلب عليها، انحرف عن الحق وترك الإسلام.

وأما المتقون الذين تغلغل الإيمان في أعماق قلوبهم، فهم على الحق سائرون، لا تزعزعهم الفتن والأهواء، وهؤلاء هم الذين يليق بهم دعوة الناس إلى التوحيد والدين الصحيح، لأنه قد رسخ وثبت في قلوبهم، فلا يزعزعه شيء.

وأما الجزء الرابع من أجزاء الممثل، وهو ما آل إليه من الحيرة والتردد، فيدل عليه مقابلته لحال ذلك التارك للطريق الحسي، فإذا كان التارك له أصبح في حيرة وتردد، فالتارك للطريق المعنوي أشد حيرة واضطراباً.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-:((وهذه حال الناس كلهم إلا من عصمه الله تعالى، فإنهم يجدون فيهم جواذب ودواعي متعارضة، دواعي الرسالة والعقل الصحيح والفطرة المستقيمة، ﮋ ﮩ ﮪ ﮊ والصعود إلى أعلى عليين، ودواعي الشيطان ومن سلك مسلكه والنفس الأمارة بالسوء، يدعونه إلى الضلال والنزول إلى أسفل سافلين، فمن الناس من يكون مع دواعي الهدى في أموره كلها أو أغلبها، ومنهم من بالعكس من ذلك، ومنهم من يتساوى لديه الداعيان، ويتعارض عنده الجاذبان، وفي هذا الموضع تعرف أهل السعادة من

(1) مجموع الفتاوى (271/7).

Modifier avec WPS Office

أهل الشقاوة))[1].

(1) تفسير السعدي (ص261).

Modifier avec WPS Office

المطلب الخامس

الفوائد العقدية المستفادة من المثل

وفيه ست فوائد:

الفائدة الأولى: دلالة المثل على حجة من حجج إبطال الشرك.

الفائدة الثانية: دلالة المثل على أن من الشرك دعاء غير الله.

الفائدة الثالثة: دلالة المثل على وجوب الخوف من الشرك.

الفائدة الرابعة: أهمية تعلم نواقض الإسلام.

الفائدة الخامسة: خطر التساهل في تكميل الإيمان، والبقاء على الإيمان المجمل.

الفائدة السادسة: أهمية لزوم الجماعة.

Modifier avec WPS Office

الفائدة الأولى
دلالة المثل على حجة من حجج إبطال الشرك

اشتمل قوله تعالى: ﮋﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙﮊعلى حجة عظيمة تدل على بطلان الشرك، هذه الحجة هي: أن هذه المعبودات التي صرف لها شيء من حق الله، لا تملك لعابديها نفعاً ولا ضرّاً، وقد تكررت هذه الحجة كثيراً في كتاب الله.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((والمعبود لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضرر، ولهذا أنكر الله تعالى على من عبد من دونه ما لا يملك ضراً ولا نفعاً، وذلك كثير في القرآن، كقوله تعالى: ﮋﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮊ [يونس:١٨]، وقوله تعالى: ﮋ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆﮊ [يونس:١٠٦]، وقوله تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ [المائدة:٧٦]، وقوله تعالى: ﮋﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮊ [الأنبياء:٦٦- ٦٧]، وقوله تعالى:ﮋﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ [الشعراء:٦٩- ٧٣]، وقوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ [الفرقان:٣]، وقال تعالى: ﮋ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﮊ [الفرقان:٥٥]، فنفى سبحانه عن هؤلاء المعبودين من دونه النفع والضر القاصر والمتعدي، فلا يملكونه لأنفسهم ولا لعابديهم، وهذا في القرآن كثير))[1].

إذا ثبت هذا فكيف يُجاب عن قوله تعالى:ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﮊ [الحج: ١٣]، حيث أن ظاهرها إثبات النفع والضر غير أن الضر أقرب؟

ذكر جمع من المفسرين أن هذه الآية من مشكلات القرآن[2]، وذكروا للجمع بينها وبين سائر الآيات التي تنفي الضر والنفع عن الأوثان مطلقاً عدة أجوبة[3]، لعل أقربها ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- حيث قال:((وقوله: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮊ [الحج:١٢]، نفى عام كما في قوله: ﮋﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﮊ، فهو لا يقدر أن يضر أحداً سواء عبده أو لم يعبده، ولا ينفع أحداً سواء عبده أو لم يعبده...

وأما قوله:ﮋﯠ ﯡ ﯢ ﯣﮊ فنقول: أولاً: المنفى هو فعلهم بقوله:ﮋﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮊ، والمثبت اسم مضاف إليه، فإنه لم يقل: يضر أعظم مما ينفع، بل قال:ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﮊوالشيء يضاف إلى الشيء بأدنى ملابسة، فلا يجب أن يكون الضر و النفع المضافين من باب إضافة المصدر إلى الفاعل، بل قد يضاف المصدر من

(1) بدائع الفوائد (513/3).
(2) انظر: تفسير البغوي (277/3)، ومجموع الفتاوى (269/15).
(3) انظر: تفسير الكشاف (148/3)، والبحر المحيط (330/6) ، وأضواء البيان (284/4).

Modifier avec WPS Office

جهة كونه اسماً كما تضاف سائر الأسماء، وقد يضاف إلى محله وزمانه ومكانه وسبب حدوثه وأن لم يكن فاعلا ً، كقوله: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮﮊ [سبأ:٣٣]، ولا ريب أن بين المعبود من دون الله وبين ضرر عابديه تعلق يقتضى الإضافة، كأنه قيل: لمن شره أقرب من خيره، وخسارته أقرب من ربحه، فتدبر هذا.

ولو جعل هو فاعل الضر بهذا، لأنه سبب فيه لا لأنه هو الذي فعل الضرر، وهذا كقول الخليل عن الأصنام: ﮋﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮊ [إبراهيم:٣٦]، فنسب الإضلال إليهن، والإضلال هو ضرر لمن أضللنه، وكذلك قوله: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ [هود:١٠١]، وهذا كما يقال: أهلك الناس الدرهم والدينار، وأهلك النساء الأحمران الذهب و الحرير، وكما يقال للمحبوب المعشوق الذي تضر محبته وعشقه: إنه عذب هذا وأهلكه وأفسده وقتله وعثره، وإن كان ذاك المحبوب قد لا يكون شاعرا ً بحال هذا البتة، وكذلك يقال في المحسود: إنه يعذب حاسديه وإن كان لا شعور له بهم.

وفى الصحيحين عن عمرو بن عوف [(1)] عن النبي أنه قال:((والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخاف أن تـ بُسط عليكم الدنيا كما بـ سُطت على من كان قبلكم، فتتنافسوا فيها كما تنافسوا فيها، وتهلككم كما أهلكتهم))[(2)]، فجعل الدنيا المبسوطة هي المهلـ ِكة لهم، وذلك بسبب حبها والحرص عليها والمنافسة فيها، وإن كانت مفعولا ً بها لا اختيار لها، فهكذا المدعو المعبود من دون الله الذي لم يأمر بعبادة نفسه، إما لكونه جمادا ً، وإما لكونه عبدا ً مطيعا ً لله من الملائكة والأنبياء والصالحين من الإنس والجن، فما يدعى من دون الله هو لا ينفع ولا يضر، لكن هو السبب في دعاء الداعي له وعبادته إياه، وعبادة ذاك ودعاؤه هو الذي ضره، فهذا الضر المضاف إليه غير الضر المنفى عنه))[(3)].

وهذا الجواب من شيخ الإسلام يزيل الإشكال وإيهام التعارض بين المثبت والمنفي، والله أعلم.

---

(1) هو عمرو بن عوف الأنصاري، حليف لبني عامر بن لؤي، صحابي شهد بدراً، روى له الجماعة سوى أبي داود، روى عن النبي حديثاً واحداً. انظر: تهذيب الكمال (174/2)، والإصابة (667/4).

(2) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية و الموادعة مع أهل الذمة والحرب، حديث(3158)، ومسلم، كتاب الزهد و الرقاق، حديث(2961).

(3) مجموع الفتاوى (272/15-274).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثانية
دلالة المثل على أن من الشرك دعاء غير الله

الدعاء في اللغة: النداء، قال ابن فارس:((الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: د ـَ ع ـَو ـْت ـُ أ ـَد ـْعو د ـُع ـَاء))[1].

ويرد الدعاء في الشرع ويراد به معنيان: دعاء العبادة ودعاء المسألة.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: ((لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين، دعاء العبادة ودعاء المسألة))[2].

و بين-رحمه الله- التلازم بين دعاء العبادة ودعاء المسألة، حيث قال:((وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول، وكل عابد له فهو أيضاً راغب وراهب، يرجو رحمته ويخاف عذابه، فكل عابد سائل وكل سائل عابد، فأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه، ولكن إذا جمع بينهما فإنه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغة السؤال والطلب، ويراد بالعابد من يتطلب ذلك بامتثال الأمر، وإن لم يكن في ذلك صيغ سؤال))[3].

والدعاء بنوعيه يجب أن يكون خالصاً لله، فمن صرف شيء من ذلك لغير الله فقد أشرك، قال تعالى: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﭼ[يونس:١٠٦] وقال تعالى:ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ[الجن: ١٨- ٢٠] وغيرها من الآيات.

ودعاء المسألة من أعظم أنواع العبادة كما في الحديث:((الدعاء هو العبادة))[4]، أي:((أن الدعاء لب العبادة وخالصها، لأن الداعي إنما يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه، وذلك حقيقة التوحيد والإخلاص ولا عبادة فوقهما))[5].

والمشركون يُقِرُّون بأن الشرك يقع في العبادة، وينكرون أن دعاء الأموات والأولياء شرك، ويصرفون الآيات التي فيها النص على أن الدعاء شرك إلى

---

(1) معجم مقاييس اللغة (279/2).
(2) مجموع الفتاوى (237/10).
(3) المصدر نفسه (239/10-240).
(4) أخرجه أحمد، (267/4)، حديث(18352)، وأبوداود، كتاب الوتر، باب الدعاء، حديث(1479)، والترمذي،كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، حديث(2969)، والنسائي في سننه الكبرى، (450/6) حديث (11464)، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، حديث (3828)، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (153/6).
(5) تحفة الأحوذي (219/9).

Modifier avec WPS Office

دعاء العبادة فقط.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله -بعد أن ذكر التلازم بين نوعي العبادة-:((وبهذا التحقيق يندفع عنك ما يقوله ع ُبـ ّاد القبور إذ احتج عليهم بما ذكر الله في القرآن من الأمر بإخلاص الدعاء له، قالوا المراد به العبادة، فيقولون في مثل قوله تعالى: ژ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ژ أي لا تعبدوا مع الله أحدا ً، فيقال لهم: وإن أريد به دعاء العبادة فلا ينفي أن يدخل دعاء المسألة في العبادة، لأن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، كما أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة))[1].

ثم قال-رحمه الله-:((فثبت بهذا أن الدعاء عبادة من أجل العبادات، بل هو أكرمها على الله كما تقدم، فإن لم يكن الإشراك فيه شركا ً فليس في الأرض شرك، وإن كان في الأرض شرك فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركا ً من الإشراك في غيره من أنواع العبادة، بل الإشراك في الدعاء هو أكبر شرك المشركين الذين بـ ُعث إليهم رسول الله ؛ فإنهم يدعون الأنبياء والصالحين والملائكة ويتقربون إليهم ليشفعوا لهم عند الله))[2].

فإذا كان المشركون لا يقرون بأن الدعاء عبادة لا يجوز صرفها لغير الله، فبماذا يصفون ما يقومون به من دعاء الأموات والاستغاثة بهم؟

يصفون ذلك بأنه توسل بهم وليس عبادة، يقول الدكتور عبد العزيز آل عبد اللطيف-حفظه الله-: ((لقد ادعى هؤلاء الخصوم-أي: خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- جواز التوسل بالأموات مثلما جاز التوسل بالأحياء، لأنه لا فرق بينهما - على حد ِّ زعمهم -، ومما يدل على أهمية الشبهة وخطورتها: أن الخصوم قد اتخذوا لفظ (التوسل) مطيّة يتوصلون بها إلى إثبات ما تهواه أنفسهم من جواز بعض الشركيات والكفريات، مثل: الاستغاثة بالأموات، والا ستعانة بهم في قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، لأن هؤلاء الجهلة يزعمون أنه لا فرق بين لفظ التوسل، ولفظ الاستغاثة، فخلطوا بينهما))[3].

وقد رد عليهم أهل السنة مبينين الفرق بين التوسل والاستغاثة، وأن الا ستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك، بخلاف التوسل فمنه ما يكون مشروعاً، ومنه ما يكون ممنوعاً، والله أعلم[4].

---

(1) تيسير العزيز الحميد (ص171).
(2) المصدر نفسه (ص177).
(3) دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقض(ص 289).
(4) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية المجلد التاسع، ودعاوى المناؤئين (ص289-333).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الثالثة
دلالة المثل على وجوب الخوف من الشرك

دل المثل على وجوب الخوف من الشرك والحذر منه، حيث صور المثل خطر الشياطين في إضلال الناس عن التوحيد، وردهم إلى الكفر، فما دام العدو متربصاً فلا بد من الخوف والحذر.

وقد بوب الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد باباً بعنوان:(باب الخوف من الشرك).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله-رحمه الله-:((لما كان الشرك أعظم ذنب عُصي الله به، ولهذا ر تّب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يُرتبه على ذنب سواه، من إباحة دماء أهله وأموالهم وسبي نسائهم وأولادهم، وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة منه، نبه المصنف بهذه الترجمة على أنه ينبغي للمؤمن أن يخاف منه ويحذره، ويعرف أسبابه ومبادئه وأنواعه لئلا يقع فيه، ولهذا قال حذيفة:((كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه)) رواه البخاري[1]، وذلك أن من لم يعرف إلا الخير قد يأتيه الشر ولا يعرف أنه شر، فإما أن يقع فيه، وأما أن لا ينكره كما ينكره الذي عرفه، ولهذا قال عمر بن الخطاب : إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية))[2].

وقد سأل الخليل أن يجنبه الله وبنيه عبادة الأصنام، قال تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮊ [إبراهيم:٣٥] ((وإنما دعا إبراهيم بذلك لأن كثيراً من الناس افتتنوا بها، كما قال:ﮋ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮊ [إبراهيم:٣٦]، فخاف من ذلك، ودعا الله أن يعافيه وبنيه من عبادتها، فإذا كان إبراهيم يسأل الله أن يجنبه ويجنب بنيه عبادة الأصنام فما ظنك بغيره، كما قال إبراهيم التيمي:((ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم)) رواه ابن جرير[3]وابن أبي حاتم[4]، وهذا يوجب للقلب الحي أن يخاف من الشرك، لا كما يقول الجهال: إن الشرك لا يقع في هذه الأمة، ولهذا أمنوا الشرك فوقعوا فيه))[5].

---

(1) متفق عليه، البخاري،كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث(3606)، ورواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال...، حديث(1847).
(2) تيسير العزيز الحميد (ص91).
(3) (228/13).
(4) عزاه له السيوطي في الدر المنثور (46/5).
(5) تيسير العزيز الحميد (92).

Modifier avec WPS Office

الفائدة الرابعة
أهمية تعلم نواقض الإسلام

مر معنا في الفائدة السابقة أن الإنسان قد يقع في الشرك بعد أن هداه الله إلى التوحيد، وهذا يستوجب أن يحرص المرء على تعلم نواقض الإسلام- وأعظمها الشرك- حتى يحذر من الوقوع فيها.

وقد دلت النصوص على أن للإيمان أموراً تبطله، ويصبح من قامت به مرتداً عن الإسلام، قال الشيخ صالح الفوزان-حفظه الله-:((الردة تحصل بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام، ونواقض الإسلام كثيرة، ترجع في أربعة أقسام هي :

1. الردة بالقول: كسب الله تعالى أو رسوله أو ملائكته أو أحد من رسله، أو ادعاء علم الغيب، أو ادعاء النبوة، أو تصديق من يدعيها، أو دعاء غير الله، أو الاستعانة به فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو الاستعاذة به في ذلك.
2. الردة بالفعل: كالسجود للصنم والشجر والحجر والقبور والذبح لها، وإلقاء المصحف في المواطن القذرة، وعمل السحر وتعلمه وتعليمه، والحكم بغير ما أنزل الله معتقدا ً حل ّه.
3. الردة بالاعتقاد: كاعتقاد الشريك لله، أو أن الزنا والخمر والربا حلال، أو أن الخبز حرام، أو أن الصلاة غير واجبة، ونحو ذلك مما أ ُجمع على حل ِّه أو حرمته أو وجوبه إجماعا ً قطعيا ً ومثله لا يجهله.
4. الردة بالشك في شيء مما سبق: كمن شك في تحريم الشرك أو تحريم الزنا والخمر، أو في حل الخبز، أو شك في رسالة النبي أو رسالة غيره من الأنبياء، أو في صدقه، أو في دين الإسلام، أو في صلاحيته لهذا الزمان))[1].

فهذه أصول النواقض التي ترجع إليها، وهناك تفصيلات لكل ناقض يطول ذكرها[2].

---

(1) كتاب التوحيد للفوزان(ص33)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف و الدعوة والإرشاد، ط4، 1423هـ.

(2) للاستزادة انظر: رسالة نواقض الإسلام للإمام محمد بن عبد الوهاب، مع شروحاتها، ونواقض الإيمان القولية والعملية للدكتور/عبد العزيز آل عبد اللطيف، ونواقض الإيمان الاعتقادية للدكتور/ محمد بن عبد الله الوهيبي، وغيرها.

Modifier avec WPS Office

الفائدة الخامسة
خطر التساهل في تكميل الإيمان، والبقاء على الإيمان المجمل

مر معنا عند الحديث عن صورة الممثل له أن المؤمنين على نوعين، وأن منهم من معه إيمان مجمل وليس عنده من اليقين ما يحميه من الشبهات و الشهوات، وهذا يبين ضرورة العناية بتكميل شعب الإيمان علماً وعملاً للثبات واليقين.

وقد أشار الله سبحانه إلى أثر الإيمان في الهداية والتثبت، فقال سبحانه: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ [يونس:٩]، وقال سبحانه: ﮋ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﮊ [إبراهيم:٢٧]، وغيرها من الآيات.

كما وصف تعالى المؤمن على الحقيقة بأنه مَنْ رَسَخَ في الإيمان، وبذل نفسه وماله في سبيل الله، قال تعالى: ﮋ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﮊ [الحجرات:١٤- ١٥] .

قال ابن القيم-رحمه الله-: ((فهؤلاء مسلمون وليسوا بمؤمنين، لأنهم ليسوا ممن باشر الإيمان قلبه فذاق حلاوته وطعمه، وهذا حال أكثر المنتسبين إلى الإ سلام، وليس هؤلاء كفاراً فإنه سبحانه أثبت لهم الإسلام، بقوله: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙﮊ، ولم يرد قولوا بألسنتكم من غير مواطأة القلب، فإنه فَرَّقَ بين قولهم آمنا وقولهم أسلمنا، ولكن لما لم يذوقوا طعم الإيمان قال: ﮋﮕ ﮖ ﮊ ، ووعدهم سبحانه وتعالى مع ذلك على طاعتهم أن لا ينقصهم من أجور أعمالهم شيئاً.

ثم ذكر أهل الإيمان الذين ذاقوا طعمه وهم الذين آمنوا به وبرسوله ثم لم يرتابوا في إيمانهم، **وإنما انتفى عنهم الريب، لأن الإيمان قد باشر قلوبهم وخالطتها بشاشته، فلم يبق للريب فيه موضع**، وصدق ذلك الذوق بذلهم أحب شيء إليهم في رضى ربهم تعالى، وهو أموالهم وأنفسهم، ومن الممتنع حصول هذا البذل من غير ذوق طعم الإيمان ووجود حلاوته، فإن ذلك إنما يحصل بصدق الذوق والوجد، كما قال الحسن[1]:((ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل))[2]، فالذوق والوجد أمر باطن و العمل دليل عليه ومصدق له، كما أن الريب والشك والنفاق أمر باطن والعمل

---

(1) هو الحسن بن أبي الحسن البصري، أبو سعيد، واسم أبي الحسن يسار، سيد أهل زمانه علماً وعملاً، وله من المناقب والفضائل الشيء الكثير، ولد سنة 21هـ، وتوفي سنة 110هـ. انظر: معرفة القراء الكبار (65/1)، وتهذيب الكمال (95/6).

(2) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (163/6) برقم (30351)، والخطابي في غريب الحديث، (101/3).

Modifier avec WPS Office

دليل عليه ومصدق له، فالأعمال ثمرات العلوم والعقائد، فاليقين يثمر الجهاد ومقامات الإحسان، فعلى حسب قوته تكون ثمرته ونتيجته، والريب والشك يثمر الأعمال المناسبة له، وبالله التوفيق))[1].

وقد بين سبحانه ما يجري لهذا الصنف من الناس حال الفتن والابتلاءات، قال تعالى: ﭽ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ [الحج:١١]، وقال تعالى: ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ [العنكبوت:١٠].

قال ابن القيم-رحمه الله-:((ثم ذكر سبحانه حال من دخل في الإيمان على ضعف عزم وقلة صبر وعدم ثبات على المحنة والابتلاء، وأنه إذا أوذي في الله كما جرت به سنة الله واقتضت حكمته من ابتلاء أوليائه بأعدائه وتسليطهم عليهم بأنواع المكاره والأذى، لم يصبر على ذلك وجزع منه وفر منه ومن أسبابه كما يفر من عذاب الله، فجعل فتنة الناس له على الإيمان وطاعة رسله كعذاب الله لمن يعذبه على الشرك ومخالفة رسله، وهذا يدل على عدم البصيرة، وأن الإيمان لم يدخل قلبه ولا ذاق حلاوته حتى سوى بين عذاب الله له على الإيمان بالله ورسوله، وبين عذاب الله لمن لم يؤمن به وبرسله، وهذا حال من يعبد الله على حرف واحد، لم ترسخ قدمه في الإيمان وعبادة الله، فهو من المفتونين المعذبين وإن فر من عذاب الناس له على الإيمان))[2].

فلابد من تكميل شعب الإيمان علماً وعملاً حتى تحصل للعبد السلامة و النجاة من الفتن والزيغ والانحراف عن الصراط المستقيم، والنهج القويم، و الله المستعان.

(1) مدارج السالكين (92/3).
(2) شفاء العليل (ص247).

Modifier avec WPS Office

الفائدة السادسة
أهمية لزوم الجماعة

هذا المثل يُصَوِر الخطر الناتج عن مفارقة الجماعة، والتفرد عنهم، وذلك بتصوير الهلاك الذي ينتج عن ترك الرفقة الصالحة وسلوك طريق آخر مخالف لما هم عليه.

وقد حَذّر النبي من هذا الأمر، فقال عليه الصلاة والسلام:((فعليكم بـ الجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية))[1].

وقال :((من رأى من أميره شيئا ً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرا ً فمات إلا مات ميتة جاهلية))[2]، وغيرها من الأحاديث.

كما بين أهمية لزوم الجماعة باعتبارها مخرج من الفتن، وذلك في عدد من الأحاديث.

منها: حديث حذيفة قال: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني... إلى قوله: فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر، قال:((نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها)) فقلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال:((نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا))، قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك؟، قال:((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم))، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال:((فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك))[3]، وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي قال:((وإن أمتكم هذه جـ ُعـ ِل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها ً بعضا ً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يـ ُزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بـالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يـ ُؤتى إليه، ومن بايع إماما ً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر)) [4].

---

(1) أخرجه أحمد، (196/5)، حديث(21710)، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة، حديث(547)، والنسائي، كتاب الإمامة، باب التشديد في ترك الجماعة، حديث(847) وهو حديث صحيح، انظر: صحيح الترغيب والترهيب للألباني (102/1).

(2) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي :((سترون بعدي أموراً تنكرونها))، حديث (7053)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن...، حديث(1847).

(3) تقدم تخريجه قريباً (ص499).

(4) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأ

Modifier avec WPS Office

ومن صور ترك الجماعة ومفارقتها: ترك الإقامة في بلاد المسلمين التي تتمثل فيها الجماعة، والعيش بين ظهراني المشركين، وقد نهى النبي عن ذلك حيث قال:((أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين))[1].

قال الشيخ عبد العزيز بن باز-رحمه الله-: ((وهذه الإقامة لا تصدر عن قلب عرف حقيقة الإسلام والإيمان، وعرف ما يجب من حق الله في الإسلام على المسلمين، ورضي بالله ربا ً، وبالإسلام دينا ً، وبمحمد نبيا ً ورسولا ً، **فإن الرضا بذلك يتضمن من محبة الله وإيثار مرضاته والغيرة لدينه والانحياز إلى أوليائه ما يوجب البراءة التامة والتباعد كل التباعد من الكفرة وبلادهم، بل نفس الإيمان المطلق في الكتاب والسنة لا يجتمع مع هذه المنكرات))**[2].

وقد بين شيخ الإسلام-رحمه الله- أثر المشابهة الظاهرة للكفار في التأثر بأديانهم ومعتقداتهم،وأعظم ذلك مساكنتهم في ديارهم، حيث قال:((فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي، وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفرا ً من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى هم أقل إيمانا من غيرهم ممن جرد الإسلام))[3].

فالجماعة بالأبدان، والتي يمثلها العيش في بلاد المسلمين، والجماعة تحت إمام واحد، تعتبران من أسباب النجاة من الفتن والضلال، وقد أمر بهما النبي وحض عليهما.

أول، حديث(1844).

(1) أخرجه أبوداود، كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود، حديث(2645)، والترمذي، كتاب السيرة، باب كراهية المقام بين أظهر المشركين، حديث(1604)، وهو حديث صحيح، انظر: إرواء الغليل (29/5).

(2) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (317/9).

(3) اقتضاء الصراط المستقيم (ص220).

Modifier avec WPS Office

الخَــاِتمَــــةِ

بعد هذه الجولة المباركة-بإذن الله- في حدائق الأمثال القرآنية الغناء، أرى أنه من المناسب أن أختم بخاتمة أُجمل فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة، وهذه النتائج هي:

أولا ً: إبراز تفاسير الصحابة ومن بعدهم من الأئمة السائرين على منهج السلف الصالح للأمثال القرآنية، والاعتماد على أقوالهم في تحديد معنى المثل.

ثانياً: إبراز جهود شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- في تفسير الأمثال، وخاصة الأمثال الأنموذجية، والأمثال الجارية على قياس الأولى، حيث لا تكاد تجد من وضّح المراد بتلك الأمثال غير هذا الإمام، وإبراز جهوده المتعلقة بالأ مثال التي تناولتها هذه الدراسة يعد من الميزات لها.

ثالثاً: تضمنت الأمثال الدلالة على أهمية الإخلاص وبركته، وهذه المعاني تجلت في المثل الوارد في قوله تعالى:ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮊ [البقرة:٢٦١].

وقوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﮊ [البقرة:٢٦٥].

رابعاً: تضمنت الأمثال الدلالة على ثبات وطمأنينة الموحد، من تلك الأمثال:

المثل في قوله تعالى: ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚﮊ[البقرة:٢٥٦].

وقوله:ﮋ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﮊ [إبراهيم: ٢٤- ٢٥].

وقوله تعالى:ﮋﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﮊ [الملك:٢٢].

و قوله تعالى:ﮋ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﮊ [الزمر:٢٩].

خامساً: تضمنت الأمثال التنفير من الشرك، ببيان سقوط المشرك من و لاية الله، دل على هذا المعنى قوله تعالى:ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﮊ[الحج: ٣١].

سادساً: تضمنت الأمثال بيان ضعف ما يتمسك به المشركون، من تلك الأ مثال:

المثل في قوله تعالى:ﮋﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮇﮈﮉﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ [العنكبوت:٤١].

وقوله تعالى:ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﮊ [إبراهيم:٢٦].

سابعاً: تضمنت الأمثال التأكيد على عجز من يدعى من دون الله، من تلك الأ مثال:

المثل في قوله تعالى:ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﮊ [الأ

أعراف:١٩٤].

وقوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭩ ﭪﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﮊ [الحج:٧٣].

وقوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭﮊ [الرعد:١٤].

وقوله تعالى: ﮋ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅ ﮆ ﮇﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬﮊ [النحل: ٧٥- ٧٦].

ثامناً: تضمنت الأمثال بيان قبح الشرك بشيء يعهده المخاطبون من أنفسهم، وهو كراهة السيد مشاركة عبده فيما يملك، وذلك في قوله: ﮋ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪﮊ [النحل:٧١]، وقـوله تعالى: ﮋ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﮊ [الروم:٢٨].

تاسعاً: تضمنت الأمثال بيان شؤم الشرك، وسوء عاقبته، وحيرة أهله، من ذلك:

المثل في قوله تعالى: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﮊ [البقرة:٢٦٤].

وقوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﮊ [البقرة: ٢٦٦].

وقوله تعالى: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﮊ إلى قوله: ﮋ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﮊ [الكهف:32- ٤4].

وقوله تعالى: ﮋ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮘﮙﮚﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮟ ﮠ ﮡ ﮢﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﮰﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ [الأنعام:٧١].

أما التوصيات فأهمها توصيتان:

الأولى: أن تُجمع الأمثال القرآنية في موسوعة واحدة، بحيث يجد الراغب في فهم الأمثال جميع ما يحتاجه في كتاب واحد, وأن يجعل من الأ مثال العقدية التي سبق وأن بُحثت في قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية، نواة لتلك الموسوعة، وذلك لأنها استوعبت جميع الأمثال العقدية بالدراسة و التحليل.

الثانية: الاستفادة من الأمثال القرآنية في مجالات الدعوة إلى الله كافة، وأوصي بأن تلخص معاني الأمثال في مطويات وكتيبات صغيرة لتعم بها الفائدة.

Modifier avec WPS Office

وفي الختام أحمد الله على ما يسر وأعان من إتمام هذه الرسالة، وأسأله القبول والتوفيق، والحمد لله أولا ً وآخراً وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

Modifier avec WPS Office

الفهارس العامة

Modifier avec WPS Office

فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة

سورة البقرة

Modifier avec WPS Office

سورة آل عمران

سورة النساء

Modifier avec WPS Office

سورة المائدة

سورة الأنعام

Modifier avec WPS Office

سورة الأعراف

Modifier avec WPS Office

سورة الأنفال

سورة التوبة

Modifier avec WPS Office

سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف

سورة الرعد

Modifier avec WPS Office

سورة إبراهيم

سورة الحجر

سورة النحل

Modifier avec WPS Office

سورة الإسراء

سورة الكهف

Modifier avec WPS Office

سورة مريم

Modifier avec WPS Office

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

Modifier avec WPS Office

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

Modifier avec WPS Office

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

Modifier avec WPS Office

سورة لقمان

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة يس

Modifier avec WPS Office

سورة الصافات

سورة ص

سورة الزمر

Modifier avec WPS Office

سورة غافر

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

Modifier avec WPS Office

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

سورة محمد

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة ق

سورة الذاريات

سورة النجم

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

سورة القلم

سورة الحاقة

سورة الجن

سورة المدثر

سورة الانفطار

سورة الطارق


Modifier avec WPS Office

سورة الأعلى

سورة الغاشية

سورة الفجر

سورة العلق

سورة البينة

Modifier avec WPS Office

فهرس الأحاديث النبوية

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

الحديث الصفحة

الحديث الصفحة

Modifier avec WPS Office

الحديث	الصفحة

Modifier avec WPS Office

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

فهرس الآثار

Modifier avec WPS Office

الأثـر	الصفحة

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

فهرس الأعلام

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

العلـــم | الصفحة

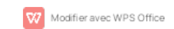
Modifier avec WPS Office

فهرس الألفاظ الغريبة

Modifier avec WPS Office

فهرس المصادر والمراجع

- أبجد العلوم (الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم) لصديق خان، ت: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1978هـ.
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، عام 1416هـ.
- أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة,المدينة المنورة, الجامعة الإسلامية, عمادة البحث العلمي, الطبعة الثانية, 1428 هـ.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ترتيب ابن بلبان الفارسي, تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة, الطبعة الأولى, 1408هـ.
- أحكام أهل الذمة لابن القيم، ت: يوسف البكري وشاكر العاروري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1418هـ.
- إحياء علوم الدين, محمد الغزالي, دار االمعرفة – بيروت.
- أخذ الميثاق في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ...) للعثيم، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1419هـ.
- أدب الدنيا والدين, أبو الحسن الماوردي, دار إقرأ, بيروت, لبنان, الطبعة الرابعة, 1405هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي, بيروت، لبنان.
- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد, صالح الفوزان, ت: عبد الرحمن بن أحمد الجميزي, مكتبة دار المنهاج, الرياض, الطبعة الأولى, 1429هـ.
- استنساخ الأجنة من الخلايا المهندسة وراثياً في ضوء العقيدة الاسلا مية,عبد الله الجربوع, بحث غير منشور.
- الاستغاثة في الرد على البكري، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية, ت: عبد الله بن محمد السهلي, دار الوطن, الرياض, 1417هـ، الطبعة الأولى.
- الاستنساخ بين العلم والدين لعبد الهادي مصباح، الدار المصرية اللبنانية، ط2، 1997م.
- الاستنساخ تقنية- فوائد ومخاطر- للكريّم، مؤسسة عكاظ للصحافة و النشر، 1418هـ.
- الاستنساخ في ضوء الأصول والقواعد والمقاصد الشرعية للخادمي، دار الزاحم للنشر والتوزيع، ط1، 1422هـ.
- الاستنساخ قنبلة العصر للدمرداش، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418 هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر, ت: علي بن محمد البجاوي


Modifier avec WPS Office

، دار الجيل, بيروت, ط1، 1412هـ.
- الأسماء والصفات, أحمد بن الحسين البيهقي, ت: عبد الله الحاشدي, مكتبة السوادي, جدة, الطبعة الأولى,1412هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة, لابن حجر العسقلاني، ت: علي بن محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ.
- الأصول الثلاثة مع شرحها للشيخ ابن عثيمين, دار الثريا, الرياض, الطبعة الثانية, 1414هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، مطبعة المدني، ط1، عام 1386هـ.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث للبيهقي، ت: أحمد عاصم الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1401هـ.
- أعلام السنة المنشورة, حافظ بن أحمد الحكمي, ت: أحمد بن علي علوش, مكتبة الرشد, الرياض, الطبعة الأولى, 1418هـ.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم, ت: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، لبنان، عام 1973هـ.
- الأعلام, لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم، ت: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1395هـ.
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية، ت: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، ط2، 1369هـ.
- أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع لعبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، ط2، 1412هـ.
- الأمثال في القرآن الكريم للفياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط1، عام 1414هـ.
- الأمثال من الكتاب والسنة للحكيم الترمذي، ت: السيد الجميلي، دار ابن زيدون-دار أسامة، بيروت، لبنان.
- إنباء الغُمر بأبناء العمر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: د.محمد عبد المعيد خان, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, 1406هـ -1986م, الطبعة الثانية.
- أنوار التنـزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، دار الفكر، بيروت، 1402هـ.
- الإيمان بالله, عمر بن سليمان الأشقر, دار النفائس, عمان, الأردن, الطبعة الأولى, 1428هـ.
- البحر الزخار (مسند البزار), أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار, مؤسسة علوم القرآن, بيروت, 1416هـ, العلوم والحكم, المدينة, 1409هـ, الطبعة الأ


Modifier avec WPS Office

أولى.
- بدائع الفوائد لابن القيم، مكتبة نزار مصطفى الباز, مكة المكرمة, ط1 عام 1416هـ.
- البداية والنهاية لابن كثير, تحقيق: محمد عبد العزيز النجار, مكتبة الفلاح، الرياض.
- البداية والنهاية, لابن كثير, ت: عبد الله التركي، دار هجر.
- البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع, للشوكاني, دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث للهيثمي, ت: مسعد عبد الحميد محمد السعدني ، دار الطلائع ، القاهرة.
- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية لابن تيمية, ت: موسى بن سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1408هـ.
- بغية الوعاة, المكتبة العصرية, لبنان, صيدا, ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- بيان تلبيس الجمهية في تأسيس بدعهم الكلامية, ت: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، المطابع الحكومية، مكة المكرمة، ط1، عام 1392هـ
- بيت العنكبوت، خليل إبراهيم أمين, دار المقتطف للنشر والتوزيع, الطبعة الأولى, 1423هـ.
- البرهان في علوم القرآن للزركشي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- البلاغة فنونها وأفنانها لفضل عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط9، عام 1424هـ.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزآبادي، ت: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط1، عام 1407هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، ت: جماعة من المحققين، دار الهداية.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان للذهبي، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ.
- تاريخ بغداد للخطيب البغذادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تأملات في مماثلة المؤمن للنخلة, عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر, دار ابن عفان للنشر والتوزيع, الطبعة الأولى, 1419هـ.
- التبرك أنواعه وأحكامه للجديع، مكتبة الرشد، الرياض، ط6، 1428هـ.
- التحرير والتنوير من التفسير لابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م.
- التدمرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت: محمد بن عودة السعوي، الطبعة الأ
Modifier avec WPS Office

أولى، 1405هـ.
- تذكرة الحفاظ للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.
- تطهير الاعتقاد عن أدران الشرك والإلحاد للصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- تفسير ابن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.
- تفسير البحر المحيط لأبي حيان، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار الفكر، بيروت، عام 1401هـ.
- تفسير عبد الرزاق الصنعاني, مكتبة الرشد, الرياض, الطبعة الأولى, 1410هـ.
- التفسير الكبير للفخرالرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.
- تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ت: أبو الأشبال، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1416هـ.
- تلبيس إبليس لابن الجوزي، ت: د.السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر، ت: مصطفى بن أحمد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ.
- تهذيب الكمال للمزي، ت: د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، عام 1400هـ.
- تهذيب اللغة للأزهري، دار إحياء العربي، بيروت، لبنان، ط1، عام 2001م.
- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، عام 1999م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ت: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، عام 1420هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، لبنان، عام 1405هـ.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لابن رجب، ت: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1417هـ.
- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) للترمذي تحقيق: أحمد شاكر, دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) للترمذي، طبعة بيت الأفكار الدولية، 1420 هـ.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي, دار الشعب، القاهرة.
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام, لابن القيم، ت:

Modifier avec WPS Office

شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، ط2، 1407هـ.
- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، دار الفكر، بيروت.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، مطبعة المدني، مصر.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- جواهر البلاغة للهاشمي، تعليق وتدقيق: سليمان الصالح، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، عام 1426هـ.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- حاشية كتاب التوحيد, عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي, الطبعة الرابعة, 1414هـ.
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ.
- الحيوان, أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ت: عبد السلام محمد هارون, دار الجيل, لبنان, بيروت,1416هـ, 1996م.
- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأ دبية، الرياض، عام 1391هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، دار الفكر, 1993م.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية, جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي، الطبعة الخامسة،1413هـ.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط2، عام 1392هـ.
- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقض, طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء, الرياض, 1427هـ.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الرد على المنطقيين لابن تيمية، دار المعرفة، بيروت.
- رسالة نواقض الإسلام للإمام محمد بن عبد الوهاب، مع شروحاتها.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ.
- روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة، ت: عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط2، عام

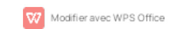
Modifier avec WPS Office

1399هـ.
- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3 ، 1404هـ.
- زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسي, ت: محمد حجي و د. محمد الأخضر، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط1، عام1401هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، مكتبة المعارف، الرياض.
- سنن ابن ماجه, محمد بن يزيد القزويني, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء الكتب العربية، 1372هـ.
- سنن أبي داود ، طبعة بيت الأفكار الدولية ،1420هـ وبهامشها أحكام الشيخ الألباني على الأحاديث.
- سنن أبي داود, ت: عزت عبيد الدعاس,: دار الحديث ، سوريا, الطبعة الأولى, 1388هـ.
- سنن الدارمي, ت: حسين سليم أسد, دار المغني الرياض, الطبعة الأولى, 1421هـ.
- سنن النسائي ، طبعة بيت الأفكار الدولية ،1420هـ. وبهامشها أحكام الشيخ ا لألباني على الأحاديث
- سنن النسائي, مكتب المطبوعات الإسلامية حلب 1406هـ.
- السنن الكبرى ، البيهقي ، دار الفكر
- السنن الكبرى للنسائي, ت: حسن عبد المنعم شلبي, الطبعة الأولى, 1422هـ.
- السنن الكبرى, أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي, دار الكتب العلمية, بيروت, 1411هـ, الطبعة الأولى.
- سير أعلام النبلاء للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1.
- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، ت: طه عبد الرءوف سعد, دار الجيل, بيروت, 1411هـ، الطبعة الأولى.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، ت: عبد القادر الأ رنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1406هـ.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، سوريا، 1405هـ.
- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار, ت: د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1384هـ.
- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد, القاهرة, 1383هـ، الطبعة الحادية عشرة.
- شرح الكوكب المنير لابن النجار، ت: د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد،
Modifier avec WPS Office

مكتبة العبيكان، ط2، عام 1418هـ.
- شرح مختصر الروضة للطوف، ت: عبد الله التركي، دار هجر.
- شرح المقاصد في علم الكلام للتفتازاني، دائرة المعارف النعمانية، باكستان، ط1، 1401هـ.
- الشرك في القديم والحديث لأبي بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1421هـ.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم، ت: محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، 1398هـ.
- صحيح البخاري ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، 1417هـ.
- صحيح الترغيب والترهيب, محمد ناصر الدين الألباني, مكتبة المعارف, الرياض, الطبعة الخامسة.
- صحيح مسلم بشرح النووي, دار إحياء التراث العربي, الطبعة الثانية 1392هـ.
- الصلاة وحكم تاركها لابن القيم، ت: بسام الجابي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1416هـ.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، ت: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط3، 1418هـ.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي، مكتبة الحياة، بيروت.
- طبقات الحفاظ للسيوطي, دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ.
- طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، ت: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ.
- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، ت: د. الحافظ عبد العليم خان، دار ع الم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، عام 1407هـ.
- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها, عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري, ت: عبد الغفور عبدالحق حسين البلوشي, مؤسسة الرسالة, بيروت,1412هـ - 1992م، الطبعة الثانية.
- طبقات المفسرين للأدنه وي، ت: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1997م.
- طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة وهبة, القاهرة, 1396هـ، الطبعة الأولى، ت: علي محمد عمر.
- الطبقات الكبرى لابن سعد، دار صادر، بيروت.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، ت: عمر محمد أبو عمر، دار

Modifier avec WPS Office

ابن القيم، الدمام، ط2، 1414هـ.
- عالم الحشرات العجيب، تأليف: تيني جونسون، ترجمة:كارم غنيم.
- العبر في خبر من غبر للذهبي، ت: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1984م.
- العقيدة الأصفهانية لابن تيمية، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1415هـ.
- علماء ومفكرون عرفتهم, محمد المجذوب, دار الشواف للنشر والتوزيع, 1992م.
- العلم الهيب في شرح الكلم الطيب, بدر الدين العيني, ت: خالد بن إبراهيم المصري, مكتبة الرشد, الرياض, ط2, 1426هـ.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي, بيروت.
- العنكبوت وخيوطها في القرآن الكريم، دكتور عبد الله محمد الشادي, دار عمار للنشر والتوزيع, ط1, 1426هـ.
- عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان النجدي, دار الحبيب, الرياض, الطبعة الأولى, عام 1420هـ.
- غريب الحديث، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، ت: عبد الكريم إبراهيم العزباوي, جامعة أم القرى, مكة المكرمة, 1402هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن رجب الحنبلي، مكتبة الغرباء الأ ثرية، الطبعة الأولى، 1417هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني, ت: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني، دار الفكر, بيروت، لبنان.
- الفروق اللغوية, لأبي هلال العسكري, دار الكتب العلمية, ت: محمد باسل عيون السود, ط3, 1424هـ.
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الآفاق الجديدة, بيروت, 1977م، الطبعة الثانية.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري, مكتبة الخانجي, القاهرة.
- الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها للقرني، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط1، 1424هـ.
- الفوائد لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1393هـ.
- القاموس المحيط للفيروزأبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه, عبد الرحمن بن صالح المحمود, دار الوطن للنشر والتوزيع, الرياض, ط2, 1418هـ.



- القول السديد في مقاصد التوحيد, عبد الرحمن بن ناصر السعدي, دار الثبات للنشر والتوزيع, الرياض, ت: صبري سلامة شاهين, الطبعة الأولى, 1425هـ.
- القول المفيد, محمد بن صالح بن عثيمين, دار العاصمة, الرياض, الطبعة ا لأولى.
- القياس في القرآن الكريم والسنة النبوية للحسين، مكتبة الرشد، ط1، عام 1426هـ.
- كتاب التوحيد للفوزان، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإ رشاد، ط4، 1423هـ.
- كتاب العين للخليل بن أحمد، ت: د.مهدي مخزوم، ود. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال.
- كشاف القناع للبهوتي، دار الفكر، بيروت، عام 1402هـ.
- كشف الشبهات مع شرحها لابن عثيمين,دار الثريا للنشر, الرياض, الطبعة الثالثة, 1418هـ.
- الكشاف عن حقائق التن-زيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب، ت: زهير الشاويش، المكتب الإ سلامي، بيروت، ط4، 1397هـ.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر, بيروت, الطبعة الأولى.
- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط3، عام 1406هـ.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للسفاريني، المكتب الإسلا مي،بيروت.
- الله جل جلاله واحد أو ثلاثة للسقار، دار السلام، مصر، ط1، 2007م
- متشابه القرآن, القاضي عبد الجبار, ت: عدنان زرزور, نشر دار إحياء التراث, القاهرة.
- مجمع الأمثال للميداني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث/ دار الكتاب العربي, القاهرة, بيروت, 1407هـ.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، عام 1416هـ.
- مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز, طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء, الرياض.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ.

Modifier avec WPS Office

- مختار الصحاح للرازي، ت: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، عام 1415هـ.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم, ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي, بيروت, ط2، عام 1393هـ.
- المستدرك على الصحيحين, محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري, دار الفكر, بيروت, 1398هـ.
- المستدرك للحاكم, دار المعرفة.
- مسند ابن الجعد, علي بن الجعد, مؤسسة نادر, بيروت, الطبعة الأولى، 1410 هـ.
- مسند أبي يعلى, ت: حسين سليم أسد, دار المأمون, الطبعة الأولى.
- مسند إسحاق بن راهويه, مكتبة الإيمان, المدينة المنورة, 1412هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل, أحمد بن حنبل الشيباني, مؤسسة الرسالة, بيروت, 1420هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل, مؤسسة قرطبة.
- مسند الروياني ، تحقيق: أيمن علي أبو يماني ، مؤسسة قرطبة ، 1416هـ.
- مشاهير علماء نجد وغيرهم لآل الشيخ، دار اليمامة للبحث والترجمة و النشر، الرياض، ط1، عام 1392هـ.
- مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1399هـ.
- مشهد الأحياء المستصغرة في النظر السطحي للعثمان، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، السعودية، 1418هـ.
- مصنف عبد الرزاق, تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي, المكتب الإسلامي, بيروت, الطبعة الأولى, 1390هـ.
- المصنف، ابن أبي شيبة ،تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد ، الرياض, 1409هـ.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن علي بن حجر العسقلا ني، ت: د. سعد الشتري دار العاصمة/ دار الغيث, السعودية, 1419هـ، الطبعة الأولى.
- معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول للحكمي. ت: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية.
- معالم التن-زيل للبغوي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1406هـ.
- المعتزلة وأصولهم الخمسة, عواد عبد الله المعتق, دار الرشد, الرياض, الطبعة الرابعة, 1421هـ.
- معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، محمد بن خليفة التميمي، دار إيلاف الدولية للنشر، الكويت.

Modifier avec WPS Office

- معجم الأدباء لياقوت الحموي, دار الكتب العلمية, بيروت, 1411 هـ - 1991م، الطبعة الأولى.
- المعجم الأوسط للطبراني, تحقيق: طارق عوض الله, وعبد المحسن إبراهيم الحسيني, دار الحرمين مصر, سنة 1416هـ.
- معجم لغة الفقهاء، إعداد: محمد رواس قلعجي ومحمد صادق قنيبي، دار النفائس، بيروت، ط2، 1408هـ.
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط3، عام 1420هـ.
- المعجم الكبير للطبراني تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي, دار إحياء التراث العربي, الطبعة الثانية.
- معجم المؤلفين, عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى, أحمد الزيات, حامد عبد القادر, محمد النجار، دار الدعوة.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي, ت: بشار عواد معروف , شعيب الأرناؤوط , صالح مهدي عباس, مؤسسة الرسالة, بيروت, 1404هـ، الطبعة الأولى.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، ت: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط6، 1985م.
- المغني في أبواب العدل والتوحيد, القاضي عبد الجبار, مطبعة دار الكتب, نشر دار الثقافة والإرشاد, 1960م.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- مقاصد الشريعة الإسلامية، وعلاقتها بالأدلة الشرعية, محمد سعيد اليوبي, دار الهجرة, الطبعة الأولى, 1418هـ.
- المقصد الأرشد في أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح، ت: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، عام 1410هـ.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، ت: محمد سيد كيلاني, دار المعرفة, بيروت, 1404هـ.
- منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة القدرية لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط1، عام 1406هـ.
- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام للرحيلي، من

Modifier avec WPS Office

مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1، عام 1424هـ.
- موسوعة المعارف المصورة، إعداد الدكتور: ألبير مطلق
- الموسوعة العربية العالمية, مكتبة العبيكان, الطبعة الثانية.
- المواقف في علم الكلام للإيجي، ت: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1417هـ.
- موقع أخبار (بي بي سي):
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_ stm/806506. 806000
- موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة:

http://www.55a.net/firas/arabic/print_details.php?page=show_det&id=1314
- موقف السلف والمتكلمين من موافقة العقل للنقل، لجابر إدريس، أضواء السلف، ط1، 1419هـ.
- نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، عام1404هـ،
- النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المطبعة السلفية, القاهرة,1386 هـ.
ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ت: عبد الرزاق غالب المهدي, دار الكتب العلمية, بيروت, 1415هـ- 1995م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (523/2)، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ.
- نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني، ت: الفرد جيوم.
- نواقض الإيمان الاعتقادية للدكتور محمد بن عبد الله الوهيبي, دار المسلم للنشر والتوزيع, الرياض, الطبعة الأولى.
- نواقض الإيمان القولية والعملية, للدكتورعبد العزيز آل عبد اللطيف, دار الوطن للنشر والتوزيع, الرياض, ط3, 1427هـ.
- نونية ابن القيم مع شرحها لابن عيسى، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري، ت: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي, المكتبة العلمية, بيروت, 1399هـ - 1979م،.
- الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم، ت: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ.
- الوافي بالوفيات للصفدي، ت: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار
Modifier avec WPS Office

إحياء التراث، بيروت، 1420هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، دار الثقافة، لبنان.
- اليهودية والمسيحية، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي.

Modifier avec WPS Office

فهرس المحتويات

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office

Modifier avec WPS Office